وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم
التأريخ

محمد مزالي

حياته ودوره السياسي والثقافي في تونس ١٩٢٥- ١٩٨٦

رسالة تقدمت بها الطالبة

رغداء عبدالامام فايز يوسف

الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية ـ جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في

التاريخ الحديث والمعاصر

بإشراف

الأستاذ المساعـد الدكتور

عمار فاضل حمزة

١٤٣٦هـ ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

صدق الله العظيم

سورة يوسف /الآية ٧٦

قرار لجنة المناقشة

نشهد بأننا أعضاء لجنة المناقشة ، اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة (محمد مزالي حياته ودوره السياسي والثقافي في تونس ١٩٢٥-١٩٨٦) المقدمة من لدن الطالبة (رهداء عبد الامام فايز)،وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها ، وفيما له علاقة بها ، ونقر بأنها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر .

التوقيع

الاسم : أ.د.ابراهيم فنجان صدام

رئيس اللجنة

التوقيع

الاسم : أ.م.د.عمار فاضل حمزة

عضواً / المشرف

التوقيع

الاسم : أ. م.د.علي حسين لمر

عضواً

التوقيع

الاسم : أ.م.د.عمار محمد كاظم

عضواً

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية على قرار اللجنة

التوقيع

أستاذ مساعد الدكتور

حسين عودة

عميد كلية التربية للعلوم الانسانية

/ / ٢٠١٥

اقرار المشرف

أشـهد أن إعـداد هـذه الرسـالة (***محمـد مزالـي حياتـه ودوره السياسـي والثقافي في تونس*** ١٩٢٥-١٩٨٦) التي تقدمت بها الطالبـة (***رغداء عبد الامام فايز***) الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية /قسم التاريخ في جامعة البصرة، قد تمت تحت أشرافي في كليـة التربيـة للعلـوم الانسـانية - جامعة البصـرة . وهـي جـزء مـن متطلبـات نيـل شـهادة الماجسـتير فـي التـاريخ المعاصر.

التوقيع :

المشرف :*أ. م. د .عمار فاضل حمزة*

المرتبة العلمية : *أستاذ مساعد*

التاريخ : / / ٢٠١

توصية رئيس قسم التاريخ

بنـاءً علـى توصـيات المشـرف والخبيـرين العلمـي واللغـوي أرشـح هـذه الرسـالة للمناقشة

التوقيع :

رئيس القسم : د.شكري ناصر عبد الحسن

المرتبة العلمية:استاذ

التاريخ : / / ٢٠١

اقرار المقوم اللغوي

أشهد اني قرأت هذه الرسالة الموسومة بـ (**محمد مزالي حياته ودوره السياسي والثقافي في تونس ١٩٢٥-١٩٨٦**) للطالبة (**رغداء عبد الامام فايز يوسف**) / قسم التاريخ ، وتمت مراجعتها من الناحية اللغوية وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء لغوية وتعبيرية، وبذلك أصبحت الرسالة مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بسلامة الأسلوب ،وصحة التعبير ولأجله وقعت .

التوقيع :

الاسم : **د. هشام يونس جاسم**

مدرس /قسم اللغة العربية

شكـــر وتقديـــر

الحمد لله والشكر له على جزيل نعمه الذي أعاننا على انجاز هذا العمل ، فلا يسعني بعد أن أنجزت هذا العمل المتواضع ألا ان اسجد لله تعالى شكراً وحمداً لفضله ونعمته وتوفيقه لي.

يسعدني ان اتقدم بشكري وتقديري لأستاذي المشرف الأستاذ المساعد الدكتور عمار فاضل حمزة لما بذله من جهد في متابعتي ، وما ابداه من توجيهات قيمّة لي.

أتوجه بفائق شكري الى رئاسة قسم التاريخ ، واشكر أساتذتي الذي أسهموا بأعدادي وتدريسي في السنة التحضيرية الأستاذ الدكتور حسين علي عبيد ، والأستاذ الدكتور ابراهيم فنجان، والأستاذ الدكتور كاظم باقر علي، والأستاذ الدكتور فوزي خلف شويل ، والأستاذ المساعد الدكتور فرقد عباس، والأستاذ المساعد الدكتور عماد مكلف عسل، والأستاذ المساعد الدكتور كاظم هيلان فجزاهم الله تعالى خير الجزاء .

ويسعدني أن أتقدم بفائق شكري وامتناني واقر بالجميل إلى الأستاذ الدكتور محمود صالح الكروي/ جامعة بغداد، لما قدمه لي من ملاحظات علمية قيمّة، وتزويدي بعدد من المصادر من مكتبته الشخصية، التي اسهمت في اغناء الرسالة، فضلا عن ارشادي الى بعض المصادر التي ساعدتني في انجاز دراستي، فجزاه الله عني خير الجزاء.

شكري وتقديري للأستاذ المساعد الدكتور حسن زغير حزيم –كلية التربية/الجامعة المستنصرية لتزويدي بعدد من المصادر التي ساعدتني في إكمال دراستي .

كما أتقدم بالشكر والامتنان الى السيد حمادي سلمان حمادي كلية الآداب / جامعة الانبار، لما قدمه لي من مصادر ومراجع تاريخية كثيرة غذت رسالتي بالكثير من المعلومات المفيدة،التي لو لا مساعدته لي لما استطعت الحصول عليها، فله مني جزيل الشكر والاحترام.

وأقدم الشكر الجزيل إلى الاستاذ الدكتور يحيى كاظم المعموري لما قدمه لي من نصائح وارشادات قيمّة ، فله مني كل الشكر والاحترام .

اتقدم بفائق شكري وامتناني الى الاستاذة الدكتورة ظمياء محمد عباس، والى الاستاذ الدكتور اسامة النقشبندي لمساعدتهما لي في الحصول على عناوين بعض الشخصيات في تونس.

شكري وتقديري الى السيد انمار لطيف المشهداني /معهد التاريخ العربي بغداد، والى الست بشرى /جامعة تكريت –كلية التربية لما قدموه لي من مساعدة.

كما اتقدم بشكري وتقديري الى كل من قدم لي يد العون والمساعدة من تونس، وهم السيد البشير بن سلامة الذي وسع صدره للإجابة عن اسئلتي واشكره على معلوماته القيمّة، السيد محمود جعفر الاكحل ،

الدكتور صلاح الدين برهومي ، الاستاذ محمد سعد الشيباني ، الست ابتسام زواتي ، السيد الصادق محمد عبد اللطيف، السيد محمود الحرشاني ، السيد المنتصر حمادنة من الاردن، اني مقرة بالجميل لكل هؤلاء.

شكري وامتناني لموظفي مكتبة كلية التربية في جامعة البصرة ، وموظفي المكتبة المركزية في جامعة البصرة، والى موظفي دار الكتب والوثائق الوطنية في بغداد ،وموظفي المكتبة المركزية في جامعة الكوفة،والى موظفي المكتبة المركزية في جامعة بغداد،والى موظفي المكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية، لما قدموه لي من تسهيلات للحصول على المصادر، فلهم مني الشكر والعرفان.

ولا يفوتني أن أقدم جزيل شكري الى الاخت بثينة عادل عمران لما ابدته من مساعدة في طباعة الرسالة وإخراجها بالصورة التي هي عليها فلها مني جزيل الشكر والتقدير.

شكري وتقديري الى عائلتي لما ابدته من صبر طول مدة دراستي ،واخص بالذكر اخي حيدر لمرافقته لي، فله مني كل الشكر والامتنان.

وأسأل الله أن يوفق الجميع لكل خير والحمد لله أولاً وأخراً .

وأتقدم باعتذاري إلى كل من خانتني ذاكرتي عن ذكره في الشكر والتقدير فلهم مني جميعاً كل التقدير والاحترام.

الباحثة

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمـــــة وتحليل المصادر	١-٧
الفصل الأوّل **محمد مزالي١٩٢٥ ـ ١٩٥٠ النشأة وعوامل تكون الشخصية الثقافية والسياسية**	٩-٣٨
أولا: ولادته ونشأته وتكوينه الثقافي والاجتماعي	٩-٢٨
ثانيا:بواكير نشاطه الثقافي والسياسي في تونس وفرنسا حتى سنة ١٩٥٠ ١-نشاطه الثقافي والسياسي في تونس	٢٨-٣٥
٢- نشاطه السياسي والثقافي في فرنسا	٣٦-٣٨
الفصل الثاني **الانشطة الثقافية والسياسية لمحمد مزالي ١٩٥٠-١٩٦٨**	٤٠-٧١
اولا: نشاطه بعد عودته الى تونس ١٩٥٠-١٩٥٦ ١-عملهُ في التدريس	٤٠-٤٤

الموضوع	الصفحة
٢-نشاطه في الحزب الحر الدستوري الجديد	٤٤-٥٠
٣-تأسيسه لمجلة الفكر ١٩٥٥	٥٠-٥٥
ثانياً:- دور محمد مزالي بعد الاستقلال ١٩٥٦-١٩٦٨ ١ -توليه ادارة ديوان وزارة التربية ١٩٥٦-١٩٥٨	٥٦-٦٢
٢- توليه ادارة الشباب والرياضة ١٩٥٩-١٩٦٤	٦٢-٦٦
٣- توليه مهام ادارة الاذاعة والتلفزة ١٩٦٤-١٩٦٨	٦٧-٧٠
الفصل الثالث المهام السياسية والنشاط الثقافي لمحمد مزالي ١٩٦٨-١٩٨٠	٧٢-١٠٨
اولا:توليه المناصب الوازية ١- تقلده لوزارة الدفاع ١٩٦٨-١٩٦٩	٧٢-٧٦
٢- توليه وزارة التربية القومية المرة الاولى ١٩٦٩-١٩٧٠	٧٦-٨١
٣- توليه وزارة التربية للمرة الثانية ١٩٧١- ١٩٧٣	٨٢-٨٩
٤- توليه وزارة الصحة ١٩٧٣-١٩٧٦	٨٩-٩٥
٥-وزيراً للتربية القومية للمرة الثالثة ١٩٧٦-١٩٨٠	٩٥-١٠١
ثانياً: نشاط محمد مزالي الثقافي ١- دوره في اتحاد الكتاب ١٩٧٠-١٩٨٠	١٠١-١٠٤
٢-أعمال محمد مزالي الفكرية	١٠٤-١٠٨
الفصل الرابع تولي محمد مزالي منصب الوزير الاول وموقفه من التطورات السياسية	١١٠-١٧٤

الموضوع	الصفحة
في تونس ١٩٨٠- ١٩٨٦	
اولاً- عوامل تولي محمد مزالي منصب الوزير الأول أ-عملية قفصة ١٩٨٠ ب– مرض الهادي نويرة:	١١٠-١١٨ ١١٨-١٢٧
ثانياً-الخلاف التونسي الليبي وموقف مزالي منه	١٢٨-١٣٣
ثالثاً- تجربة التعددية الحزبية في تونس سنة ١٩٨١ودور محمد مزالي فيها	١٣٤-١٥٠
رابعاً-تصاعد نشاط الاسلاميين وموقف مزالي منه	١٥٠-١٥٨
خامساً-العلاقة بين حكومة مزالي والاتحاد العام التونسي للشغل	١٥٨-١٧٠
ساساً-الوجود الفلسطيني في تونس وموقف محمد مزالي منه	١٧٠-١٧٤
الفصل الخامس التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ودور محمد مزالي فيها ١٩٨٠- ١٩٨٦	١٧٦-٢١٤
اولا: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية	١٧٦-١٧٩
١- نفقات صندوق التعويض ١٩٨٣	١٨٠-١٨٧
٢- انتفاضة الخبز ونتائجها ١٩٨٤	١٨٨-١٩٦
ثانيا: نشاطات محمد مزالي الثقافية في تونس ١٩٨٠-١٩٨٦	١٩٧-٢٠٢
ثالثا: صراعات الخلافة وعوامل اقالة محمد مزالي	٢٠٣-٢١٤
الخاتمة	٢١٥-٢١٧

الموضوع	الصفحة
الملاحق	٢١٩-٢٣٠
المصادر والمراجع	٢٣٢-٢٦٤
الخلاصة باللغة الانكليزية	

المقدمـــــة

مضامين البحث وتحليل المصادر

إن الكتابة في تاريخ المغرب العربي عامة وتونس خاصة ليس بالأمر الهين ،لاسيما وإن هذه الدراسة تعالج موضوعاً مهماً من موضوعات التراجم ، وأعمال الشخصيات الفاعلة في حياة مجتمعاتهم السياسية والثقافية والاجتماعية ، فدراسة الشخصيات تشكل أهمية خاصة لأنها حلقة لاغنى عنها في فهم مراحل التاريخ وعصوره التي عاشت فيها تلك الشخصيات وتفاعلت معها، فتلك الشخصيات هي نتاج الاحوال التاريخية المتضمنة جملة عوامل اجتماعية وسياسية وثقافية، وأن التعرض لدراستها، لاسيما التي أدت دوراً فكرياً وسياسياً يأتي في مقدمة الموضوعات التي تستحق الأهتمام من لدن الباحثين والمؤرخين، ولما كان محمد مزالي من الشخصيات المعروفة في تاريخ تونس المعاصر التي تركت آثاراً جمة على أوضاع بلاده ، ولما لم يكن أحد قد أفرد لهذه الشخصية دراسة أكاديمية ، اخترت هذه الشخصية لتكون موضوع دراستي.

تعالج هذه الدراسة شخصية محمد مزالي ودوره السياسي والثقافي ١٩٢٥-١٩٨٦، وهي دراسة تلقي الضوء في جوانب من حياة هذه الشخصية، من سنة ١٩٢٥ السنة التي ولد فيها محمد مزالي، حتى سنة ١٩٨٦ تأريخ اقالته من مهامه كافة في الدولة.

لذا تحاول هذه الدراسة تتبع مسيرة محمد مزالي السياسية والثقافية في تونس، والوقوف على اهم العوامل والأسباب الموجهة لهذه المسيرة.

كما انها تحاول معرفة هذه الشخصية والكشف عن نشاطها ، وما الدور الذي ادته في تاريخ بلادها ، ومعرفة السبب في توليها عدة مناصب ادارية ووزارية وأسباب اقالته .

لهذا كله اقتضت الضرورة الى تقسيم هذه الدراسة الى مقدمة وخمسة فصول أعقبتها خاتمة.

خصص الفصل الأول للمدة من ١٩٢٥ الى ١٩٥٠ لدراسة ولادته ، نسبه ، نشأته، وتكوينه الثقافي والاجتماعي ، وبواكير نشاطه السياسي والثقافي خلال وجوده في تونس ، وفي اثناء اكمال دراسته الجامعية في فرنسا، وهي المرحلة التي صقلت فيها شخصيته الوطنية.

اما الفصل الثاني فقد عرض نشاطه عند عودته الى تونس ١٩٥٠– ١٩٦٨، ومشاركته في النشاط السياسي ، اذ كانت السنوات الست الاولى من هذه المرحلة مهمة في تاريخ تونس وهي مرحلة الكفاح من اجل الاستقلال ، فركزنا على اهم الانشطة التي قام بها محمد مزالي في هذه المرحلة ، من خلال انتمائه الى الحزب الحر الدستوري الجديد ، والدور الذي اسند اليه في هذه المرحلة المهمة. وتضمن الفصل دراسة الادوار التي قام بها محمد مزالي بعد الاستقلال ايضا،لاسيما بعد التحاقه بهياكل الحكومة التونسية، وتسلمه المهام الادارية فيها ، ومررنا كذلك على تأسيسه لمجلة الفكر سنة ١٩٥٥ ودورها في تغذية الجانب الثقافي في تونس.

تطرق الفصل الثالث الى دراسة النشاطات التي قام بها محمد مزالي في اثناء توليه المهام الوزارية من ١٩٦٨–١٩٨٠، ابتداءً بوزارة الدفاع سنة ١٩٦٨ ،واستلامه بعدها وزارتي التربية والصحة ، فسلط الضوء في اهم الاعمال التي قام بها ، واهم المشكلات التي اعترضته ، وكذلك استعرض الفصل نشاطه في اتحاد الكتاب التونسيين ، واهم اعماله الفكرية.

اما الفصل الرابع تناول مدة رئاسته للحكومة التونسية للمدة ١٩٨٠–١٩٨٦، واضطررت الى التوسع في هذا الفصل اكثر من بقية الفصول ، اذ أقتضت الضرورة لذلك ، لسعته أولاً ولأهميته ثانياً . ففي هذه المرحلة اختير محمد مزالي من قبل بورقيبة لتولي منصب الوزير الاول ، وما شكله هذا المنصب من اهمية في تاريخ تونس ، اذ انه مجرد اختياره لهذا المنصب اصبح خليفة بورقيبة حسب الدستور التونسي. وتعد هذه المرحلة من تاريخ تونس مرحلة مثقلة بألاحداث والتطورات، فتناولنا مدة رئاسته للحكومة ودوره واهم الاعمال التي قام بها على الصعيد السياسي وما آلت اليه الامور ، وتطرقت الدراسة الى اهم العراقيل التي واجهته وكيفية معالجته لها،لاسيما وان اختياره لهذا المنصب جاء بعد ازمة شديدة تعرضت لها البلاد.

سلط الفصل الخامس الضوء في أبرز التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي وواجهتها حكومة محمد مزالي، والأزمات التي تعرضت لها البلاد في اثناء هذه الحقبة من تاريخ تونس ، والسبل التي اتخذها مزالي لمعالجتها ،اهمها ازمة الخبز ١٩٨٤ التي يمكن عدّها بداية النهاية لحكومة محمد مزالي. وبجانب كل هذه الاحداث تعرضت الدراسة الى صراع الخلافة الدائر حينذاك بين عدة

اطراف ، والأسباب التي ادت الى اقالة محمد مزالي من قبل بورقيبة ، وتناول الفصل كذلك نشاطاته الثقافية اثناء مدة رئاسته للحكومة ، والانجازات على الصعيد الثقافي.

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع ، كان لبعضها أهمية كبيرة في إلقاء الضوء على تطورات الأحداث السياسية في تونس .

اذ فرضت معالجة هذه الدراسة الرجوع إلى كل ما هو متوفر من مصادر ومراجع خاصة وعامة تتعلق بشخص محمد مزالي أولاً ، وبتاريخ تونس الحديث والمعاصر ثانياً . يأتي في مقدمتها الوثائق المنشورة وهي وثائق مركز التوثيق القومي التابع لوزارة الاعلام في تونس ، فضلا عن تقارير وكالة الانباء العراقية في دار الكتب والوثائق في بغداد ، التي أسهمت في أغناء الرسالة بالمعلومات المهمة التي خصت الوضع السياسي في تونس، وخص قسم منها جانباً من النشاطات السياسية والثقافية لمحمد مزالي، وان كانت قليلة الا انها اوفت بالغرض ، وهي على قدر من الأهمية ، لأنها وثقت بعض الجوانب من موضوع الرسالة.

اما الكتب العربية والمذكرات ، فقد قدمت معلومات تفيد الدراسة ، لاسيما المذكرات التي كتبها محمد مزالي، تحت عنوان (نصيبي من الحقيقة) الذي نشره في٢٠٠٧، صدرت منه نسخة فرنسية في باريس ، ففي هذا الكتاب قدم محمد مزالي مذكراته ، متناولاً مسيرته السياسية والفكرية والثقافية ، وقد تم التعامل مع هذه المذكرات بحذر، ذلك ان هذه المذكرات تبقى خاضعة إلى مزاج ومكونات شخصية كاتبها، ومحاولة لتبرئة الذمة والتهرب من المسؤولية والحرص على تلميع الصورة. على الرغم من انه حاول حسب ادعائه توخي قدر ما استطاع الحقيقة والموضوعية. وقد استثمرت هذه المذكرات في تغطية الفصل الاول والثاني والثالث، وكتابه الثاني(حديث الفعل) الذي صدر سنة ١٩٨٤ ، الذي جاء على صيغة حوارية اجرته معه مؤسسة فرنسية وصدر باللغة الفرنسية. ترجم بعدها الى عدة لغات منها اللغة العربية ، وتكمن اهمية هذا الكتاب في كونه صدر في اثناء توليه الوزارة الاولى ، اذ ذكر فيه كل ماتعلق بمسيرته من ولادته حتى توليه منصب الوزير الاول، علاوة على ذلك اعتمدت الباحثة على النسخة الفرنسية لكتابه (نصيبي من الحقيقة) ،التي جاءت تحت عنوان (وزير في زمن بورقيبة يشهد) (Mohamed Mzali,Un premier minister de Bourguiba te`moigne) طبعة ٢٠١٠ . لاحتوائه على بعض المعلومات المهمة.

علاوة على ذلك فلم تغفل الباحثة الرجوع الى بقية مؤلفاته، لانها تشكل مادة غنية للدراسة لاحتوائها على العديد من المقالات والمحاضرات التي تناولت الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة، منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب دراسات ثقافية ، ومواقف.

وكان لابد من الرجوع الى مجلة الفكر امام ندرة المادة العلمية المتوفرة عن هذه الشخصية ، فهي واكبت نشاطه منذ ان اصدرها محمد مزالي سنة ١٩٥٥.

اعتمدت الدراسة ايضاً على السمنارات والشهادة الشفوية التي القاها محمد مزالي في مؤسسة عبد الجليل التميمي للبحث العلمي والمعلومات في تونس ، وهي شهادته في كانون الثاني ٢٠٠٤، والسمنار الذي اجراه في اذار ٢٠٠٦، التي ذكر فيها الكثير من التفاصيل الخاصة بمسيرته السياسية والمهنية.

وقد اعتمدت الدراسة على بعض المصادر لما لها من أهمية تكمن في معاصرة مؤلفيها للاحداث ، وهي لرجال الدولة البارزون ممن تقلدوا مناصب مهمة ومعاصرين لمحمد مزالي، فعدّت مرجعاً مهماً لفهم تطورات الاحداث، وذات قيمة تاريخية مفيدة، وهي من المصادر المهمة، وشكلت عنصراً مهما من عناصر كتابة الرسالة، على الرغم من أنها وبحسب وجهة نظر شخصية تتناول الحوادث من زاوية معينة، وتفتقد أحياناً التجرد والحيادية، ومن هذه المؤلفات على سبيل المثال مذكرات عمر الشاذلي طبيب بورقيبة الخاص ووزير التعليم العالي في حكومة محمد مزالي، ومذكرات منجي الكعلي مدير الحزب الاشتراكي الدستوري في حكومة مزالي، ومذكرات محمد الصياح وزير الاسكان في حكومة مزالي، ومذكرات محمد عباس الهاشمي عن الهادي نويرة الوزير الاول السابق لحكومة مزالي.

وللرسائل والأطاريح الجامعية غير المنشورة دور في تزويد الدراسة بمعلومات مفيدة ومهمة بشأن التطورات الداخلية، وقدمت توضيحات وتحليلات قيمّة عن تاريخ تونس، كما أنها تطرقت إلى جوانب الموضوع ، وأخص بالذكر رسالة الماجستير للدكتور طه حميد حسن العنبكي (تاريخ تونس ١٩٥٦-١٩٨٩)، التي حوت على معلومات مهمة أغنت الرسالة بمعلومات كثيرة، ورسالة الماجستير (تجارب التعددية الحزبية في الوطن العربي نموذج تونس) لنغم اكرم عبدالله الجميلي، التي افادت الدراسة بمعلومات عن التجربة التعددية في تونس، ورسالة الماجستير للدكتور حسن زغير خزيم (الحبيب بورقيبة ودوره السياسي ١٩٣٣-١٩٨٧).

فضلاً عن ذلك استعانت هذه الدراسة بالعديد من الكتب العربية والمعربة، التي شكلت مادة مفيدة في معلوماتها وحظيت بأهمية كبيرة في فصول الرسالة، ونذكر على سبيل الذكر لا الحصر كتاب (بورقيبة سيرة شبه محرمة) ، الذي الفه الصحافي التونسي الصافي سعيد ، وقد تتبع من خلاله اهم المراحل التاريخية لسيرة الحبيب بورقيبة من الولادة حتى الوفاة ، واهمية هذا الكتاب تكمن في اعتماد مؤلفه على شهادات حية لبعض الشخصيات السياسية التي اقام لقاءات معها . وهذا الكتاب لم يطبع الا بعد وفاة الحبيب بورقيبة ٢٠٠٢.

وكذلك كتاب الباجي قائد السبسي وزير الخارجية في حكومة مزالي(الحبيب بورقيبة المهم وألاهم)، و(تاريخ تونس المعاصر) لمؤلفه احمد القصاب ، كذلك استخدمت كتاب الطاهر بلخوجة (بورقيبة سيرة زعيم) الذي تقلد مناصب وزارية وحزبية كثيرة ، وتطرق فيه الى الكثير من الاحداث والتطورات التي حدثت في تونس ، وظهر اكثر تحيزا للحبيب بورقيبة ، واغفل دور الكثير من الشخصيات الحزبية لاسيما محمد مزالي ، ولم يكن دقيقا في ذكر بعض الاحداث ،لذلك تعاملنا معه بحذر على قدر الامكان. فضلاً عن كتاب هادي التيمومي(تونس ١٩٥٦-١٩٨٧) الذي تناول فيه تاريخ تونس الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، الذي امتاز بمعلوماتٍ قيمّة ووافية عن تونس، فضلاً عن ذلك أسهمت مؤلفات سالم لبيض في إثراء الدراسة بالمعلومات الوافية ومنها (الثورة في زمن الهيمنة)، ولا يمكن غض البصر عن كتاب (الاتحاد العام التونسي للشغل ونظام بورقيبة بين الصدام والوئام) لسالم الحداد الذي غذى الرسالة بالكثير من المعلومات، وغيرها من الكتب لمؤلفين اشتملت عليها صفحات هذه الدراسة.

أمّا فيما يخص الكتب باللغة الفرنسية فقد أتت معيناً أخر لا يمكن الاستغناء عنه مثل كتاب منها

Ahmed Kassab,Ahmed Ounaies,Histoire Generale De Le Tunise L'Epoque Contemporaine (1881-1956).

(تاريخ تونس المعاصر) الجزء الرابع لاحمد القصاب، الذي اسهم في اغناء الدراسة بالمعلومات، واعتمدت الدراسة على مجموعة مختلفة من البحوث والدراسات التاريخية التي قدمت إضاءات وتحليلات قيمة مثل بحوث المؤرخ عبد اللطيف الحناشي وبحوث سالم لبيض ، وبحوث ومقالات البشير بن سلامة وغيرها من البحوث القيمة.

أما المجلات فقد نالت اهتماماً ملحوظاً في هذه الدراسة، لا سيما الصحف العربية بوصفها سجلاً يومياً للإحداث، إذ أغنت الدراسة بمعلومات غزيرة ومهمة جداً لم تكن موجودة في بقية المصادر الأخرى، مثل المجلة التاريخية المغربية ، ومجلة الدستور ، ومجلة الفكر ،فضلا عن بقية الصحف التي كانت آثارها واضحة بين طيات هذه الدراسة، وكان للموسوعات نصيب في متون هذه الدراسة ايضاً.

أما عن المقابلات فلم نستطع الحصول الا على اتصال هاتفي مع شخصية تونسية مرموقة ، عاصرت أحداث تلك الحقبة التاريخية وعاشت اطوارها وأسهمت فيها ، وهو السيد البشير بن سلامة وزير الثقافة في حكومة محمد مزالي ومن المعاصرين له.

وهناك أيضاً المصادر التي استفدنا منها في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) سواء من البحوث والمقالات أو من الكتب التي حصلت عليها الباحثة.

واحتوت قائمة المصادر على الكثير من المصادر الأخرى ، كلها غنية بمعلومات قيمة رفدت هذه الدراسة في جميع فصولها .

واجهت الباحثة مجموعة من الصعوبات أبرزها ، قلة المصادر المتوفرة في المكتبات الوطنية، لاسيما التي تخص تاريخ تونس المعاصر بالتحديد ، فضلا عن صعوبة الحصول على الوثائق المتعلقة بموضوع الدراسة ، فالوثائق الخاصة بمحمد مزالي قد حجزت ، وطبقاً لما هو متعارف عليه ان الوثائق لايكشف عنها ولا يمكن الاطلاع عليها الا بعد مرور مدة كافية ، وقد حاولت بكل الوسائل ان اصل الى هذه الوثائق، غير ان محاولاتي لم تنفع، علاوة اني التجأت الى طرق اخرى للوصول الى بعض الوثائق من خلال الاتصال بعائلته ، وتمكنت الباحثة من محادثة ابنه الاكبر مختار مزالي الا انه ابى تزويدي باي شيء يتعلق بوالده رغم محاولاتها المتكررة معه، وكذلك حاولت الحصول عليها عن طريق السفارة التونسية في بغداد وايضا لم تجد اي تجاوب معها ، لانها عّدت هذه الوثائق من اسرار الدولة في المرحلة الراهنة ، لذلك اضطررت الى الاعتماد على المادة المتوفرة لديها لإكمال موضوع الدراسة.

اما الصعوبة الاخرى تمثلت في تغطية مسيرة محمد مزالي ، هذه المسيرة التي دامت اكثر من ثلاثين عاماً من النشاط السياسي والثقافي ، فلم يكتب عنها بشكل كبير، لاسيما

الحقبة التي سبقت توليه الوزارة الاولى، الا عندما بدأت بعض الشخصيات السياسية تكتب مذكراتها ، التي هي الاخرى لم تركز الا على مدة توليه منصب الوزير الاول في تونس.

غير انه على الرغم من كل الصعوبات التي واجهتني تمكنت بعون الله من الحصول على المساعدة من لدن بعض الإخوان في العراق وتونس ليعوضوا عن الكثير ما كان ناقصاً في مصادر الرسالة هذه، فجزاهم الله خير الجزاء.

وأخيراً وعلى الرغم ما بذلته من جهد في اخراج هذه الرسالة بالصورة اللائقة ، ومهما بلغ حرصي على دقتها لا أستطيع ان ادعي الكمال لعملي هذا ، لذا فسأجد في ملاحظات أساتذتي اعضاء لجنة المناقشة ما يقّوم الرسالة ويوصلها الى الصورة التي نطمح اليها .

ولا أدعّي الكمال فالكمال لله وحده، وإنها بداية الطريق والله الموفق وعلية توكلت، فهو نعم المولى ونعم النصير.

الباحثة

الفصل الأول

محمد مزالي١٩٢٥ ـ ١٩٥٠ النشأة وعوامل تكون الشخصية الثقافية والسياسية

أولا: ولادته ونشأته وتكوينه الثقافي والاجتماعي.

ثانيا:بواكير نشاطه الثقافي والسياسي في تونس وفرنسا حتى سنة ١٩٥٠.

أـ نشاطه الثقافي والسياسي في تونس.

ب ـ نشاطه السياسي والثقافي في فرنسا.

اولاً: ولادته ونشأته وتكوينه الثقافي والاجتماعي

ولد محمد بن شعبان بن محمود بن شعبان بن محمد مزالي في ٢٣كانون الاول ١٩٢٥[١] ، بحي القراعية في مدينة المنستير[٢]. ينحدر من سلالة بربرية من قبيلة مستقرة بالسوس من جهة اغادير معقل (أيت مزال) [٣] ،والدته **"عيشوشة"** تصغير لعائشة بنت عثمان بن غديرة ويعود اصلها الى قبيلة لاز التركية، وكان عدد من افراد هذه الاسرة وزراء في الاسرة المرادية منهم مصطفى لاز [٤]، له اخت واحدة وهي سيدة توفيت سنة ٢٠٠٣ [٥].

تأثر محمد مزالي بالبيئة التي ولد ونشأ فيها ، فقد ولد وسط مجتمع كان تحت وطأة الاحتلال ،سيطر فيه الاحتلال الفرنسي على جوانب الحياة جميعها في تونس، فلم يستطع التخلص من تأثير الوسط الذي عاش فيه،وما له من اثر في تكوين شخصيته الاجتماعية والثقافية والسياسية .

ضمت عائلة مزالي عدة فروع من بينها فرع متواضع فقير، وهو الذي انحدر منه محمد مزالي الذي انتمى الى عائلة متواضعة توزع افرادها ما بين الفلاحة والوظائف الحكومية قبل الحماية الفرنسية على تونس سنة ١٨٨١ وبعدها[٦].

---

[١] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، دار الشروق، القاهرة،٢٠٠٧ ، ص٥؛ينظر الملحق رقم (٢) الخاص بشجرة عائلة محمد مزالي. الحبيب نويرة، ذكريات عصفت بي، دار سراس للنشر ، تونس ، ١٩٩٢، ص١٩.

[٢] -المنستير: مدينة تونسية ساحلية تقع شرقي تونس العاصمة، تحدها المياه من ثلاث جهات شمالياً وشرقياً وجنوبياً تبعد عن العاصمة ١٦٠ كيلو متر، اسسها هرثمة بن اعين والي القيروان في ايام الرشيد العباسي واسس فيها اول رباط سنة ١٨٠ هـ وهي عبارة عن حصن عسكري معد لحماية البلاد من هجمات الغزاة من جهة البحر . ينظر : الطيب الفقيه احمد ، المنستير وبطل التحرير، الشركة القومية للنشر، تونس،١٩٩٢، ص٤٠.

[٣] - أيت مزال: قبيلة مزالي بربرية مغربية امازيغية من قبائل جزولة تنتمي الى قبائل صنهاجة المنحدرة من شعب الامازيغ البرانس، وقبيلة مزالي من القبائل التي اعانت المهدي بن تومرت على التغلب على دولة المرابطين في المغرب الاقصى واقامة دولة الموحدين بأمارة عبد المؤمن بن علي ،وجاءت معه الى فتح تونس اواسط القرن السادس الهجري واستقر بعضهم بها ،وهناك من ذكر انه خلال عودة الحجاج من الحج توقف احد المسافرين من ايت مزال في مدينة المنستير وراى الاستقرار فيها، وكان ذلك في حدود منتصف القرن السابع الهجري ، ولها فروع عديدة منتشرة في بلدان شمال افريقيا في المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا ، وينتهي نسب عائلات مزالي الى الحاج محمد مزالي شقير جد محمد مزالي الوزير الاول. ينظر الحبيب نويرة، المصدر السابق، ص١٥؛محمد بن الحسن زلماطي، قبيلة ايت مزال ،٢٥ تشرين الاول ٢٠٠٧ www.Ait.mzal-tribn.blogspot.com .

[٤] - منهم مصطفى لاز الذي كان وزيراً في الاسرة المرادية التي حكمت تونس من ١٦٣١-١٧٠٢،ومؤسسها مراد الاول الذي يدعى في الاصل جاك سانتي، وهو من اصل كورسيكي ،اسر وعمره ٩سنوات، ورباه احد ممثلي العثمانين الذين سيطروا على تونس منذ١٥٧٤ ، واصبح مراد مسؤولا عن الجباية ولقب بـ (الباي) سنة ١٦١٦،واستطاع الاستقلال عن الدولة العثمانية وتولى حكم تونس سنة ١٦٣١، وانتهى حكمهم في عهد مراد الثالث، على يد ابراهيم الشريف مؤسس الاسرة الحسينية سنة ١٧٠٢. ينظر محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تقديم حمادي الساحلي والميلاني بن الحاج ، دار المغرب الاسلامي ، بيروت، ١٩٨٦،ص٤٨-٥١ .

[٥] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، ص١٢٥-١٢٩ .

[٦]- المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، السنة ٣٢، العدد ١١٧ ، كانون الثاني ٢٠٠٤، ص ١٤٠.

مارس والده شعبان عدة مهن ، اذ كان عالي الهمة محباً للعمل قنوعاً لا يقبل أي عمل الا ان يكون متأكداً من انه يحفظ كرامته متوخيا في ذلك اقوم السبل متجنباً الطرق الملتوية، وكان لهذه المبادئ دور كبير في تمسك محمد مزالي بالمبادئ والقيم الاخلاقية الثابتة التي ورثها من والده[١].

عمل والده عدة اعمال ، دفعه في ذلك الشعور بالواجب لتربية ابنائه التربية الصالحة ،اذ احترف تجارة صغيرة لبيع المواد الغذائية في مدينة المنستير ، وانتقل في بعض المواسم من مدينة المنستير الى المدن الاخرى مثل سوسة والوطن القبلي والى تونس العاصمة بحثاً عن مورد للرزق[٢]. وسعيا منه للتغلب على ضيق العيش ، كان كثير السفر فعاش مزالي هو ووالدته بما يرسله لهم والده من المال، حتى انه في سنة ١٩٣٢ سافر الى فرنسا وعمل فيها لمدة عامين[٣]. ومارس والده عدة مهن موسمية متواضعة ، ففتح سنة ١٩٣٧ دكاناً في مدينة رادس قرب تونس العاصمة، وفي سنة ١٩٣٩ فتح متجراً اخر لبيع الغلال والخضر بمدينة سبيطلة التاريخية الواقعة وسط البلاد ، وتردد محمد مزالي منذ صغره على والده لمساعدته عندما كان في المنستير ، واغتنم العطلة الصيفية للالتحاق به ومساعدته في عمله في المدن الاخرى ، فتحول ما بين مساعد عطار لبيع المواد الغذائية وبين بيع الخضر والغلال [٤].

قضى محمد مزالي طفولته بمدينة المنستير، ولكي يفي والده بحاجات الاسرة اضطر الى تأجير البيت الذي ولد فيه بحي القراعية ،والانتقال الى قلب المدينة ، فكان دائم الانتقال من بيت الى اخر، اذ استأجر عدة مساكن بحثاً عن الاقل كلفة، اذ سكن مرة في حي الربط، ومرة اخرى سكن في زقاق (سيدي عبد السلام) [٥] ، ولهذا الزقاق ذكرى ظلت عالقة في ذهن محمد مزالي، اذ شاهد وهو ما يزال صغيراً، مناظر الاحتفالات الدينية وجلسات الذكر، وواضب على مشاهدة هذه الجلسات وحضورها بصورة مستمرة ، وتردد عليها برفقة والده او برفقة اقرانه، كما جذبته المجالس التي تتلى فيها الايات القرآنية في المناسبات الدينية ،ووصف ذلك بقوله : **"كانت الانغام الدينية والتلاوات الصوفية تطربني وتهز مشاعري ،فأعود الى بيتنا وقد غمرتني الفرحة والابتهاج، وهكذا الفت نفسي على ضرب من العبادة والاخلاص،**

---

(١) - محمد مزالي ، حديث الفعل ، الدار التونسية للتوزيع، تونس،١٩٨٥،ص١٣-١٤ .

(٢)- المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤٠.

(٣) - المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤٠.

(5)-Mohamed Mzali,Un premier minister de Bourguiba te`moigne, sud Editions, tunis,2010,p89.

(٥)- هو السيد عبد السلام مشيش شيخ طريقة صوفية، وهي من اشهر الطرق الصوفية في بلاد المغرب العربي وكان افراد هذه الطريقة يلبسون العمامة ويعقدون حلقات الذكر دائماً، و في تونس جعلت مزاراً للتبرك وكان افراد هذه الاسرة يعقدون جلسات دينية في ايام الاحد والخميس من كل اسبوع ، وكان الناس يلتقون هناك لترتيل الشعائر الدينية. ينظر محمد مزالي، حديث الفعل ،ص١٤ .

وبدأت اتمرس على الانضباط وسط الجماعة، وقد اصبحت الايقاعات والاناشيد الدينية عندي منذ ذلك العهد مصدر الفه وانس ينشرح الصدر دوماً لسماعها وينفتح القلب الى انغامها" [١] .

بدأ محمد مزالي مسيرته الدراسية وتعلمه في كتاتيب القرآن (الكتّاب) حفظ في اثنائها عددا من سور القرآن الكريم، من ثم ادخله والده الى المدرسة القرآنية[٢] ، والتي كان يديرها محمد الهادي العامري[٣] ليتعلم القرآن الكريم، ولهذا الشيخ تأثير كبير عليه لاسيما في تعزيز امكانيته في اللغة العربية الفصحى وتعلمها [٤]، وعدّ التعليم في المدارس القرآنية رد فعل شعبي كبير لما عانته البلاد التونسية من نشر ثقافي فرنسي واسع ، فالتعليم في هذه المدارس كان مرتكزاً لحفظ القرآن اولاً، وعلى تدريس اللغة العربية وتقريبها الى التلاميذ ثانياً[٥]، فكان لهذه المدرسة تأثير كبير في تعزيز ثقافته العربية وتعلمه اللغة العربية الفصحى، فتكون تكويناً اسلامياً عربياً اصيلاً(حفظ القرآن ، العبادات، النحو ، الصرف، المحفوظات) [٦].

بعد سنتين من تعليمه في المدرسة القرآنية ،وفي سن الثامنة من عمره انتقل الى المدرسة العربية الفرنسية في مدينة المنستير التي تسمى بالمدرسة "الفرنكو عربية"[٧]، لمواصلة تعليمه،

---

[١] - محمد مزالي، حديث الفعل ، ص ١٥ .

[٢] - المدرسة القرآنية : فتحت هذه المدرسة ابوابها ١٩١٣بفضل تضحيات الاهالي وانتقلت سنة١٩١٨ الى محل اوسع في شارع باب الكرم واغلقت لحدوث مشكلات الى ان اعيد افتتاحها سنة١٩٢٣ تحت ادارة الشيخ محمود عباس واستمر مديراً لها الى ان تولى ادارتها الشيخ محمد الهادي العامري ١٩٢٨ فبذل اقصى جهده في اصلاح شؤونها والسير بها نحو النجاح. ينظر محمد الهادي العامري، قصة طريفة لمدرسة، مجلة الفكر، عدد٧، نيسان،١٩٧٢،تونس، ص٧٩ .

[٣] -محمد الهادي العامري(١٩٠٣-١٩٧٨): ولد سنة ١٩٠٣في القلعة الصغرى بالساحل التونسي، تخرج في جامعة الزيتونة في العشرين من عمره وباشر التعليم في المدرسة القرآنية التابعة للجمعية الخيرية الاسلامية بتونس، وبعد سنوات انتقل الى المنستير وعمل مديراً للمدرسة القرآنية ، ولبث فيها عشرين عاماً الى الاستقلال فالتحق بالفرع الزيتوني بمدينة سوسة، له اسهامات عديدة في مختلف المجالات في الصحافة والاذاعة فضلاً عن تأليف العديد من المؤلفات ، توفي في ٣٠ تموز ١٩٧٨ . ينظر محمد بوذينة، مشاهير التونسيين، ط٢،مطبعة شركة فنون الرسم والنشر، تونس ١٩٨٨،ص٤٩.

[٤]- المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤٠.

[٥] - محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن السابع الهجري الى قيام القرن الثالث عشر ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس، ١٩٧٤،ص٢.

[٦]- المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤١؛ محمد مزالي، حديث الفعل،ص٢٠ .

[٧] - افتتحت اولى المدارس الفرنسية العربية (الفرنكو عربية) سنة ١٨٨٤،في عدة مدن رئيسة وبعض الجهات داخل تونس ، ولاقت قبولا حسناً لدى بعض الاهالي، لا سيما من الحرفيين والتجار في المدن الكبرى مثل تونس وسوسة وصفاقس والقيروان،اما في الجنوب وداخل البلاد فلم يكن لهم اقبال كبير عليها ، على الرغم من بعض الضغوطات التي مارستها عليهم الادارة الفرنسية للاقبال عليها، وتمتاز هذه المدارس بالتعليم العصري (المحايد دينيا)، الذي يهدف الى ايجاد الثقة بين الاهالي والسلطة،والعمل على توفير وضع سلمي مع سكان البلاد، وهذا النوع من التعليم من شأنه ان يحدث نوعاً من الشرعية لفرض النفوذ الاستعماري. ينظر مختار العياشي، تاريخ المدرسة التونسية (خلاصة ٣٢ قرنا من الكتابة والمعرفة والتعليم (١١٠١ ق٠م/ ٢٠٠٧م) ، المركز الوطني للتجديد البيداغوجي والبحوث التربوية ، تونس، ٢٠١٢، ص٢٢٤ .

وكان التعليم فيها باللغة الفرنسية وجل معلميها فرنسيين ما عدا معلم اللغة العربية[١] ، فضلاً عن ان التعليم فيها هو نسخة طبق الاصل من التعليم الابتدائي في فرنسا ،مع زيادة ساعة واحدة في اخر حصة من الدراسة اليومية من الساعة الرابعة الى الخامسة مساءاً لتعليم اللغة العربية، فاغلب دراستهم باللغة الفرنسية حتى عدّت بمثابة اللغة الام ، لذا فان ما تلقاه مزالي في الكتّاب والمدرسة القرآنية عدّ اساسا قويا له في تعزيز معرفته بلغته العربية وبثقافته الاسلامية، اذ علق على ذلك قائلا :**"ولولا فضل المدرسة القرآنية وتعلق والدي المتين باللغة العربية والدين الاسلامي ، لما كنت احرزت من التكوين ومن العزيمة على الزيادة في تحسين معرفتي بلغتي واتقاني لها"** [٢] ،لا سيما ان مدير المدرسة الذي يدعى بيتاش (petech) سعى دائماً لكسب ولاء التلاميذ لوطنه فرنسا، في الوقت الذي تعلم فيه التلاميذ التونسيون من خلاله حبهم لوطنهم تونس، وكانت زوجة بيتاش تلقنهم قواعد النحو وتدربهم على الاملاء وتحرير الانشاء ، في حين قوى بيتاش مواهبهم في الرياضيات، ودربهم على ممارسة الحساب الذهني، فضلاً عن انه علمهم جغرافية البلاد الفرنسية ومدنها وانهارها وعرفهم بالمقاطعات الفرنسية ومدنها، فحفظ التلاميذ عن ظهر قلب اسماء المحافظات ومراكزها بفرنسا، وكل نهر من انهار فرنسا، غير انهم في الوقت نفسه لا يعرفون عن جغرافية بلادهم الا الشيء اليسير، اذ خصص لها حصة دراسية واحدة فقط تدرس في اخر السنة و لم تكن مستوفية لفهم طبيعة البلاد وجغرافيتها، فضلاً عن ذلك تضمن التعليم في هذه المدرسة دروساً عملية الى جانب الدروس النظرية، فتلقى الطلبة دروسا في النجارة ودروساً في البستنة والاشغال اليدوية وتربية (دودة القز)، ولا يعني هذا ان الفرنسيين اهتموا بتعليم الشعب التونسي[٣] ، وانما غايتهم هي **"تكوين طبقة او مجموعة من التونسيين تنصهر شخصيتهم مع المستعمر ويخدمونه بكل اخلاص"**[٤].وهذا ماحدث فعلا ،اذ ان اكثر الذين عملوا بعد ذلك في الحكومة التونسية، كانوا من خريجي الجامعات الفرنسية ، والذين كان اكثرهم يميل الى تطبيق المنهاج التغريبي في تونس وعلى رأسهم بورقيبة.

---

[١]- قناة الجزيرة العربية ،برنامج شاهد على العصر، لقاء مع محمد مزالي ج١، بتاريخ ٢٥- اذار- ٢٠٠٠. www.aljazeera.net.

[٢]- محمد مزالي، حديث الفعل، ص ٢٠ .

[٣]-المصدر نفسه، ص ٢٢ .

[٤]- قناة الجزيرة العربية، لقاء مع محمد مزالي ، ج١.

كان للتعلم والنجاح في الابتدائية والحصول على الشهادة انذاك، التي تسمى سرتيفيكا (Certificate) اهمية كبيرة بالنسبة للدارسين فيها [١]، فأبناء التونسيين يقبلون عليها فضلا عن رغبتهم في التعلم، حجة يلجأ اليها من يريد التهرب او التخلص من الخدمة العسكرية الاجبارية[٢]، فالامر مخيفاً بالنسبة لهم ، اذ خشى الشباب التونسي من الالتحاق بالجيش الفرنسي لا لأنه فرنسي فقط ،وانما نتيجة قتل الاف التونسيين في الحرب العالمية الاولى[٣]، لذلك فأن همهم الاول هو الحصول على هذه الشهادة ، للتخلص من الخدمة العسكرية [٤].

تمكن محمد مزالي من النجاح بفضل مثابرته واجتهاده، ومتابعة مدير المدرسة الذي ساعدهم كثيراً في اجتياز الامتحان من خلال تكثيف جهوده بتعليمهم ،لا سيما قبل الامتحانات من خلال اعطائهم دروساً مجانية للاجتياز الامتحان، ذلك ان الضمير المهني للمعلمين انذاك دفعهم الى التباهي بنسبة النجاح في مدارسهم[٥].

شاهد محمد مزالي عن قرب وهو في الثامنة من عمره، احداث٧ اب ١٩٣٣ [٦] ، اذ شهدت اوضاع تونس تدهوراً ملحوظا وهنا ظهر الحبيب بورقيبة[٧]، متزعماً الجماهير في

---

(3)-Mohamed Mzali, Op.Cit, p91 .

(٢) – اصدر قانون الخدمة العسكرية في سنة١٨٩٨ للشباب التي تتراوح اعمارهم من ١٨-٢٦ سنة، وتكون الخدمة سنتين ويستثنى من ذلك كل من يمتلك امتياز الولادة في العاصمة تونس ، والذي يدفع البدل المالي للتعويض عن الخدمة العسكرية واولئك الذين قتل والدهم او اخوهم خلال الحملات العسكرية،والحاصلون على شهادة المدرسة الابتدائية . للمزيد ينظر
Ahmed Kassab,Ahmed Ounaies,Histoire Generale De Le Tunise L'Epoque Contemporaine (1881-1956),TomeIV,SudEditionsTunis,2010,p357.

(٣) - كان عدد التونسيين الذين شاركوا الى جانب فرنسا في الحرب العالمية الاولى أكثر من ٦٥,٠٠٠تونسيا، توفي منهم ما يقرب من ١٠,٩٠٠ ،وتمت تعبئة أكثر من ٣٠,٠٠٠ للمساهمة في اعادة بناء فرنسا ، أي ان ربع السكان التونسيين النشطين ظلوا في خدمة فرنسا مابين ١٩١٤-١٩١٨ وكل هذه الاعداد توقعوا تعاملاً مماثلاً من لدن فرنسا، غير انهم أصيبوا بخيبة أمل لما تعرضوا له مباشرة بعد انتهاء الحرب من مظاهر البؤس الاقتصادي فضلاً عن الجفاف والمجاعات والتدهور الاجتماعي وتضييق للحريات العامة. ينظر امحمد مالكي:الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي،مركزدراسات الوحدة العربية ،بيروت ،١٩٩٣،ص٣٥٧؛ قناة الجزيرة العربية ،لقاء مع محمد مزالي ، ج١.

(٤)- المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤١.

(٥) – المصدر نفسه، ص ١٤١.

(1) -Mohamed Mzali, Op.Cit, p90 .

(٧)- الحبيب بورقيبة(١٩٠٣-٢٠٠٠)، ولد في تونس في مدينة المنستير في منطقة الساحل في الثالث من آب ١٩٠٣، ينحدر من اسرة كانت في منزلة وسطى بين البرجوازية والطبقة الكادحة، على الرغم من اعتلال صحته استطاع اكمال دراسته، اكمل الثانوية في مدرسة الصادقية في تونس، انخرط في الحزب الحر الدستوري سنة ١٩٢٠. بعد إكمال دراسته الثانوية سافر إلى باريس سنة ١٩٢٤ وعمره (٢١) عاماً. وقد درس في كلية القانون وكذلك في المدرسة الحرة للعلوم السياسية بباريس وبعدما حصل على الاجازة في الحقوق و شهادة مدرسة العلوم السياسية انخرط في سلك المحامين في تونس العاصمة سنة ١٩٢٧ بعد عودته من فرنسا ، تزوج من الفرنسية =ماتيلدا ، التي اسلمت وسميت مفيدة بورقيبة،وأنجبت له ابنه الوحيد جان (فيما بعد اسمه الحبيب) وعادوا جميعاً بعد تخرجه إلى تونس. وكان بورقيبة ميالاً للاهتمام بالشؤون السياسية العامة،ومنذ سنة ١٩٢٨ اخذ يكتب في الصحيفتين التونسيتين اللواء التونسي والصوت التونسي،وفي سنة ١٩٣٢ اصدر جريدة العمل التونسي،التي بسط فيها المبادئ التي كان مؤمناً بها،برز خلال احداث ٨اب ١٩٣٣، ومن ذلك الوقت

مقاومة السلطات الفرنسية، فعمل الوطنيون التونسيين على اذكاء شعلة النضال في الاوساط الشعبية، فعقد حزب الحر الدستوري[١]سنة ١٩٣٣مؤتمرا عاما ، من قراراته المطالبة بتحرير البلاد والعمل بالنظام البرلماني[٢] ، وردت السلطات الفرنسية بأصدر قرار بحل الحزب ، فقامت نتيجة ذلك مظاهرات شعبية ضخمة ، واتخذت المقاومة طابعا اخر حينما حاول المناضلون منع دفن ابن احد المتجنسين في مقبرة المسلمين لانه متجنس بجنسية فرنسية[٣] ، لاسيما حين صرح المفتي بأن دفن المسلم المتجنس بالجنسية الفرنسية في مقابر المسلمين غير جائز، لذلك قرر المقيم العام مارسيل بيروتون(MarcelBiroton) دفنه بالقوة في ٨ اب ١٩٣٣،فتجمعت الجماهير بالمقبرة ، فاطلقت الشرطة النار عليهم ما ادى الى سقوط عدد من القتلى، فاشتدت المظاهرات التي واجهتها السلطات الفرنسية بالقوة، ما اوقع عدداً من الضحايا في صفوف المتظاهرين، فكان لهذه الاحداث اثر كبير فيما بعد في توجهاته واختياراته في المستقبل[٤].

ولكون بورقيبة قد برز بوصفه قيادياً في النضال ضد السيطرة الفرنسية فلابد من توضيح العلاقة التي تربط محمد مزالي وبورقيبة، لما لهذه العلاقة من اهمية في الفصول اللاحقة، من المعروف ان محمد مزالي وبورقيبه هم من ابناء مدينة واحدة، فالاثنان من مواليد مدينة المنستير، وكانت تربطهماعلاقة عائلية[٥].

مسك بورقيبة زمام المقاومة التونسية ضد السيطرة الفرنسية،الى ان استطاع الحصول على استقلال تونس سنة ١٩٥٦ على وفق سياسته المعروفة ب(سياسة المراحل)، تولى الحكم في تونس سنة ١٩٥٧ بعد اعلانه الحكم الجمهوري والغاء الملكية، بقي في الحكم الى سنة ١٩٨٧، بعد ان عزله زين العابدين بن علي،توفي في مسقط راسه في المنستير سنة٢٠٠٠ . ينظر: الحبيب بورقيبة،تونس في افريقيا، مطبعة العمل ،تونس ،١٩٧٣؛ هيفاء محمد احمد، حياة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في كلمات، مجلة اوراق افريقية ، السنة الثانية، العدد٣٣، نيسان ٢٠٠٠.

[١] - يمثل هذا الحزب امتداد للحزب الحر الدستوري القديم، الذي انحصر نشاطه في المطالبة بالإصلاح وانجاز الدستور حتى سنة١٩٣٣الذي شهد بداية الخلاف في صفوف الدستوريين، اذ برز عدد من الشخصيات المناضلة المعروفة بمواقفهم الراديكالية امثال محمود الماطري والبحري قيقة ومحمد بورقيبة وحبيب بورقيبة، وطالبوا بالتخلي عن الوسائل القديمة لتحقيق مطالب الشعب، فعقدوا مؤتمراً في نهج الجبل في ايار ١٩٣٣،واعلنوا عن برنامج السير بالشعب نحو التحرير،ما زاد حالة الانشقاق والتأزم ،فقامت المجموعة المنشقة بعقد مؤتمر استثنائي في مدينة قصر هلال بالساحل التونسي يوم ٢اذار ١٩٣٤وتشكيل ديوان سياسي وحل اللجنة القديمة وتأسيس الحزب الدستوري الجديد سنة١٩٣٤، وهو لايختلف عن الحزب الدستوري القديم من حيث نظامه الداخلي وأيديولوجيته العامة،ولكن الاختلاف كان في التباين في طريقة الحصول على الاستقلال. ينظر علي البلهوان،تونس الثائرة،المطبعة العالمية،القاهرة، ١٩٥٤،ص٤٥.

[4]-Ahmed Kassab,Ahmed Ounaies Op.Cit, p398.

[٣] - صدر قانون فرنسي سنة ١٩٢٣ شجع بموجبه منح التونسيين الجنسية الفرنسية وفق امتيازات، فبدأت سلطات الحماية بتشجيع ذلك، من خلال الزيادة في راتب المتجنس او اجره بمقدار الثلث، وهي النسبة المقرره للفرنسيين الذين يقيمون في تونس على سبيل الاعانة، فوصل بذلك عدد المتجنسين في سنة ١٩٣١ الى ٧١٠ اشخاص اكثرهم من اليهود التونسيين الذين تطوعوا في الجيش الفرنسي.ينظر حسن زغير حزيم، الحبيب بورقيبة ودوره السياسي (١٩٣٣-١٩٨٧)، رسالة ماجستير غير منشوره مقدمة الى كلية الاداب، بغداد ، ٢٠٠٣ ،ص١٥.

[٤]-عبد الكريم عزيز ،نضال شعب ابيّ(تونس ١٨٨١-١٩٥٦) ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ٢٠٠٥،ص٢٠٤.

[٥]- ذكر محمد مزالي ان جدة بورقيبة من ناحية الام التي تدعى (خدوجة) كانت عمة والده شعبان ، فضلاً عن ان اخت بورقيبة (ناجية) كانت مخطوبة للوالد محمد مزالي غير ان الخطبة فسخت بطلب من والد الخطيبة (اذ ان الخطيب لم يقدم ما

شاهد مزالي بورقيبة لاول مرة في ٧ تموز سنة١٩٣٣ في اثناء الحفل الذي اقامه بورقيبة احتفاء بأقربائه واصدقائه بمناسبة ختان ابنه الحبيب في مدينة المنستير، وعن تأثره ببورقيبة قال محمد مزالي" **وقد سحرني انذاك بنظرته الحادة وابتسامته التي تسري في النفوس وبتواضعه وبقدرته على الكلام الجذاب**" [١]، ثم تكررت مرات رؤيته لبورقيبة، ففي سنة ١٩٣٧ رافق مزالي والده الى الميناء مع الجماهير الغفيرة التي قادها بورقيبة لاستقبال عبد العزيز الثعالبي[٢] بعد عودته من المنفى، وفي الثانية عشر من عمره حضر مع والده اجتماعاً دعا اليه الحزب الحر الدستوري، فكان لخطابه تأثير في نفسه وشد مشاعره، وفي سنة ١٩٤٤شاهد مزالي بورقيبة في القطار الرابط بين العاصمة تونس ومدينة سوسة عندما كان الاخير ذاهباً الى مدينة المنستير لحضور زفاف ابن اخته، وكثيراً ماحدثه والده عن بورقيبة، وعن التزامه السياسي فاحتفظ له في نفسه بذكرى رجل منشرح الصدر شديد العناية بالاطفال، وبعد ذلك تعلق ببورقيبه تعلقه بالانسان لا بمسؤولياته،لانه في نظره منذ الصغر **"المجاهد الصادق والوطني الغيور"**[٣].

في اثناء دراسة محمد مزالي الابتدائية كان الاستعمار في اوج سيطرته على البلاد، فالفقر والبؤس متفشياً بين الناس ، فأثرت هذه الظواهر تاثير بالغ في حياته، ففي هذه المرحلة عرف الفقر والعوز ،فمظاهر الفقر منتشرة في كل شارع وفي كل زاوية والمجاعات متتالية ومتقاربة[٤]حتى صارت من الواقع، ففي سنة ١٩٣٦ استفحل الجوع، وشح القمح، وندر زيت

يكفي للخطيبة من الهدايا الموسمية بحكم العادة، والتي تقتضي بأن يقدم الخطيب كل عيد هدية الى الخطيبة) ، غير انه على الرغم من ذلك بقيت العلاقة بين العائلتين مستمرة واستمرت الزيارات المتبادلة بينهما. للمزيدينظر الى المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤٢.

(١) – المصدر نفسه.

(٢) - عبد العزيز الثعالبي(١٨٧٦-١٩٤٤):ولد في تونس سنة ١٨٧٦، درس في جامع الزيتونة ولم يكمل دراسته فيها، قام في سنة ١٩٠١ بزيارة للمشرق، نشط في حركة الشباب التونسي منذ سنة ١٩٠٨، وكلف الثعالبي برئاسة تحرير جريدة التونسي وصحيفة الإتحاد الإسلامي، في سنة ١٩١٢ نفي مع قادة الحركة على اثر حوادث الزلاج، وذهب إلى الأستانة وأقطار المشرق العربي ومن ثم إلى فرنسا، ولم يرجع إلى تونس إلاّ سنة ١٩١٤، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أوفد إلى باريس للتعريف بالقضية التونسية، رجع إلى تونس سنة ١٩٢٠ ليؤسس الحزب الحر الدستوري، أُبعد سنة ١٩٢٣ بسبب نشاطه الوطني واختار المشرق، وتنقل بين البلدان العربية، وبقي إلى أن عاد سنة ١٩٣٧، وبعد فشل جهوده في توحيد الحزب، اعتزل الحياة السياسية وتفرغ للحياة الفكرية والأدبية، توفي سنة ١٩٤٤. للمزيد ينظر أحمد خالد، الزعيم الشيخ عبد العزّيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي، الدار العربية للكتاب، تونس ،٢٠٠١.

(٣)- محمد مزالي، حديث الفعل، ص٢٨.

(٤) شهدت تونس في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات ازمة اقتصادية داخلية، نتيجة انعكاسات الازمة الاقتصادية العالمية سنة ١٩٢٩ التي ادت الى تدهور قطاعي الفلاحة والمناجم ، لفرط الانتاج والبيع بصعوبة، بسبب غلق الاسواق الخارجية ما سبب انهيار الاسعار، التي تأثرت بها في البداية زراعة الكروم بعد ذلك انتاج الزيتون والقمح ، وفي سنة ١٩٣٦هزت ازمة اخرى الاقتصاد التونسي ،اذ اصاب داء (الفيلوكسيرا) اهم المناطق الزراعية في البلاد التونسية، فضلا عن تعرضها لتقلبات مناخية من قلة الامطار وانتشار الجراد وقلة المحاصيل الزراعية ، فادى ذلك الى تدهور اوضاع معظم التونسيين الاجتماعية، وافلاس العديد من الفلاحين والحرفيين والتجار،ولم تتخذ السلطات الفرنسية اي اجراءات جدية

الزيتون نتيجة تعرض اشجار الزيتون للآفات الزراعية ، وتزامن ذلك مع موسم الجفاف وانتشار الجراد، وفي تلك الاثناء بدأت فرق المساعدة والاغاثة لمساعدة الاهالي على اجتياز الازمة ، وهنا ادرك مزالي التمييز الموجود بين التونسي والفرنسي (المحتل)، فكان أغلب الفقراء والمعوزين هم سكان البلد الاصليين في حين "المستعمرون" في سعة من العيش، وغير متأثرين بالاوضاع السائدة انذاك، ووصلت الامور السيئة الى حد ان الناس أرخوا احداثهم على الظاهرة المميزة في تلك السنين فعلى سبيل المثال لا يقولون سنة ١٩٣٦ وانما سنة الارز اشارة الى توزيع حصص الارز على الشعب لمقاومة المجاعة المتفشية بسبب فقدان القمح[١].

عاصر مزالي حوادث ٩ و١٠ نيسان ١٩٣٨[٢]، اذ شهدت تونس في النصف الأول من سنة ١٩٣٨، أحداثاً وصراعات تمثلت بحدوث تظاهرات عدة في معظم المدن التونسية وحدوث اشتباكات ومصادمات مع المحتلين وإضرابات عامة، كتلك التي وقعت في مدن قفصه والحريصة وراس الجبل وبنزرت[٣]،واتخذ الحزب الدستوري الجديد زمام المبادرة، إذ قام عدد من قادة الحزب بالانتشار في أرجاء البلاد لتحريك الشعب، ونظموا اجتماعات عامة، دعوا فيها الى عدم الخضوع للقمع ورفض قوانين السلطات الفرنسية، ودعت قيادة الحزب الجماهير الى الاضراب العام، فقامت التظاهرات التي تصدت لها القوات الفرنسية بالنار، فسقط عدد من الشهداء واعتقل عدد اخر من المتظاهرين، وإزاء هذا النشاط المكثف للزعماء التونسيين، قامت سلطات الحماية باعتقالات عدة في صفوفهم، فألقي القبض على زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد[٤].

على اثر تلك الاعتقالات دخل الحزب الدستوري الجديد مرحلة الدعاية العلنية بالنزول إلى الشارع في شكل مسيرات احتجاجية في إنحاء البلاد جميعها، وفعلا نظم تظاهرة احتجاج في اليوم الثاني لاعتقال الزعماء، ومنذ سنة ١٩٣٨تصدر الحزب الدستوري الجديد نضال الحركة الوطنية في تونس١٩٣٨[٥]، وكان محمد مزالي الى جانب والده من ضمن المشاركين في

لتخفيف ويلات القحط. للمزيد ينظر الى احمد طلعت ،حقيقة بورقيبة،القاهرة ،١٩٥٩،ص٤٠؛ احمد القصاب ،تاريخ تونس المعاصر ١٨٨١-١٩٥٦،تعريب حمادي الساحلي،الشركة التونسية للتوزيع،تونس، ١٩٨٦، ص١٣٧.

(١) – محمد مزالي ، حديث الفعل،ص٢٥؛ قناة الجزيرة ، لقاء مع محمد مزالي ، ج١.

(٢) - قناة الجزيرة، لقاء مع محمد مزالي،ج١ .

(٣)-عبد الكريم عزّيز، المصدر السابق، ص ٣٠٧ .

(٤)-جمال بالحاج سالم، الرأي العام بتونس إزاء أحداث ٩ أفريل ١٩٣٨، شهادة كفاءة في البحث كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس ،١٩٩٢، ص ٢١.

(2)-Ahmed Kassab,Ahmed Ounaies Op.Cit, p398.

التظـاهرات، ونتيجـة ذلـك ادرج اسـم والـده ضـمن قائمـة ضـمت ٦٨ دسـتورياً وجهـت الـى المراقـب الفرنسي بمدينة سوسة بوصفهم خطرين على النظام الفرنسي[١].

أدرك محمد مزالـي حينهـا ومنـذ صـغره الاسـتعمار ومـا يعنيـه الاسـتعمار واصـفا اياهـا فيمـا بعـد بقولـه **" كـل ذلـك كـان رمـزاً لقـوة المسـتعمرين العميـاء وتجسـيداً لطبقـات الاسـتعمار بأبشـع مظـاهره ، فأسـتيقظ فـيّ شـعور عاصـف بالوطنيـة وبـدأت اشـعر ان الشـعب التونسـي مهـدد بوجـوده مـن خـلال انصـاتي لوالـدي وملاحظـاتي لمـا يـدور حـولي وحـوالي"** [٢] ، فكـان لهـذه الاحداث دور في بلورة تفكيره وايقاظ شعوره الوطني، فأدرك حينها ان بلاده محتله[٣].

بعـد دراسـة طويلـة فـي المرحلـة الابتدائيـة دامـت ثمـاني سـنوات ١٩٣٣-١٩٤٠ كـان عليـه اجتيـاز عقبـة منـاظرة الـدخول الـى المدرسـة الصـادقية[٤]، اذ وجـب عليـه اجتيـاز اختبـارات متعـددة وهـي سـبعة اختبـارات كتابيـة وثمانيـة اختبـارات شـفهية ، والاختبـار هنـا لا يرمـي الـى اختبـار معلومـات التلميـذ بقـدر مـا كـان الهـدف منـه اقصـاء اكبـر عـدد مـن المرشـحين ،اذ خضـع الاختبـار لروح انتقائية شديدة [٥] .

اسـتعد مزالـي لاجـراء اختبـار الـدخول الـى المدرسـة الصـادقية فـي حزيـران ١٩٤٠، ولـم تكـن مدينـة المنسـتير مركـزاً للامتحـان وانمـا يجـرى الامتحـان فـي مدينـة سوسـة [٦]، لـذا عليـه الانتقـال الـى مدينـة سوسـة، ولـم يكـن فـي وسـع والـده دفـع مصـاريف النقـل، ولكـي يـتمكن مـن الحضـور قبـل

---

[3]-Mohamed Mzali, Op.Cit, p98 .

[٢]- قناة الجزيرة ، لقاء مع محمد مزالي،ج١ .

[٣] - المصدر نفسه .

[٤] - مدرسة للتعليم الثانوي العصري تأسست سنة ١٨٧٥،وهي ثمرة سعي خير الدين التونسي مؤسسها، حتى تكون نوعاً من التربة الخصبة لتكوين نخب وطنية تقود البلاد نحو التفتح الحضاري بالاستفادة من الانتاج الفكري للحداثة الغربية وبعدها الكوني ،سميت بالصادقية نسبة الى الباي محمد الصادق ، كانت الغاية الاساسية من تكوينها هي تعليم العلوم الرياضية والطبيعية واللغات الاجنبية الى جانب العربية والفقه والعلوم الدينية، واوقفت لها اوقاف كثيرة لسد نفقاتها،وبعد فرض الحماية على تونس سنة ١٨٨١ اعيد تنظيمها فاصبحت تدرس باللغتين العربية والفرنسية، شهدت عدة تطورات في نظامها الدراسي تمثلت في احداث مرحلة ثانوية فضلا عن المرحلة =الابتدائية،وتعد هذين المرحلتين الى شهادتين تؤهل المتخرجين لمهن متواضعة في سلك الادارة مثل الترجمة والكتابة،واصبحت المرحلة الثانوية تخضع منذ سنة ١٩٠٦ الى قانون اختبار الدخول للمدرسة ، وقامت ابتداءً من سنة ١٩١١ بمنح شهادة ختم الدراسة في المدرسة وفرض امتحان للمتقدم، وكان مستوى نوعية التعليم فيها يضاهي ماهو موجود في فرنسا نفسها. ينظر الى احمد عبد السلام ، المدرسة الصادقية والصادقيون، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون والاداب والفنون (بيت الحكمة)،تونس،١٩٩٤ .

[٥]- احمد القصاب ، المصدر السابق ،ص٣٠٦ .

[٦]- مدينة سوسة : تقع المدينة التونسية "سوسة" علي ساحل البحر الأبيض المتوسط، على بعد ١٦٠ كيلومتر جنوب شرق العاصمة، وتبعد عن مدينة المنستير ٢٠كم٢ ، تستقطب سنوياً أكثر من ١,٥ مليون سائح،اذ تمتاز بمناخها المعتدل الذي شجع علي جميع أنواع الترفيه مما جعل هذه المدينة قبلة للسياح في جميع فصول السنة، وتعتبر سوسة أو كما يطلق عليها "جوهرة الساحل" من أجمل المدن التونسية و من أهم مدن الثروات الطبيعية في تونس ، فيها مساحات شاسعة من غابات الزيتون . ينظر مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ج٧، ط٣، الشركة العالمية للموسوعات ، لبنان، ٢٠٠٥، ص١٢١ .

بدء الامتحان، قام هو واحد رفاقه بقطع المسافة بين مدينة المنستير وسوسة على متن دراجة هوائية، فتمكن من اداء الامتحان والعودة في اليوم نفسه، واجتاز محمد مزالي الاختبار بنجاح من بين ثلاثة فقط من المرشحين للاختبار والبالغ عددهم ٢٦ مرشحاً ، واستطاع الحصول على مقعد دراسي في المدرسة الصادقية، وعند سن الخامسة عشر انتقل الى العاصمة تونس لاكمال دراسته الثانوية فيها بعد اجتيازه اختبار الدخول للمدرسة بنجاح في تشرين الاول ١٩٤٠، وكان تأثير هذه المدينة السياسي والثقافي كبيراً على محمد مزالي، فهذه المدينة زاخرة بالاحداث ففيها بدأت تتكون شخصيته الوطنية [١].

التحق مزالي بالمدرسة الصادقية ، وهي افضل المدارس الثانوية حينذاك، فالهدف من انشائها في البداية هو تخريج نخبة من الشباب التونسي ، لتحقيق نهضة البلاد من خلال بعث الطلبة المتميزين منهم الى اوربا ليتابعوا دراستهم الجامعية، غير ان هذا البرنامج تغير بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس، عندما قررت السلطات الفرنسية جعل المدرسة الصادقية مجرد مكان لاعداد مترجمين لسد حاجات الوظائف المدنية، وعلى الرغم من ان السلطات الفرنسية عملت على الحد من طموحات الصادقيين وحصرها، غير ان عددا منهم استطاع التفوق بدراسته واجتياز امتحان الباكالوريا بمعهد كارنو الفرنسي[٢]، والانتقال لمواصلة دراستهم في الجامعات في فرنسا [٣].

ولما كانت المدرسة الصادقية في مدينة تونس العاصمة ،وجب عليه الاستقرار فيها، فأقام في السنة الاولى في دار خاله علاله بن عثمان غديرة (الموظف في ادارة المالية)، الذي يبعد عن المدرسة الصادقية ب ٤ كم ،فكان عليه اجتياز المسافة سيراً على الاقدام كل يوم ذهابا واياباً ، اذ لم يكن بإمكانه ركوب الحافلة لعدم امتلاكه سعر التذكرة ،ولعل ذلك ما حبب اليه المشي على الدوام ، وفي طريق عودته من المدرسة دفعه الفضول الى التوقف امام المحاكم التونسية ليستمع الى مرافعات المحامين وينصت الى التحقيق الذي يجريه رئيس المحكمة على

---

[١] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ص١٣٤ .

[٢]- كارنو الفرنسي : هو أحد أقدم معاهد في تونس، يعود تأسيسه إلى فترة الحماية الفرنسية بتونس، افتتحه الكردنال لافيجيري في قرطاج سنة ١٨٨٠ سماه في البداية القديس لويس ونقل الى تونس سنة ١٨٨٢ تحت اسم القديس (شارل) ثم الحق بالمعاهد الدولية سنة ١٨٨٩ وسمي ((ليسي كارنو)) في سنة ١٨٩٤، وقد بقي يحمل الاسم نفسه إلى سنة١٩٨٣، ليتحول اسمه إلى المعهد النموذجي الحبيب بورقيبة. ينظر شارل اندري جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي ،ترجمة محمد مزالي وبشير بن سلامة ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٨٥، ص٦٠ .

[٣]- محمد مزالي، حديث الفعل، ص٣٣-٣٤ .

المتهم والتوقف للاستماع الى الاغاني الصادرة من المذياع بصوت عالٍ ايضاً [١] ، فضلاً عن استماعه الى الحكايات التي سردها (الفداوية) [٢].

وفي السنة الثانية من دراسته في المدرسة الصادية، ابلغ خاله عثمان والد محمد مزالي انه من المتعذر عليه ايواؤه [٣].لذلك قام والده ببيع دكانه بالمنستير وسعى الى الحصول على عمل في تونس العاصمة ونجحت مساعيه اخيراً بالحصول على عمل كطباخ في الجمعية الخيرية[٤]، وسعى لقبول محمد مزالي في الجمعية بصفته معوزاً ايضاً، وللمقبولين في الجمعية الحق في الملبس والمأكل والاقامة مجاناً وبذلك وجد متسعاً من الوقت لاكمال دراسته بصورة جيدة ، واقبل على القراءة بنهم كبير، اذ كان شغوفاً بالمطالعة مقبلاً عليها من دون انقطاع ، فقرأ ما يقع بيده بدءاً من روايات المغامرات الى القصص الطافحة بالخوارق الى القصص الرومانسية، ولم يترك جديداً الا اطلع عليه فأقبل على قراءة سلسة "تالسن" وهي سلسلة ادبية تصدر في تونس بأستمرار [٥]،فكان ملتقاه مع هذه الكتب ومؤلفوها امثال الكسندر دوماس وجون فارن، وبرناردين دي سان بيار، وشاتوبريان ، وفكتور هوجو ، وبالزاك وبيار لوني ، وبذلك ازداد رسوخا في معرفة اللغة الفرنسية وتحسنت درجاته بها، والى جانب الروايات الفرنسية اقبل على قراءة الروايات والقصص العربية ايضاً، التي قل عددها عن نظيرتها الفرنسية الموجودة في مكتبة المدرسة الصادقية، فأقبل على قراءة روايات جرجي زيدان التاريخية ، وعرف الروايات التاريخية،وتعلم من كتابات كامل كيلاني، ان الحكاية والمثل على ألسنة الحيوانات هما من الفنون الاصيلة في الادب العربي، وتهيأ فيما بعد لفهم عجائب كتاب

---

[١] - المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤٤.

[٢]-هولاء الذين واصلوا تقاليد الادب الشفهي ،والفداوي المعروف (بالحكواتي) في المشرق العربي ، والفداوية هم الذين يقومون برواية الروايات والحكايات في المقاهي قبل ظهور الراديو والتلفزيون ، وازدهر هذا النوع من الفن وبلغ ذروته لاسيما في المدن الكبرى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥، بعد ذلك ادى ظهور وسائل الاعلام الى جانب مكونات الحركة الثقافية عموما الى اندثاره لتتواصل هذه الظاهرة بشكل متقطع في بعض المقاهي والاماكن العامة خلال ليالي شهر رمضان.ينظر الى وكالة الانباء الكويتية (كونا)، لقاء مع الفداوي التونسي طارق الزرقاني في ٢٥ايار ٢٠٠٩.www.kuna.kw\ article

[٣] - اذ كانت بنت خاله قد قاربت سن الرابعة عشرة ولم تكن تقاليدهم انذاك تسمح بترك شاب بمقتبل العمر الى جانبها في بيت واحد .ينظر الى محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص١٣٢.

[٤] - للمجتمع التونسي جذور تاريخية وجدت صداها في بروز عدد من جمعيات في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ،شكلت نواة اولى لمنظمات المجتمع المدني ، لاسيما ان ظاهرة الجمعيات الفكرية والثقافية والتعليمية سبقت ظهور الجمعيات والاحزاب السياسية في تونس، وان معظم الجمعيات تكونت فيما بعد في لجوء نخب فكرية هدفت الى تكوين احزاب سياسية لخوض معركة الاستقلال ، ومن هذه الجمعيات الجمعية الخيرية الاسلامية التي تأسست سنة ١٩٠٥، وكان يرأسها القاضي البشير معاوية.ينظر الى ابو حنية قوي، الجمعيات في المغرب وتونس قراءة في الواقع والتطلعات ،ج٢،مركز الجزيرة للدراسات ،٢٠١٣،ص٧.

[٥] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص١٣٥.

كليلة ودمنة، ومن جبران خليل جبران، انكشفت له محاسن اللغة العربية وروائعها، واطلع على جوانب من الشعر المعاصر واسراره، حتى قصص المنفلوطي الذي كان لرواياته العاطفية اثر في نفسه[١].

قسم اوقاته مابين القراءة،اذ قرأ كل ما وقع بين يديه من صحف ومجلات ، وما بين قاعات الحفلات الموسيقية التي لا يدخلها وانما استمع اليها بفضل مكبرات الصوت[٢]، وبين ملاعب الرياضة، فكان مولعاً بالرياضة منذ طفولته المبكرة في مدينة المنستير غير انه حرم من ممارستها بسبب المحيط المغلق الذي نشأ فيه الذي رأى ان الرياضة (عيبا") ونظر نظرة سيئة الى كرة القدم لذلك اشبع هذه الرغبة بمشاهدة لعبة كرة القدم فأيد بشكل عفوي نادي (الترجي الرياضي التونسي)،الذي مثل في ذلك الوقت اكبر الاندية التونسية، فضلا عن انه لم ينضم الى صفوفه أي لاعب اجنبي، وذكر مزالي ان تشجيع النادي التونسي لم يكن نابعاً فقط من الحب للرياضة وانما مثلت المباريات منازلة غير معلنة بين الوطنيين التونسيين وبين الفرنسيين أي ان التشجيع اخذ طابعاً سياسياً خفياًغير معلن[٣] .

في اثناء دراسته في المدرسة الصادقية دخلت الجيوش الالمانية الى الاراضي التونسية في تشرين الثاني ١٩٤٢ [٤]، فأغلقت المدرسة ابوابها ما اضطره الى العودة الى المنستير ، فظن انه خسر عامه الدراسي الحالي بسبب الحرب العالمية الثانية [٥]، غير انه استطاع مواصلة الدراسة بالدخول مع الطلبة النازحين من مدينة سوسة الذين تابعوا دراستهم في (مدرسة البنات المسلمات)[٦] بالمنستير مع مجموعة من اقرانه ،فوجد نفسه لاول مرة في فصل مختلط بالفتيات

---

[١] - محمد مزالي، حديث الفعل،ص ٣٥-٣٦ .

[٢] - المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤٤.

[٣] - مجلة التضامن ،(باريس)، العدد ٧٣، ١ايلول ١٩٨٤ ، ص٤١ .

[٤] - تأثرت تونس بأحداث الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥) التي حدثت بين دول المحور والحلفاء، اذ تحولت الى ساحة للمعارك بين قوات الحلفاء وقوات المحور بين تشرين الثاني ١٩٤٢ وايار ١٩٤٣ في إطار ما يعرف بحملة تونس فكانت احدى ساحاتها العسكرية، دخلتها الجيوش الالمانية في ٩تشرين الثاني ١٩٤٢ بعد استيلائها على مطار العوينة،فتوالت وصول الطائرات الالمانية،وفي ١٢و١٣ تشرين الثاني نزل الجنود الالمانيون والايطاليون تونس وتمكنوا من دخول العاصمة تونس بدون قتال،واستولوا على الموانىء، وتمكنوا من تدعيم موقعهم وسط البحر،وفي ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٢ نزلت القوات البريطانية والامركية في الجبل الابيض وقرب باجة،فامتدت الحرب الى عدة مناطق من التراب التونسي ، فتعرضت اراضيها الزراعية وابنيتها الى تدمير كبير بسبب العمليات العسكرية،فضلا عن الخسائر البشرية التي لحقت بها ، من جراء قيام فرنسا بتجنيد الالاف من الشباب التونسي لمصلحتها، وقيام دول المحور بعمليات تسخير الشباب وتسخير البضائع وحجزها في المستودعات التابعة لهم.للمزيد ينظر الى احمد القصاب ،المصدر السابق، ص٥٧٤.

[2]-Mohamed Mzali, Op.Cit, p92 .

[٦] -اسست هذه المدرسة السيدة شارلوت ابنة احد مؤسسي الجمعية الجيولوجية الفرنسية ،بعد ان توفى زوجها سنة ١٨٩٩والذي كان كاتبا عاما مساعدا" للحكومة التونسية، والتعليم فيها باللغتين العربية والفرنسية،مع اعطاء اهمية كبيرة للاعمال اليدوية،ويتراوح سن الفتيات فيها مابين الخامسة والرابعة عشرة،وعند تأسيسها كان عدد الفتيات اللواتي التحقن بها

والفتيان واليهود والفرنسيين ، فكان الوضع الجديد غريباً عليه ولم يألفه من قبل فحاول التغلب على هذا الوضع من خلال مضاعفة اقباله على الدراسة والمزيد من الاجتهاد ، وتمكن بفضل اساتذته والمنافسة التي نشأت بينه وبين زميل له في الدراسة "وهو من اصل يهودي" من الاستئثار بكل الدرجات العالية في ليسي (Lycee)[١] سوسة، فكان متفوقاً ومجتهداً والاول في اللغة الفرنسية فضلاً عن اجادته اللغة العربية بفضل استاذه احمد الغربي الذي ساعده كثيراً في تعليمه اللغة اللاتينية ايضاً[٢]. وتمكن بعد ذلك وبفضل تفوقه من الحصول على معدل عام سنوي عالٍ مكنه من الحصول على منحة (مقيم) في المدرسة الصادقية وعاد الى المدرسة في تشرين الاول سنة ١٩٤٣، بعد انتهاء المعارك في الاراضي التونسية في ١٣ايار١٩٤٣بانتصار الحلفاء، وانسحاب الجيوش الالمانية والايطالية منها،ومن هنا اخذ يتطلع الى مستقبله بأمل كبير[٣].

عاصر محمد مزالي رحيل الالمان وقدوم الجنود الامريكيين والبريطانيين الى تونس سنة ١٩٤٣، فوصف ذلك قائلاً: **"كنت ارى في المنستير الجنود الانكليز وجنوداً من الهنود السيخ الملتحين وجنوداً امريكيين ، وحينها اكتشفنا وعرفنا العلكة، وتمتعنا بتذوق الشوكولا اللذيذ"** [٤] .

فضلا عن ذلك احتفظ بذكرى سيئة في نفسه وهي عزل المنصف باي[٥]، المعروف بمواقفه الوطنية الذي سبب عزله صدمة للجميع ولمزالي ايضا، فعاش بعد الحرب احوالا صعبة وعسيرة فكان كل شي خاضع للتقتير بدءاً من الخبز ،فتسلمه رغيفا من الخبز كل اسبوع كهدية من خاله الذي يأتي لزيارته بمثابة عيد له، اذ لم يقدم لهم يومياً الا ربع رغيف في منتصف

ثمانية فقط سنة ١٩٠٠ثم ارتفع الى المائة سنة ١٩٠٦،واختير قصر فخم بنهج المنستير مقرا لها.للمزيد ينظر شارل اندري جوليان ،المصدر السابق،ص٨٠.

[١] - ليسي: كلمة فرنسية معناها ثانوية أو أعدادية في اللغة العربية.

[٢] - محمد مزالي ، حديث الفعل، ص١٣٧ .

[٣] - المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤٥.

[٤] - محمد مزالي ،حديث الفعل،ص ٤٤.

[٥] - محمد المنصف(١٨٨١ – ١٩٤٨): المنصف باي ولد سنة ١٨٨١في العاصمة تونس ونشأ فيها ، تولى الحكم في تونس في ١٩حزيران ١٩٤٢ وقد عرف بتعاطفه وبمواقفه الوطنية، وآزر حركتها الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي ، وفي اب ١٩٤٢ بادر بارسال مذكرة الى الحكومة الفرنسية ،تضمنت ١٦ مطلبا، كان اهمها المطالبة بتأسيس مجلس تشريعي استشاري يكون فيه العنصر التونسي ممثلا اصدق تمثيل، توترت علاقته مع حكومة فيشي الموالية لدول المحور على اثر مطالبته باحترام السيادة التونسية ورغبات الشعب . وقد وقعت في اثناء حكمه معارك بين الحلفاء والمحور ، عانت تونس جرائها المجاعة والتزم خلالها الباي الحياد التام وعمل على التخفيف من وقع الحرب على شعبه ، غير ان الفرنسيين ابعدوه عن العرش سنة ١٩٤٣ بتهمة موالاة المحور ونفيه، فطالب التونسيون بعودته ، غير انه توفي في منفاه سنة ١٩٤٨ احمد القصاب، المصدر السابق، ص٥٦٩.

النهار وربع اخر في المساء ،فضلا عن اختفاء اغلب المواد الغذائية وشحها،وعدم توفر الشروط الصحية اللازمة وتفشي الامراض ،فكان السوس[١] يطفو في حسائهم [٢].

واصل بعد ذلك دراسته في المدرسة الصادقية وتمكن من النجاح في امتحان البروفي العربي(المتوسطة) والحصول على شهادة المتوسطة في شهر حزيران ١٩٤٤،ما بعث في نفسه ونفس والده السرور ،واصبح بإمكانه بعد حصوله على هذه الشهادة الحصول على وظيفة "مدرب"في التعليم الابتدائي او موظف بسيط في الادارة الحكومية، وفي غمرة فرحته بتخرجه من المتوسطة توفي والده في ايلول ١٩٤٤فأثر ذلك في نفسه تأثيراً شديداً.غير انه رغم الظروف القاسية التي عاشها والاحداث التي شهدها واصل تعليمه الثانوي[٣].

عرفت مسيرة محمد مزالي الدراسية بعض الحالات التي غالباً ما تعرض لها اكثر الطلبة في سنه، فقد تعرض للعقاب اكثر من مرة اذ عوقب في المرة الاولى من قبل استاذه (محمد بيرم) لانه نطق اسم استاذ مادة التاريخ الفرنسي"Bichoun" حسب الصياغة العربية "بيشون" فعدّ استاذه ذلك تشويشا منه فتم حجزه لمدة ساعتين **"وهكذا بدأت مشاكلي مع التعريب مبكراً"**[٤] ، اما المرة الثانية التي عوقب بها هي بسبب تسلقه سور المدرسة مع بعض زملاءه قاصداً الملعب البلدي اذ كان الزعماء صالح بن يوسف[٥] وعلي البلهوان[٦]، والفاضل بن

---

[١] – السوس دود ينخر أنواع القطانيات من فول وحمص وعدس والصوف والثياب والخشب. www.**alma**any.com/ar/dict/ar-en/**licorice**/

[٢] –محمد مزالي ،حديث الفعل ،ص ٤٤.

[٣] - المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤٦.

[٤] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ص١٣٧ .

[٥]- صالح بن يوسف (١٩٠٧-١٩٦١) : زعيم سياسي تونسي ولد في مدينة جربة التونسية عام ١٩٠٧ ، تعلم في تونس، سافر سنة ١٩٣٠ إلى باريس لمواصلة التعليم الجامعي، حصل على إجازة في الحقوق والعلوم السياسية سنة ١٩٣٣، وعندما رجع إلى البلاد ساهم مع زميله الحبيب بورقيبة في قيادة الحزب الحر الدستوري الجديد ،انتخب عضواً في الديوان السياسي في مؤتمر نهج التريبونال سنة ١٩٣٧، وفي سنة ١٩٤٥ أصبح الأمين العام للحزب الدستوري الجديد، تولى وزارة العدل في وزارة محمد شنيق التفاوضية في أوائل الخمسينات، وكان ضمن الوفد الذي قدم شكوى تونس إلى مجلس الأمن في باريس، ومنها هرب إلى القاهرة وواصل نشاطه السياسي، وحضر مؤتمرات دولية عديدة للتعريف بالقضية التونسية، عاد إلى تونس سنة ١٩٥٥، اختلف مع بورقيبة بسبب رفضه اتفاقيات الحكم الذاتي والتي عدها خطوة إلى الوراء، ولجأ إلى ليبيا ومنها إلى مصر. تم اغتياله في مدينة فرانكفورت الألمانية سنة ١٩٦١ وسجلت العملية ضد مجهول .ينظر محمد بوذينة ،مشاهير تونسيين، المصدر السابق، ص١٨٧.

[٦]-علي البلهوان (١٩٠٩-١٩٥٨) مناضل تونسي ولد في مدينة تونس١٩٠٩، اكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها ثم سافر الى باريس سنة١٩٣٢ ودرس في كلية الاداب قسم اللغة العربية وبعد تخرجه عاد الى تونس سنة١٩٣٥ وعمل مدرساً للغة العربية في المدرسة الصادقية، وفي ١٩٣٦ انخرط في صفوف الحزب الدستوري الجديد، وفي سنة ١٩٣٨ انتخب عضواً في الديوان السياسي للحزب، والقي القبض عليه ١٩٤٣ وفي سنة١٩٤٨ انتخب عضواً في الديوان السياسي للحزب وشارك في المجلس التأسيسي سنة١٩٥٦، وعضواً في المجلس التأسيسي سنة ١٩٥٦، وفي سنة ١٩٥٧ أصبح مديراً لبلدية العاصمة تونس، وتدرج في المناصب حتى وفاته سنة ١٩٥٨. ينظرجليلة المليح الواكدي ،زعيم الشباب علي البلهوان (حياته واثاره)،مركز النشر الجامعي ، تونس،٢٠١٢.

عاشور [١]، يلقون خطباً حماسية بمناسبة ذكرى تأسيس الجامعة العربية وذلك يوم ٢٢اذار ١٩٤٧ ، وعلى اثر ذلك فصل من المدرسة لمدة ثلاثة ايام[٢] .

كانت سنة١٩٤٧ ذات اثر حاسم في تكوينه الفكري فقد استهوته الافكار والبناء الفكري المنطقي، واخذ يميل الى الفلسفة، على الرغم من رغبته المتجهة نحو دراسة الطب ، والذي حببه بالفلسفة اكثر استاذه بمادة الفلسفة تييه (M.Attia) وهو من الذين عرفوا بتعاطفهم الكبير مع تونس والعالم الاسلامي ، فشجعه بكل جهده على المضي قدماً في هذا السبيل ، وذكر مزالي ان اسباب اختياره لهذا الفرع، انها تجعل دارسها يمتلك موهبة التحليل والترغيب قائلا :" **ان ما كان يجتذبني دوماً الى تعاطي الفلسفة هو انه من شأنها ان ترهف في صاحبها بنفس المقدار حاسة التحليل وملكة الترغيب، واليس معنى التفلسف هو الوقوف في البحث موقفاً معقولا بتناول منطقي للاشياء "**[٣] .

تمكن مزالي من الحصول على ثقافة واسعة بتأثير من اساتذته الجيدين، واكتسب اعداداً قوياً، وبقى لدورهم أثراً لا ينسى، ليس بجمع المعارف وسعة الاطلاع بل بفضل المساعي والجهود الفكرية والمنهجية ومن اسلوبهم في التحليل والتركيب،ومن هولاء محمود المسعدي[٤] الذي تميز بإجادته اللغة العربية ، ودقة تفكيره وهو اول من علمه اصول الانشاء واسلوب بناء مقدمة تطرح الموضوع بأسلوب رصين، وكيفية ربط عناصر الموضوع بشكل منطقي، ووضع خاتمة لا تقتصر على التلخيص ، بل توحي بالتساؤل وتدعوا اليه ايضاً وهو من الاساتذة

---

[١]- الفاضل بن عاشور(١٩٠٩-١٩٧٣): هو الشيخ محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن الصادق عاشور ولد في مدينة المرسي ، احدى ضواحي مدينة تونس سنة١٩٠٩ والده من كبار العلماء في تونس فتتلمذ على يدي والده وتعلم القرآن الكريم وهو في الثالثة من عمره ، ثم بدأ يتعلم الفرنسية على ايدي معلمين خصوصيين في المنزل ، بعدها التحق بجامع الزيتونة فحصل على الشهادة الثانوية ١٩٢٨ ، واكمل دراسته العليا في الشريعة واللغة العربية واصول الدين وبعد تخرجه عمل مدرساً في جامع الزيتونة ١٩٦١ وله نشاط في التأليف وكتابة المقالات والبحوث توفي سنة١٩٧٣ . الصادق الزمرلي، اعلام تونسيون ، ترجمة ، حمادي الساحلي ،دار المغرب الاسلامي، لبنان ، ١٩٨٦، ص٣٤٩ .

[٢] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ص١٣٧ .

[٣] -محمد مزالي، حديث الفعل،ص٥٠.

[٤] - محمود المسعدي: ولد سنة ١٩١١ في مدينة المرسي درس في الكّتاب ثم دخل الى المدرسة الصادقية وبعد ذلك درس في معهد كارنو ،وسافر الى باريس لاكمال دراسته في السوربون في كلية الاداب واختص باللغة العربية ، وتخرج منها سنة١٩٣٦ وبعد عودته الى تونس عمل مدرساً في جامعة الزيتونة والى جانب التدريس انخرط المسعدي في العمل السياسي ، اذ تولى مسؤولية التربية والتعليم بعد الاستقلال وتولى وزارة الشؤون الثقافية الدولية، وله العديد من المؤلفات ،ويعد من ابرز اعلام الادب الذهني ، تميز بمحاولات في ابتكار ادب تأملي تمتزج فيه الانماط الفنية ، وتفرد بصياغة ابداعية تجتمع فيها لغة النثر ولغة الشعر . ينظر مجموعة من المؤلفين ، مختارات من الادب القومي، الدار التونسية، تونس،١٩٨٦، ص١٨٥ .

المتشددين فالحصول على علامة ٢٠/٩ بمثابة نادرة عنده ،غير ان محمد مزالي كان من المتفوقين في الانشاء العربي بحصوله على المرتبة الاولى بدرجة ٢٠/١١[١].

تلقى على يد استاذه عبد الوهاب بكر فن تحليل النص والانتقال من شرح المفردات الى تفسير المعاني ، و تمتع عبد الوهاب بهدوء اعصاب وضبط للنفس فريدين ، اما الشيخ الفاضل بن عاشور قدم لهم دراسات شيقة في الفلسفة الاسلامية وهو من مشايخ المسجد الكبير"جامع الزيتونة" الذين اعطوا دروساً في الفقه والعروض وتاريخ العالم الاسلامي ، والنحو ، والخطابة، واذا عّد الفاضل بن عاشور رجلاً عصرياً وبارزاً، فإن بعض المشايخ كانوا على جانب كبير من الظرف ودروسهم بالنسبة للطلبة فرصة للاسترخاء وللترفيه من ضغط الدروس،اما الشيخ حمادي بن الامين فبرع في تلقينه النحو العربي ، وعلمهم الاستاذ جيدو مادة الصرف العربي[٢].

في شهر تموز ١٩٤٧ تخرج من المدرسة الصادقية ،وحصل على شهادة الباكالوريا بتقديرات عالية، فقرر الرحيل الى فرنسا لمواصلة الدراسة في التعليم العالي ، وكما دأب مدير المدرسة الصادقية مع زملائه، قام بأستدعاء محمد مزالي وطرح عليه السؤال ماذا ينوي فعله فأخبره برغبته في مواصلة دراسته الجامعية في فرنسا ، واختياره الدراسات الفلسفية[٣]، فرد عليه المدير بأن ادارة العلوم والمعارف في تونس لا تسمح بتدريس مادة الفلسفة في مدارسها، وعليه أختيار اللغة العربية ،لا سيما وان اكثر زملائه اختاروا الدراسات الادبية [٤].

على الرغم من ذلك قرر مواصلة دراسته في قسم الفلسفة والسفر الى فرنسا، فكان لا بد ان يكون في حوزته بعض المال، ولما لم يكن يملك المال اضطر الى بيع ماورثه من والده (٤٨ شجرة زيتون)، لجمع مبلغ مالي يمكنه من السفر للدراسة في باريس، غير ان المبلغ لم يكن كافياً فقام ببيع (برنس من الصوف) تركه والده[٥]، غير ان المشكلة بقيت قائمة وتمثلت بوالدته، اذ كان قلقاً بشأن بقائها وحيدة عند سفره، وليس لديها معيل غيره ، فعزم على مواجهة هذه

---

[١] - المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤٤.

[٢] - محمد مزالي ، حديث الفعل، ص ٥٠-٥٢ .

[٣] - كان اول تونسي دخل الدراسات الفلسفية هو الشاذلي خيرالله سنة ١٩٢٦،وبقي فيها لمدة اسابيع ثم انتقل الى دراسة الحقوق، وبعد الحرب العالمية الثانية دخل فيها محجوب بن ميلاد سنة ١٩٤٥، ثم التحق للدراسة فيها كل من محمد مزالي وفتحية مختار سنة ١٩٤٧. للمزيد ينظر عادل يوسف، النخبة العصرية التونسية :طلبة الجامعات الفرنسية(١٨٨٠-١٩٥٦)، دار الميزان للنشر، تونس ٢٠٠٦، ص٩٩.

[٤] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،ص١٤٣ .

[٥] - عادل يوسف، المصدر السابق ، ص١٥٢.

المعضلة بالتوفيق بين واجبه نحو والدته وبين طموحاته الشخصية[١] ، فقرر السفر واختار العلوم الفلسفية الموافقة لرغبته اولاً، ولان الدراسة فيها قصيرة ثانياً، ووجد حلاً لمشكلة والدته بان يرسل لها كل شهر حوالة بريدية قدرها ثلاثة الاف فرنك[٢]من مجموع تسعة الاف فرنك شهرياً قيمة القرض الذي كان يتلقاه من ادارة التعليم العمومي في تونس [٣] ،وفي تشرين الاول ١٩٤٧ سافر الى فرنسا لاكمال دراسته الجامعية في جامعة السوربون كلية الاداب، وبعد ان توصل الى حل مشكلة الاقامة، وتسجيل اسمه بالسوربون شرع بشغف كبير في متابعة دروس الفلسفة على يد اساتذة مشهورين [٤].

تأثر مزالي بسقراط [٥] والغزالي وجبراييل مارسيل وديكارت، ما جعل منه صاحب نظرة فلسفية تدعو الى الامل والتفاؤل، فاستطاع ان يتعلم من هؤلاء الفلاسفة ان طريق الامل مفتوح، وان النفس المؤمنة واثقة من ان الامل نسيج الحياة والتفاؤل عنه يكاد يكون دعوة الى العمل وثقة في قدرة الانسان على قهر الواقع ، وعلق مزالي عن تأثره بهؤلاء الاساتذة لاسيما الغزالي وديكارت قائلاً: **"فدرس الغزالي او ديكارت ،لا يكون نافعاً الا اذا شككنا في فلسفتهما ، وتسائلنا مدى قيمتها، ولا نكون اكثر قرباً منهما واشد اتصالا بهما الا حينما نبتعد عنهما بالنظرة النقدية"** [٦] ، كما بدأ واضحاً تأثره بالفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار (Bachelard Gaston)[٧]، استاذه بكلية الاداب بباريس، فأقتبس منه بعض الاراء مع زيادات تجديدية، منها

---

[١] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ص١٤٣ .

[٢]- فرنك : عملة تونسية قديمة بدأ العمل بها في سنة ١٨٩١ عوضاً عن الريال التونسي ،تم تغييرها سنة ١٩٥٨ وعوض عنها بالدينار التونسي. -ar.wikipedia.org

[٣]- عادل يوسف، المصدر السابق، ص١٥٢ .

[٤] -لقاء مع محمد مزالي ، قناة الجزيرة، ج١.

[٥]- سقراط: فيلسوف يوناني ولد حوالي سنة ٤٧٠ ق.م في اثينا من اب نحات وام (قابلة) وصف بانه شديد الاسر قوي البنية يمشي حافي القدمين صيفاً وشتاءً ويلبس الثياب نفسها صيفاً وشتاءً ، مارس في البداية مهنة والده مكتفياً بالعيش عيشة بسيطة برفقة زوجته، الى ان اخبرت كاهنة احد اصدقائه أن سقراط اكثر البشر حكمة، فمن هنا بدأ مسيرته محاولاً استكشاف مكامن تفوقه المفترض ذلك المسار الذي اوصله الى نتيجته التي مفادها ان (كل ما اعرفه هو اني اعرف شيئاً بينما يعتقد لاخرون انهم يعرفون ما لا يعلمون) ويعد سقراط مؤسس فلسفة الاخلاق واول منظر للعقلانية كما دعا الى حرية الرأي والتفكير الفردي .استمر سقراط يعلم في اثينا حتى سنة٣٩٩ عندما اتهم بالالحاد وانه ينكر الالهة الشعبية، ويفسد عقول الشباب، فقدم سقراط الى المحاكمة، وحكم عليه بتجرع السم ، فتوفي بهذه الوسيلة . ينظر عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص٥٧٦ .

[٦] - محمد الامين خلفة، محمد مزالي والنظرة التفاعلية،الدار التونسية للنشر،تونس،١٩٨٤،ص٤٢-٥١.

[٧] - غاستون باشلار(١٨٨٤-١٩٦٢): فيلسوف علوم فرنسي ، ولد في مدينة بار- سير –اوب سنة ١٨٨٤ عمل موظفاً في البريد حتى سنة١٩١٣ ،بعد ذلك اكمل دراسته وحصل على شهادة في الرياضيات والعلوم ، ثم بعد ذلك حصل على الدكتوراه في الاداب(قسم الفلسفة) من السوربون ١٩٢٧ ثم عين استاذاً في التاريخ العلوم وفلسفتها في قسم الفلسفة بكلية الاداب في السوربون واستمر في منصبه في سنة١٩٥٤ توفي ١٩٦٢ . ينظر الى عثمان غي، شبيه المعرفة العلمية عند غاستون باشلار، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة فتوري قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص١٧٨ .

التصور الذي اورده هذا الفيلسوف الفرنسي في العلم والحقيقة والواقع ، اذ راى ان التوصل الى الحقيقة يتم عن طريق البناء والخلق والابداع[١] ، وغيره من الاساتذة المعروفين وبفضلهم نفذ الى الفكر السقراطي**"امكن لي لقاء سقراط ٠٠٠ واعني بهذا انني تعلمت الحذر من كل ما هو يقين مطلق وحقائق تظهر وكأنها بديهية ، ولكن فيها نظر، والتوقي من كل ما يكيل الفكر عامة ، انه درس سقراط الذي مكنني من الصمود امام الاصوات المغرية التي كانت انذاك موضة لدى زملاء الدراسة في السوربون وعموم الطلبة في باريس وفي الوقت الذي كان اغلب الشباب يتباهون بأنهم ماركسيون او وجوديون سمحت لي مقتضيات الفكر السقراطي بالأ اكون لا من هولاء ولا من اولئك ، افليست عشرة سقراط دواء، ناجعاً ضد الدوغمائية[٢] ؟ تعصم العقل من التكلس ، وترديد القوالب الفكرية الجاهزة ،فتشحذ العقل العاقل وتمكن من تجاوز العقل المعقول"**[٣].

من جانب اخر وجد محمد مزالي سعادة كبيرة عند مشاهدة مسرحيات قام بها ممثلين كبار انذاك بأدوار خالدة ، وتفاعل تفاعلاً كبيراً مع اكبر السينمائيين في سينما (شامبوليون) وكانت تذاكر الدخول الى هذه السينما زهيدة بإمكان الطلبة الدخول اليها، وكانت قاعة متواضعة قريبة من السوربون،عاش سنواته في باريس بكل ما فيها من عسر ويسر، وتحمل شظف العيش فاستغل السنوات التي عاش فيها في باريس في تنظيم اموره الدراسية وشؤونه تبعا لامكانياته المادية المتواضعة بدون ان يؤثر فيه شعور بالحرمان او تضايق من حياته[٤].

لم تبعده الظروف والشواغل في باريس عن حبه وميله للرياضة وممارستها ،فذهب الى ملعب الامراء او ملعب كولومب مساء كل احد لمشاهدة مباريات كرة القدم ،وفضلاً عن ساعات الدروس وما حضره من محاضرات قضي ساعات طويلة بمكتبة السوربون او مكتبة القديسة (جونفييف) ولم تقتصر مطالعته على التصانيف والكتب الكلاسيكة في الفلسفة ، بل شملت الادب والتاريخ ايضاً [٥].

لم تبهره الثقافة الغربية عند وجوده في باريس ولم تؤثر فيه ولا في ثقافته العربية، فهو شديد التعلق بالحضارة العربية الاسلامية مع انفتاح على الثقافات الاجنبية ، وهذا ما سوف نلمسه

---

[١] - محمد الامين خلفة، المصدر السابق،ص٥٣.

[٢]- الدوغمائية: (Le-dogmatism) القطعية الوثوقية : وهي الجمود الفكري على مفاهيم محدودة : دينية او فلسفية او ادبية او اقتصادية وحتى علمية مجردة ، والدوغمائي يعتقد دائماً بصحة افكاره وفائدتها ولا يعترف بأمكانية احتمال خطئها. ينظر .www.albayanlebanon.com

[٣]- محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص ١٤٩-١٥٠ .

[٤] - محمد مزالي، حديث الفعل، ص ٥٩-٦٠ .

[٥] - المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤٦.

خلال سياسته في الفصول القادمة ،فوصف شعوره قائلا **"ان سحر باريس وهيبة السوربون لم يحركا في نفسي اي ارتداد ، فالحياة الباريسية لم تنل من سجاياي، ومن خلال الثقافة الفرنسية كانت تتجلى لعيني عالمية الفكر، بما يتطلبه من الحرية في مسيرته الا ان هذه الثقافة الغربية كانت مقابل ذلك تمنح مقوماتي الاساسية مزيد من القوة والصلابة ، وعندما آن الرجوع الى تونس الفيت نفسي تونسي عربي الثقافة، شديد التعلق بالحضارة الاسلامية متفتحاً كل التفتح على الثقافات الاجنبية"**[١].

في باريس عرف الطالبة فتحية مختار[٢] احدى اوائل الفتيات التونسيات اللواتي توجهن الى فرنسا للدراسة الجامعية في السوربون وهي من القلائل اللائي درسن الفلسفة، اذ توطدت العلاقة بينهما[٣]، وذكر مزالي ان فتحية اجرت معه امتحان الباكالوريا في تموز ١٩٤٦ ،اذ جمع الاثنين الاحرف الابجدية في قاعة واحدة في الليسي كارنو ، اذ اسمها يبدأ بحرف الميم على اسم الاب (مختار) وفي ابريل ١٩٥٠ قدمها رسمياً الى بورقيبة، خلال زيارته لباريس، عندما كان يقوم بأتصالاته السياسية، فسأل مزالي هل ارتبطا بها رسمياً ، ولما علم غير ذلك غضب واشار عليه بوجوب التقدم الى خطبتها من اهلها والتعجيل بالزواج فور اتمام دراستهما، فما كان من مزالي الا السفر الى تونس وطلبها من والدها فقبل واتفقا على الزواج في الصيف خلافاً لما عليه التقاليد ،اذ الخطيب ينتظر خطيبته عاما او اكثر ريثما تعد جهازها، حتى يتمكن هو من ايجاد مورد رزق مضمون ، وحرر عدلان عقد الزواج بينهما بباردو في ١٠ اب ١٩٥٠ حضره كبار رجال تونس ووجوه القوم ونخبة من كبار الموظفين، ونشرت صحيفة النهضة في عددها الصادر في ٢٠اب ١٩٥٠خبر اعلان خطوبتهما وتزوجا في ٢ايلول ١٩٥٠،ولما لم يكن يملك المال ولا موارد اخرى الا بعض الفرنكات التي تدرها عليه الدروس الخاصة والتي درسها في بيته او في بيوت التلامذة ، اقترض ٣٠الف فرنك التزم بتسديدها عند تعيينه في الدولة ،وتمكن بهذا القرض من تسديد تكاليف الزواج، وبعد الزواج اقاما في بيت

---

(١)- محمد مزالي ، حديث الفعل، ص ٦٥-٦٦ .

(٢)- فتحية مختار: هي فتحية عبد الرحمن المختار ،ولدت في العاصمة تونس ١٩٢٧ تلقت تعليمها الابتدائي بمدرسة الفتيات بنهج العلماء بتونس ،ثم بمدرسة الفتيات بباردو حتى احرزت الشهادة الابتدائية سنة١٩٣٩ ،وانتقلت الى التعليم الثانوي سنة١٩٤١ واكملت الثانوية في سنة١٩٤٤ مع انقطاع سنين بسبب الحرب العالمية الثانية ،وفي سنة١٩٤٧ حصلت على شهادة الباكالوريا بتفوق وقد سمحت لها عائلتها بالانتقال الى فرنسا لمواصلة دراستها الجامعية وختمتها بالحصول على الشهادة بالفلسفة سنة١٩٥٢ ،عملت فيما بين ١٩٤٧ -١٩٥٠ بمدرسة ترشيح المعلمات بتونس العاصمة، كانت من مؤسسات الاتحاد القومي النسائي التونسي سنة١٩٥٦ وتولت عدداً من المناصب الادارية الى ان كلفت في سنة١٩٨٣ بتولي وزارة العائلة والنهوض بالمرأة في حكومة مزالي. ينظر مشاهير تونس
www.Tunisiestars.wordpres.com

(٣) - محمد الطالبي ،عيال الله، انجاز شكري مبخوت، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩٢، ص٢٢.

عائلة المختار مدة ثلاث سنوات ،وفي سنة١٩٥٤ استأجرا بيتا في حي مونفلوري وانجبا اربعة اولاد وابنتين[١].

ثانيا:بواكير نشاطه السياسي والثقافي في تونس وفرنسا حتى سنة ١٩٥٠

أ-نشاطه السياسي الثقافي في تونس

ادرك محمد مزالي منذ سن المراهقة لما يحدث حوله، وفي شبابه اصبح اكثر اهتماماً بالشأن العام في مسقط راسه المنستير، سواء تعلق الامر بالنشاط الادبي والثقافي ام الميدان السياسي.

بدأ نشاطه السياسي في سن مبكرة، سنة ١٩٣٣، ومع نشوء اول خلية للحزب الدستوري في المنستير تأثرت حياته السياسية بها ، فأنتماء والده الى الحزب الحر الدستوري القديم[٢] منذ تأسيسه سنة ١٩٢٠، وانضمامه لاحقاً الى حزب الحر الدستوري الجديد بزعامة بورقيبة أثراً كبيراً في تكوينه السياسي، فمرافقته لوالده في اغلب الانشطة التي تزاول حينذاك، فضلا عن المناخ الوطني السائد في تلك المدينة، زرع في نفسه الوعي بالالتزام السياسي والشعور الوطني[٣].

رافق والده لحضور اجتماعات شعبة المنستير وفي الانشطة السياسية والوطنية كافة، وعلى الرغم من صغر سنه قام بزيارة الشعبة الجديدة الواقعة فوق دكان احد اصدقاء والده

---

[١] – اولاده هم:مختار الابن الاكبر ولد سنة ١٩٥١ حاصل على شهادة علوم معمقة في قسم الاحصاء من جامعة تونس،حبيب١٩٥٢استاذ رياضيات،هدى ١٩٥٤ حاصلة على شهادة في الطب ،حاتم ١٩٥٥حاصل على شهادة في =الطب البيطري، رفيق ١٩٥٧ استاذ جراحة عامة، سارة ١٩٦٢ لم تكمل دراستها الجامعية.محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ،ص١٥٨-١٥٩؛المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، ص ١٤٧.

[٢]-هو اول حزب وطني في تونس، كان اول تنظيم كتنظيم له في اذار ١٩١٩ ،ويعد هذا الحزب امتداداً لحركة الشباب التونسي التي ظهرت قبل الحرب العالمية الاولى ، وبرز بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى بعد اندحار الدولة العثمانية، والاعلان عن حق الشعوب في تقرير مصيرها، فتنامت العديد من حركات التحرر،فتحرك الوطنيون التونسيون وتقدموا بالعديد من المطالب للحكومة الفرنسية التي لم تحقق أياً منها، وبذلك خابت امال الوطنين التونسيين في الحصول على الاستقلال، فاتخذت الحركة الوطنية شكلا اكثر وضوحا للتعبير عن ارائهم ، فعمل عبد العزيز الثعالبي وهو في فرنسا على بعث الحزب الحر الدستوري، فعقد اول اجتماع لهم في ١٩٢٠ حضره ٣٠مندوبا من المسلمين واليهود وشكلوا الحزب برئاسة عبد العزيز الثعالبي و محمد عساقي حسن قلاني وثلة من الوطنيين. ينظر عبد العزيز الثعالبي،تونس الشهيدة ،ترجمة سامي الجندي،دار القدس،بيروت،١٩٧٥،ص١٤.

[٣]- رسالة من السيد بشير بن سلامة الى الباحثة بتاريخ ١١ اذار ٢٠١٤ عبر البريد الالكتروني .

وهو(الحاج سعيد المرشاوي) وضم صوته الى الشباب الدستوري او شبيبة الكشافة [١] ، وردد معهم الاناشيد الوطنية التى تتغنى بتونس وببورقيبة[٢] .

وجد محمد مزالي نفسه منذ صباه في وسط النشاط السياسي المعارض للاحتلال الفرنسي، ولما انتقل الى العاصمة تونس سنة ١٩٤٠، برز دوره في المشاركة في النشاط السياسي الذي قام به تلامذة المدرسة الصادقية في صفوف الحزب الحر الدستوري الجديد[٣] ، فهو من المنتمين الى منظمة الشبيبة المدرسية[٤] ومن اعضائها النشيطين ، فتابع بأنتظام ما القي فيها من محاضرات على منبر جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الصادقية[٥] التي اسسها علي باش حانبة [٦]، الجمعية الثقافية رسمياً السياسية سراً، اذ اجتمع فيها الطلبة للنظر في شأن بلادهم ، وتبادل الرأي مع بعض اساتذتهم الوطنيين ومع المسؤولين الذين لم يدخلوا السجون عن شؤون

---

[١] - انبعثت اول هيئه للحركة الكشفية القومية في اوائل سنة ١٩٣٣ ،وسجلت رسمياً في اذار ١٩٣٤بجهود مصطفى الدالي الذي كان مديراً لاحدى المدارس في العاصمة والبشير بن مصطفى،الذين عقدوا العزم على بعث حركة كشفية تونسية، بعد ذلك تكونت هيئة تحضيرية عكفت على ارساءالاسس التي ستشاد عليها الحركة الكشفية، واتخذت الهيئة مكتب الاعانة الاجتماعية بتونس مكانا لاجتماعاتها، فبادرت الى تكوين القادة وتخريجهم ، فتخرجت اول دفعة في ٩تموز ١٩٣٣، وكانت الجمعية تعتمد على اشتراك منخرطيها المادية لسد مصاريفها ، وعملت الجمعية بعد ذلك على تعزيز حركة الشباب التونسي الرياضية ، وهدفت الى فرض الهوية التونسية وتعليم الصبية =معنى الوطنية وجعلهم يقتنعون باهمية الحركة الكشفية في الميادين التربوية وفي مقاومة الاحتلال . ينظر عبد المجيد المسلاتي،تاريخ المنظمات الشبابية التونسية،دار سراس للنشر، تونس ،١٩٨٩،ص١٩؛ رشاد الخرباشي ، الكشافة التونسية في التربية التونسية ، مطبعة المركز الوطني البيداغوجي، تونس ، ٢٠١٣، ص ٣٩ .

[٢] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص١٢٩-١٣٠.

[٣] - رسالة من البشير بن سلامة الى الباحثة ، بتاريخ ١١ اذار ٢٠١٤ عبر البريد الالكتروني.

[٤] - هي منظمة شبابية في ظاهرها ثقافية ، تابعة الى جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية الجمعية الثقافية رسمياً، السياسية في الواقع، يجتمع فيها التلاميذ والطلاب وينظرون في شوؤن بلادهم ،ولما كان الحزب الدستوري ممنوعا من ممارسة النشاط السياسي ، فإن الوطنيين الذين لم يكونوا في السجون ،او الذين خرجوا منها ،ينشطون ثقافياً في الظاهر تحت لواء جمعية تلامذة قدماء المدرسة الصادقية، واستنبطوا فرعا من هذه الجمعية سمي الشبيبة المدرسية مكونا من تلاميذ هذه المدرسة، نشاطهم في الظاهر ثقافي ولكنهم في لقائهم بزعماء الحزب يشكلون في الخفاء تكوينا سياسيا ، لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وبهذا يتهيأون عند تخرجهم لخوض العمل السياسي ،في صفوف الاحزاب الوطنية . ينظر محمد مزالي،دراسات ثقافية ،الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٤، ص٣٠٨ ؛ رسالة من بشير بن سلامة، بتاريخ ١٣اب ٢٠١٤.

[٥] - جمعية قدماء المدرسة الصادقية: تأسست في ٢٣ كانون الاول ١٩٠٥ بفضل حماس احد المحامين الشباب وهو علي باش حانبة، و تهدف هذه الجمعية الى جانب غايتها التعاونية نشر مبادئ العلوم العصرية الضرورية وتسييرها في الاوساط التونسية ، وتمثل نشاطها في تنظيم المحاضرات الاسبوعية متبوعة بمناقشات وكانت هذه الجمعية فرصة لبروز مواهب ثقافية كثيرة ، وكان لها نشاطات كبيرة طول حركة التحرر الوطني والنهضة الثقافية التونسية . ينظر الحبيب الجنحاني: الحركة الفكرية القومية في مطلع القرن العشرين، مجلة الفكر،السنة ١٦، العدد ٤، كانون الثاني،١٩٧١،ص٢٧ .

[٦]- علي باش حانبه (١٨٧٦ -١٩٢٠): ولد في تونس ١٨٧٦ زاول تعليمه في المدرسة الصادقية ثم بمدرسة سان شارل الفرنسية،انتدبته الحكومة عقب انهاء تعليمه الثانوي للترجمة في ادارة دفتر خانة الاملاك العقارية في سنة١٨٩٧،فضلا عن تكليفه بوكالة اوقاف المدرسة الصادقية، درس الحقوق وتمكن من احراز شهادة الحقوق ١٩٠٦، فاستقال من منصبه الوظيفي وانصرف الى المحاماة بتونس ، اسس سنة ١٩٠٨ صحيفة التونسي باللغة الفرنسية، وعندما اخذت الصحيفة بمهاجمة سلطات الاحتلال بعنف على اثر واقعة الزلاج ،قامت الادارة الفرنسية بنقله الى تركيا ،توفي في اسطنبول بشكل مفاجئ سنة ١٩٢٠. ينظر الى صادق الزمرلي، المصدر السابق ، ص١٤١ .

البلاد ، فحافظ على العلاقة التي ربطته بالجمعيات والنوادي الثقافية التي نشط فيها في اثناء مدة دراسته لاسيما الثانوية منها[١]، ففي العطل الصيفية مارس محمد مزالي نشاطه بمسقط راسه المنستير ، اذ تمثل ذلك في انخراطه في جمعية قدماء المكتب العربي الفرنسي [٢] سنة ١٩٤٥، لا سيما فرع تابع لها وهو جمعية الشباب الادبي ، وكان وقتها كاتباً عاماً ثم ما لبث ان اصبح رئيساً لها في العام التالي ففي اثناء الجلسة العامة التي اجتمعت في تموز ١٩٤٦ انتخب كاتبا عاما لهاً، في حين تولى الرئاسة محمد ناجي معتوق وهو من طلبة جامع الزيتونة، اما في الجلسة العامة لسنة ١٩٤٧ فاز بأغلبية الاصوات واسند له جميع الاعضاء المنتخبين رئاسة الهيأة ونشرت هيأة الجمعية الجديدة في جريدتي الزهرة والنهضة [٣] .

عند تسلمه مهام الجمعية قام بأنشطة متعددة داخل الجمعية، ولم يقتصر نشاطه بتثقيف نفسه من خلال قراءة الكتب العربية والفرنسية ، التي زخرت بها مكتبة الجمعية، بل قام بتنظيم نشاطات الجمعية وتوزيعها على ايام العطلة المدرسية كلها من محاضرات ورحلات ومسرحيات، فعمل على تنظيم دروس مجانية لتدريس الطلبة الراسبين في امتحاناتهم ، وعمل على تنظيم رحلات استطلاعية كل اسبوعين الى جهة من جهات البلاد التونسية، ودعا الاستاذ عثمان الكعاك[٤]، لمرافقتهم في اثناء الرحلات ليزودهم بالمعلومات التاريخية والاجتماعية حول المدن والمواقع التي مروا فيها ، وكانوا بدورهم حريصين على تدوين المعلومات لتعويض ما ينقصهم من معلومات اثناء دراستهم الابتدائية عن تضاريس تونس وجغرافيتها[٥].

كما مثلت مقرات هذه الجمعيات مكاناً للحوار حول بعض المؤلفات الادبية والفكرية، والتحاور حول بعض المسرحيات والاشرطة السينمائية المعروضة في مسارح باريس وقاعاته، وبرز دوره من خلال ممارسته العمل المسرحي ، فقام بصحبة اقرانه بإعداد بعض المسرحيات

---

[١] - عادل بن يوسف ،المصدر السابق، ص٤٠١.

[٢]- تأسست جمعية قدماء المكتب العربي الفرنسي في المنستير ١٩ حزيران ١٩٣٤ وانضوت تحت لوائها في ٢٦ تموز ١٩٣٥ جمعية الشباب الادبي كفرع تحت مسؤوليتها وكانت تتكون من الطلبة الزيتونيين وطلبة المدارس من الصادقية والعلوية والخلدونية .ينظر الى محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص١٣٨ .

[٣]- المصدر نفسه، ص١٣٩ .

[٤] - عثمان الكعاك(١٩٠٣-١٩٧٦): ولد بقمرت في ضواحي تونس ١٩٠٣ تلقى تعليمه الابتدائي في كتاب سيدي الشريف ، والثانوي بالصادقية ، في سنة١٩٢٦سافر الى باريس لاكمال دراسته الجامعية في السوربون ومدرسة اللغات في باريس ،اجاد عدداً من اللغات مثل الفرنسية، والانكليزية، والالمانية، والايطالية، والاسبانية ، اشتغل بالتدريس في الخلدونية من ١٩٢٤ وفي المدرسة العليا للاداب واللغة العربية في ١٩٢٨، تولى منصب مدير القسم العربي بمحطة تونس ١٩٣٩-١٩٤٣. توفي في تموز ١٩٧٦،اشتهر بمعرفة تاريخ المعمار وتاريخ الاماكن وتاريخ اسماء الاشخاص وتاريخ الكلمات الحضارية، له عدد كبير من المؤلفات بين مطبوع ومخطوط الف ما يناهز الاربعين كتاباً،اهمها تاريخ الجزائر ١٩٢٦،الادب العربي الجزائري ١٩٢٧،الفلكلور التونسي ١٩٥٧ . عبد السلام المسدي واخرون، المصدر السابق، ص٤١

[٥] - محمد مزالي ،حديث الفعل،ص٤٥.

الكلاسيكية وعرضها، فمثل بعض الادوار في ثلاث مسرحيات، منها دور(غوينبي) في مسرحية (الالسكندر ديمارس) التي مثلت بالعربية ، ومثل دور وزير مسن مخلص لملكه في مسرحية لويس الحادي عشر ،وقام بدور(بردتوس) في مسرحية يوليوس قيصر ،عرضت بكل من المنستير وسوسة والقيروان في صيف ١٩٤٨[١]، فضلاً عن قيامهم بتمثيل مسرحيات مقتبسة من التاريخ العربي ذكرت بماضي الامويين والعباسيين، وعن تجربته الاولى في المسرح ذكر مزالي قائلاً:" **لما صعدت لاول مرة على المسرح في المنستير، شعرت برجليّ ترتعشان، وعلى كل خرجت من الامتحان بشئ من المشقة ،واطمأن قلبي بعد ذلك بسنوات في خصوص مسألة تهيب الجمهور** "[٢]، وغالباً ماكانت لهذه النشاطات المسرحية خفايا سياسية اذ ان عرض بعض المسرحيات هدف الى جمع التبرعات لتمويل خزينة الحزب الحر الدستوري الجديد، بعد انتمائه للحزب بصورة رسمية في اواخر سنواته في المدرسة الصادقية وحصل على بطاقة الحزب سنة١٩٤٧ [٣] ،وغالباً ماكان لهذه العروض المسرحية والمحاضرات والندوات خاصية اخرى، وهي اعطاء مجال التعبير للشبيبة من خلال تعليم الكبار والصغار المعارف التي تعلموها في الثانوية او الجامعة [٤] .

قبل سفره الى فرنسا سنة ١٩٤٧ حصل تصدع او انشقاق في صفوف جمعية الشباب الادبي المنستيري بين الطلبة الزيتونيين[٥]، وطلبة المدارس الذي كان محمد مزالي رئيساً لها وناطقاً بلسانهم[٦] ، اذ انه بعد اسبوع من اعلان مزالي رئيسا للجمعية قدم الزيتونيون رسالة موقعة من عدد من الطلبة الزيتونيين، التي تكونت الجمعية من اغلبيتهم، طالبوا فيها مزالي بالتنازل عن رئاسة الجمعية للطالب الزيتوني الحبيب نويرة،لان الطلبة الزيتونيين شكلوا الاكثرية في الجمعية لذلك طالبوا بان يكون الرئيس منهم، عدّ مزالي هذا الامر صحيحاً لكنه غير قانوني، فرفض بشدة فأصر الطلبة الزيتونيين على موقفهم، واستمروا بمطاليبهم له بالتنازل ،

---

[١] -عادل بن يوسف ، المصدر السابق،ص٤٠١.

[٢] - محمد مزالي ، حديث الفعل ، ص ٤٥ .

[٣] -. قناة الجزيرة ، لقاء مع محمد مزالي،ج١.

[٤] - نور الدين سريب، ممارسات ثقافية وجمعنه سياسية (المثال التونسي)،مجلة انسانيات، عدد٨ ، اب ، ١٩٩٩، الجزائر، ص ١٥-٥٦ .

[٥] - المقصود بهم خريجو جامع الزيتونة الذي اسسه القائد حسان بن النعمان الغساني سنة (٦٩٩ م، ٨٠هـ) وكان بسيطاً ثم اعاد بناءه القائد عبيد الله بن الحجاب سنة١١٤ه الموافق ٧٣٢م ، وأتم بناءه زيادة الله الثاني، وكان بمثابة مركز الإشعاع الحضاري في المغرب العربي بشكل عام وتونس بشكل خاص ،وسمي بهذا الاسم لأنه كانت توجد في المكان نفسه زيتونة كبيرة، في حين يذكر آخرون انه كان حقلاً لأشجار الزيتون، تخرج فيه العديد من العلماء والفقهاء، وفي سنة١٩٥٦ اصدرت الحكومة التونسية قراراً بتحويل الجامع الى جامعة عصرية تشمل خمس كليات وتمنح الجامعة شهادات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه . ينظر محمد بن الخوجة ،المصدر السابق،ص٢٨٣.

[٦]- محمد مزالي ،حديث الفعل،ص ٤٧-٤٩.

فواجه منذ البداية عدة مشكلات من جانبهم لعرقلة مسيرة نشاطاته والواناً من المقاومة ،وادخلوا التنافس في اطار اخر وهو التنافس بين الزيتونيين والمدرسيين **" فأججوا نار العصبية والفتنة"**[١] ،ما دفعه ذلك ودرءاً لتطورات وخيمة الاتفاق مع زملائه بالتنازل عن الرئاسة وتسليم مفتاح المقر ودفتر الجلسات والطوابع الى هيأة القدماء في الجمعية، وتوصلوا قبل ذلك الى تكوين هيأة مؤقتة للمطالبة بموافقة قانونية حتى يتخلصوا من (اشراف القدماء)[٢] .

كانت العلاقات بين الزيتونيين والمدرسيين غير مثالية لان اصحاب المدارس(الصادقية والخلدونية والعلوية) ،رأوا انفسهم اعلى مرتبة من الزيتونيين وذلك لفرق التعليم بينهم، وتميزوا بنوع من الغرور ،لاسباب عديدة منها ان جامع الزيتونة في ذلك الوقت حافظ على التعليم القديم من حيث المتون وطرق التدريس، في حين ان اصحاب المدارس يدرسون العلوم المختلفة، فالزيتوني الذي يتقن عملية القسمة كان بمثابة علامة في عصره، فهذا امر غريب لان الزيتوني مرشح لمعرفة علم الفرائض لا غير[٣]، هذا الاختلاف في الدروس سببه تأثر كل فريق بالتعليم الذي اقبل عليه، والذي ابعده عن التعليم الاخر في مراميه ووشواغله واساليبه التربوية ، فأدى هذا التباين الى عدم الاتفاق بين الجماعتين[٤]، بينما ارجع مزالي هذا الاختلاف الى دور الادارة الاستعمارية في تشتيت صفوف الطلبة التونسيين ، والى تكوينهم تكويناً متبايناً حتى يبقوا غرباء بعضهم عن بعض، ولا يتكلموا لغة واحدة ولايشعروا شعوراً واحداً، ولا يستهدفوا غايات واحدة، فنجحت في تعليم فئة من الشباب تعليماً قديماً فعزلتها عن التيارات العصرية، وكونت فئة ثانية يكون تعليمهم فرنسياً صرفاً، وفئة ثالثة وهي الفئة الصادقية، التي تعلمت مختلف العلوم وامكنها ان تنفتح على العالم الخارجي ، لذلك فكثيراً ماكانت تنجم الخلافات بين الزيتوني والمدرسي نتيجة ذلك[٥].

سافر محمد مزالي بعد ذلك الى باريس وواصل تعليمه وغابت عنه اخبار الجمعية ، ولما عاد الى تونس خلال العطلة الصيفية في تموز ١٩٤٨ ، اعلمه رفيقه محسن البواب انه تمكن من الحصول على اجارة لتأسيس جمعية جديدة، اذ ان احد معارفه كان يعمل بالقسم الاول بالوزارة الكبرى(وهي عبارة عن وزارة داخلية حينذاك)، وبعد حصولهم على الاجازة بادروا بالدعوة الى جلسة استثنائية عقدت في دكان متواضع في حي الربط، واتفق فيها على تسمية

---

(١)- محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص١٤١.

(٢)- المصدر نفسه.

(٣) - محمد الطالبي ، المصدر السابق،ص ١٩.

(٤) - حامد الزغل ، جيل االثورة، دار سراس للنشر، تونس ، ١٩٩٩،ص ١٠٦.

(٥) - محمد مزالي،دراسات ثقافية، ص٣٠٨.

الجمعية واصبح اسمها(جمعية الطالب المنستيري)، وقد اعلن عن افتتاح الجمعية في جريدة النهضة في ٥ اب ١٩٤٩، وجاء فيه **" عقدت جمعية الشباب الادبي المنستيري جلستها العامة يوم الاحد في ١٧تموز ١٩٤٩ بناديها الجديد، ووقعت الجلسة تحت رئاسة محمد مزالي ، تغير فيها اسم الجمعية الى (جمعية الطالب المنستيري)وتتكون من محمد مزالي رئيس الجمعية،ومساعده علي حرز الله، الكاتب العام الهاشمي السعدي، ومساعده صلاح الدين الجمالي، امين المالية المحسن عباس، مساعده محمد الصالح التومي، امين المكتبة محمود بسباس"**[١].

كان ردة فعل الطلبة الزيتونيين قوية فشنوا حملة ضده ، وضد زميله محسن البواب لقيامهم بفصل الجمعية، فأججوا النعرة الزيتونية لحشد اغلبية التلاميذ ضدهم ، وعلى الرغم من ذلك كان لهذا التنافس والخلاف الكثير من الاعمال الايجابية وهي التسابق من اجل خدمة البلاد ومن مظاهر هذا التنافس ظهور العديد من الجرائد السرية للسخرية بعضهم من بعض حتى الهجاء ،من بينها "الدفازة" التي اسسها الطالب الزيتوني علي بلحاج يوسف تحت اسم مستعار :وهو "ابن جلا وطلاع الثنايا"[٢] .

اسهم هذا النشاط اسهاماً كبيراً في تكوينه الاجتماعي، وعلى الرغم من بعض الصعوبات التي واجهها، واهمها الحصول على بعض الموارد المادية او الظفر بأي مساعدة مالية لتمويل اعمال الجمعية، حقق بعض ماطمح اليه وعبر عن ذلك فيما بعد بقوله: **"كنا نحقق ما نريد، وهكذا اصبحنا من هذا الوجه كباراً راشدين او على الاقل نتصرف كذلك"**[٣].

على الرغم من انغماسه في نشاطات الجمعية فإن ذلك لم ينسه الحياة السياسية ولا دروس الحبيب ابو رقيبة تجسد ذلك في قوله**" فكنت لا انفك اصغي لما يحدث بالبلاد "** فكان خلال العطل الجامعية ينتهز الكثير من الفرص لايجاد اتصالات مباشرة من الشعبة الدستورية بالمنستير، ويقضي الساعات الطويلة في دكان ابن خاله الشاذلي غديرة، كاتب الشعبة العام انذاك مستمعاً تارة الى حديث الاعضاء واخرى متناقشاً معهم[٤].

بدأ كتاباته الاولى وهو في الجامعة، من خلال كتابة المحاضرات ونشر مقالات في الصحف، اذ كانت النشاطات السياسية والاجتماعية والثقافية تستأثر بالكثير من اوقاته، ومن النشاطات التي قام بها قيامه بأعداد محاضرات اجتماعية، منها محاضرتان الاولى بتاريخ ١٠

---

[١] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة،ص ١٤٠ .

[٢] - المصدر نفسه.

[٣]- محمد مزالي ،حديث الفعل،ص ٤٧.

[٤]-المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

ايلـول ١٩٤٩ بعنـوان (**تعلـيم الفتـاة التونسـية المسـلمة**) دعـا فيهـا الابـاء الـى تسـجيل بنـاتهم بالمدرسـة[١]،بـين فيهـا ان الاسـلام لا يقـاوم تحريـر المـراة، ومـن بـاب اولـى لا يعـارض تربيتهـا واكـد رايـه قـائلاً: **" ان التنـاقض حـول الحجـاب عقـيم، بـل علينـا ان نقتنـع قبـل كـل شـيء بـأن تطـور المـراة ضـرورة لا مفـر منهـا، وان الطريـق الاقـوم لتحقيقهـا هـو تعلـيم المـرأة ، وتطورهـا ضـرورة حتميـة يفرضـها المنطـق لان الله لـم يخلـق المـراة لتأكـل وتشـرب وتنـام بـل منحهـا عقـلاً تفكـر ولسـاناً لتعبـر وحواسـاً لتـدرك وتميـز ،وان تطـور المـراة ضـرورة حتميـة بحكـم الشـريعة الاسـلامية فبموجـب تعـاليم الاسـلام الظـاهرة وضـعت فـرائض الـدين علـى حـد سـواء علـى كاهـل الرجـال والنسـاء"** [٢] ، وتوصـل فـي خاتمـة محاضـرته الـى اقتناعـات بـأن التعلـيم والتربيـة طريـق واحـد فـلا تقـدم ولا نمـو مـا دامـت المـراة تعـاني الجهـل ،وان المـراة التونسـية اذا مـا تعلمـت علـى قواعـد سـليمة صحيحة امكنها ان تقوم بدور ايجابي في مجتمعها [٣] .

امـا المحاضـرة الثانيـة فقـد القاهـا فـي ٣٠ ايلـول ١٩٤٩ وعنوانهـا (**حقيقـة يجـب معرفتهـا**) مثلـت تحـدً صـريح قصـد منـه التنديـد بالطريقـة الفرنسـية فـي كتابـة التـاريخ ، فهـو الـى جانـب دراسـته الفلسـفة حضـر محاضـرات المـؤرخ رينوفـان (Renovin) فـي كليـة الاداب ، وتـابع دروس التـاريخ مـن بـاب الهوايـة ، فـإذا بـه دخـل يومـاً الـى محاضـرة حـول العلاقـات الدبلوماسـية بـين فرنسـا ودول اوربـا الكبـرى مـن عـام ١٨٧١– ١٨٨١، وصـادف الـدرس يومهـا حـول المجهـود السياسـي والدبلوماسـي الـذي قامـت بـه فرنسـا لتـأمين نجاحهـا فـي احـتلال الـبلاد التونسـية ، وفـرض الحمايـة علـى محمـد الصـادق بـاي[٤] فـي ١٢ ايـار ١٨٨١، فقـد اوضـح لهـم أن احـتلال تـونس اتفـق عليـه مسـبقا بـين بريطانيـا وفرنسـا وايطاليـا[٥] ولـيس كمـا ذكـر لهـم أن فرنسـا اضـطرت الـى التوغـل فيهـا،

---

[١] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، ص ١٤١ .

[٢] - محمد مزالي ، دراسات ثقافية ، ص ٣٣ .

[٣] – المصدر نفسه .

[٤]- محمد الصادق باي١٨١٣-١٨٨٢: محمد الصادق بن الحسين بن محمود باي ولد في ٧ شباط ١٨١٣ ،وهو الباي الثاني عشر من حكام الاسرة الحسينية ،التي حكمت تونس منذ سنة١٧٠٢- ١٩٥٧ ، تلقى كاسلافه تربية تقليدية ، فتعلم الكتابة حتى سهلت عليه فتقدم على اهل بيته ، اعتلى العرش سنة ١٨٥٩ واستمر حكمه ٢٢ عاماً =وكانت مدة حكمه حاسمة في تاريخ تونس اذ فرض في اثنائها الحماية على تونس سنة ١٨٨١، ادخلت في عهده العديد من الاصلاحات المهمة، غير ان هذه الاصلاحات لم تنقذ البلاد من الازمة الاقتصادية الحادة التي حصلت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر،وفي سنة ١٨٦٩ اعلن عن افلاس الدولة الحسينية واسند التصرف في المالية التونسية الى لجنة دولية تتكون من فرنسيين وبريطانيين وايطاليين،وهو مايعرف بالقومسيون المالي ، توفي في ٢٨ تشرين الاول ١٨٨٢ . ينظر نور الدين الدقي واخرون، تنظيم الحكم بتونس في مدة الحماية الفرنسية ١٨٨١-١٩٥٧،المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس،١٩٩٨،ص١٨٣؛ انمار لطيف جاسم، تونس في عهد الباي محمد الصادق (١٨٥٩- ١٨٨٢) رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات ، بغداد ، ٢٠١٣ ،ص ١٣ .

[٥]- في اثناء مؤتمر برلين الذي عقد سنة١٨٧٨بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا ،وافقت بريطانيا على السماح لفرنسا بالسيطرة على تونس مقابل اطلاق يدها في قبرص،ولم يكن حينها لفرنسا عذر للتدخل في تونس غير ان الفرصة واتتها

فاستفاد كثيراً من هذه المحاضرة ،ذلك ان اساتذته في المدرسة الصادقية اكدوا لهم بأن فرنسا اضطرت الى التوغل في تونس ،لحماية الجزائر من هجمات قبائل خمير الموجودة على الحدود، لذا عمد الى القاء ما عرفه من معلومات على الشباب التونسي وعبر عن ذلك بقوله: **"وما كان لي ان احتفظ لنفسي بمعلومات نفيسة كهذه، فأخذت بها لأعّرف بها شباب تونس في اول فرصة سانحة"** [١].

فضلاً عن ذلك، حضر محاضرات الاعلام من بينهم علي البلهوان ، والفاضل بن عاشور وعثمان الكعاك ، كما قام بصفته رئيساً للجمعية بدعوة عدد من الشخصيات التونسية المعروفة لالقاء محاضرات منها محاضرة عنوانها معنى الوثبة[٢] .

وبذلك بدأ نشاطه السياسي والثقافي والتزامه في خدمة وطنه في العشرين من عمره في سن كان فيه اقرانه يتمتعون بالحياة في حين هو سعيداً ومقتنعاً بان الحياة معنى ورسالةً، وهذا ما اكده كل من صديقه البشير بن سلامه [٣]، وصلاح الدين بن حميدة،الذين اكدوا ان الكثير من شباب الجيل سمعوا عن الحركة الوطنية ،غير انهم لم يميزوا الكثير عنها ،والذي ساعدهم على ادراك الاحداث ونقل اخبار الحزب الحر الدستوري هو محمد مزالي الذي كبرهم ببضع سنوات[٤].

عندما قامت مجموعة من قبائل خمير وعددهم ٤٠٠ بعبور الحدود والتوجه الى الجزائر لمساندتهم في مقاومة الفرنسيين للمزيد ينظر

-Harold D. Nelson, Tunisia: A Country Study, Library of Congress Cataloging in Publication Data, Research completed January 1986,pp30-35.

(١) - محمد مزالي ، دراسات ثقافية،ص١٣ .

(٢) - محمد مزالي،نصيبي من الحقيقة،ص٤٢.

(٣) -البشير بن سلامة : ولد في ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٣١،ببارد من ضواحي العاصمة التونسية، زاول تعلمه في المدرسة الصادقية ثم بدار المعلمين العليا، وفيها تخرج حاصلاً على شهادة في اللغة والاداب العربية ، بعد تدريسه عدة سنوات اللغة والاداب العربية، اضطلع بالعديد من المسؤوليات السياسية،منها رئيس ديوان المدير العام للاذاعة والتلفزة، عضو في مجلس النواب، عضو في الديوان السياسي في الحزب الاشتراكي الدستوري، اسهم في النشاط التربوي والبرلماني والسياسي اشرف على رئاسة تحرير (مجلة الفكر) لمدة ٣١ سنة، من مؤسسي اتحاد الكتاب التونسيين وله اهتمام كبير بالقطاع الثقافي ، عين وزيراً للشؤون الثقافية في حكومة محمد مزالي (١٩٨٠-١٩٨٦) وله العديد من المؤلفات . ينظر عبد السلام المسدي، المصدر السابق،ص٦٥؛ www.bechirbenslama.com.

(٤) -مجلة التضامن ،(باريس)، العدد ١٤٣، ٥كانون الثاني١٩٨٦ ، ص٤٠ .

ب- نشاطه السياسي والثقافي في فرنسا

عندما وصل محمد مزالي الى باريس سنة ١٩٤٧ ،فمن الطبيعي ان ينتمي الى صفوف جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين (AEmna)[١] ،والتي وصفت منذ ظهورها سنة ١٩٢٧، اهم جمعية طلابية توجه اليها عموم الطلبة المسلمين الدارسين بفرنسا[٢]،والملاحظ على هذه الجمعية انها تبدو كأنها جمعية تونسية، فالطلبة التونسيون هم اصحاب المبادرة بتأسيسها، فضلا عن ثقلهم العددي وجهودهم السياسية فيها[٣].

واظب مزالي على حضور اجتماع الجمعية ، بشارع سان ميشال والتقى بزملاء من الجزائر والمغرب وتونس لتنسيق المواقف فيما تعلق بالكفاح التحريري الذي خاضته بلدانهم، وعمل مع اعضاء الجمعية على تنمية فكرة المغرب العربي، ومحاولة تحقيقها اوتطبيقها في الواقع، وفي صلب هذه الرابطة عرف عدداً من الزملاء المغاربة فضلاً عن عدد من الطلبة الجزائريين الذين ادوا دور مهم فيما بعد في الكفاح من اجل استقلال بلدانهم ، وكان من بين الطلبة الذين استمعوا الى المحاضرات التي القتها شخصيات مغاربية في باريس مثل مصالي الحاج [٤]،او المناضل الجزائري فرحات عباس[٥]،الذين لهم دور كبير في نمو وعيه السياسي

---

[١] - تأسست في ايلول ١٩٢٧ في باريس على يد طلبة تونسيين وجزائريون ومغاربة ، واضيف اليها نعت (المسلمين) بقصد حصر العضوية في ابناء الشعوب الاصلية في البلدان المعنية، دون غيرهم من الطلاب الذين يأتون من هذه البلدان،و استعمل هذا النعت ايضا ابعاداً للفرنسيين الذين لهم جمعياتهم الخاصة وكانوا يتمتعون بحقوق وامتيازات خاصة، وغرض الجمعية هو سد حاجة طلبة شمال افريقيا المسلمون في ذلك العهد والذين يدرسون في باريس ، فعلى الرغم من عددهم الكبير يجهلون بعضهم بعضاً ولا يجمع الواحد منهم بالاخر سوى الصداقة ،فهدفت الى توثيق روابط الصداقة والتضامن بين اعضائها،وتأسيس نادً ومجلة وتنظيم اجتماعات دورية ، وتشجيع مواطني المغرب العربي ايضاً على القدوم من اجل متابعة دراساتهم الجامعية بفرنسا وكذلك تسهيل مقامهم من خلال المنح وتوفير دار للطلبة ، وفي الوقت نفسه كانت الجمعية تعمل لنشر الثقافة العربية والتعريف بالتاريخ الوطني . ينظر محمد العربي المساري،جمعية طلبة شمال افريقيا، مجلة الشرق الاوسط، العدد ١١٢٦٤،ايلول ٢٠٠٩؛ امحمد مالكي،المصدر السابق،ص ٢٩٩.

[٢]-ينظر ملحق رقم(٤) .عادل يوسف،المصدر السابق،ص١٧٢.

[٣]- محمد ضيف اللة ،المدرج والكرسي بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينيات والسبعينيات،تقديم حسن رؤوف حمزة،مكتبة علاء الدين ،صفاقس،٢٠٠٣،ص١١١.

[٤] - مصالي الحاج(١٩٨٩-١٩٧٤): ولد سنة١٨٩٨ في مدينة تلمسان في الجزائر ،انضم الى الجيش الفرنسي سنة ١٩١٨ ،وشارك في الحرب العالمية الاولى وبعد انتهائها عاد الى الجزائر سنة ١٩٢١ ، سافرالى فرنسا لاكمال دراسته في معهد الدراسات الشرقية ،وكان الى جانب دراسته يعمل عاملاً، وفي سنة١٩٢٧ قام بتأسيس حزب نجم شمال افريقيا ،وفي سنة١٩٣٧ اسس حزب الشعب ، وهو من الزعماء الوطنيين الجزائريين الذين كان لهم دور في بلدهم الجزائر ،اعتقلته السلطات الفرنسية ١٩٤١ واطلق سراحه في سنة ١٩٤٦ وفي السنة نفسها اسس حركة انتصار الحريات الديمقراطية ،توفي سنة ١٩٧٤ بفرنسا . ينظر محمد يوسف نحلة ، تطور الحركة الوطنية في تونس ١٨٨١-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية ،الجامعة المستنصرية،بغداد ١٩٨١، ص١١٢.

[٥] - فرحات عباس(١٨٩٩-١٩٨٥) : ولد في الجزائر في ٢٤ اب ١٨٩٩ سياسي حزائري ينحدر من اسرة متوسطة الحال، زاول تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه ، وواصل تعليمه الثانوي في مدينة سكيكدة ،بعدها اكمل تعليمه الجامعي في كلية الصيدلة في الجزائر العاصمة ، التحق بالخدمة العسكرية ١٩٢١ ، وفي سنة ١٩٢٧ ترأس جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين في الجزائر، اول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة من ١٩٥٨ الى ١٩٦١ ،ثم انتخب رئيساً للمجلس الوطني التشريعي بعد الاستقلال توفي سنة ١٩٨٥ ، كان من اكبر مناصري الاندماج في فرنسا. ينظر عز الدين معزة، فرحات

تجاه بلده، وشاركً ضمن الجامعة الدستورية[١] لطلبة تونس بفرنسا ايضا التي دامت الاجتماعات فيها طويلاً ولم تخلوا من الحيوية والحماس وتمثلت اهدافهم نحو استقلال بلادهم وبناء دولة عصرية، وفي بداية كل عام ادى الطلبة التونسيين القسم للوطن وللحزب الحر الدستوري الجديد، وفي اثناء ذلك انتخب مرتين نائباً لرئيس الجامعة الطيب المهيري[٢]، ومن الاعمال التي اسندت اليه في اثناء وجوده في الجامعة الدستورية قيامه بترويج جريدتي الحزب والحرية باللغة العربية والرسالة باللغة الفرنسية ،وعقدت اجتماعات الجامعة في مقهى لامسكوت مقابل حديقة اللوكسمبور، وانضم اليهم عدد من الطلبة الفرنسيين التحرريين تربطهم بهم علاقات صداقة وقد تعاطفوا مع مطاليبهم الوطنية[٣].

في عام ١٩٥٠ حدثت ازمة في الجامعة الدستورية ، اذ قرر الديوان السياسي في الحزب الحر الدستوري خلال اجتماعه المنعقد يوم ١٨ اذار طرد العضو سليمان بن سليمان[٤] المعروف بمواقفه الوطنية من صفوف الحزب الدستوري بسبب اتهامه بترويج الأفكار الشيوعية[٥] ، فحدث انقسام داخل الجامعة الدستورية بين مؤيد للقرار وبين معارض فأقدم عدد من الطلبة على تقديم لائحة احتجاج طالبوا الحزب بالتراجع عن القرار، غير ان محمد مزالي

عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال ١٨٨٩- ١٩٨٥ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة منشورى قسنطينة ، الجزائر.

(١) - كانت هذه الجامعة الوسيط بين الشعب الدستورية وبين الديوان السياسي ،ومهمتها تنظيم اعمال الشعب الحزبية، ورفع تقارير الى الديوان السياسي عن اعمال الشعب في مناطقها ، ويشترط في قائد الشعبة الدستورية ان يكون قد مضى على عضويته في الحزب ثلاثة سنوات . قاسم زغيركاظم ، الحزب الحر الدستوري الجديد ودوره السياسي في تونس بين عامي ١٩٣٤-١٩٥٦،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ،جامعة البصرة،١٩٨٤،ص ٧٧ .

(٢)- الطيب المهيري (١٩٢٤-١٩٦٥):ولد سنة ١٩٢٤في مدينة المرسي ،اكمل دراسته الابتدائية فيها، بعد ذلك انتقل الى المدرسة الصادقية لاكمال دراسته الثانوية، بعدها سافر الى فرنسا لاتمام دراسة الحقوق ليصبح محاميا، بدأ نشاطه السياسي بشعبة المرسي سنة ١٩٣٨ ،وانخرط وجماعة جريدة الهلال السرية الى ان برز بوضوح لدى اعتقال بورقيبة في ١٨ كانون الثاني ١٩٥٢، فقاد الحركة الوطنية بعد اعتقال اغلب زعمائها،بعد الاستقلال اضطلع بإدارة الحزب واصبح وزيراً للداخلية وعضواً بالديوان السياسي الى ان توفي بالسكتة القلبية سنة ١٩٦٥ . ينظر شهادات جديدة عن بناة الدولة التونسية ، سيمنارات الذاكرة الوطنية،ج١٢، منشورات مؤسسة التميمي ، تونس٢٠٠١، ص ١٢٥-١٤٤.

(٣)- رسالة من السيدالبشير بن سلامة بتاريخ ١٣اب ٢٠١٤؛ محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ص ١٥٤ .

(٤) -سليمان بن سليمان(١٩٠٥-١٩٨٦): ولد بمدينة زغوان سنة ١٩٠٥، درس بالمدرسة الصادقية وقد دخلها ١٩١٩وتخرج فيها ١٩٢٥،، ثم ارتحل إلى فرنسا ودرس الطب وأتم بها دراسته العليا،والى جانب دراسته نشط في صلب جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين، بعد انعقاد مؤتمر نهج التريبونال سنة ١٩٣٧، انتخب عضواً في الديوان السياسي في الحزب الجديد، سجن بعد أحداث سنة ١٩٣٨ وبقي إلى سنة ١٩٤٣، كان له نشاط سياسي مكثف في الداخل والخارج، توفي سنة ١٩٨٦ .ينظر عن حمادي سلمان حمادي،الموقف المصري من الحركة الوطنية التونسية١٩٤٥-١٩٥٦،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الكلية الاداب ،جامعة الانبار ،٢٠١٣،ص٢٥.

(٥) - قرر الديوان السياسي التابع للحزب الحر الدستوري في اجتماعه الذي عقد في ١٨اذار ١٩٥٠ اقصاء سليمان بن سليمان عن الحزب بسبب مواقفه داخل لجنة الدفاع عن السلم الموالية للحزب الشيوعي ،وهو العنصر التقدمي الوحيد في الحزب، وكان هذا مخالف لما كان يعتقد بهم مزالي بأن الحزب هو تجمع يشمل كل ابناء الوطن مهما كانت اتجاهاتهم الاجتماعية،وعلى الرغم من ذلك فانه لم يكن من الموقعين على لائحة الاحتجاج لانه كان يرى انه من غير اللائق توجيه رسالة جماعية الى الديوان السياسي.للمزيد ينظر الى حامد الزغل، المصدر السابق،ص٣٦٥-٣٦٦ .

لـم يكـن مـن هـولاء اذ رأى ان هـذه المسـألة ليسـت مـن شـأنهم وانمـا مـن شـأن الحـزب معلقـاً علـى ذلـك فيمـا بعـد بقولـه: **"رغـم مـا اكنـه مـن احتـرام لشـخص سـليمان بـن سـليمان لـم اكـن ضـمن المـوقعين علـى لائحـة الاحتجـاج ،منضـماً الـى الاغلبيـة التـي تزعمهـا المناضـل الطيـب المهيـري مبينـاً ان مسـألة الاحتجـاج يجـب احالتهـا الـى مـؤتمر الحـزب القـادم فكنـت مـن ذلـك الوقـت منضـبطاً "**[1]. ويبـدو ان مزالـي اختـار مـن هـذه اللحظـة التأييـد الكامـل للحـزب، وفيمـا بعـد التأييـد للحكومـة فـي كثيـر مـن القضـايا،وفي بعـض الاحـداث اتخـذ مزالـي اسـلوب الحيـاد،ويمكن ان يكـون حيـاد سـلبي اتجـاه الكثيـر مـن الازمـات، فكـان المفتـرض منـه ان يسـلك مسـلك اخـر لاثبـات وجـوده ، وليكون من ضمن الصف الاول بالحزب الحر الدستوري الجديد ،ويصبح دوره مؤثر .

وهكـذا نجـد ان العلاقـة مـا بـين الثقافـة والسياسـة كانـت وثيقـة الصـلة فـي تـونس، فكثيـر مـن النشـاطات الثقافيـة والادبيـة حملـت فـي طياتهـا دوافـع سياسـية لخدمـة البلـد وتوعيـة الشـعب ، فـاحس محمـد مزالـي بالمسـؤولية الملقـاة علـى عاتقـه لـذا نجـده لـم يتـوانى عـن أداء دوره تجـاه بلـده علـى الرغم من بساطته، دفعه في ذلك شعور وطني بحب الوطن والعمل من اجل تحريره .

[1]- محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص ١٥٤-١٥٦ .

الفصل الثاني

الانشطة الثقافية والسياسية لمحمد مزالي ١٩٥٠ـ ١٩٦٨

اولا: نشاطه بعد عودته الى تونس ١٩٥٠ـ ١٩٥٦.

١ـ عملهُ في التدريس.

٢ـنشاطه في الحزب الحر الدستوري الجديد

٣ـتأسيسه لمجلة الـفكر١٩٥٥.

ثانياً:ـ دور محمد مزالي بعد الاستقلال ١٩٥٦ـ ١٩٦٨.

١ـ توليه ديوان وزارة التربية ١٩٥٦ـ١٩٥٨.

٢ـ توليه ادارة الشباب والرياضة ١٩٥٩ـ١٩٦٤.

٣ـ توليه مهام ادارة الاذاعة والتلفزة١٩٦٤ـ ١٩٦٨.

اولا: نشاطه في تونس بعد عودته من باريس ١٩٥٠-١٩٥٦

١-عملهُ في التدريس

بعد مضي ثلاث سنوات على وجود محمد مزالي في باريس حصل في اثنائها على شهادة (ليسانس) في الفلسفة من باريس سنة١٩٥٠[١]، متعجلاً في ذلك لظروفه المادية الصعبة، فضلاً عن انه لم يعد بوسعه ترك والدته وحيدة اكثر من ذلك، لاسيما بعد زواج شقيقته[٢].

بعد انهاء دراسته وزواجه من فتحية مختار سنة ١٩٥٠، عاد الى تونس وعند عودته قدم اوراقه للتعيين في المدرسة الصادقية كأستاذ للفلسفة ١٩٥١[٣]، غير ان ادارة التعليم العمومي، وافقت على تعيينه مدرساً لتدريس اللغة والآداب العربية للصفين الاول والثاني من التعليم الثانوي لا الفلسفة، ذلك ان تدريس الفلسفة كان في وقتها حكراً على الفرنسيين من دون غيرهم[٤]، لان الادارة الفرنسية منعت سائر التونسيين المجازين في الفلسفة من تدريس درس الفلسفة، ولا يحق لهم سوى تدريس الفلسفة الاسلامية او اللغة العربية، اذا كانوا حاصلين على دبلوم المدرسة الصادقية او على شهادة جامعية في اللغة والآداب العربية من كليات فرنسا تؤهلهم لذلك ، لان (الادارة الاستعمارية)، رأت ان مادة الفلسفة اذا درسها اساتذة تونسيون ، سيمكنهم ذلك من طرق مواضيع تضر مصلحة الادارة الفرنسية وخطرة على وجودهم، لذا كانت مادة الفلسفة غير مدرجة في برنامج الباكالوريا ، وحصتها لا تزيد على ساعتين في الاسبوع ، فضلا عن انها مادة اختيارية يدخلها الطلبة بحسب رغبتهم، [٥] ، وبعد قيام مزالي مراسلة المسؤولين في ادارة التعليم مبيناً لهم بأن اختصاصه هو الفلسفة، اكتفت الادارة بتكليفه بالقاء دروس في الفلسفة العربية الاسلامية وبمعدل ساعتين في الاسبوع في كل من المدرسة الصادقية وجامع الزيتونة [٦] .

مارس مهنته بكثير من الحب والاخلاص، اذ كان مولعاً بالتربية والتعليم مبيناً ذلك بقوله:**"اذ كان دأبي دائماً ان اضبط بمزيد من الاجلال والحفاوة كل من يضطلع بهذه الرسالة المقدسة "** [٧] .

---

[١] -مجلة المصور، (القاهرة) ، العدد ٣١٥٦، ٥نيسان ١٩٨٥.

[٢] - رسالة من البشير بن سلامة الى الباحثة، في ١١اذار ٢٠١٤عبر البريد الالكتروني.

[٣] - المصدر نفسه.

[4]-Mohamed Mzali , Op.Cit, p105 .

[٥]-البشير بن سلامة ، عابرة هي الايام (سيرة ذاتية)، ج ٢، كتاب بصدد النشر .ينظر الملحق رقم (٤).

[٦]- محمد مزالي ، حديث الفعل،ص ١٠٠ .

[٧] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص ١٦٣.

باشر تدريس الفلسفة العربية الاسلامية، وعمد الى سد النقص الذي عانته مادة الفلسفة في تونس، التي قام بتدريسها المدرسون الفرنسيون، فقام بإعداد الوثائق والمستندات اللازمة لتعريف الطلبة بالفلسفة الاسلامية وشرحها بشكل يستطيع معه سد النقص واقناع الطلبة بذلك [١].

في أثناء دراسته للفلسفة في باريس شاهد ان الفرنسيين عند تدريسهم لمادة الفلسفة،انتقلوا من دراسة الفلسفة اليونانية الى دراسة الفلسفة في القرون الوسطى مباشرة من دون التطرق الى الفلسفة والحضارة الاسلامية ،اذ ذكر قائلاً: **" فقد كانوا في السوربون عند دراسة تاريخ الفلسفة ينتقلون مباشرة من دراسة الفلسفة اليونانية الى القرون الوسطى دون أي رابط للصلة بين العهدين على الرغم من الفرق الشاسع بينهما فبقيت قرون الفلسفة والحضارة الاسلامية مسكوتاً عنها مع العلم انها جزء لا يتجزأ من التاريخ العام للفلسفة "**[٢]، فباشر تدريسه بكثير من الدقة والوضوح من خلال التأني والملاحظة في كل موطن ،والالتزام في التعبير وبذل جهداً في ربط الموضوع، واجتهد كذلك في ان لا يقيم فاصلاً بين التعليم والتربية فرأى ان مهنة التعليم تقتضي من المعلم نوعاً من الزهد ،وتفانياً مطلقاً لنجاح رسالته حتى يكون التعليم تربية مزدوجة وشاملة[٣]، فسعى الى جعل الدرس معملاً لكل من المعلم والتلاميذ من خلال تعليمهم، وافهامهم المبادئ اللازمة والضرورية لحب الوطن والاخلاص له ،ومقاومة الذل والانهزام، في حين اجتهد عدد من رجال التعليم الفرنسيين لابعاد التلاميذ عن التزامهم بالنضال التحرري، موضحين لهم أن العصر عصر العالمية لا الانصات الى "اوهام" الوطنية التي تجاوزها الزمان، بينما حرص مزالي على معارضة هذه النظرية بطريقة موضوعية والاعتماد على الحجج والادلة ، نتيجة ذلك لم يوافق مدير المدرسة على هذا السعي الوطني، فكان لايتردد في الدخول الى دروس مزالي ليتحقق من طريقة شرحه لدروسه[٤].

عند ممارسته لمهنة التعليم حدثت بعض الاحداث التي كان له فيها دور، وهي مشاركته بتقديم المساعدة لمؤازرة الكثير من الطلبة، فقد قام بدور مهم في اثناء قيام بعض الطلبة من مدرسة (خزندار) [٥] في اذار ١٩٥٢ بالإضراب ، اذ انه في ١ تشرين الأول ١٩٥١ سافر وفد

---

(2)-Mohamed Mzali, Op.Cit, p106 .

[٢]- محمد مزالي ، حديث الفعل، ص١٠٠ .

[٣]- محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص ١٦٤ .

[٤] - محمد مزالي ، مواقف، ط٢ ، الشركة التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤، ص٢٢ .

[٥]- هي فرع من المدرسة الصادقية افتتحت سنة ١٩٥١ في مدينة باردو ، ثم نقل اليها الطلبة المقيمون وانصاف المقيمين جميعاً، والطلبة الخارجيون الساكنون بالضواحي الغربية،وبقي هذا القسم متصلاً اداريا بالمدرسة الصادقية بالعاصمة. ينظر مختار العياشي ، المصدر السابق ، ص٢٤٥.

من الحكومة التونسية الى باريس، لتقديم مطالبهم الى وزير الخارجية الفرنسي على شكل مذكرة، من اهمها المطالبة بمنح البلاد الاستقلال الداخلي[١]، وفي ١٥ كانون الاول ١٩٥١ ارسلت الحكومة الفرنسية مذكرة رفضت فيها المطالب التونسية وأكدت فيها ربط مصير تونس بفرنسا، وعلى عزم فرنسا على إبقاء نظام الحماية قائماً من دون المساس به، وتضمنت الإشادة بدور فرنسا في تونس على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والإداري، واعطاء الفرنسيين المقيمين في تونس الحق الشرعي بضرورة المشاركة في ادارة البلاد التونسية[٢]، فكانت مذكرة ١٥ كانون الأول ١٩٥١ حداً فاصلاً ، اثبتت لأنصار التفاهم مع فرنسا انه لا جدوى من اتباع الطرق الدبلوماسية [٣]، وهكذا رفضت هذه المذكرة المطالب التونسية ، وقد عدها الرأي العام التونسي بمثابة اهانة لهم ، ما اثار استياء الأوساط الوطنية في تونس كافة الذين تيقنوا من فشل الخطاب السياسي الذي كان يطرح إمكانية تحقيق استقلال البلاد بالطرق السلمية، وتسارعت الأحداث لتعلن بداية أزمة بين تونس وفرنسا[٤] ، فبادر بورقيبة بالرد على المذكرة في ١٦ كانون الثاني ١٩٥٢ وهو في فرنسا واعلن رفضه لها، لانها تأكيد للسيادة المزدوجة ، وان هذا من شأنه احداث ازمة جديدة لايمكن تفاديها، ورفضها الوطنيون ورفضها الشعب، وأعلن استعداده لتقديم ما يلزم من تضحيات لتحقيق حريته واستقلاله، فأجتمعت المنظمات القومية وأعلنت الاحتجاج عليها بمختلف الصور مستخدمة التظاهرات والإضرابات ووسائل النضال السلمي جميعها [٥] .

ردت السلطات الفرنسية بأعتقال بورقيبة وعدد من زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد في ١٨كانون الثاني ١٩٥٢، لذا عمت البلاد موجة من الاضطرابات، فأقدمت السلطات الفرنسية بالاتفاق مع محمد الامين الباي على تشكيل وزارة تأخذ على عاتقها تهدئة الامور في البلاد، فشكلت وزارة صلاح الدين البكوش في اذار ١٩٥٢،غير ان هذه الوزارة بينت فشلها منذ الايام الاولى ، وذلك من خلال الموافقة على الاصلاحات التي تقدم بها المقيم العام الفرنسي جون دي هوتكلوك(JeandeHautecloque)،ورفضها الشعب، لانها لا تمثل رغباته، فسادت

---

[١] -لؤي بحري ، تطور الحركة الوطنية التونسية منذ الحماية حتى الاستقلال ، مراجعة عبد المجيد العلوجي ، شركة دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٥ ، ص١١١ .

[٢]-احمد إسماعيل راشد ،تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر،دار النهضة العربية،بيروت،٢٠٠٤،ص١١٢.

[٣]- صلاح العقاد ، المغرب العربي(الجزائر-تونس-المغرب الاقصى) ، ط٢، مكتبة الانكلو مصرية ، القاهره ، ١٩٦٦ ، ص٣٧٦ .

[٤] - حمادي سلمان حمادي الفلاحي، المصدر السابق، ص ١٠٨.

[٥]- صحيفة لواء الحرية (تونس)، العدد٣٩، في٢٣كانون الأول١٩٥١.

البلاد موجة من الغليان، وعمت الاضرابات[١]، وشارك طلبة المعاهد في هذه المظاهرات والاضرابات، والبعض منهم عمل كرسل الحزب للناس، يحرضونهم على غلق المتاجر، أو يخطبون في المساجد إثر صلاة الجمعة لحث المصلين على التظاهر في الشوارع[٢] ، وعمت الإضرابات المدارس الثانوية، فكان الطلبة إما مضربين عن الدروس أو ممسكين عن الطعام، أو متجمهرين في ساحات المعاهد، أو متظاهرين في الشوارع، ما عرضّهم إلى الطرد من المدارس والمعاهد حتى شملت أعداداً كبيرة منهم بلغت (٣٢٢) طالباً[٣]،وشكلوا العديد من الخلايا المختصة والقيام بالعديد من الاعمال التي ادت الى قطع الاسلاك الهاتفية وتدمير المنشآت العمومية[٤].

وكان طلبة مدرسة خزندار من المشاركين في الاضرابات، ما حدا بمدير المدرسة الى طرد عدد كبير منهم تجاوز المائتين في الساعة الخامسة مساءٍ في اذار ١٩٥٢، وخضعت العاصمة حينها لنظام منع التجول[٥]، لذا وقف محمد مزالي بتكليف من الديوان السياسي[٦] في حزب الحر الدستوري الجديد الى جانب المضربين في اثناء الثورة والمطرودين من مبيت المدرسة، ليجد لهم حلا حتى لا يبقوا في الشارع عرضة لاطلاق النار، فقام بجمع الطلبة المطرودين كلهم ، واعطي عدد منهم ما يمكنهم من شراء تذاكر للعودة الى مدنهم قبل الساعة الثامنة مساءً، اما من تبقى منهم فقد استطاع ايواءهم في منازل اقربائه ومنازل الجيران[٧] ،وفي اثناء ذلك القى استاذ الفلسفة الفرنسي ستيف (Esteve) في يوم الاضراب نفسه بيان ،الذي قضى ساعة كاملة لأقناع تلاميذه في مدرسة خزندار قائلا: **" مقاومتكم شوفينية لا مستقبل لها، وأن اضراب الجوع الذي قمتم به لا معنى له، لاسيما ان القضية التونسية معروضة في مجلس الامن وان هذا الاضراب عبث في عبث، وأن الكفاح ذا الصبغة القومية تجاوزته**

---

[١]- محمد يوسف نحلة ، المصدر السابق،ص ١٧٠؛ رشاد الخرباشي ، المصدر السابق ، ص٥٥ .

[٢]-حامد الزغل، مساهمة اتحاد الطلبة في المعركة الحاسمة، مجلة روافد، العدد (٧)، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس ،٢٠٠٢ ، ص ١٠.

[٣]- حمادي سلمان حمادي الفلاحي، المصدر السابق، ص ١١٢.

[٤]- رشاد الخرباشي، المصدر السابق ، ص٥٥ .

[٥] - المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي،ص ١٤٩.

[٦] - الديوان السياسي: وهو هيأة الحزب العليا والمنفذة لقراراته ، ويتحمل مسؤولية إعمال الحزب جميعها ومسؤولية تسيير اعماله ، وبيده امور التمويل، يتكون من رئيس وكاتب عام ومعاون له وأمين مال ومعاون له، يجتمع هذا الديوان للنظر في شؤون الحزب وحاجاته، ويجتمع مرتين في الاسبوع، او كلما دعت الحاجة لاجتماعه ويتألف من عشرة أعضاء. للمزيد ينظر على البهلوان، المصدر السابق ،ص٧٧.

[٧]-البشير بن سلامة ، عابرة هي الايام (سيرة ذاتية)، ج ٢، كتاب قيد النشر .

الاحداث وان المستقبل للاممية"[١]، لذا قام مزالي بتخصيص جزء من دروسه للرد عليه، فكان على نقيض رأيه اذ اكد على **"ان الوطنية بما تقتضيه من اصالة والتمسك بمقومات القوم هي السبيل الوحيد للاممية الحق"** [٢] .

لم تقتصر جهوده في التدريس بالمدرسة الصادقية فقط، وانما استمر على النهج نفسه في المدرسة العلوية[٣]، بعد انتقاله اليها في تشرين الاول ١٩٥٢، وكان نقله الى المدرسة العلوية بمثابة عقوبة وجهت اليه، وذلك للعلاقة السيئة بينه وبين مدير مدرسة الصادقية، اذ كان مزالي دائم الاعتراض على قرارات المدير حرصاً منه على الطلبة وحمايتهم من الطرد، فتمكن مدير مدرسة الصادقية من الحصول على موافقة نقله، وتوقع مزالي بتأزم وضعه اكثر في المدرسة العلوية، لا سيما وان مديرها فرنسياً ومعروفاً بصرامته وشدته،غير ان الامور سارت على غير ما توقع مزالي، ففي مقابلته الاولى لمدير المدرسة العلوية، طلب منه الاخير الفصل بين التزامه السياسي وأدائه لرسالته التعليمية، لذلك واصل نشاطه النقابي والسياسي خارج اسوار المدرسة حفاظاً على اخلاقية المهنة [٤].

مع ممارسته لمهنته مدرساً، واصل دراسته الجامعية فباشر في اعداد دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة الاسلامية في تونس ، وكان عنوانها (دراسة مقارنة بين تهافت الفلسفة لابي حامد الغزالي وتهافت التهافت لابن رشد) وناقشها ونالها بفرنسا سنة ١٩٥٤ تحت اشراف الاستاذ باترونبي دي فنرياك (patrnierdeGandica) [٥].

٢-نشاطه في الحزب الحر الدستوري الجديد

انتمى محمد مزالي للحزب الحر الدستوري سنة ١٩٤٧ كما سبقت الاشارة الى ذلك وهو في الثانية والعشرين من عمره، عندما كان طالباً في المدرسة الصادقية ، وذكر ان الذي دفعه الى الانضمام الى الحزب هو ان حزب الحر االدستوري الجديد اقترن منذ نشأته بالاستقلال والكفاح، ومنذ طفولته شاهد زعماءه وهم يدخلون السجون وكانوا دائماً عرضة للاعتقال، وفي

---

[١] - المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي،ص ١٤٩.

[٢] - محمد مزالي ، مواقف ، ص٢٢ .

[٣] - المدرسة العلوية: تأسست المدرسة العلوية في ٢٨ ايار ١٨٨٤ كأول مؤسسة تعليمية رسمية ،تهدف الى تكوين معلمين للمدارس الرسمية ،وتحتوي على قسم لتخريج المعلمين وقسم للتعليم الابتدائي والاعدادي،وفي ١٩٠٨ انفصل قسم التعليم الاعدادي عن المدرسة العلوية وانتقل الى بناية جديدة، وفي سنة ١٩٣٤ تحولت المدرسة العلوية الى معهد ثانوي ، بعد الاستقلال تم تونسة الكادر الاداري بالمعهد، تحول المعهد الى تعليم مختلط سنة ١٩٦٣ بعد التحاق اول فتاة فيه من السنة نفسها ، وفي تشرين الاول ١٩٩٢صدر قرار رسمي يقضي بإدراج المعهد العلوي ضمن معالم التراث المعماري الوطني. ينظر مختار العياشي، المصدر السابق،ص٢٣٤.

[٤] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة،ص ١٦٥ .

[٥] - رسالة من السيد البشير بن سلامة ، في ١١اذار ٢٠١٤.

اثناء دراسته في المدرسة الصادقية ١٩٤٤-١٩٤٧،لم يكن يرى في ساحة العمل الحقيقي غير الدستوريين، علاوة على ذلك انه كان ينتمي الى مدينة المنستير وهي (مهد الوطنية) اذ نشط فيها الكثير من المناضلين[١] .

كان نشاطه السياسي كثيفاً في اثناء هذه المدة، اذ حاول حضور اغلب اجتماعات الحزب الحر الدستوري الجديد في شعبتي المنستير والسيدة المنوبية في محل سكناه والمشاركة العملية في الانشطة الحزبية، ففي ١٦اب ١٩٥٠ عين الباي حكومة محمد شنيق[٢] ، ودار داخل مقر الحزب نقاش حول المشاركة في هذه الحكومة ، ولهذا اجتمع المجلس الملي[٣] في الحزب في ساحة مدرسة الفتاة المسلمة، وكان مزالي من المشاركين في الاجتماع ، وحاول بورقيبة اقناع المجتمعين بأن الفرصة مناسبة للمشاركة في هذه الحكومة لاثبات حسن نية الحركة الوطنية، في حين كان عدد اخر من الوطنيين متردداً، فرأى مزالي حينها ان من الواجب القيام بهذه التجربة والمشاركة في الحكومة ، لا الاقتصار على معارضة لاتثمر شيئاً [٤].

مارس محمد مزالي نشاطه في المدة ١٩٥١- ١٩٥٣على مستويين، الاول داخل الحزب، والثاني في اطار نقابة التعليم الثانوي في الاتحاد العام التونسي للشغل، الذي انتخب عضواً فيها سنة ١٩٥١، ودأب على حضور اغلب اجتماعات الحزب الحر الدستوري الجديد ، وتجلى نشاطه في مستويات عدة من عقد اجتماعات،وجمع تبرعات في شعبة مونفلوري في العاصمة[٥]،وكثيراً ما اجتمع مع زملاءه في مقر ادارة الحزب بباب سويقة او بمقر الجامعة الدستورية في تونس ، ففي بداية سنة ١٩٥١ كلف من لدن علي البلهوان الذي كان يلتقي به تارة في مقر الحزب، واخرى بنادي جمعية قدماء الصادقية بتحرير مقالة اسبوعية في صحيفة

---

[١]-حوار مع محمد مزالي اجرته مجلة المستقبل،(باريس)، العدد ١٧٠ ، ٢٤ ايار ١٩٨٠.

[٢] - محمد شنيق(١٨٨٩-١٩٧٦) : ولد في تونس سنة ١٨٨٩ ، ينحدر من اسرة برجوازية كبيرة ، تولى سنة ١٩٢٢ ادارة بنك التعاضد المالي ، وكان عضواً بالمجلس الكبير ، واصبح رئيس غرفة التجارة التونسية منذ سنة ١٩٢٤، انتخب سنة ١٩٢٨ رئيساً للقسم التونسي في المجلس الكبير،وكان احد الوجوه البارزة في الحزب الحر الدستوري الجديد ترأس الحكومة التونسية مرتين الاولى في سنة ١٩٤٣ في عهد المنصف الباي، والثانية عندما كلفه الامين باي بتشكيلها سنة ١٩٥٠، عزلته السلطات الفرنسية ونفته لبضعة أسابيع بسبب مواقفه الوطنية، توفي سنة ١٩٧٦. ينظر محمد الصالح بن مصطفى،محمد شنيق رجل التحديات،المجلة التاريخية المغاربية،الاعداد ٩٩-١٠٠، ٢٠٠٠، ص٤٥٥ -٤٨٣.

[٣]- المجلس الملي:هيأة من هيآت الحزب الدستوري الجديد، مكلف بمراقبة اعمال جانب الديوان السياسي ، اذ يستشيره في الأزمات ويعتمد عليها في تنفيذ المقررات ومن حق الديوان السياسي حضور جلساته، تتكون من نواب من الشعب ومن أعضاء ينتخبهم الحزب ،يجتمع كل اربعة اشهر ' اصبح اسمه فيما بعد بالمجلس القومي. ينظر علي البهلوان، المصدر السابق،ص٧٨.

[1]-Mohamed Mzali , Op.Cit, p106.

[٥] - محمد مزالي، حديث الفعل، ص ١١٢.

الحرية (بعدها سميت لواء الحرية)، دعاه الى التعليق على السياسة التربوية السائدة انذاك، ودعاه الى الاستمرار في الاتصال مع محمود المسعدي (رئيس الجامعة القومية للتعليم ، التي كانت تجمع النقابات الابتدائية والثانوية والفنية) ليزوده المعلومات الضرورية للقيام بمهنته، ولتتوفر لديه مادة عن السياسة الاستعمارية التي انتهجها لوسيان باي(Lucienpaye) المشرف على ادارة التعليم العمومي [١].

صدرت مقالته الاولى بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٥١ ونشرت في صحيفة الحرية من دون امضاء بعنوان **(ماذا بالمدارس القرآنية)** اشار بها الى المظاهر السلبية التي كانت منتشرة آنذاك ،وانتقد فيها بعض المعلمين الذين عرفوا بتواطئهم مع السلطات الفرنسية ، وتحاملهم على المدراس القرآنية وانتقادها على الرغم من انها اسست من لدن الأهالي لتأمين التعليم لعدد اوفر من الاولاد التونسيين المسلمين، وجعلهم اقرب للحفاظ على التراث الاسلامي والحفاظ على جيل غير بعيد عن اصوله الفكرية العربية والاسلامية ، ذكر فيها **" يعلم القراء ان رجال التعليم القرآني وقفوا الموقف اللازم والتفوا جميعاً حول المبادئ التي اقرتها الجامعة القومية للتعليم ، ومبادئ الجمعية هي مبادئ الشعب ، الذي انشأ هذه المدارس وضحى في سبيلها، لايقاف االنزعة الفرنسية الرامية الى فرض ثقافة اجنبية لغة وروحاً بكل الوسائل والحيل، ولاحياء الثقافة العربية الاسلامية، فهي متشبثة بمبدأ سامٍ، وهو حرية البناء وحرية برامج التعليم وابقاء ما لمؤسسات الشعب من صبغة قومية، لذلك يسوؤنا ان نقرأ على صفحات بعض الصحف والتي تدعي ان الترضيات المادية الشرعية لا يمكن الحصول عليها الا مقابل تراجع عن المبادئ والتسليم في شئ من حقوق المؤسسات الشعبية "**[٢].

اما المقالة الثانية كانت في ١١ شباط ١٩٥١ ونشرت في صحيفة الحرية من دون امضاء ايضاً، بعنوان **(على هامش زيارة)** ندد فيها زيارة اندريه موريس "AndreMorris" (وزير التعليم الفني والشباب والرياضة ، وهو عضو بمجلس الوزراء الفرنسي في الحكومة الفرنسية والمكلف بالتعليم التقني)، الذي قام بزيارة تفقدية، تفقد فيها اهم مراكز التعليم زار فيها عدة مدارس برفقة لوسيان باي ،مدير التعليم العمومي في تونس ، واستقبل الرؤساء والمديرين واستمع الى خطبهم واجابهم على مطالبهم ، واوصى بضرورة الاعتناء بتخريج اختصاصيين تونسيين والا يكتفوا باستخدام فنيين فرنسيين[٣]، اذ كتب مزالي معلقا على هذه الزيارة قائلاً : " **"كنا نظن ان ادارة**

---

[١] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،ص ١٦٦.

[٢] - محمد مزالي ، مواقف ، ص٢٣٤ .

[٣] - المجلة التاريخية المغاربية ،سمنار مع محمد مزالي ، السنة٣٣،العدد ١٢١، اذار ٢٠٠٦،ص٢٠٣.

التعليم ادارة تونسية بحته ، مستقلة كل الاستقلال عن وزارة التعليم الفرنسية، واذا السيد موريس يزور ويتفقد ويأمر، فهل وقع استدعاوه رسمياً من طرف الحكومة التونسية ، او تمت عن طريق لوسيان باي وحده، الذي لم يفكر في صدى هذا السلوك في نفوس التونسيين ، فهو يعتقد ان ادارة التعليم بتونس مصلحة من مصالح وزارة التعليم القومي الفرنسي ، وانه موظف عال، رئيسه وزير التعليم القومي في فرنسا، فأين نحن من الاصلاحات الجوهرية المعلن عنها ؟واين نحن من الاستقلال الداخلي، وهل يجهل السيد موريس ان تونس دولة ذات سيادة ويوجد على رأسها (باي) وهو رمز للسيادة الوطنية ، وان هناك حكومة ،فكيف يسمح لنفسه ان يتصرف داخل تونس وكأنه في مقاطعة فرنسية"[١]،فوضح ان المملكة التونسية على الرغم من وجود حكومة شكلية لها فهي تعامل شأنها شأن بعض المقاطعات الفرنسية[٢] .

وعن نشاطات محمد مزالي ،ذكر احمد الزمني (مدير جريدة الحزب ميسيون (Mission)، وأمين مال الجامعة الدستوريه في تونس)، ان محمد مزالي كان من الذين شاركوا مشاركة فعلية في نضال الحزب انذاك ،فقد كانت هناك دروس توجيهية كل يوم جمعة ، ومن بين الذين قدمونها محمد مزالي، فضلا عن انه كان يسلمه اعداداً من جريدة ميسيون من المطبعة فيتسلمها هو ورفاقه الدستوريون ويقوم بتوزيعها[٣].

ومن نشاطاته في الاتحاد العام لطلبة تونس [٤]، اذ كان مواظباً على زيارته وحضور اجتماعاته، وقام بالقاء المحاضرات فيه، وحينما قرر الاتحاد تنظيم المؤتمر الثاني في تونس في نطاق السرية، كان مزالي من بين المشاركين فيه، اذ اتفق على عقده في ١٤ تموز ١٩٥٤ وساعدهم في تحضير اعماله، فتكونت لجنتان احداهما مكلفة بالإعداد المادي، وتكونت من

---

[١]- محمد مزالي ، مواقف ، ص٢٣١ .

[٢] - المجلة التاريخية المغاربية ،سمنار مع محمد مزالي،ص٢٠٣.

[٣]- المجلة التاريخية المغاربية، سمنار مع احمد الزمني ،السنة ٣٠،العدد١١٠، ٢٠٠٣ ،ص٣٢٨.

[٤] - الاتحاد العام لطلبة تونس:تأسس في شباط ١٩٥٢ في تونس، عقد مؤتمره الاول الذي سمي "المؤتمر التأسيسي في باريس ١٠-١٣تموز١٩٥٣، كان اغلب نوابه من الطلبة التونسيين الذين كانوا منتمين في جمعية طلبة شمال افريقيا، فضلا عن طلبة المدرس والمعاهد، و في تموز ١٩٥٥ عقد اول مؤتمر علني بالحي الزيتوني بالعاصمة التونسية ، وأول من ترأس الاتحاد العام لطلبة تونس طالبا مستقلا هو محمد أمين بوسعيدي، ومن أهم من تولى أمانته العامة الطاهر بلخوجة سنتي ١٩٥٧ و١٩٥٨ والمنجي الكعلي سنة ١٩٥٩ ومحمد الصياح سنتي ١٩٦٠ و١٩٦٢. وجميعهم تولوا الوزارة في عهد الرئيس الحبيب بورقيبة بما يؤشر على العلاقة المتينة التي ربطت الاتحاد مع الحزب الحر الدستوري الجديد الحاكم في تونس. للمزيد ينظر حامد الزغل، المصدر السابق،ص٥٣٢ .

عـدد مـن الطلبـة، والاخـرى وقعـت عليهـا مهمـة اقتـراح مشـاريع لـوائح وكـان محمـد مزالـي احـد اعضائها [١] .

فـي الوقـت الـذي كانـت فيـه المفاوضـات متواصـلة بـين فرنسـا وتـونس حـول مـنح الاخيـرة الحكـم الـذاتي التـي انتهـت بـإعلان بييـر منـداس فـرانس (Pierre MendesFrance)[٢]،رئـيس حكومـة فرنسـا امـام البـاي فـي ٣١ تمـوز ١٩٥٤ بحـق تـونس بالاسـتقلال[٣] ، قـرر الـديوان السياسـي فـي الحـزب الحـر الدسـتوري الجديـد تنظـيم دروس توجيهيـة ،هـدفت الـى تعريـف الشـعب وتلقينـه المبـادئ الديمقراطيـة الاوليـة مـن اجـل تثقيفـه وجعلـه علـى بينـة بالأنظمـة الدوليـة المعاصـرة، ليكـون لـه دور فعـال ومهـم فـي تقريـر مصـير بـلاده والعمـل علـى بنائـه [٤]، فكلـف الطيـب المهيـري (مـدير حـزب الحـر الدسـتوري الجديـد، الـذي كـان رئـيس لجنـة الكـوادر الحزبيـة والمسـؤول علـى تنشـئة الاعضـاء سياسـياً) مزالـي بإعـداد المحاضـرات وإلقائهـا امـام الجامعـات الدسـتورية[٥]، اذ تلقـى محمـد مزالـي رسـالة موجهـة مـن الطيـب المهيـري فـي٢٠ كـانون الثـاني ١٩٥٥، جـاء فيهـا **"ان الـديوان السياسـي ،قـرر تنظـيم دورات ودروس توجيهيـة ترمـي الـى تثقيـف الشـعب ،وتلقينـه المبـادئ الديمقراطيـة الاوليـة ،حتـى يصـبح فـي القريـب العاجـل علـى بصـيرة مـن الانظمـة الدوليـة المعاصـرة ،فيتسـنى لـه المشـاركة فـي تقريـر مصـير الـبلاد بصـفة جديـة، وقـد رأى الـديوان السياسـي فيـك الكفـاءة والإخـلاص للاضـطلاع بنصـيب مـن تلـك المهمـة ،التـي لا تخفـى فائـدتها الكبيـرة بالنسـبة**

---

[١] - المصدر نفسه،ص٥٣٦ .

[٢]- منداس فرانس:محامٍ وسياسي يهودي فرنسي، ولد في باريس ١٩٠٧، درس الحقوق بالمدرسة الحرة للعلوم السياسية، وأصبح محاميا وعمره لا يتجاوز ٢١ سنة، عمل أستاذاً بالمعهد القومي للإدارة ثم أصبح نائباً في الجمعية الوطنية للأعوام (١٩٣٢-١٩٤٠-١٩٤٦-١٩٥٨) شغل منصب نائب وزير الخزانة سنة ١٩٣٨، تطوع في الطيران الفرنسي في أثناء الحرب العالمية الثانية، أصبح وزيراً للاقتصاد لسنتي ١٩٤٥-١٩٤٦، ومن ثم رئيس وزراء ١٩٥٤-١٩٥٥، عقد اتفاقية مع الحبيب بورقيبة لمنح تونس الاستقلال الذاتي. ينظر عبد الوهاب الكيالي ومظفر زهير ،الموسوعة السياسية، بيروت ، ١٩٧٧، ص ٥١٤.

[٣] - بعد اتساع نطاق المقاومة واشتدادها في تونس للمطالبة بالاستقلال عن السيطرة الفرنسية ، حدثت لفرنسا بعض الاحداث جعلتها تتخذ سياسة جديدة اتجاه مستعمراتها،منها انهزامها في الهند الصينية ،وقيام الثورة الجزائرية ١٩٥٤، فاخذت الامور تسير لمصلحة الحركة الوطنية ، فتشكلت حكومة منداس فرانس المعتدلة التي وعدت أمام الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان الفرنسي) والشعب بحل مشكلات المستعمرات المتأزمة حلاً سلمياً، وعلى هذا الاساس اعلن رئيس الحكومة الفرنسية منداس فرانس في ٣١ يوليو ١٩٥٤ بتونس أمام الباي استعداد فرنسا لمنح البلاد التونسية استقلالها الداخلي وفتح باب المفاوضات بين الطرفين، والقى كلمة قال فيها **" ان الحكومة الفرنسية تعترف بالاستقلال الداخلي للدولة التونسية،وهي حريصة على تأكيد ذلك من حيث المبدأ،والعمل على ان توفر الاسباب لتحقيقه ، وتأمين طرق نجاحه"** للمزيد ينظر الى محمود شاكر، التاريخ الاسلامي(التاريخ المعاصر-بلاد المغرب)،ج١٤، ط٢ ، المكتب الاسلامي ، بيروت، ١٩٩٦، ص١٦٥ .

[٤] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،ص ١٦٧ .

[٥]- المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي،ص ١٤٩.

للشعب التونسي، فعينك عضوا بالإرسالية التي اعدها للقيام بهذا العمل" [١]، فأعد لذلك محاضرة بعنوان **(المواطن حقوقه وواجباته)** ،وقام بإلقائها امام الاعضاء في الشعب الدستورية، وكوادر المنظمات القومية على منبر الجامعات الدستورية ،وكذلك المواطنين على اختلاف اعمارهم ومستوياتهم الثقافية وشرائحهم الاجتماعية، فقام بجولة في المدن التونسية كل يوم احد ابتداءً من شباط الى٢١ ايار ١٩٥٥ متردداً على عشرين جامعة دستورية منتشرة من شمالي الى جنوبي البلاد[٢]، وسمحت له هذه الجولات الاسبوعية بالتعرف على نخبة من زعماء الحركة الوطنية على اختلاف تكوينهم ومكانتهم، فكان يقوم بالقاء هذه المحاضرة كل يوم احد في واحدة من المدن التونسية، ويضطر الى القاء المحاضرة مرتين في اليوم اذا كانت المسافة قصيرة بين المدينتين [٣] .

في اثناء تفاعله مع الاحداث الجارية في تونس، والى جانب نشاطه السياسي الفعلي، نشط ضمن نقابة التعليم الثانوي، الذي كان كاتبها العام الامين الشابي[٤]،وكانت المفاوضات حينها قائمة مع ادارة التعليم الفرنسي في تونس، للمطالبة بتحسين اوضاع التعليم، فنقابة التعليم الثانوي كافحت وناضلت لا لشؤون مادية بحته فقط من اجل تحسين الاجور، والتمتع بالمنح وتطوير الوضع المهني،وإنما (لشؤون وطنية بحتة)،اذ سعوا قبل كل شيء الى مضاعفة الاقسام العلمية، والزيادة في تدريس اللغة العربية، وأدراج دراسة تاريخ تونس وجغرافيتها ضمن برامج التعليم، وإعطاء المربي التونسي منزلة ارفع، ونصيب اوفر في ادارة المدارس الابتدائية والثانوية [٥] .

كلف سنة ١٩٥٥من لدن هيئة نقابة التعليم الثانوي بإعداد دراسة حول تاريخ النقابات بفرنسا، فقام بإعدادها وإلقائها في مدرسة الاطارات النقابية،ودار محورها حول جزأين،الاول

---

[١] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،،ص ١٦٧ .

[٢] - محمد مزالي، دراسات ثقافية، ص١٥٢.

[٣] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،ص١٦٨.

[٤]- الامين الشابي١٩١٧-١٩٧٤: محمد الامين الشابي ولد في مدينة مجاز الباب ، والده احد القضاة الشرعيين المثقفين ،وشقيقه الشاعر المعروف ابو القاسم الشابي، اكمل دراسته الابتدائية في مدينته،بعدها انتقل الى المدرسة الصادقية سنة ١٩٣٠ لاكمال دراسته الثانوية ، حصل بعدها على دبلوم المعهد وعلى البكالوريا باللغة الفرنسية من الليسي كارنو سنة ١٩٣٨،سافر الى فرنسا سنة ١٩٤٥لاكمال دراسته الجامعية في جامعة السوربون ودرس اللغة والاداب العربية، بعد تخرجه عين استاذا بدار المعلمين بتونس قبل ان تسند اليه ادارة المعهد الثانوي بخزنة دار سنة ١٩٥٥، كان له دور كبير قبل الاستقلال من خلال نشاطه في نقابة التعليم الثانوي الذي كان كاتبها العام،بعد استقلال تونس سنة ١٩٥٦ كلف بوزارة التربية القومية في اول حكومة تونسية وبقي فيها الى سنة ١٩٥٨، في سنة ١٩٦٥ عين رئيساً للجنة الوطنية للتربية القومية بقي فيها الى سنة ١٩٧٣ ، توفي في ٣كانون الثاني سنة ١٩٧٤ . ينظر شهادات جديدة عن بناة الدولة التونسية ، سيمنارات الذاكرة الوطنية وتاريخ الزمن المعاصر ،ج١٢، منشورات مؤسسة التميمي ، ٢٠١٠،ص ١٧٧-٢٠٣.

[٥] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ص ١٦٨ .

يعرض فيه تاريخاً موجزاً لنشأة النقابات، واستعراض المراحل التي عاشت فيها ،واكثر الحوادث التي واجهتها وتأثرت بها، والجزء الثاني سلط الضوء فيه على الانجازات العملية ،والاهداف العاجلة والآجلة في النقابات، وتنظيمها وتقييم ماحصل لها من مكاسب اجتماعية [١].

٣ -تأسيسه لمجلة الفكر١٩٥٥[٢].

لم ينفك محمد مزالي يربط في عمله بين الثقافة والسياسة ، ذلك لأن الكفاح من اجل الاستقلال برأيه لم يكن دافعه الاعتبارات السياسية، او الاقتصادية او الاجتماعية فقط ، فالشعب التونسي سعى لاسترجاع هويته، والمحافظة على القيم الموروثة من تاريخه القديم، ووجد فيه الطاقات الضرورية للتخلص من عملية محو شخصيته جماعياً وفردياً، وتحقيق تحرره، لذلك فإن محمد مزالي اندفع منذ سن المراهقة في الحركة الثقافية ، وشارك في الفرق المسرحية ، وانخرط في الجمعيات الادبية، وقرأ كثيراً في المسائل المتعلقة بشؤون الفكر وتأمل فيها، فضلا عن انتسابه الى سلك التعليم، وإسهاماته في الصحف، ومطالعته لكثير من الصحف التونسية التي رأى انها لم تعمر طويلا، كل هذا جعله عازماً على تأسيس مجلة الفكر.

في الوقت الذي كان فيه الشعب التونسي يكافح من اجل الحرية والاستقلال على الساحة الوطنية،كان هناك على الساحة الفكرية من يعمل في تصميم وعزم من اجل التحرر الفكري والثقافي ، فهناك من عمل لتحرير الادب التونسي من اغلاله والنهوض به الى مستوى الاداب العربية في المشرق والمغرب، فمن بين هؤلاء واولئك كان محمد مزالي[٣].

في تلك الاحوال القاسية التي قاوم فيها الشعب التونسي الاستعمار بشتى الوسائل والكفاح من اجل الاستقلال، ظهرت بوادر الامل وأخذت السلطات الفرنسية بتغيير سياساتها، وبدأت المفاوضات بين تونس وفرنسا على اساس الاستقلال الذاتي ثم التام، فكر محمد مزالي في انشاء مجلة ثقافية، يمكن ان تكون لها اسهام في نشر الاداب العربية ،وتكون منبراً لكل الادباء

---

[١] - محمد مزالي، تاريخ النقابات في فرنسا، محاضرة منشورة ضمن كتاب دراسات ثقافية، ص١٧٩ .

[٢]- مجلة الفكر مجلة ثقافية عامة تعني بشؤون الثقافة والادب، سعت الى التاكيد على الذات ،والمساهمة في حداثة الوجوه ،وجمعت نخباً من المثقفين ،ووفقت بين الخصوصية والتاريخ.صدرت شهرياً عشر مرات في السنة،من شهر تشرين الاول الى شهرتموز، وتتوقف في شهري اب وايلول. عدد صفحات العدد منها لاتتجاوز ١٢٥صفحة.

[٣]- محمد عبد المنعم خفاجي واخرون، الرؤيا الابداعية في ادب محمد مزالي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان ،١٩٨٦،ص١٠٤ .

في تونس ، ففي سن الثلاثين من عمره وبعد بلوغه درجة من النضج الثقافي والسياسي، واصبحت له خبرة في الحياة اقبل على تأسيس مجلة الفكر[١].

تحمس مزالي لفكرة تأسيس مجلة في اثناء وجوده في باريس، اذ عزم على انشاء مجلة ادبية لخدمة الادب التونسي، فقد كان معجباً انذاك بمجلة فرنسية ،وفكر في اقتباس اسم مجلته منها ، وهو مجلة الفكر[٢] ، وذكر البشير بن سلامة انه كانت تصدر في فرنسا مجلتان وهي (Esprit) ومعناها الروح ،واصحابها من المسيحيين ،والاخرى (Pense`e) اي الفكر، واعجب مزالي بهما، لذلك استوحى اسم المجلة من الاخيرة [٣]، ومن حديث صحفي مع محمد مزالي تحدث فيه عن قصة انبعاث مجلة الفكر ،اذ ذكر انه اقبل على قراءة المجلات الادبية عندما كان تلميذاً بالمدرسة الصادقية في اعقاب الحرب العالمية الثانية، وولع بها لانه وجد فيها الغذاء الروحي والمتعة الادبية،واستقى منها ماكمل تكوينه العام، وسد بعض الثغرات التي لم تخل منها البرامج المدرسية في ذلك العهد، لاسيما مجلة (المباحث)[٤] ، وعند توقفت المجلة عن الصدور تأمل كثيراً بأسباب توقفها ، واسباب توقف مجلات كثيرة من قبلها [٥]، لذلك قرر مواصلة المسيرة التي بدأتها مجلات سبقتها في الظهور ازدهرت ثم اختفت ، وحرص على بعث مشروع ثقافي وفّق في اداء رسالته ، وأصبح الاطار العلمي المناسب عبر فيها المفكر والمثقف عن ارائه ،وناضل في اطارها عن افكاره سعيا للتجديد،وثورة على الاوضاع البالية، والمساهمة من خلال الفكر والادب في مقاومة المحتل، لذلك فالوازع الذي دفعه الى تأسيس المجلة وطني فكري في ان واحد[٦] ، فهي اداة من ادوات المقاومة للتبعية الفكرية ، وفعل وطني منحاز لعروبة تونس بمختلف التطورات وبالتيار الرئيسي نفسه لمسيرة الدولة، فهي مزيج من الفعل الثقافي السياسي في تاريخ تونس[٧].

---

[١]- رسالة من السيد البشير بن سلامة ، في ١١اذار ٢٠١٤ .

[٢]- محمد الطالبي، المصدر السابق، ص٢٢ .

[٣]- رسالة من السيد بشير بن سلامة بتاريخ ٢٨تموز ٢٠١٤ عبر البريد الالكتروني.

[٤] - المباحث: ظهرت مجلة المباحث قبل الحرب العالمية الثانية على يد محمد البشروش ،غير انها سرعان ما توقفت بسبب احوال الحرب، واصلت مسيرتها سنة ١٩٤٤ ولم يصدر منها الا ثمانية اعداد ثم تولى تسييرها محمود المسعدي ،واستمرت بالظهور حتى سنة ١٩٤٧تاريخ احتجابها، واهم ما امتازت به هو ان اكثر الذين كتبوا فيها كانوا من الجامعيين الذين تخرجوا في الكليات الفرنسية الذين تثقفوا بالثقافة الغربية. ينظر جعفر ماجد ،الادب التونسي المعاصر قبل الاستقلال(اطواره واتجاهاته الكبرى)، المجلة الثقافية ، السنة الرابعة،العدد ٢، تونس،١٩٧٩،ص٣٩.

[٥] - حوار مع محمد مزالي اجرتة صحيفة العمل في ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٩، نقلا عن محمد مزالي ،مواقف، ص٢٠٩.

[٦] - محمد عبد المنعم خفاجي واخرون، المصدر السابق،ص٨٨ .

[٧]- غالي شكري، المصدر السابق،ص ١٦٤.

عقد اول اجتماع لاسرة الفكر بمقر مطبعة الشركة التونسية في فنون الرسم القديمة بنهج سيدي البنا، بحضور علي البهلوان، ومحمد الطالبي [١]، واستمر علي البلهوان بمد المجلة بتوجيهاته ومقالاته ،غير انه لم يحضر اجتماعات المجلة الاسبوعية الى ان توفي سنة ١٩٥٨، والتف حول المجلة في الاشهر الاولى، عدد من الادباء، وعدد كبير من المثقفين كل بحسب اختصاصه[٢].

والخطة التي سارت عليها المجلة وأهدافها هي[٣] :

١- الحرص على الاصالة القومية والمحافظة على الشخصية التونسية وخصائصها تخلصاً مما علق بها من النزعات الغريبة والتيارات الاجنبية، ودرءاً لرواسب ماسعى المحتلون الى غرسه في الشباب التونسي وتنشئتهم عليه ،متنكرة للواقع العربي ،مخلة بكرامته، والاسهام في نمو الادب التونسي وازدهاره، وتخليصه من الاستعمار الثقافي.

٢- الدعوة الى مواصلة الاجتهاد والتفكير، وعدم الحد من حرية المفكر بدعوى الاخلاص لشعار معين او الوفاء لاتجاه محدد، واجتناب الانغلاق ، والسماح بالمشاركة الفردية والجماعية.

٣- فسح المجال امام الشباب للمشاركة بفاعلية، والتعرف على انتاجهم ومواهبهم ، والحوار معهم فهو الضمان الاكبر لترابط الاجيال وتفاهمها وتمتين الصلة بين عناصر البلد الواحد، وتعزيز التواصل المتبادل بين الماضي والحاضر والمستقبل.

٤- العمل على اساس الهوية ، لان مجلة الفكر مجلة يلتف حولها وينتسب اليها ويشارك في الكتابة والارشاد والتوجيه فيها كل من يؤمن بقداسة الحرف ،وبعد اثره في المجتمع، والايمان بأن الادب نضال من اجل المبدأ ومن اجل الحق والرفعة والانسانية.

صدر اول عدد من مجلة الفكر في تشرين الاول ١٩٥٥ [١] ،وتونس حينها في اشد الحاجة الى ادراك ثقافتها القومية لتعيد لهم اصالتها وتفتح في وجوههم باب الفكر الجديد[٢].

---

[١] – محمد الطالبي:مؤرخ ومفكر تونسي ،ولد في تونس في ١٦ ايلول ١٩٢١من اب جزائري وام من اصل عثماني، بدأ دراسته في الكتاب بعدها في المدارس القرانية،ثم دخل الى المدرسة الفرنكو عربية، اكمل دراسته الثانوية في المدرسة الخلدونية، انتدب للتدريس في التعليم الابتدائي بعد الحرب العالمية الثانية بعد حصوله على شهادة تؤهله لذلك ، دخل معهد الدراسات العليا الذي حدثته فرنسا قبل الاستقلال وحصل على شهادة في الاداب واللغه العربية، ثم سافر الى فرنسا لاكمال دراسته العليا حصل بعدها على الدكتوراه باللغة والاداب العربية سنة ١٩٥٥، اصبح اول عميد لكلية الاداب في جامعة تونس. ينظر محمد الطالبي، المصدر السابق.

[٢]- بشير بن سلامة ومحسن بن حميدة والطاهر قيقة والطيب التريكي والعروسي المطوي والبشير العربي والهادي حمو وخميس المكني ، عدد كبير من المثقفين كل بحسب اختصاصه . ينظر محمد مزالي، مواقف،،ص٢١٦ .

[٣]- محمد عبد المنعم خفاجي واخرون، المصدر السابق،ص٨٩.

جاء في افتتاحية العدد الاول التي كتبها محمد مزالي **مذيل باسم هيأة التحرير" ان المجتمع التونسي اليوم يجتاز مرحلة دقيقة في حياته ،وهو اشد الحاجة فيها الى ان يعرف نفسه ويعي منزلته، ويوضح اهدافه ويضبط سبلها، فالحياة تتطلب ان يخرج من السلبية الى الايجابية ، وان يصهر ما في نفسه من امكانات ، وان يتميز ككائن سوي وان ينفرد كشخصية مستقلة، ولعل حياتنا الفكرية هي ادعى ان ينظر فيها ويعتنى بها، فنحن شاعرون بقوة التيارات الفكرية الاجنبية التي تحاول جرفنا الى ما لا ارتياح معه ولا وثوق به ، فنحن بحاجة الى مذهب اصيل يخلصنا من واقعنا ،ومستلهم من ماضينا وحاضرنا،وان الاخلاص للفكر في اشمل قيمة خير ضمان لبلوغ الهدف، بالفكر نوفق الى وضع المشاكل الوضع الصحيح لمعالجتها،والسير على خط تونسي صميم اصيل يزيل حسرتنا ويسمو بنا"** [٣] .

بعد ان عمل على تثبيت وجود المجلة ، قام بتكوين هيأة تحرير للمجلة ، واوكل مهمة متابعة المجلة وانشطتها الى صديقه البشير بن سلامة ، الذي تولى رئاسة تحريرها، ابتداء من صدور العدد الثاني من السنة الثامنة في تشرين الثاني ١٩٦٢ ، فساعده في تكوين الاعداد ومتابعة طبعها، وكان يصمم محتوى المجلة من خلال مداولات بين هيأة المجلة، بعد ذلك تولى مهمة انجازها كل من محمد مزالي بمساعدة البشير بن سلامة[٤].

ادرك مزالي الصعوبات المادية ، اذ كانت مجلة الفكر مجلة ثقافية بحتة ليس للوازع التجاري اي دخل فيها او تأثير عليها ، ولم يجنِ العاملون فيها من مديرها الى ابسط المشاركين في تحريرها اي مردود مادي[٥]، في البداية لم تكن المجلة رسمية فدفع مزالي تكاليفها من ماله الخاص، بعد الاستقلال سعى الى الحصول على اشتراكات الافراد والمؤسسات ، من خلال البيع (بالتفصيل) ، لجمع اكثر ما يمكن من الاشتراكات، وخاطب اصدقاءه وزملاءه لمساعدته في هذا المسعى، فحصل على ٧٠٠ اشتراك، وكان يوزع بنفسه الاعداد على بعض المكتبات ، ولم يجد اي عون من الجهات الرسمية سوى خمسة اشتراكات لوزارة التربية، واشتراك من بورقيبة[٦]، واستمر العاملون فيها وهم مديرها ورئيس تحريرها والمسهمون بالمقالات والدراسات، بعدم تقاضي اية اجور مدة ٣١ سنة من عملهم فيها ،اذ عدوا عملهم فيها من باب التطوع

---

[١]- ينظر ملحق رقم (٥).

[٢] - منجي الشملي ، في الثقافة التونسية ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،١٩٨٥، ص٤٧.

[٣] - محمد مزالي ، من وحي الفكر ط٢، مؤسسة عبد الكريم عبدالله للنشر، تونس ، ١٩٧٩، ص١٣٠.

[٤]- رسالة من السيد البشير بن سلامة بتاريخ ٢٨ تموز ٢٠١٤.

[٥]- مجلة الفكر ، السنة ١١، العدد ٣ ، ايلول ١٩٦٦، ص٩.

[٦] - المجلة التاريخية المغاربية ، الشهادة الشفوية لمحمد مزالي،ص ١٥١.

يدفعهم شعور القيام بالواجب ،والاسهام في الخروج بالادب التونسي من طور الركود والتقليد الى منزلة الخلق والابداع ، ونشر الثقافة بصورة عامة[١]. وهذا العمل الجاد ان دل فيدل على الرغبة الصادقة في تطوير المجلة خدمة للثقافة التونسية، وفتح المجال لاكبر عدد ممكن من الاسهامات الادبية والثقافية ونشرها.

فكان للمجلة خط توجيهي رسم عملهم وفتحت ابواب المجلة امام اصحاب المواهب الذين لهم رغبة في المشاركة في الكتابة، مهما كانت اتجاهاتهم الادبية ، ولم يقتصر نشاطها على نشر النصوص الادبية فقط، وانما عزمت كذلك على نشر نصوص اخرى حتى وان كانت بعيدة عن اختيارات مزالي الشخصية، والدفاع عنها بشرط ان تكون ذات جودة، وتعبر عن مواقف صادقة[٢]، فوسعت صفحات المجلة الكثير من ابداعات الكتاب والادباء والشعراء والنقاد والقصصيين التونسيين ، واصبحت مدرسة تتجمع عندها الاجيال في مواكبة راسخة للفكر وللادب التونسي المعاصر[٣] .

ذكر مزالي ان الحبيب بورقيبة منذ اصبح رئيساً لتونس ولحد انقطاع المجلة، لم يتدخل ابداً للتأثير في الخط الذي انتهجته المجلة، فلم يوجه بورقيبة له الا ملاحظتين حول الفكر، ففي الاولى قال له ان مجلة الفكر تقوم بدور مهم في مجال اشعاع تونس مماثل لما تقوم به سفارة من سفاراتنا في البلاد العربية، ومرة اخرى اثنى ثناءً كبيراً على محتوى عدد خاص اصدرته المجلة حول **(الاسلام في عصرنا)** سنة ١٩٦٦[٤].

ويأتي اهتمام بورقيبة بهذا العدد من كونه يعتبر نفسه مجتهدا في ألإسلام لانه في كل مناسبة كان يبين اهتمامه بالإسلام.وهذا مناقض تماماً للإعمال التي قام بها ، اولها ربط مسجد الزيتونة بالتعليم العلماني.

آثرت مجلة الفكر ان **" تخوض اخطر المسالك وان تفاخر في اعظم ملحمة اقتحمها الانسان، وهي ايجاد توازن بين ما يتوق اليه الفكر من تجريد، وبين ما يفرضه الواقع من ملابسات، بين بناء فكر يكتفي بذاته ويحاول الانسياق الى القواعد التي سنها، وبين الانغماس في صلب المشاغل اليومية التي نشدت الحرية والتوق اليها ، وبين الارتباط بجوهر الحياة وخصب الوجود"** [٥].

---

[١]-رسالة من السيد البشير بن سلامة بتاريخ ٢٨تموز ٢٠١٤عبر البريد الالكتروني.

[٢]-محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،ص١٧٣ .

[٣] - محمد عبد المنعم خفاجي واخرون، المصدر السابق،ص ١٠٥ .

[٤]-محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،ص١٧٦ .

[٥] - من مقدمة كتبها بشير بن سلامة لكتاب محمد مزالي من وحي الفكر، ص٨.

واستمرت الفكر لخدمة الادب التونسي طوال ٣١ سنة من دون انقطاع ، وهو امر نادر ان تثبت مجلة وتواصل الصدور بمثل ذلك النفس الطويل ،وقد تكون في رحابها العديد من الادباء التونسيين[١].

على الرغم من المدة الطويلة من صدورها، التي اصبحت في اثنائها المجلة مجالاً انخرطت فيه مجموعة مواهب جديدة من جيل الاستقلال المتأثر بالثقافات الحديثة، بعدّها منبراً للكتاب والادباء التونسيين، وثباتها وعدم تخلفها مرة واحدة عن موعد صدورها طول مدة ٣١ عاما منذ صدور العدد الاول منها في تشرين الاول ١٩٥٥ ،الى اخر عدد في تموز ١٩٨٦[٢]، نجدها تتوقف فجأة بمجرد اقالة مزالي من الوزارة الاولى في تموز ١٩٨٦ (كما سيرد تفاصيله في الفصل الاخير)، فهل هذا دليل على ان استمرارها في الصدور ارتبط بالمناصب التي تولاها مزالي؟ او لانه لم يكلف احد نفسه في الاشراف عليها بعد اختفائه ومحاولة بعثها من جديد ؟

ذكر البشير بن سلامة انه بعد فرار محمد مزالي لم يتسن له القيام بعبء مجلة كالفكر وحده ،اذ كان في إقامة جبرية وليس في إمكانه القيام بأي شيء بل بقي مهدد بالسجن ، ونظام الحكم حينها لا يخول لأي كان أنجاز أي شيء إلا لصالحه، فكيف يمكن التفكير في إعادة إصدار مجلة الفكر، والحال أن محمد مزالي كان يهاجم الحكم يوميا من غربته [٣].

---

[١]- محمد الطالبي، المصدر السابق ، ص٢٢.

[٢]- ينظر ملحق رقم (٨).

[٣]- رسالة من السيد البشير بن سلامة بتاريخ ٢١كانون الثاني ٢٠١٥.

ثانياً:- دور محمد مزالي بعد الاستقلال ١٩٥٦-١٩٦٨

١- توليه ادارة ديوان وزارة التربية ١٩٥٦-١٩٥٨.

شكلت سنة ١٩٥٦ مرحلة فاصلة في تاريخ تونس المعاصر ، ففي هذه السنة حصلت تونس على الاستقلال التام عن السيطرة الفرنسية التي دامت٧٥ سنة (١٨٨١-١٩٥٦) [١]، ولم تكن سنة ١٩٥٦ سوى بوابة لتحقيق مطلب مختلف اجيال الحركة الاصلاحية والحركة الوطنية التونسية ، ففيها وضعت قيادة الحركة الوطنية المتمثلة في الحزب الحر الدستوري الجديد امام مسؤوليات تاريخية حين اعترفت فرنسا باستقلال البلاد التام في اذار ١٩٥٦[٢].

منذ ان تولى الحبيب بورقيبة مسؤولية الحكومة سنة ١٩٥٦ حتى قبل اعلان النظام الجمهوري ،وتسميته رئيساً للجمهورية في العام اللاحق[٣]، بدأ بإدخال عدد كبير من اعضاء حزبه (الحزب الحر الدستوري الحاكم) لاسيما القياديين الاكفاء منهم لتسلم مسؤوليات اساسية

---

[١] – بدأت السيطرة الفرنسية على تونس بموجب معاهدة باردو التي فرضتها حكومة فرنسا على باي تونس محمد الصادق في ايار ١٨٨١، ولم تشر هذه المعاهدة الى أي تدخل في شؤون تونس الداخلية، وانما احتلال فرنسا لمراكز معينه لضبط الأمن والنظام ،بسبب تعرض قواتها في الجزائر لهجمات من قبائل خمير الموجودة على الحدود التونسية الجزائرية، التي اتخذتها فرنسا حجة لاحتلال تونس، وتعهدت فرنسا خلالها بزوال الاحتلال في حال اتفاق الطرفين، وعادت الأمور الى مجراها الطبيعي ، وتعهدت فرنسا بموجبها بحماية الباي واسرته من أي خطر يهدده او يهدد بلده ، مقابل تعهد الباي بمنع ادخال السلاح والذخائر الى الجزائر، وسميت باردو نسبة الى البلدة التي يسكنها باي تونس، غير ان فرنسا قامت في ٨ حزيران ١٨٨٣ بفرض اتفاقية جديدة ، وهي اتفاقية المرسي التي نصت على فرض حماية فرنسية على تونس والتدخل بشؤون تونس الداخلية ، وتكفل الباي فيها بإدخال الإصلاحات الإدارية والقضائية والمالية التي تطلبها الحكومة الفرنسية ، مقابل تقديم الحكومة الفرنسية قرضا لتونس، يعقده الباي بحسب شروط فرنسا ، تعد هذه المعاهدة تاكيداً لمعاهدة أيار ١٨٨١وتكملة لها. للمزيد ينظر نقولا زيادة تونس في عهد الحماية من ١٨٨١ -١٩٣٤، دار الرائد للطباعة، القاهرة ،١٩٦٣،ص١٣٤-١٣٧.

[٢] -حصلت تونس على استقلالها في اذار ١٩٥٦ بعد ان اجرت مفاوضات مع الجانب الفرنسي ،وفد حصلت تونس في البداية على الاستقلال الذاتي في عام ١٩٥٥ على اثر توقيع اتفاقية الحكم الذاتي في ٢٧ اب ١٩٥٥، بعد ذلك سعى الحزب الحر الدستوري الجديد للحصول على الاستقلال التام ، فبعد منح فرنسا مراكش الاستقلال التام في تشرين الثاني ١٩٥٥، تحركت تونس للحصول على استقلالها التام فطالبت بالحقوق نفسها التي حصل عليها المراكشيون، وبعد مفاوضات بين الجانبين استطاعت الحصول على سيادتها، فتم لها ذلك وحصلت على استقلالها التام في ٢٠اذار ١٩٥٦ . للمزيد ينظر احمد طلعت، حقيقة بورقيبة، (د.م)، القاهرة، ١٩٥٩،ص٨٨ ؛ جون هاتش ، تاريخ افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ، ترجمة عبد العليم السيد منسي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٦٩، ص٤٢٠.

[٣] - بعد الاستقلال باسبوع كان انتخاب مجلس تأسيسي وعقد المجلس اول اجتماع لها في ٨ ابريل ١٩٥٦، وانتخب بورقيبة اول رئيس للمجلس، وفي ١٤ ابريل شكلت اول وزارة تونسية بعد الاستقلال، تولى بورقيبة رئاستها، وقام بتأليف حكومة وطنية، وبعد سنة من توليه رئاسة الحكومة قام في ٢٥تموز ١٩٥٧ بإلغاء منصب الباي "النظام الملكي" واعلن العمل بالنظام الجمهوري ، وتسلم منصب الرئاسة ، وكلف الباهي الادغم بتشكيل الوزارة. للمزيد ينظر خليفة الشاطر واخرون، تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية ودولة الاستقلال)، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، ٢٠٠٥، ص١٨٠.

في اجهزة الدولة الناشئة[١]،بعد ان ترك الفرنسيون فراغاً، اذ كان عدد التونسيين في اجهزة الدولة جميعها قليلاً، وان ممارسة الاستقلال عنيت اولا وقبل كل شيء حلول التونسيين محل الفرنسيين في اجهزة الدولة المختلفة، وبالأساس فإن بورقيبة رغب في أن تكون الوظائف والمناصب التي تركها الفرنسيون بأيدي تونسيين يحسنون اللغة الفرنسية[٢]،فأخذ بتوريد جيل امتلك مؤهلات جيدة ليحتل مناصب في الادارة والدولة، فكان مزالي من الدستوريين التابعين لبورقيبة، ومن الذين مارسوا النشاط السياسي والثقافي في القواعد الحزبية، من شعب ولجان تنسيق تابعة للحزب، فضلا عن ذلك ان الصفة المطلوبة التي ارداها بورقيبة هي القدرة على الخطابة واقناع الطبقات الشعبية بلغة مفهومة تهز المشاعر، فالمسيرة كانت مرسومة وصعبة، لا يمكن تخطي درجاتها الا بالكفاءة المطلوبة [٣].

وبما ان محمد مزالي كان ناشطاً ضمن نقابة التعليم الثانوي قبل الاستقلال الذي اصبح عضواً فيها منذ سنة١٩٥١، هيأه ذلك للالتحاق بهياكل الدولة الوطنية الحديثة منذ بداية الاستقلال، فعين رئيساً لديوان وزارة التربية القومية[٤] ،لاول وزير لها وهو الامين الشابي في ١٧ نيسان ١٩٥٦ ، اذ ربطته علاقة بالامين الشابي الذي شغل منصب الكاتب العام لنقابة التعليم الثانوي قبل توليه الوزارة ، اذ جمعهم العمل النقابي المشترك قبل الاستقلال فنشأت بينهم صداقة متينة ، لذلك عندما علم الامين الشابي انه سمي وزيراً للتربية القومية عرض عليه ان يكون رئيساً لديوان وزارة التربية [٥] ، غير ان مزالي تردد في الاستجابة لطلبه ، لانه فضل البقاء في وظيفته وممارسة مهنة التدريس، فضلا عن ارتباطه بالعمل في مجلة الفكر التي تطلبت وقتاً أكثر للتحرير والاصلاح والطباعة ، فوافق الامين الشابي على بقاء اشراف محمد مزالي على مجلة الفكر، وتخصيص اربع ساعات للتدريس في الجامعة الزيتونية بناء على طلب عميدها الفاضل بن عاشور[٦].

---

[١] - طه حميد حسن العنبكي، تطور الحركة الدستورية والديمقراطية في تونس للمدة ١٩٨٧-٢٠٠٢، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية بالجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٤، ص٥٧.

[٢]- محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر(الاستمرارية والتغيير)، ط٢، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠١٣. ص١٧٧.

[٣] - رسالة من السيد البشير بن سلامة بتاريخ ٣اب ٢٠١٤ .

[٤] -ديوان وزارة التربية: هو الذي يكلف بتوثيق الصلة بين مختلف هياكل الوزارة والتنسيق بينهما ويحيط الوزير علماً بالنشاطات العامة للوزارة كافة، ويبلغ تعليماته لتنفيذها . ينظر صبرة حمدان الكندي ، فاطمة عبد الله ، الادارة التربوية في كل من الجمهورية اليمنية والجمهورية التونسية ، جامعة السلطان قابوس ، كلية التربية، عمان،٢٠١١، ص٢٨ .

[٥] - شهادات جديدة عن بناة الدولة التونسية ، المصدر السابق،ص ١٨٠.

[٦] - المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار مع محمد مزالي،السنة ٣٣،العدد ١٢١،اذار٢٠٠٦،ص٢٠١-٢١٧.

بعد مرحلة الكفاح من اجل التحرير والاعلان عن الاستقلال السياسي التونسي، انصب تفكير النخب السياسية على استكمال السيادة الوطنية ،واذا كان من الضروري تونسة الجيش والدبلوماسية والتمثيل الخارجي ومصالح الامن والادارة ،فإن تونسة العقول الناشئة عدّ من المقومات الاساسية لاستكمال السيادة ، فالتعليم احد الركائز الاساسية في بناء ثقافة وطنية قادرة على مصالحة التونسي مع هويته العربية الاسلامية ، وهو المطلب الاساسي الذي بلورته مختلف النخب السياسية التي تعاقبت على زعامة الحركة الوطنية، وبعد حصولها على استقلالها السياسي سنة ١٩٥٦ وجدت الارث الاستعماري ثقيلا [١]، فبرزت قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية تطلب معالجتها، واول هذه القضايا هي اجراء الاصلاحات التربوية،اذ واجهت الدولة في هذا المجال ثلاث مشكلات هي الازدواجية الثقافية، وهيمنة اللغة الفرنسية وتنوع التعليم وتعدد مؤسساته [٢].

حاولت الحكومة ايجاد الحلول او الاصلاحات المناسبة لهذه القضايا، اذ عملت حكومة الاستقلال على تجاوز جملة من العوائق التي ورثتها عن نظام الحماية ، التي ادت الى محدودية التعليم بين التونسيين (بسبب سياسة نظام الحماية من جهة ،وتزايد السكان من جهة اخرى) [٣]، فاتجهت الجهود بعد الاستقلال نحو التعليم وانشاء مؤسسات تربوية في المجتمع التونسي، وتكوين جيل متعلم جديد ، وكوادر مؤهلة تحتاجها البلاد[٤]، وعملت وزارة التربية على تجاوز جملة من العقبات والعوائق ورثتها عن السيطرة الفرنسية، فتمثلت اهدافها اساساً في انشاء مدارس عصرية موحدة مجانية وفي متناول كل التونسيين مهما كان انتماؤهم الاجتماعي والجغرافي، فشرعت في انجاز مشروعها الثقافي التحديثي الهادف الى ترسيخ فكرة الامة

---

[١] -سمير بكوش، التعليم ورهاناته من خلال قانون اصلاح التعليم لسنة ١٩٥٨،اعمال الندوة الدولية الثالثة عشر حول استقلال تونس ومسيرة التحرر من الاستعمار المنعقدة بتونس ايام ٤-٥-٦ايار ٢٠٠٦،منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية ،تونس ،٢٠١٠،ص٢٠٥.

[٢]- منذ اللحظة الاولى للحماية الفرنسية بدأت فرنسا التخطيط لطمس المعالم العربية في البلاد وخلق عقلية تونسية تنسجم وأهدافها ومخططاتها، لذلك فأول ما ركزت فيه هو قطاع التعليم لما لهذا القطاع من اهمية في حياة البلاد ، فاتجهت منذ البداية الى محاربة اللغة العربية ، واستعاضت عنها باللغة الفرنسية وطبقت برامج خاصة لذلك ، فأسسوا نتيجة ذلك سنة ١٨٨٣ ادارة العلوم والمعارف (التربية القومية بعد الاستقلال) ،ووضعوا برنامجاً لإنشاء مدارس ابتدائية فرنسية للأوربيين والعرب على غرار المدارس الموجودة في فرنسا ،ولم يكن للغة العربية أي حظ في هذه المدارس، فقد كانت فرنسا تدرك ان اهم ضمان لاستمرار سيطرتها هو خلق اجيال موالية لها فكراً وثقافة . للمزيد ينظر حبيب ثامر، هذه تونس ، مطبعة الرسالة ، القاهرة، ١٩٤٨، ص٥٦.

[٣]-محمد المدني المختار، سياسات التعليم العالي والثانوي وأفاق التنمية في تونس، مجلة الجامعة المغاربية، السنة الرابعة ، العدد ٨، ٢٠٠٩، ص٣٩ .

[٤]- ايمن سوسة، مكانة التلميذ في النظام التربوي، المركز الجهوي للتكوين المستمر، تونس، ٢٠١٢، ص٧.

التونسية[١] ، واذا كان من الممكن تذليل العقبة المادية من خلال رصد الاعتمادات المادية اللازمة لانشاء المزيد من المدارس، فإن توفير العدد الكافي من رجال التعليم من ذوي الكفاءات تطلب وقتاً من التدريب والتكوين[٢]،لاسيما ان عدد التونسيين في هذا المجال والمجالات الاخرى كان قليلا، فقد عانت البلاد قلة الكوادر القادرة على تعويض الفرنسيين الذين عاد عدد كبير منهم الى فرنسا ،فضلا عن ان العديد من المعلمين والأساتذة التونسيين من ذوي الاختصاص تركوا مجال التدريس للعمل في مجالات اخرى[٣] ، لذا نجد ان اول عمل قامت به الوزارة هو تنفيذ سياسة تونسية نشيطة وشاملة لاعداد كوادر تونسية علمية قادرة على الاضطلاع بالمهمة[٤] ، واولها تونسة الوزارة أي (احلال الموظفين التونسيين محل الفرنسيين) الذين كانوا يديرون اعمال الوزارة ،وهم رؤساء مصالح فرنسيون ولم يكن هناك مديرون تونسيون مؤهلون لإدارتها ، فعينت مجموعة صغيرة من التونسيين للعمل في الوزارة[٥] ، الذين كانوا في البداية اشبه (بالغرباء) بين الموظفين البقية الذين اكثرهم من الاجانب[٦].

بعد ذلك اتجهت الاصلاحات الى محتوى التعليم ومنهاجه ، فتشكلت سنة ١٩٥٧ لجنة اوكل اليها امر اصلاح التعليم وواجب تعميمه وتونسته من جديد، فحدث هنا خلاف بين انصار الثقافة الفرنسية وبين المنادين بالتعريب ونشره، فهناك رؤيتان تتواجهان داخل اللجنة احداهما دافع عنها محمد مزالي الى جانب الامين الشابي ومحمد بكير رئيس مصلحة التعليم الابتدائي والعابد مزالي كاتب عام الوزارة ، اذ رأوا المحافظة على الاصلاح الذي بدأه لوسيان باي ، مدير التعليم العمومي في عهد الحماية ومواصلته، والذي اقره تحت ضغط الحزب الحر الدستوري الجديد والاتحاد العام التونسي للشغل ، وذلك بتعريب [٧]السنة الاولى الى السنة

---

[١]- خليفة الشاطر واخرون، المصدر السابق، ص١٨٤.

[٢]- مختار العياشي، المصدر السابق، ص٢٩٥ .

[٣]- سمير بكوش، المصدر السابق ،ص٢٠٧.

[٤]- محمد مزالي، حديث الفعل، ص١١٤ .

[٥] - محمود المسعدي رئيساً لمصلحة التعليم الثانوي ،حميدة بكيررئيساً لمصلحة التعليم الابتدائي ، علي الذوادي رئيساً لمصلحة التعليم التقني ، احمد السبعي رئيساً لمصلحة البناءات والاصلاحات ، السيد بوغنيم رئيساً لمصلحة الموظفين ،عبد القادر بنيو رئيساً لمصلحة المحاسبات ،صالح المهدي رئيساً لمصلحة الترجمة ، الطاهر الخيري رئيساً لمصلحة الترجمة ، وحسن حسني عبد الوهاب رئيساً لمصلحة الاثار، ومحمد العابد مزالي كاتبا عاما للوزارة . ينظر شهادات جديدة عن بناة الدولة التونسية ، المصدر السابق،ص ١٨٣.

[٦] - ينظر المجلة التاريخية المغاربية، سمنار مع محمد مزالي ، ص٢٠٤ .

[٧]- التعريب: التعريب اصطلاحاً ظهر في المغرب العربي، يعني احلال اللغة العربية في التعليم محل اللغات الاجنبية وتوسيع اللغة العربية بإدخال مصطلحات جديدة عليها، والزام الادارة بعدم استعمال لغة من دون اللغة العربية ، وبمعنى ان التعريب جعل اللغة العربية اداة للتعامل في المجالات كافة تدريساً وتحصيلا في مراحله جميعها . وقد يعني تعريب لغة الادارة الرسمية ايضاً، ولغة المجتمع معا،او جعله لغة تفاهم ممكنة شعبيا . للمزيد ينظر الى محيي الدين صابر ، الابعاد

الرابعة، بما في ذلك مادة الحساب، والمجموعة الثانية دافع عنها محمود المسعدي ، رئيس مصلحة التعليم الثانوي وعدد من الوزراء، الذين كانوا يرون بدعوى الحداثة والخروج من التخلف ، اختيار ثنائية لغوية، تكون فيها اللغة العربية مادة لتدريس علوم الدين والنحو والصرف وتفسير النصوص، اما بقية المواد من حساب وعلوم طبيعية وتاريخ وجغرافية ، فتدرس باللغة الفرنسية[١]، اذ رأى محمود المسعدي حينذاك ان اللغة العربية عاجزة عن تأدية الوظيفة كاملة في العلوم الصحيحة ويجب الاعتماد على اللغة الفرنسية [٢]، اما محمد مزالي فرأى **" ان اللغة العربية التي يتكلمها اكثر من مائة وأربعين مليون عربي والتي تنقل تراثاً حضارياً عربياً اسلامياً ،يمتد على مدى ١٤ قرنا ،هي قادرة مثل كل اللغات الحية على التعبير عن كل المفاهيم والدقائق وعلى تبليغ كل المعارف اذا ماقدر مستعملوها إتقانها"** [٣]، وموقف مزالي من اللغة العربية نابع من التعليم الذي تلقاه في طفولته وتأصله بالثقافة العربية الاسلامية.

وعندما لم يتوصل الطرفان الى نتيجة تم تحكيم بورقيبة في الاخير، فكانت الغلبة للرؤية الثانية، ونتيجة ذلك وقع تعيين محمود المسعدي وزيراً للتربية القومية في ٨ايار١٩٥٨[٤].

في اثناء مدة السنتين التي قضاها محمد مزالي كرئيس ديوان الى جانب الامين الشابي ، قامت الوزارة بعدة اعمال في الحقل التربوي الذي تمثل في ظهور مئات المدارس الريفية الجديدة بفضل حماس المواطنين ، فأستقبل مزالي كل اسبوع وفوداً آتية من ولايات مختلفة تطالب بتعيين معلمين في المدارس الجاهزة ،التي بنيت بفضل المبادرات الشعبية[٥]، وكذلك عمل على تأسيس دار المعلمين العليا في تشرين الاول ١٩٥٦ وهي النواة الاولى للجامعة التونسية[٦] ، وإنشاء المعهد الاعلى للحقوق وثلاث مدارس لتخريج المعلمين في صفاقس وسوسة والمنستير مستعملين ثكنات عسكرية تركها الجيش الفرنسي بعد خروجه من تونس ، وكذلك كان مزالي ضمن اللجنة التي كلفت باختيار النشيد الوطني وتلحينه الى جانب الامين الشابي والطاهر بن عاشور ، وعبد الوهاب بكير، وحسن عبد الوهاب ، وعثمان الكعاك [٧].

=الحضارية للتعريب ، مجلة المستقبل العربي،السنة ٤، العدد٣٦، شباط ١٩٨٢،ص٧٣ ؛ نازلى معوض احمد ، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان ، ١٩٨٦ ، ص٤١ .

[١] - المجلة التاريخية المغاربية،شهادة محمد مزالي ، ص٢٠٥ .

[٢]- محمد سويسي ، التجربة التونسية في التعريب ، مجلة اللسان العربي ، ج٣، المجلد١، الرباط، ١٩٧٧، ص٢٥.

[٣]- محمد الامين خليفة، المصدر السابق، ص ٧٣.

[٤]- محمد سويسي ، المصدر السابق، ص٢٥ .

[٥] -محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،ص١٧٦ .

[٦] - سالم لبيض، ازمة الجامعة التونسية من التأسيس الى الثورة، المركز العربي للدراسات السياسية والاجتماعية، تونس ، ٢٠١٢، ص١٢.

[٧]-شهادات جديدة عن بناة الدولة التونسية ، المصدر السابق،ص ١٨٣.

انضم محمد مزالي الى الوفود التونسية المشاركة في المؤتمرات الدولية ،اذ رافق الوزير لحضور المؤتمر العام الذي نظمته اليونسكو بنيودلهي في شهري تشرين الاول وتشرين الثاني ١٩٥٦[١]، وفي ٧ كانون الاول كان ضمن الوفد التونسي المشارك في المؤتمر الثالث للادباء المنعقد في القاهرة وكان موضوع المؤتمر **(الاديب والقومية العربية)**، وحصل نقاش حول موضوع وجوب قيام الادباء بخدمة شعارات سياسية بعنوان (القومية العربية) وتطالبهم بتسخير اقلامهم لفائدة اغراض عاجلة تزول بزوال الملابسات التي اقتضتها ، وذهب بعضهم الى اتهام الاديب الذي لا يمتثل الى هذا الواجب "بالخيانة" ، فكان لمزالي مداخلة في اثنائها قائلا: **" ان الاديب مسوؤل ولا يكون اصيلا ولا تبقى اثاره على وجه الدهر الا اذا التزم خدمة الانسان ، وليس لاحد ان يوجهه وجهة دون الاخرى ويسخره لاجترار شعار دون اخر ، وان الالتزام ليس هو حبس الذات في قفص وعدم التعبير عن الرأي ،ولا يعني ان يصبح الكاتب بيدق برقعة لعب"** [٢].

وقع تعديل وزاري في ٨ ايار ١٩٥٨ اقيل بموجبه الامين الشابي وعين محمود المسعدي على رأس الوزارة، الذي باشر بتنفيذ البرنامج المعاكس لاختيارات التعريب التي نادى بها مزالي مع الامين الشابي ، ولتحتل الفرنسية فيه مكانة كبرى في مختلف مؤسساته التعليمية.عند ذلك اقيل محمد مزالي من منصبه ،وعاد الى سلك التعليم في مدرسة العلوية ، اذ قضى سنة ١٩٥٨ في التعليم[٣]، بعد ذلك كلفه بورقيبة برئاسة الوفد التونسي المشارك في مؤتمر الرابع للأدباء والكتاب العرب في الكويت في اواخر شهر كانون الاول ١٩٥٨[٤]، وتالف الوفد من كل من الفاضل بن عاشور والشاعر محمد الشعبوي والقاضي محمود الباجي ، واقاموا جلسات العمل بمدرسة الشويخ الثانوية ، وكان الكويت في اثنائها لم يحصل على استقلاله بعد عن السيطرة البريطانية، فكانت التجهيزات الاساسية للمؤتمر متواضعة[٥]، وشارك مزالي في المؤتمر بإلقاء محاضرة عنوانها **(البطولة كما يصورها الادب العربي في الاندلس وشمال افريقيا)** وقد انطوى البحث على بذور الاتجاه الفكري والاتجاه الفني لمحمد مزالي وموقفه من التراث في الاندلس

---

[١] -محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة،١٨٧.

[٢] -محمد مزالي ، منزلة الكاتب، مجلة الفكر ، السنة ١٠، العدد الاول ، تشرين الاول١٩٦٥، ص٣٣.

[٣]- المجلة التاريخية المغاربية،سمنار مع محمد مزالي ، ص٢٠٥.

[٤]-عقد مؤتمر الادباء العرب اول مرة في لبنان سنة ١٩٥٤ وعقد الثاني في سوريا وعقد للمرة الثالثة في القاهرة، وفي ١٩٥٨ استضافت الكويت المؤتمر الرابع في المدة من ٢٦-٣١ كانون الاول وقد حضره عدة وفود عربية وصل عدد افرادها ٢٠٠ عضوٍ وكان مزالي على راس الوفد التونسي المشارك فيه. ينظر مجلة رسالة الكويت ، السنة ٧، العدد ١٢٧١، الكويت، تموز، ٢٠٠٩ ، ص٢٣.

[٥]-المجلة التاريخية المغاربية،سمنار محمد مزالي ، ص٢٠٦.

وارتباطه الفكري بمديح الحكام والبطولات المحصورة بالطبيعة وضروب الشجاعة والتغني بالامجاد والنصر[١] ، فرى مزالي **"ان للمواقف الادبية الاندلسية تسجيلات للبطولات دون فهم الغاية منها او العناية بالهدف ،واذ تسقط الاندلس يتحول التغني بها الى التباكي عليها ، ويرى ان البطولة في الادب العربي لا سيما في شمال افريقيا ، تحتاج الى اطلاع اكثر عناية للتمكن من تحديد الاتجاهات بدقة ومعرفة مسارها"**[٢] .

ويمكن القول ان مزالي في اثناء مدة بقائه في الوزارة قام بأعمال واصلاحات بالتعاون مع رفاقه ،فكانت هذه المرحلة فاتحة لمرحلة جديدة في حياته تولى في اثنائها العديد من المهام.وكانت بداية للتقرب من بورقيبة ،والدليل على ذلك تم اختياره من قبل بورقيبة رئيساً للوفد التونسي للمشاركة في مؤتمر الرابع للادباء والكتاب العرب في الكويت.

٢-توليه ادارة الشباب والرياضة ١٩٥٩-١٩٦٤.

عندما كان محمد مزالي عائداً من الكويت ،علم بخبر تعيينه مديراً لإدارة الطفولة والشباب والرياضة من خلال الصحف على اثر تعديل وزاري اجراه الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في الحكومة[٣] .

كان لمزالي نشاط في نقابة التعليم الثانوي التابع لاتحاد العام التونسي للشغل ورئيسه هو الامين الشابي ، ولهذا اختاره رئيساً لديوانه ، عندما عين وزيراً للتربية، من بين العديد من زملائه الناشطين في الحزب والنقابة، وهذا المنصب جعله قريبا من بورقيبة، علاوة على انه اكتسب شهرة بتأسيسه لمجلة الفكر قبل الاستقلال[٤].

عند عودته الى تونس وفي اثناء نزوله في المطار يوم السبت ٣٠ كانون الاول ١٩٥٨ تسلم من الكاتب الخاص لبورقيبة علالة العويتي دعوة لمقابلة بورقيبة [٥]، واستقبله بورقيبة بمنزله الخاص بحي الطرابلسية مع مجموعة من اعضاء الحكومة، وذكر مزالي ان بورقيبة في اثناء لقائه به سأله اذا كان يرغب في أبقاء ادارة الشباب والرياضة تحت اشراف وزارة التربية

---

[١]-سعيد فرحات ، اتجاهات فكرية في الادب التونسي الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ١٩٨١، ص٢٤.

[٢] - محمد مزالي ، دراسات ثقافية، ص٧٥.

[٣] - قناة الجزيرة الفضائية ، لقاء مع محمد مزالي ، ج٣، ٨كانون الثاني٢٠٠٠ .

[٤]-رسالة من السيد البشير بن سلامة، بتاريخ ٣ اب ٢٠١٤.

[3]-Mohamed Mzali, Op.Cit, p125

القومية، او تابعة للرئاسة فأختار مزالي ان تكون تابعة للرئاسة مباشرة[١]. سعياً منه على ما يبدو للحصول على دعم اكبر للرياضة والشباب استناداً الى الثقل الذي تمتعت به المؤسسات التابعة الى رئاسة الجمهورية، وللتمتع بحرية اكبر في العمل.

باشر في منصبه الجديد في ٢ كانون الثاني سنة ١٩٥٩ وبتسلمه هذا المنصب اصبحت ادارة الشباب والرياضة تابعة مباشرة الى رئاسة الجمهورية [٢]، وبتوليه هذا المنصب اصبح بمثابة كاتب دولة اجاز له حضور اجتماعات المجالس الوزارية [٣] .

عند توليه ادارة الشباب والرياضة ادرك الضرورة لإلحاق الرياضة المدرسية والجامعية بإدارة الرياضة المسماة (بالمدنية) ،فاول عمل قام به هو الحاقها بإدارة الشباب والرياضة بعد ان كانت تابعة لوزارة التربية القومية، وسعى الى القيام بالإصلاحات اللازمة، فبادر الى تكوين الكوادر اللازمة لتنفيذ الاعمال المطلوبة والضرورية في الادارة[٤]، فتقرر تدريس مادة التربية البدنية والرياضية خمس ساعات بالنسبة للسنوات الاربع الاخيرة من التعليم الابتدائي بدلاً من ساعة واحدة في الاسبوع، وان يقوم بتدريس هذه المادة مدربون أختصاصيون، وثلاث ساعات بالنسبة للمعاهد الثانوية، فضلا عن ثلاث ساعات اسبوعية بالنسبة للجمعية الرياضية التابعة لكل ثانوية، مع زيادة ساعتين لتدريب اعضاء الجمعية الرياضية المدرسية ، وادرك مزالي ان هذه الامور لايمكن تحقيقها من دون اعداد المدربين للعمل في هذا المجال، لذا قام بتأسيس مدرسة لتخريج الكوادر الرياضية قادرين على العمل وتعليم الطلبة [٥].

وعمل على تأسيس معاهد عليا ،وتكوين الحكام والمدربين من كل الدرجات ايضاً،وقام بجلب مدربين من خارج تونس لتكوين فرق وطنية، وفي مدة ادارته للشباب والرياضة قام بإنشاء معهد للفتيات سنة ١٩٥٩، للتخصص في التربية البدنية ويعد هذا المعهد الاول في تونس ، بعد ان اوعز مزالي الى العاملين في الادارة بعقد اجتماعات مع اولياء الأمور لإقناعهم بضرورة مشاركة الفتيات في الرياضة البدنية من خلال التسجيل في المعهد ،وبعد التخرج يكون تعيينهن في المدارس لتدريس مادة التربية البدنية[٦]، فبدأ بإقناع اقرب فتيات عائلته فأدخلهن في هذا

---

[١]- محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ص١٩٣ .
[٢]- محمد مزالي، حديث الفعل، ص١٥٥ .
[٣] - مجلة التضامن ،(باريس)، العدد ٢٩ ، تشرين الاول ١٩٨٣، ص١٥٥ .
[٤] -محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص١٩٥ .
[٥] - محمد مزالي ، الشباب التونسي، مجلة الفكر، السنة ١٦،العدد٦،اذار،١٩٧١،ص٤-٢٢ .
[٦]- قناة الجزيرة، لقاء مع محمد مزالي،ج٣.

المعهد حتى يعرف الناس ان دعوة الفتيات الى دخول معهد الرياضة هي دعوة قائمة على اساس الجد، فاول من دخلن معهد المدرسات في الرياضة هي اخت زوجته [١].

كانت لمزالي اهتمامات بالجانب الرياضي منذ طفولته الباكرة ، في مدينة المنستير فقد كان يعشق كرة القدم ويحرص على مشاهدة مبارياتها [٢]. لذا يمكن القول ان توليه لهذا المنصب كان فرصة لتنمية هذا الاهتمام من خلال تأسيس المشاريع اللازمة وإنشاءها التي يحتاج اليها الجانب الرياضي في تونس، وحث الشباب على ممارستها من خلال تشجيعهم وتعريفهم بفوائد التربية البدنية .

اما فيما يتعلق بالأنشطة الاجتماعية الثقافية اقتنع مزالي بضرورة الاكثار منها حتى يتسنى للشباب خارج الوسط العائلي والمدرسي والمهني التمتع بالجو الملائم، لتنمية ملكاتهم النفسية والجسمانية، وتحقيق الاندماج الاجتماعي، ونتيجة ذلك قام بإنشاء دور الشباب والمضايف والمصائف، على ان تتحمل الوزارة تكاليف انشائها مناصفة مع كل بلدية تتطوع لانشائها[٣] ، فبنيت سنة ١٩٦٣ اول دار للشباب في مدينة رادس[٤] ، اذ تحمس رئيس بلديتها عبد الله فرحات للمشروع ، وقام بافتتاحها الحبيب بورقيبة في ٣٠ اذار من العام نفسه، فاحتضنت كل الشباب في رادس وخارجها، وتلتها بناء دار الشباب في القصرين في ٢ حزيران، وبعد ذلك في سوسة وصفاقس والقيروان والقصرين وغيرها[٥].

ولم يكن انجاز كل هذا من دون مواجهة بعض الصعوبات والانتقادات التي يوجهها له الاعضاء في الحكومة،متهمينهُ بتبذير اموال الدولة وصرف الآلاف من الدنانير لبناء دور للشباب ، غير انه بالرغم من ذلك امكن له المتابعة بعزم ، وسجل تقدماً في هذا المجال، شجعه على القيام بأعمال اخرى[٦].

قام مزالي بانجاز بعض الاعمال التي كان لها اثرها في السنوات اللاحقة، منها انجازه الحي الرياضي بالمنزه ، فعرض المشروع على المسؤولين في وزارة التخطيط والمالية، بمناسبة اعداد

---

[١]- مجلة المستقبل ،(باريس)، لقاء مع محمد مزالي،العدد٢٤،١٧٠ايار ١٩٨٠ .

[٢]- مجلة التضامن ،(باريس)، العدد ٧٣ ، ١ايلول ١٩٨٤ ، ص٤٢.

[٣]- محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ص١٩٦ .

[٤]-اول دار انشأت في تونس وشمال افريقيا تطبيقاً لمقررات المخطط الثلاثي للمدة ١٩٦١-١٩٦٤، والهدف منها نشر التربية وتقديم انواع من الانشطة تساعد الشباب على تنمية شخصياتهم وصقل مواهبهم ومساعدتهم في تكوين علاقة شراكة مع المؤسسات والهياكل لدعم برامجهم وانشطتهم ينظر ناجية المالكي، دور الشباب في تونس، صحيفة الشروق، ١٨-٦-٢٠٠٥ www.alchourouk.com

[٥] - صحيفة المساء ،(تونس)، العدد ٩٤، ٣٠ اذار ٢٠١٣،ص١٨ .

[٦]- محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ص١٩٧ .

المخطط الثلاثي (١٩٦١-١٩٦٤) [١]،اذ نوقش المشروع مناقشة معمقة خلال الاجتماع الذي عقد في الوزراة، لا سيما ان الميزانية التي خصصت لادارة الشباب والرياضة كانت قليلة ٠,٩% من الميزانية المخصصة لثلاث سنوات، وبعد المناقشة الطويلة خصص ٤% من الاعتمادات المرصودة للمخطط الثلاثي، ما مكنه من المباشرة في انجاز الحي الرياضي في المنزه، فقام مزالي باختيار الارض بنفسه والبرامج والهندسة المعمارية في بنائه، كان الحي يتسع لخمسين الف مقعد، مع قاعة للرياضة متعددة الاختصاصات تتسع لستة الاف مقعد ، خصصت بلدية تونس خمسمائة الف دينار لتهئيتها وتشجيرها ، وكلفت شركة بلغارية بدراسة المشروع وانجازه وتولى مزالي المفاوضة مع الشركة فيما يتعلق بالكلفة وطرق الدفع ، وكانت الكلفة الاجمالية تقدر بثلاثة ملايين ونصف دينار، اربعمائة الف دينار فقط تسدد بالعملة الاجنبية ، اما البقية فقد دفعت على عشر سنوات مقايضة بالفسفاط والقوارص[٢]،ودامت الاشغال ثلاث سنوات وعمل فيها ليلا ونهاراً حوالي الف فني وعامل[٣] ، واعترضت هذا المشروع ردود فعل غاضبة ، اذ واجه تنفيذه صعوبات كثيرة حتى في داخل الحكومة [٤] ، فقد عقدت اجتماعات وزارية متعدده بشأن الموضوع وترأسها بورقيبة نفسه ، واعترض بعضهم بسبب اسناد المشروع الى البلغار الشيوعيين ، وما كان يسبب ذلك غضب امريكا، حينها رد بورقيبة قائلا :**" ليشربو البحر ، اني مستقل ، وهذا مشروع طيب وجدواه واضحة وتكاليفة معقولة جداً، وسوف ينجزه البلغار"** [٥] وامام اصراره ودفاعه عن مشروعه ومساندة بورقيبة له، تمكن من انجاز المشروع وشهد هذا الحي الرياضي لاول مرة في تونس افتتاح العاب البحر المتوسط سنة ١٩٦٧بمشاركة عشرين بلداً ،الذي اضطلع مزالي بمهمة تنظيمها على الرغم من عدم وجوده على رأس ادارة الشباب والرياضة، اذ كان حينها مدير الاذاعة والتلفزة [٦].

في إثناء وجوده على راس ادارة الشباب والرياضة وبوصفه مديراً عاماً، كلفه الديوان السياسي، بإعداد تقرير حول الشباب التونسي بمناسبة انعقاد مؤتمر الحزب الحر الدستوري التونسي السابع من ١٩ -٢٢ تشرين الأول ١٩٦٤ ،واعتمد هذا التقرير كوثيقة رسمية للمؤتمر، ووزع على المؤتمرين كافة في كتيب يحمل عنوان "**تقرير حول الشباب**" واشار في هذا التقرير

---

[5]-Mohamed Mzali, Op.Cit, p132.

[٢] - الفسفاط مادة منجمية اهم استخداماتها تخصيب التربة الزراعية ولها مشتقات كثيرة تستخدم في الصناعات الكيماوية مثل الحامض الفسفوري، والقوارص هي المنتوجات الزراعية من البرتقال واصنافه العديدة.

[٣] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،ص ٢٠٣.

[٤]-محمد مزالي ،حديث الفعل، ص١٦٠ .

[٥]- محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،ص ٢٠٤.

[٦] -محمد مزالي ،حديث الفعل، ص١٦٠ .

الـى مشـكلات الشـباب ،وتفـاقم بعـض الظـواهر السـلبية ،ومحاولـة علاجهـا واعـداد مشـاريع تتنـاول اسـاليب تنظيميـة ،وطـرق تكـوين الكـوادر وحـث الجميـع علـى التعامـل مـن اجـل مسـاعدة الشـباب علـى **"ان يتربـى تربيـة قوميـة اصـيلة ويضـمن لنفسـه ولامتـه المناعـة "**[١]، وقدم مزالـي فـي هـذا التقريـر بعـض المقترحـات مـن اجـل النهـوض بالشـباب وخلـق جيـل مثـالي مسـتقيم بـدناً وعقـلا وخلقاً،منها[٢]:

١- التعلـيم والتثقيـف فـالى جانـب نشـر العلـم والثقافـة ،النظـر فـي البـرامج والكتـب والنصـوص والقصـص والروايـات لتبـين مـدى اسـهامها فـي غـرس الاخـلاق الاصـيلة والصـحيحة فـيهم وتغذيـة نفوسهم بالوطنية.

٢- القيـام بدراسـة موضـوعية وشـاملة لواقـع التلاميـذ الراسـبين فـي التعلـيم الابتـدائي، الـذين لـم يتمكنـوا مـن النجـاح فـي الـدخول الـى التعلـيم الثـانوي، والنظـر فـي مصـيرهم وان تقـوم الدولـة والحـزب بايجـاد الوسائل لانتشالهم من البطالة والفساد، وجعلهم قادرين على الافادة والإنتاج.

٣- اليقظـة والاعتنـاء بحمايـة الشـباب ممـا يهـددهم بسـبب الافـلام التجاريـة الرخيصـة والمجـلات العابثـة وانتشار الخمور، من خلال القيام بحملة عامة وشاملة من اجل التوعية لمخاطر هذه الأشياء .

٤- اقـرار الخدمـة المدنيـة لا علـى اسـاس الحاجـة الاقتصـادية فقـط، بـل النظـر الـى كونهـا مدرسـة يتلقـى فيهـا الشـباب التكـوين الاخلاقـي والمـدني الـذي مـن دونـه يبقـى سـلبيا وعـاجزا عـن القيـام بـدوره فـي بناء المجتمع.

٥- الاقتنـاع الكامـل ان النهضـة بالشـباب لاتكـون كاملـة وسـريعة الا اذا اعتمـدت علـى التربيـة المتواصلة الشاملة.

وناشـد فـي نهايتـه بوجـوب اعطـاء التربيـة البدنيـة والرياضـية المقـام الاول مـن الاهتمـام بهـا، والعمـل علـى الاعتنـاء بالشـباب والقـدرة علـى تكيـيفهم ومواصـلة الجهـود لتكـوين الكـوادر الرياضـية وتمويـل التجهيـز الاجتمـاعي والرياضـي وعـده جـزءاً لا يتجـزأ مـن الميزانيـة الخاصـة ببنـاء اي مؤسسة[٣].

وبعـد بقائـه فـي هـذا المنصـب للمـدة مـن ١٩٥٩ -١٩٦٤ عُـين بعـدها مـديراً للاذاعـة والتلفـزة التونسية.

---

[١]- محمد مزالي، الشباب التونسي، ص٤ .

[٢]- المصدر نفسه ،ص ١٥.

[٣] - محمد مزالي، الشباب التونسي، ص٢٠ .

٣-توليه مهام ادارة الاذاعة والتلفزة ١٩٦٤-١٩٦٨.

كلف بورقيبة محمد مزالي برئاسة الاذاعة والتلفزة[١]، في تشرين الاول ١٩٦٤ وكان حينها مديراً عاماً للشباب والرياضة[٢] ، وذكر مزالي في شهادته انه لم تكن له رغبة في البداية لتولي هذه المهمه لرغبته في البقاء في ادارة الشباب والرياضة القربية من ميوله الشخصية، غير ان بورقيبة كرر الطلب ولترغيبه في هذه المهمه ادرج اسمه ضمن قائمة اعضاء الديوان السياسي، اذ صدر قرار تعيينه مديراً عاماً ضمن قائمة الحكومة ، ووضع منصب المدير العام في الاذاعة والتلفزة ضمن قائمة الوزراء وكان هذا ضمن انعقاد مؤتمر بنزرت [٣] سنة ١٩٦٤[٤] .

وكان هدف بورقيبة من انشاء التلفزة هو الاتصال بالشعب، اذ كانت رغبته الدخول في كل بيوت التونسيين والحديث اليهم وتوعيتهم[٥] .

نتيجة ذلك كلف بورقيبة محمد مزالي بإعداد مشروع لانشاء التلفزة التونسية وكل ما يتطلبه المشروع من موازنة وبرمجة واعداد الكوادر الفنية ، فضلاً عن التجهيزات الفنية الخاصة بالتلفزة، وكانت هذه مسؤولية كبيرة في نظر مزالي ما اثار قلقه وعبر عن ذلك **بقوله: " انها مهمه صعبة معناها انشاء تلفزة من العدم ومتابعة ما قام به اسلافي من الحقل الاذاعي وعلى السعي المتواصل لرفع مستوى البرامج وتحسين نوعيتها وان العمل في الاذاعة هو**

---

[١]-أنشأت الاذاعة التونسية الحكومة الفرنسية سنة ١٩٣٨ من ميزانية فرنسا لا من ميزانية تونس، وجعلتها مؤسسة فرنسية لكي تتصرف بها كما تشاء ،وفي اثناء المفاوضات التي جرت بين تونس وفرنسا لمنح البلاد الاستقلال الداخلي ،اتفق الفريقان على ان تبقى الاذاعة التونسية ثلاثين سنة اخرى اذاعة فرنسية تشرف عليها فرنسا ،وتنفق عليها من ميزانتيها ،غير ان ذلك لم يستمر طويلا فبعد حصول تونس على استقلالها التام اعيد النظر في اتفاقية الاذاعة ، فلم تر فرنسا ما يبرر بقاء سيطرتها عليها، ولذلك تنازلت عنها لتونس ،فضلاً عن تنازلها عن قصر الاذاعة الذي قاموا ببنائه ، وكانت الاذاعة تعمل قبل الاستقلال ثماني ساعات للبرامج العربية ومثلها للبرامج الفرنسية لا انها بعد الاستقلال اصبحت عربية بحتة ، واصبحت الفرنسية اضافية وتنحصر بالاخبار فقط . ينظر احسان حقي، تونس العربية ، دار الشمالي للطباعة، بيروت ، (د. ت) ، ص٢١٢ .

[٢] - الجمهورية التونسية ،كتابة الدولة للاخبار والارشاد ، La`etiondu 13-11-1964، رقم c.3.31.

[٣] شهادات الذاكرة الثقافية حول الفنون واللغة والهوية ، ج ١٠،سمنار مع محمد مزالي حول ظروف وملابسات انشاء التلفزة التونسية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، ٢٠١٠، ص٩٥ .

[٤] - مؤتمر بنزرت : المؤتمر السابع للحزب الحر الدستوري والمسمى مؤتمر المصير عقد في مدينة بنزرت في ١٩تشرين الاول ١٩٦٤، والقى بورقيبة كلمة الافتتاح دعا فيه الى تغيير اسم الحزب وجعله الحزب الاشتراكي الدستوري ، ومحللا المنهاج الاقتصادي ولتأكيد المنهج الاشتراكي، ومعلناً تعايش القطاعات الثلاثة الحكومي والتعاوني والخاص، وقد وافق المؤتمر على اقتراحات بورقيبة ، كما جدد انتخابه لرئاسة الحزب.للمزيد ينظر Harold D. Nelson, op.cit- ,p54.

[٥]- سعيدة بو هلال، بدايات انشاء التلفزة التونسية ، صحيفة الصباح، ٣١ ايار ، ٢٠٠٩، تونس. www.turess.com

عمل نضالي الى جانب النشاطات الاخرى من اجل رفع مستوى الشعب الفكري والثقافي والاجتماعي " [١] .

كانت اكثر الصعوبات التي اعترضته في عملية انشاء التلفزة التونسية(وهو الاسم المحلي للتلفزيون التونسي) عدم توفر الموارد البشرية المؤهلة، اذ وجد امامه مجموعة قليلة من الكوادر، وكان مزالي يؤمن بضرورة الاعتماد على كوادر تونسية مؤهلة ، واضعاً هدفه الاول الاعتماد على كفاءات تونسية ،لإيمانه بقدرة المواطن التونسي، ولايجاد طابع وطني لهذا الجهاز الجديد[٢].

عندما تولى مزالي منصب مدير الاذعة والتلفزة ،عاش في اجواء صعبة ،لاسيما عندما قام بورقيبة بجولته التاريخية للبلدان العربية في سنة ١٩٦٥ [٣]،عندها زار اريحا وخطب بالجماهير ،واقترح حلا للقضية الفلسطينية من خلال الرجوع الى قرار التقسيم لسنة ١٩٤٧ الذي قصد به جعل اسرائيل في موقف المحجوز المتحدي للشرعية الدولية ، وتحريك الثورة الفلسطينية وتحريك العمل داخل حدود فلسطين ، وليس التهديد بشن هجوم على اسرائيل من الجيوش العربية فقط ، فظهر امام العالم بمظهر المهدد في امنه ووجوده، نتيجة ذلك تعرض بورقيبة في اثناء هذه المدة الى هجوم كبير وانتقادات حادة من القيادات العربية ،وخرجت الجماهير العربية مستنكرة موقف بورقيبة [٤] ،وهنا بصفته مديراً للإذاعة والتلفزيون اضطرمزالي الى مواجهة الحملة العنيفة التي شنتها الصحافة العربية والإذاعات العربية للرد على الخطاب، والتي تميزت بتهجمات صارخة،لهذا قرر هو وفريق من الصحفيين والإذاعيين ،اختيار اسلوب

---

[١] - محمد مزالي ، حديث الفعل، ص١٨٩ .

[٢] – الحبيب الاسود، (محمد مزالي ابعد تمهيداً لاقصاء بورقيبة)، مجلة دبي الثقافية ،(دبي) ،السنة ١١، العدد ١١٥، كانون الاول ٢٠١٤، ص٢٢.

[٣]- اثناء قيام بورقيبة بجولة الى المشرق العربي شملت مصر والأردن وبعد ذلك اريحا في آذار ١٩٦٥ القى فيها خطابا عرف فيما بعد باسم خطاب اريحا ، دل هذا الخطاب في ذلك المكان وذلك الوضع على "جرأة كبيرة" من جانبه ،حيث دعا فيه الفلسطينيون الى قبول لائحة الامم المتحدة الصادرة بتاريخ تشرين الثاني ١٩٤٧، والدخول في مفاوضات مع اسرائيل، ووضح بورقيبة ان هدف مشروعه فيقول**"انه يسعى لدفع اسرائيل الى الرجوع الى حدود ١٩٤٧ واعطاء العرب قاعدة قانونية متينة حاولت اسرائيل تغييبها بكل الطرق والاعتراف يضمن ربحاً هاماً يفوق الارض والمدن التي تسترجعها اذ تتمكن من اعادة اللاجئين ومن اقامة وضع يسوده التوازن لفائدة العرب الفلسطينيين"**.(ويبدو ان بورقيبة اراد من خلال خطابه تطبيق السياسة التي استخدمها مع فرنسا وهي سياسة المراحل السياسة البورقيبية بمعنى خُذ ثم طالب). ينظر الى عبد اللطيف الحناشي ، موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية ١٩٤٦ -١٩٦٥ ،مجلة الدراسات الفلسطينية المجلد ١٨، العدد،٢٠٠٧،ص٥٢-٦٩ .

[٤]- مجلة الشرق الاوسط، (باريس)، العدد ٧١٥ ، ١ تشرين الاول ١٩٨٠ .

مختلف ومناسب للرد على هذه الحملة ،وهي اللجوء الى الحجة والاستدلال الهادئ ويكون الرد بمعقولية للدفاع عن بورقيبة [١].

اول عمل قام به مزالي تأسيس مدرسة لتكوين الكوادر البشرية للقيام بأعمال الاذاعة، بعدها عمل على اعداد التجهيزات اللازمة كافة من اجل بعث التلفزة التونسية من تجهيز الكادر الى اقتناء المعدات اللازمة للبث ،وعند اكتمال التجهيزات تقرر ان يكون البث التجريبي يوم ٧ كانون الثاني ١٩٦٦ ،والقى محمد مزالي خطاباً في ليلة البث قائلاً: **" انا اعتمد عليكم ، اعرف انه تنقصكم التجربة لكن لا ينقصكم الحماس ، لقد قضى الامر ولا مجال للعودة الى الوراء، فاذا خبنا ، فانا وحدي المسؤول عن فشل التجربة ، واذا نجحنا ، فالفضل يعود اليكم انتم"** [٢] (ويقصد العاملين في التلفزة).

بدأ البث التجريبي وبثت البرامج وبعثت التلفزة التونسية لاول مرة في تاريخ تونس في ٧ كانون الثاني ١٩٦٦، وبعد ستة اشهر من البث التجريبي افتتحت التلفزة بصفة رسمية في ١حزيران ١٩٦٦ [٣]، وبقيت البرامج طول سنة ونصف تبث مباشرة لعدم توفر جهاز تسجيل تلفزيوني لعجز الميزانية عن شراء ذلك الجهاز[٤].

وتقرر ان يكون البث التلفزي لمدة ثلاث ساعات يومياً من الساعة السابعة الى العاشرة مساءً ، يبث ساعتين باللغة العربية وساعة باللغة الفرنسية [٥] .

استغل مزالي وجوده على راس الاذاعة والتلفزة فعمل على إعطاء الثقافة التونسية مكانه مرموقة من خلال هذه الاداة الإعلامية، فقام ببث عدد من البرامج الثقافية لتشجيع الثقافة التونسية، منها برنامج **(ثقافة حية)**، وقد امكن لهذا البرنامج تنشيط الفضاء الثقافي في تونس، وكان اشبه ما يكون بمجلة ثقافية يجتمع في صلبها اختصاصيون من كل ميادين الابداع ولابتكار ، فضلاً عن ما اشتمل عليه من عروض واحاديث مع كبار الادباء والمثقفين [٦] ، وبذلك اتيحت الفرصة امام المثقفين وامام الكفاءات جميعها على اختلاف مواهبهم للاسهام في البرامج التي يبثها التلفزيون التونسي[٧].

---

[١]-شهادات الذاكرة الثقافية حول الفنون واللغة والهوية، المصدر السابق ، ص٩٩ .

[٢] – المصدر نفسه، ص٩٨ .

[٣] - محمد مزالي، حديث الفعل، ص٢٠٠ .

[٤]- صحيفة العمل (تونس)، العدد ٨٦٤٤ ، ١٢ تموز ١٩٨٠ .

[٥]- شهادات الذاكرة الثقافية حول الفنون واللغة والهوية، المصدر السابق ، ص٩٩.

[٦] - محمد مزالي ، حديث الفعل، ص٢٠٠ .

[٧]- شهادات الذاكرة الثقافية حول الفنون واللغة والهوية، المصدر السابق ، ص١٠٠ .

هل ان البرامج التي بثت في التلفزة كانت من اختيار بورقيبة وبحسب رغبته ؟ لقد نفى مزالي هذا الشي بقوله **"كان بورقيبة يحب الانتاج التونسي والأغاني التونسية ،ويشجع عليها فكان هناك انسجام بيننا في الاختيارات وكنا على نفس الوجه وكان الزعيم يثق بنا"** [١].

يمكن ان يكون ما ذكره مزالي عن الانسجام في الاختيارات صحيح،غير ان هدف بورقيبة منذ البداية ومنذ تفكيره بإنشاء التلفزة، هو رغبته في دخول كل بيوت التونسيين، لذلك يمكن ان يكون لبورقيبة دور كبير في توجيه واختيار البرامج التي تبث ، لما للاعلام من دور كبير في نظره. وبذلك كان مزالي عند ادراته للاذعة والتلفزة اداة منفذة لتوجهات واراء ورغبات بورقيبة ، ولم يقدم على معارضته في حال من الاحوال ،ومن هذا الباب تم ترقية مزالي لتولي مهام وزارة الدفاع.

بقي مزالي على راس التلفزة اربع سنوات، الى ان عُين في ١٨ اذار١٩٦٨ وزيراً للدفاع فغادر قبل ان ينفذ مشروع بناء مقر خاص بالتلفزة، وذكر مزالي عن تجربته في الاذاعة والتلفزيون قائلاً " **لقد عشت مغامرة جميلة ومنعشة مدة اربع سنوات وبقلب تملكه الاسف فارقت الفريق الذي ساعدني في كسب الرهان** "[٢] .

من خلال ما تقدم نجد ان لمحمد مزالي قدرة كبيرة للعمل في مجالات مختلفة، واستطاع ان يحقق نجاحاً فيها، فيبدو انه امتلك مؤهلات ساعدته في تولي مناصب ادارية بعد الاستقلال مباشرة ،بدءاً بتوليه مسؤوليات ادارة ديوان وزارة التربية ومروراً بتوليه مهام الاذاعة والتلفزة التونسية وعلى يديه بعثت الاذاعة التونسية،بعدها استطاع ان يحقق نجاحاً ايضا في اثناء اداءه مهامه في ادارة الشباب والرياضة ،وعّد هذا النجاح مؤهلا لتولي مهام وزارية متعددة وهذا ما سنلاحظه في الفصل القادم.

---

[١] -سعيدة بو هلال، المصدر السابق .

[٢]-محمد مزالي، حديث الفعل، ص٢٠٠ .

الفصل الثالث

المهام السياسية والنشاط الثقافي لمحمد مزالي ١٩٦٨-١٩٨٠

اولاً:توليه المناصب الوازية.

١- تقلده لوزارة الدفاع ١٩٦٨-١٩٦٨.

٢-توليه وزارة التربية القومية المرة الاولى ١٩٦٩-١٩٧٠.

٣-توليه وزارة التربية القومية للمرة الثانية ١٩٧١-١٩٧٣.

٤-توليه وزارة الصحة ١٩٧٣-١٩٧٦.

٥-وزيراً للتربية القومية للمرة الثالثة ١٩٧٦-١٩٨٠.

ثانياً: نشاط محمد مزالي الثقافي.

١ -دوره في اتحاد الكتاب التونسيين ١٩٧٠-١٩٨٠.

٢-أعمال محمد مزالي الفكرية.

اولاً: توليه المناصب الوزارية

١-تقلده لوزارة الدفاع ١٩٦٨-١٩٦٩.

بعد ان تولى مزالي عدة مهام ابتداء من سنة ١٩٥٦،اهلته هذه المهام لتولي مسؤوليات كبيرة في الدولة التونسية، كان اولها وزارة الدفاع.

منذ بداية سنة ١٩٦٨ شغل محمد مزالي عدة مناصب وزارية ، واولها تعيينه وزيراً للدفاع في ١٨ اذار سنة ١٩٦٨ في حكومة الباهي الادغم[١] ، واختلف هذا المنصب عن المناصب السابقة بوصفه اول منصب وزاري تسلمه، وذكر مزالي انه شعر(بفخر كبير) عند توليه هذه الوزارة لا لأنها مسؤولية وزارية فقط ،بل لان رسالتها تمثلت بالحرص على حماية المواطنين والحفاظ على مصلحة الوطن العليا[٢] .

ان تعيين مزالي وزيراً للدفاع ،وهو ليس من المتخصصين ولا يمتلك خبرة في هذا المجال، يأتي من توافق رأيه مع رأي بورقيبة، حول تحجيم الجيش ،وعدم اشراكه في السياسة ،اذ ان مزالي كان يرى ان خير سياسة دفاعية هي تكوين الانسان، حتى يصبح قادراً على الدفاع عن نفسه ووطنه، وان تكديس الخردة والحديد هو استنزاف للطاقات الاقتصادية والوطنية.

كان مزالي مقتنعاً من قبل ان يصبح وزيراً للدفاع بان نسبة الميزانية الكبرى يجب تخصص لفائدة التربية والتعليم والصحة وتصرف لها[٣]،لاسيما ان الدولة بعد الاستقلال لم تول عنايتها للجيش[٤] بقدر ما وجهت اهتمامها الى تطوير الجانب التربوي ، فضلا عن ان وبورقيبة نفسه

---

[١] - الباهي الادغم :(١٩١٣-١٩٩٨): ولد سنة ١٩١٣ في العاصمة تونس ، اكمل دراسته الثانوية في المدرسة الصادقية،بعدها عمل في الادارة قسم المحاسبات ،تدرج بالعمل السياسي منذ سنة ١٩٢٩، انضمّ إلى الحزب الدستوري الجديد، وادى دوراً مهما في الحركة الوطنية، نشط بعمله في الخارج لتوثيق الصلات مع البلدان والأحزاب الشقيقة لعرض القضية التونسية في جامعة الدول العربية، في سنة ١٩٥٥عاد إلى تونس وأصبح أمينا للحزب في مؤتمر صفاقس، تولى أول وزارة في عهد بورقيبة سنة ١٩٥٧، واستمر فيه الى ان اقصى عن منصبه سنة ١٩٧٠ ،في أثناء وجوده في الأردن للمصالحة بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية بتكليف من جامعة الدول العربية ١٩٧٠،توفي سنة ١٩٩٨.ينظر مسعود الخوند، المصدر السابق، ص١٣٧.

[2]-Mohamed Mzali, Op.Cit, p177 .

[٣] -قناة الجزيرة الفضائية الفضائية الفضائية، لقاء مع محمد مزالي، ج٤، ١٥نيسان٢٠٠٠ .

[٤]-الجيش التونسي: اسس الجيش التونسي في ١٥حزيران ١٩٥٦ بعد استقلال تونس، كرمز للسيادة، وضمّ آنذاك قرابة ٩٥٠٠ جندي، غير أن الفلسفة البورقيبية التي بنيت عليها المؤسسة العسكرية، مختلفة تمام الاختلاف عن منطلقات الجيوش العربية التي كانت عماد التغيير السياسي ، بني هذا الجيش على وفق النموذج الفرنسي والمرتكزات الفكرية الجمهورية نفسها التي اعتمدها بورقيبة، والتي حتمت إبعاد العسكر عن أي علاقة بالمجال السياسي، واتخذ من التجربة الأتاتوركية انموذجا لبناء جيشه، تكون الجيش التونسي في البداية من حرس الباي وجنود آتين من الجيش الفرنسي شاركوا في ميادين القتال في الهند الصينية، وخاضوا قبلها معارك تحرير فرنسا، =بعد ذلك قامت تونس بارسال مجموعة من الطلبة الى المدارس العسكرية في فرنسا والولايات الامريكية وايطاليا =للعمل ضمن المؤسسة العسكرية التونسية. للمزيد عن الجيش التونسي ينظر معهد الربيع العربي، الجيش التونسي والسياسة من الحياد الاجباري الى الحياد الايجابي. www.arabsi.org

لم يولِ الجيش الاهتمام الكافي [١]، وهذا ما تعلمه مزالي من مفهوم بورقيبة، فأي مسؤول في تونس على يقين ان بلاده اصغر بلدان المغرب العربي ، واقلها من حيث الموارد والمساحة وعدد السكان ، لذلك ينبغي رسم سياستها الداخلية والخارجية على ضوء ذلك وفي حدود الممكن، من دون تحمل اعباء غير مبررة ، فموارد تونس محدودة ما تطلب التخفيف من النفقات العسكرية ، ومن هذا المنطلق لم توجه الحكومة التونسية اهمية الى اقامة جيش كبير الحجم او تخصص ميزانية كبيرة لشراء الاسلحة، فميزانية وزارة الدفاع تقدر ب ٥% قياساً لميزانية وزارة التربية التي تصل الى ٣٠% ،اذ ان بورقيبة اكد على تحديد حجم القوات المسلحة مبرراً ذلك بإنه ليس بنية تونس استخدام الجيش ضد احد ، كما لا يعتقد ان احد من جيرانه سيغزو بلاده، واذا كان هناك احتمال تعرض بلاده الى خطر دولة كبرى ، فأن جيشه لا يستطيع الدفاع عن بلاده [٢].

قد تكون هذه غاية بورقيبة في البداية غير انه بعد ذلك اثارت المؤسسة العسكرية لديه القلق وعدم ألاطمئنان على اثر المحاولة الانقلابية العسكرية في سنة ١٩٦٢[٣]، التي حكم خلالها على العديد من الضباط بالإعدام والسجن ، وعمد بعدها الى تقييد الجيش [٤] ، وعدم

---

[١] - في الجلسة التي اعدت لوضع الدستور سنة ١٩٥٩ نوقشت ميزانية الدولة ايضا، كان من ضمنها ميزانية وزارة الدفاع سأل بورقيبة **" كم نستطيع شراء بكل هذا المال من دبابة، فأجابه الباهي الادغم ثلاث دبابات، فسأل وكم من طائرة حربية، فأجابه الادغم بان ميزانية وزارة الدفاع كلها لا تكفي لاقتناء طائرة فقال بورقيبة "ان الدخول في مغامرة الدفاع امر صعب لذلك اوصيكم في حياتي، حتى مماتي بأن تضعوا هذا المال في وزارة التربية القومية لانني اراهن على الانسان ويجب ان نضع الاولوية المطلقة عند اعداد ميزانية الدولة للتعليم"**. ينظر www.Turess.com

[٢] - صلاح العقاد ، البورقيبية ومستقبل تونس، مجلة السياسة الدولية، العدد٢٧، كانون الثاني، ١٩٧٢، ص ١٢٤- ١٢٥ .

[٣]- محاولة لتغيير نظام الحكم في تونس، حدثت في ٢٠ كانون الاول ١٩٦٢ ، اشترك في القيام بها مجموعة من العسكريين والمدنيين، فجمعت اكثر من اتجاه واكثر من جيل ،تتعلق اسبابها باستغلال بورقيبة للشرعية النضالية ليتحول إلى حاكم مستبد ،سخر الدولة وأجهزتها لبناء شخصية أسطورية ملهمة مستخفا بالشعب وقدراته وقيمه مشككا في إمكانياته ما شكل مقدمة للقضاء على مكونات المجتمع المدني، فضلا عن ما آلت اليه معركة بنزرت التي وقعت في تموز عام ١٩٦١ التي راى فيها منظمو المحاولة الانقلابية عملية فاقدة للمبررات الموضوعية ،وللحسابات السياسية الدقيقة لاسيما وأن الرئيس الفرنسي "ديغول" كان قد وعد بالجلاء عن بنزرت بمجرد الانتهاء من مشكلة الجزائر ،إلا أن بورقيبة اختار الزج بآلاف العسكريين والمتطوعين في معركة غير معدة سلفا وغير متكافئة عسكريا انتهت بسقوط ما بين ٥٠٠٠ و٦٠٠٠ من الشهداء. شارك في المحاولة طرفين رئيسيين هما العسكريين والمدنيين، أما العسكريون فعددهم سبعة أما المجموعة المدنية، فقد قدر عددهم بعشرين شخصا ،إلا أن المحاولة فشلت بسبب الرغبة التي أبداها العسكريون في الانفراد بالعملية الانقلابية وبالتالي تأجيلها وما صاحب ذلك من وشاية أحد الضباط الصغار، مما ادى الى الفشل التام في تحقيق هدفها الرئيسي المتمثل في إزاحة "بورقيبة" من هرم السلطة. للمزيد ينظر سالم البيض ، الازمات الاجتماعية والسياسية ، مجلة علوم انسانية ، السنة الثانية ، العدد ١٨، شباط ٢٠٠٥، ص٢٢١.

[٤] - بدرة معلول ، دور المؤسسة العسكرية التونسية في المرحلة الانتقالية الى الديمقراطية ،تشرين الثاني ،٢٠١١. carnegieendowment.org

تنظيمه ليسهل السيطرة عليه واستيعابه، والى تعيين اشخاص ليس من العسكريين على رأس وزارة الدفاع، ولا يمت اختصاصهم بصلة الى هذه الوزارة[١].

بقي محمد مزالي مؤمناً بأن خير وسيلة دفاعية هي تكوين الانسان حتى يصبح قادراً على الدفاع عن نفسه ، وان الانفاق على شراء الاسلحة والعتاد ما هي الا خسارة في الطاقات الاقتصادية والوطنية[٢].

اول مهمة رسمها مزالي لنفسه وهو على رأس هذه الوزارة ، هي تقوية روح الانتماء الى الجمهورية التي من شأنها بعث النشاط والحمية في كل عناصر الجيش الوطني، واكد ذلك في محاضرة القيت امام الضباط والطلبة الضباط بالأكاديمية العسكرية في اذار سنة ١٩٦٩ قائلاً: **" يجب سن القيم التي تعد الاسس القوية للدولة ، والتأكيد على اهمية الشرعية ، واحترام القوانين وما تقتضيه الضرورة، وتتطلبه من ان لا يستمر الجيش ابدأ لخدمة الاغراض السياسية وجعل قوة الجيش في خدمة مصالح الوطن والمواطن ومن حق المواطن ان يحيا في ظل دولة قوية مهابة وعادلة ، ولا تتمثل الهيبة بقوة السلاح بل في العدالة والاستقامة والانسجام مع المصلحة العامة ، بعيداً عن الشعارات البراقة والتوفيق بين حرمة المواطن وهيبة الدولة وهذا هو مفتاح الامن والاستقرار "** [٣].

رسم محمد مزالي سياسته وإعماله على هذا النهج وسار عليه، ولم تكن له خلال توليه الوزارة اعمال تذكر سوى بعض الاعمال التي كانت من ضمن النهج العام ، فعلى سبيل المثال انه في اثناء توليه وزارة الدفاع قام باستقبال وفد من منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ابو اياد[٤] ، وعدد من الشخصيات وطلب منه الوفد المساعدة من خلال مدهم بالاسلحة، فاستجاب

---

[١]- بدءاً بالباهي الادغم ١٩٥٧-١٩٦٦،احمد المستيري١٩٦٦-١٩٦٨، محمد مزالي ١٩٦٨-١٩٦٩،الباجي قائد السبسي ١٩٦٩-١٩٧٠،حسيب بن عمار ١٩٧٠-١٩٧١ .ينظر مجلة الكفاح العربي ، (بيروت)، العدد ٨٦ -٧١٩، ٤ شباط،١٩٨٠.

[٢] - قناة الجزيرة ، لقاء مع محمد مزالي،ج٤ .

[٣] -محمد مزالي ، دراسات ،ص ٢٢٨ .

[٤]- ولد صلاح مصباح خلف "أبو إياد"في ٣١آب ١٩٣٣في مدينة يافا ،وكان والده موظفا في السجل العقاري في يافا، التحق بالمدرسة المروانية وفيها درس المرحلتين الابتدائية والإعدادية ، التحق بـ"أشبال النجادة "منذ صغره، و"النجادة" تنظيما فلسطينيا يسعى لمقاومة الاستعمار البريطاني والأطماع اليهودية في فلسطين ، اعتقل لأول مرة في حياته وهو في الثانية عشرة من العمر في تشرين الثاني ١٩٤٥ بتهمة الاعتداء على تلميذ يهودي ،هاجر مع =عائلته من يافا يوم ١٩٤٨/٥/١٣ الى غزة ،هرباً من إرهاب المنظمات الصهيونية التي أعلنت بعد ذلك بيومين قيام دولة إسرائيل .غادر غزة إلى القاهرة في سنة ١٩٥٢ ليلتحق بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر ،ونشط خلال دراسته الجامعية في الحركة الطلابية وتعرف في سنة ١٩٥٤ على ياسر عرفات الذي كان رئيسا لرابطة الطلاب الفلسطينيين التي انضم اليها صلاح خلف، ونشط في إطارها واصبح رئيسا لها بعد تخرج ياسر عرفات في سنة ١٩٥٥. ينظر صلاح خلف، فلسطيني بلا هوية www.fatehmedia.org.

لطلبهم ومدهم بكمية من الاسلحة تمثلت بعدد من الاسلحة الخفيفة من الرشاشات والمدافع الخفيفة على الرغم من امكانات الجيش التونسي الضعيفة[١]، وكانت مساعدته لمنظمة التحرير الفلسطينية من دون الرجوع لبورقيبة، لانه عدّ الامر في ذلك الوقت واجباً يفرض نفسه لمساعدة الشعب الفلسطيني، ومتيقناً ان رئيس الدولة، والوزير الاول لم يكن في وسعهما الا الموافقة على قراره[٢].

لا يعرف السبب الذي دفع مزالي الى تقديم المساعدة من دون اعلام بورقيبة او الوزير الاول ،ومن الممكن ان مزالي عدّ الامر واجباً،غير انه يبدو ان مزالي اراد ان يوضح انه مستقل في اتخاذ قرارته،ولا احد يتدخل فيها.

في اثناء وجوده في الوزارة قام بتنظيم دورات تكوين عسكري برعاية ضباط وضباط صف، شملت كل التلاميذ القادرين من حيث بنيتهم على القيام بالتدريبات العسكرية ابتداءً من السنة الدراسية السادسة والسابعة، وشمل التدريب على الرياضة البدنية والتربية الوطنية وفنون التحكيم من السلاح والانضباط العسكري ،ومدة التدريب فيها ثلاثة اسابيع في شهري تموز آب[٣].

قام محمد مزالي في اثناء توليه مسؤولية الوزارة ببعض الزيارات الرسمية ضمن الواجبات الموكل بها، منها زيارة الى تركيا على راس وفد كبير من الضباط سنة ١٩٦٨، ووقع بروتوكول للتعاون الفني لتكوين ضباط واختصاصيين عسكريين وتأهيلهم [٤]. وفي ٢٩ حزيران ١٩٦٨ استقبل محمد مزالي ، بعثة عسكرية مغربية، وتباحثوا في اثناءها في سبل التعاون العسكري بين البلدين[٥].وفي ٢٧ اب ١٩٦٨ رأس وفد من كبار الضباط التونسيين لزيارة حاملة الطائرات الامريكية"اندبندانس" ، وكان الجو ودياً اذ بذل مضيفوه جهدهم لجعل الاقامة طيبة على متن هذه القطعة التابعة للاسطول السادس[٦].

بداية سنة ١٩٦٩ قام بزيارة رسمية الى فرنسا بدعوة من وزير الدفاع الفرنسي ميشال دوبري(MichelJean-PierreDebré)،والتقى رئيس الجمهورية الفرنسية جورج بومبيدو (GeorgesPompidou) واتفقوا على تعزيز التعاون العسكري بين البلدين[٧] وكانت الزيارة

---

(1)-Mohamed Mzali, Op.Cit, p89 .

(٢) -محمد مزالي ، ،نصيبي من الحقيقة، ص٢٧١.

(٣) -محمد مزالي ، حديث الفعل، ص١٣٠.

(4)-Mohamed Mzali, Op.Cit, p184 .

(٥) - عبد القادر العريبي ،تونس وعلاقاتها مع بلدان المغرب العربي (١٩٤٧-١٩٨٠)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس،الجامعة التونسية، ١٩٩٩،ص٧٠٩.

(٦)-محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص٢٧٤.

(٧) -حسن زعير حزيم، الحبيب بورقيبة ودوره السياسي(١٩٣٣- ١٩٨٧) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة بغداد،٢٠٠٣،ص١٣٤ .

وديــة ومثمــرة علــى الــرغم مــن ان العلاقــات بــين البلــدين مــا تــزال متــأثرة بتــداعيات حــرب بنــزرت[١]،فســاعدت هــذه الزيــارة فــي أعــادة الصــفاء الــى العلاقــات التونســية الفرنســية واســتئناف التعاون العسكري في اوقات افضل[٢].

نخلـص الـى القـول ان مـدة تـولي محمـد مزالـي لـوزارة الـدفاع لـم تكـن طويلـة فقـد عـين فـي اذار ١٩٦٨ وفـي تشـرين الأول ١٩٦٩عـين وزيـراً للتربيـة للمـرة الاولـى، لـذلك فـأن قصـر الفتـرة التـي قضـاها فـي منصـب وزيـر الـدفاع، فضـلاً عـن قلـة الميزانيـة وعـدم توجيـه الاهتمـام الكـافي مـن الدولـة للجـيش لـم يمكنـه مـن اجـراء خطـط اصـلاحية جديـة ومثمـرة لتطـوير الجـيش التونسـي ،وبـذلك لـم يقدم محمد مزالي خلال مدة توليه وزارة الدفاع اي عمل مهم.

٢ – توليه وزارة التربية القومية المرة الاولى ١٩٦٩-١٩٧٠ .

تــولى محمــد مزالــي وزارة التربيــة القوميــة لــثلاث مــرات ، المــرة الاولــى مــن كــانون الاول ١٩٦٩ الــى ١٢حزيــران ١٩٧٠،والثانيــة مــن تشــرين الثــاني ١٩٧١الــى ١٨اذار ١٩٧٣، والثالثــة من حزيران ١٩٧٦الى اذار ١٩٨٠، وهو بذلك شغل مدة ثمان سنوات في هذه الوزارة.

---

[١]- لم تكن قاعدة بنزرت بالموقع العادي على حوض البحر المتوسط فقط، بل كانت فرنسا تعد ميناء بنزرت قاعدة عسكرية بحرية لايمكنها الجلاء عنها، لأنها كانت مرسى لسفن اسطولها في البحر المتوسط ،ومقر لقيادة قواتها البحرية، كانت موافقة بورقيبة على تلك السياسة الفرنسية منذ البداية، متفقة مع سياسته المرحلية في مكافحة الأستعمار، (خذ وطالب)، وعلى الرغم من توقيع إتفاقية حزيران سنة ١٩٥٨ بين فرنسا وتونس فقد ظلت بعض المسائل المعلقة في العلاقات الفرنسية التونسية ومنها مشكلة بنزرت ،وقد عرضت كل من الحكومتين تسويات على الأخرى بشأن مشكلة بنزرت فقال الفرنسيون إن الحالة محرجة في أوربا، والوقت غير مناسب للخوض في مسألة الجلاء عن بنزرت، رد التونسيين بأنهم مستعدون لمنحهم الوقت الكافي ولكن على الفرنسيين أن يعترفوا في البداية بمبدأ إجلائهم عن بنزرت، أما فرنسا فأجابت بأنها مستعدة لدفع مبلغ من المال مقابل إيجار القاعدة ،ردت الحكومة التونسية على هذا الاقتراح الفرنسي بأنه لاحاجة لها بالمال ،وإذا اقتضت مصلحة تونس إستغلال القاعدة إستغلالاً مشتركاً فإن التفاهم في هذا الشأن لا يكون إلا بعد جلاء القوات الفرنسية عن بنزرت ، بعد ذلك تقدم بورقيبة في ١٧ شباط ١٩٥٩ بعرض يتلخص في أن تونس تقبل بحل قضية بنزرت على أساس منح فرنسا حق البقاء لمدة معينة بشرط أن تتعهد فرنسا مقابل ذلك بوضع حد للحرب الجزائرية، ولكن فرنسا لم توافق على العرض، غير ان الأحداث تطورت عندما علمت الحكومة التونسية في اول تموز ١٩٦١، بأن الحكومة الفرنسية أخذت تقيم العديد من المنشآت في قاعدة بنزرت وتنشئ الممرات الجديدة في المطارات، وكان معنى ذلك أن فرنسا لاتنوي الجلاء عن تلك القاعدة، وفي نهاية شهر تموز حدثت أزمة جديدة بين تونس وفرنسا بسبب تصميم فرنسا على توسيع مدرج المطار العسكري في القاعدة، وفي اليوم نفسه أعلن الرئيس التونسي بورقيبة امام مجلس الأمة الذي دعاه للانعقاد بدورة استثنائية ليطلعه على الأحداث التي ظهرت في الأفق السياسي لاسيما قضية بنزرت، وايد مجلس الأمة بالإجماع خطط الحكومة لمواصلة الكفاح حتى الجلاء النهائي وإن حصاراً سوف يضرب حول قاعدة بنزرت اعتباراً من ١٩ تموز وبدأ المتطوعون التونسيون بحصار القاعدة وفي الصباح التالي فتح الجنود الفرنسيون النار على المتظاهرين خارج القاعدة مما أدى إلى سقوط العديد من الضحايا، بعدها شنت القوات الفرنسية هجوماً على مدينة بنزرت ، واحتلت الثكنات وقصفت القصبة وادي ذلك كله الى استشهاد وجرح عدد كبير من المدنيين الامر الذي دفع الحكومة التونسية الى عرض القضية التونسية في الامم المتحدة.ينظر انتصار جاسم سعد يوسف ،السياسة الأمريكية تجاه تونس١٩٥٦- ١٩٦٧، اطروحة الدكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ،كلية التربية- أبن رشد-، ٢٠١٠،ص١١٧-١٢٥.

[3] -Mohamed Mzali, Op.Cit, p185 .

لم يكن توليه لوزارة التربية في كانون الاول ١٩٦٩ غريباً عليه لا لممارسته مهنة التدريس فقط، بل لتعيينه سابقاً مدير ديوان وزارة التربية القومية بعد الاستقلال سنة ١٩٥٦، لذا فأن عودته الى الوزارة هذه المرة مثلت بداية لإجراء اصلاحات (لم يتمكن من اجرائها في ذلك الوقت) فكرس نشاطه مجدداً لتلك المهمة [١].

اكد مزالي على اهمية وزارة التربية قائلاً **" انه لا توجد مسؤولية سياسية تضاهي من حيث الدقة مثل مسؤولية وزير التربية، ففي مثل هذا القطاع لا شي له شأن وقيمة يمكن انجازه دون قدح لزناد الفكر، واعمال الرأي في دائرة النظريات لكن لا مفر من الاخفاق وضريبة المسعى ،واذا ما انحصر النشاط في مجرد العمل النظري للتعليم بمختلف مظاهره ، لذلك فأن وزارء التربية مصممين على الا يكتفوا بالاشراف عن قرب عن المشكلة، فهم ملزمون بأن يسعوا من اجل ان يكون في الحاضر شحنة من الزمن المقبل ويكون محط امالنا "**[٢] .

المعروف ان الاصلاحات على التعليم في تونس تتالت منذ سنة ١٩٥٨[٣] ،لارساء قواعد النظام التربوي التونسي الذي عمل على تحقيق مبدأ ديمقراطية التعليم ، بفتح ابواب التعليم امام الاطفال جميعهم من دون تمييز ،ومن ذلك التاريخ شهد قطاع التربية حركة دائمة ركزت في توصيل التعليم الى اكبر عدد ممكن، مع توسيع خارطة المؤسسات التربوية بأنواعها كلها ،غير ان الجودة العلمية التربوية ونجاحها ظلت مهمه صعبة للمنظومة التربوية من دون القيام ببعض الاصلاحات الجذرية لقطاع التعليم[٤].

---

[١] - المجلة التاريخية المغاربية، سمنار مع محمد مزالي ، ص٢٠١ .

[٢] - محمد مزالي، حديث الفعل، ص٢٦٠ .

[٣] - في خطاب القاه بورقيبة في ٢٥حزيران ١٩٥٨ اعلن عن رغبته في اجراء تغيير جذري للتعليم، فكلف جون دوبيس (JEAnDEBIESS)(مدرس فرنسي) بمهمة وضع نظام جديد للتعليم في تونس ، فقام الاخير بوضع المشروع وعرضه على بورقيبة فوافق عليه وامر بتنفيذه، فصدر قانون في ٤ تشرين الثاني ١٩٥٨ لإصلاح التعليم، واهم ماجاء بالمشروع هو استمرار التدريس باللغة الفرنسية، ويكون التعليم بمقتضاه على ثلاث مراحل تعليم ابتدائي ، تعليم ثانوي، تعليم عال ، وان هذا الاصلاح على اهميته لم يكن محل اجماع من طرف النخبة الثقافية والسياسية ، ورفضه الامين الشابي وزير التربية القومية انذاك واستقال من منصبه ومعه محمد مزالي، لانهما كانا من المتحمسين لعملية التعريب رافضين مشروع اصلاح التعليم بروحه الفرنسية ، فكان دوبيس يرى (ضرورة التخلي عن نظام التعليم التقليدي لانه مكلف ومواصلة التعليم المزدوج بلغتين وقد اقتنعت الحكومة التونسية بذلك، فيكون التعليم كالاتي: ففي السنوات الثلاثة الاولى من الابتدائي يدرس التلاميذ ١٥ ساعة بالعربية و١٠ ساعات بالفرنسية في الاسبوع ،وفي ثلاث السنوات الثانية يدرسون ١٥ ساعة بالفرنسية و١٠ ساعات بالعربية في الاسبوع ،وفي التعليم الثانوي فإن المواد كلها تدرس بالفرنسية . واراد بورقيبة من هذه الاصلاحات اللحاق بالغرب الرسمالي.ينظر طارق بن الحاج محمد، جدلية التعليم والتحديث في تونس غداة الاستقلال،تنسيقية مديري التعليم الابتدائي، تونس،٢٠١٣، ص٢٣.

[٤]-التقرير الوطني لتقييم مستوى تنفيذ الجمهورية التونسية لبرنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، ايار ٢٠١٣، ص٥٦.

شكلت لجان عديدة في سنة ١٩٧٠ لمراجعة النظام التربوي ، وتغيير الكتب والبرامج لجعلها مسايرة والثقافة التونسية ، لتأصيل التلميذ في بيئته وتأريخه ،اسهم فيها عدد كبير من المربين والمرشدين التربويين والإداريين، واتصل بعدد من المؤسسات والمنظمات، لإبداء رأيها في الموضوع ، واهتمت هذه اللجان بدراسة مشكلات التعليم من جوانبه جميعها، وانتهت الى وضع تقارير مهمة، وأوصت بوضع ثلاثة مشاريع لإصلاح التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي ومشاريع لإصلاح هياكل الجامعة ونظامها [١]. غير ان هذه اللجان اصطدمت بصعوبات جمة ناتجة عن معارضة بعض الشخصيات الذين تمسكوا بالموروث الثقافي الفرنسي ،ما عرقل تنفيذ توصيات وقرارات هذه اللجان[٢].

وكان اول الاعمال التي قام بها مزالي وضع الخطط لتطبيق مبادرتين الاولى هي تونسة الادارة (أي الاستعاضة عن المعلمين والأساتذة الفرنسيين باخرين تونسيين)[٣]، والثانية هي البدء بتعريب التعليم، (غير ان مدة توليه هذه الوزارة كانت قصيرة، اذ سرعان ما اقيل في حزيران ١٩٧٠)، وذكر مزالي ان هناك مسألتان اسهمتا في اختصار مدة مكوثه في الوزارة ، الاولى لها صلة بأحمد بن صالح[٤]وزير الاقتصاد، الذي اقاله بورقيبة واعتقل في حزيران ١٩٧٠ وحكم عليه بالسجن سنوات عديدة[٥] بتهمة الخيانة العظمى بعد فشل تجربة التعاضديات الاشتراكية وتحميله فشل التجربة الاشتراكية [٦] .

---

[١] -عبد العزيز عاشوري، محاولة لتقويم تجربة التعريب في تونس ، مجلة المستقبل العربي، السنة ١٥، العدد٣٩، بيروت، ١٩٨٢، ص٩٥ .

[٢]- الجمهورية التونسية وزارة الاعلام ،مركز التوثيق القومي ،رجال الفكر والثقافة يناقشون منزلة الادب التونسي في التربية والثقافة ،١٦تشرين الاول ١٩٧٦،رقم B-3-7.

[٣] - قناة الجزيرة الفضائية ، لقاء مع محمد مزالي، ج٤ .

[٤]- احمد بن صالح:نقابي ومناضل دستوري،ولد في ١٣كانون الثاني ١٩٢٦ بالمكنين من اب كان تاجراً صغيراً، زاول تعليمه بالمعهد الصادقي ،اذ ترأس الشبيبة المدرسية، وتحول لفرنسا للدراسة الجامعية،واصبح سنة ١٩٤٥ رئيساً لشعبة الحزب الحر الدستوري الجديد بباريس،عاد مضطراً الى تونس سنة ١٩٤٨ قبل ان ينهي تعليمه، وعمل استاذاً بالتعليم الثانوي بمعهد سوسة ، وتدرج بالمناصب الادارية حتى انتخابه عضواً في المجلس التأسيسي،وفي اولى جلساته في ٩نيسان ١٩٥٦،انتخب احمد بن صالح نائبا اول لرئيس المجلس الحبيب بورقيبة،وعين رئيس لجنة اعداد الدستور،كما كان كاتب دولة للصحة العمومية في اول حكومة شكلت في العهد الجمهوري ،ومن ذلك التاريخ حتى عزله سنة ١٩٦٩تحمل بن صالح مناصب وزارية عدة ، لاسيما وزارة الاقتصاد في الستينيات ،اذ كان المسوؤل الاول على مايعرف بتجربة التعاضديات .ينظر عميرة علية الصغير، قياديون نقابيون في تاريخ تونس الاجتماعي والوطني، مجلة روافد ،(المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية)، العدد ٢ ، ٢٠٠٧، ص١٤.

[1]-Mohamed Mzali, Op.Cit, p185 .

[٦]- التجربة الاشتراكية ١٩٦٢-١٩٦٩: مثل يوم ٢٣اذار ١٩٦٢ منعرجاً حاسماً في تاريخ تونس ففي هذا اليوم كان ميلاد الاشتراكية الدستورية،عندما اعلن الحزب الدستوري الجديد تبني الاشتراكية ، وكان المسؤول عنها احمد بن صالح وزير الاقتصاد انذاك ، وتلخص برنامجه الذي تم بموافقة الحزب والحكومة، بالتدخل المكثف للدولة في عملية التنمية والتخطيط الشامل لكل القطاعات و تركيز سياسة التعاضد ،لاسيما في الفلاحة و التجارة وفي الصناعة، اعتمد هذا التوجه التنموي

عدّ محمد مزالي من المؤيدين لاحمد بن صالح، اذ انه بعد اقالة الاخير من كافة مهامه،اخبره الوزير الاول الباهي الادغم بالاحوال الصعبة التي مر بها احمد بن صالح، وطلب منه اصدار امراً لإعادة تعيينه استاذاً في ثانوية سوسة، فوافق مزالي بسرعة على طلبه، ولم يتردد الوزير الاول في التوقيع على الامر مع منح صاحبه اجازة براتب حتى ايلول ١٩٧٠، وجهز مزالي المبلغ المخصص له ،غير انه لم يتوصل الى طريقة لايصاله اليه، فالتجأ الى شخص ليوصله إليه مع ارسال نسخة من كتابه (من وحي الفكر) ،مرفق بإهداء لتسليمها الى احمد بن صالح، بعد مدة قصيرة داهمت الشرطة منزله وحجزت اوراقه من بينها نسخة الكتاب المهدى إليه من مزالي ، فكان هذا كافياً لجعله من اتباع احمد بن صالح، على الرغم من ان محمد مزالي من القلائل الذين وجهوا الملاحظات الى احمد بن صالح، وعبر عن معارضته علناً وبوضوح في خصوص سياسة الاخير الساعية الى تعميم التعاضد والاسراع في تطبيقها ، وقام بذلك رسمياً في اثناء انعقاد مجلس الوزراء الاستثنائي في ١٨ايلول ١٩٦٩[١].

اما المسألة الثانية هي عزمه بالاتفاق والوزير الاول الباهي الادغم على المباشرة بالتعريب، اذ اقترح محمد مزالي على الباهي الادغم تعريب السنتين الاولى والثانية، ففكر الباهي الادغم ملياً ووافق على الاكتفاء بتعريب السنة الاولى من التعليم الابتدائي فقط لمعرفة نتائج هذه الخطوة في البداية، فضلاً عن معرفة ردة فعل بورقيبة اتجاه مسألة التعريب، وعندما بدأ مزالي بتنفيذ خططه كان بورقيبة مقيماً في باريس لاجراء العلاج نتيجة انهيار عصبي ،على اثر فشل التجربة الاشتراكية، ولكونه ادرك جيداً انه المسؤول عن هذا الفشل [٢] .

=على التخطيط الشامل لكل القطاعات ضمن تجربة ارتكزت أساسا على سياسة التعاضد ،لاسيما في القطاعين الفلاحي و التجاري ولتمويل هذه السياسة، تم الترفيع في نسبة الضرائب و الضغط على الأجور والتخفيض في قيمة الدينار، كما تم الالتجاء إلى القروض الخارجية، وانطلقت إرساء سياسة التعاضد ببعث تعاضديات إنتاج نموذجية على أراضي الدولة ثم تجميع صغار الفلاحين في إطار تعاونيات إنتاج مماثلة إلى جانب تعاونيات خدمات ،بهدف تعصير طرق الإنتاج في القطاع الفلاحي و تشغيل اليد العاملة، كما تم جمع عدد من التجار في تعاونيات كبرى ،و إنشاء الشركات للتجارة والشركات للنقل، وفي إطار هذا التوجه الاشتراكي، كانت الدولة هي أهم باعث و ممول للمشاريع الصناعية و ساهمت في بعث مشاريع مشتركة بتمويل خارجي ورصدت لذلك اعتمادات كبيرة، وتميزت سياسة التصنيع اثناء هذه المدة بفتح أقطاب صناعية ذات أبعاد تنموية شملت أنحاء عديدة من البلاد ، كما أشرفت الدولة على تنمية القطاع السياحي بإحداث نوى لمناطق سياحية ساحلية وقامت ببعث الشركة التونسية للنزل والسياحة ، غير انه بالرغم من هذه المكاسب، لم تتمكن التجربة الاشتراكية من تحقيق كل أهدافها، اذ لم تتجاوز نسبة النمو الاقتصادي ٥,٣% بين ١٩٦٠ و ١٩٧٠، كما اتسمت هذه المرحلة بركود الإنتاج الفلاحي وعدم إسهام حركة التصنيع في الحد من التفاوت الطبقي ،و في التخلص من التبعية الصناعية للخارج. حكم على هذه التجربة بالفشل من قبل بورقيبة نفسه سنة ١٩٦٩. للمزيد ينظر مجموعة الحقيقة التونسية، النظام البورقيبي(الازمة السياسية والاقتصادية)، دار ابن خلدون ،تونس ،١٩٨٠،ص٣٨.

[١] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، ص٢٨٤.

[٢] -شهادات جديدة عن بناة الدولة التونسية ، ص ١٩٢.

بعد مباشرة مزالي بتنفيذ التعريب تلقى مكالمة هاتفية من الهادي نويرة [١] ، محافظ البنك المركزي انذاك اعلمه ان بورقيبة غاضب من هذا القرار، لانه لم يطلب الاذن منه بتنفيذ التعريب وانما بدأه فوراً، ورأى مزالي هذا الشيء بنفسه في اثناء عودته من امستردام في ايار لمشاركته في اعمال الدورة السبعين للجنة الدولية الاولمبية[٢] ، اذ توقف في باريس واغتنم الفرصة لزيارة بورقيبة الذي اقام في السفارة التونسية غير ان وزير الخارجية محمد المصمودي[٣] ، ابلغه ان رئيس الدولة مريض وليس بإمكانه استقبال احد[٤]، وفعلا لم يستمر مزالي طويلا بمنصبه، اذ سرعان ما ابلغه الباهي الادغم في ١٢ حزيران ١٩٧٠ أن بورقيبة اجرى تعديلات وزارية وتطلب الامر تركه الوزارة ، واراد بورقيبة من هذا التعديل الوزاري ضم الذين عارضوا مجيء احمد بن صالح الى الحكومة [٥] .

هكذا اوقفت صلاحياته الوزارية في الوقت الذي كان يرسم فية خطة لتعريب التعليم، والتي تحمس لها منذ توليه ديوان وزارة التربية سنة ١٩٥٦.

---

[١]-الهادي نويرة (١٩١١-١٩٩٣): ولد في نيسان ١٩١١ بمدينة المنستير ، سافر الى باريس وحصل على شهادة البكلوريا سنة ١٩٣١، حضر في ١٩٣٤ تأسيس نواة الحزب الحر الدستوري الجديد الاولى، واصبح عضواً ناشطاً في الحزب سافر بعدها الى باريس لاكمال دراسة وحصل على شهادة في الحقوق وفي باريس انضم الى جمعية الطلبة المسلمين بشمال افريقيا وتأسيس لجنة الدفاع عن الحريات بتونس وشغل منصب امانتها العامة ، بعد عودته الى تونس تعرض للاعتقال نظراً لنشاطه السياسي واودع السجن وتنقل في السجون المختلفة بين تونس وفرنسا الى ان اطلق سراحه سنة ١٩٤٣ ،غير انه نفي مجدداً الى ايطاليا وقد اسهمت مدد سجنه في تقريبه من بورقيبة ، وتعرض للاعتقال مرة اخرى بعد رفضه المشاركة في حكومة صلاح الدين البكوش ونفى الى الجنوبي التونسي وبعد ذلك اطلق سراحه واصبح في اب ١٩٥٤ وزيراً للتجارة في حكومة الطاهر بن عمار ، ثم وزيراً للمالية في حكومة الحبيب بورقيبة الذي كلفه بأنشاء البنك المركزي التونسي واصبح محافظاً له منذ تأسيسه ١٩٥٨ الى ١٩٧٠ عندما عين وزيراً اول الذي شغل منصبه لمدة عشر سنوات وفي سنة ١٩٨٠ اصيب بجلطة دماغية اقعدته عن العمل توفي في ٢٥ كانون الثاني ١٩٩٣ . ينظر محمد لطفي الشايبي، الهادي نويرة، ١٩١١- ١٩٩٣ المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس، ٢٠٠٥ .

[٢] - تولى محمد مزالي رئاسة اللجنة الاولمبية التونسية منذ سنة ١٩٦٢، وفي تشرين الاول سنة ١٩٦٥ اختير مزالي عضواً في اللجنة الدولية الاولمبية مدى الحياة خلال دورة مدريد،لاتصالاته وعلاقاته الواسعة مع اللجنة الدولية الاولمبية،عندما كان مديراً للشباب والرياضة في تونس ،وفي سنة١٩٧٣ تم انتخابه ضمن اللجنة التنفيذية في مدينة فرنا في بلغاريا،وفي ١٤تموز سنة١٩٧٦ انتخب بأجماع كافة اعضاء اللجنة الاولمبية الدولية المجتمعين بمونريال وعددهم ٦٧عضواً ، رئيساً مساعداً للجنة الاولمبية الدولية خلفاً لـ (فيلي دوم) واضطلع بهذه الوظيفة حتى سنة ١٩٨٠.ينظر الجمهورية التونسية وزارة الاعلام ،مركز التوثيق القومي ،مزالي ينتخب رئيساً للجنة الاولمبية الدولية،١٦تموز١٩٧٦،رقم 1-u-11 ؛ محمد مزالي ؛حديث الفعل، ص٢٢٥.

[٣] - محمد المصمودي: ولد سنة١٩٢٥ بمدينة المهدية واكمل دراسته فيها ،بعد ذلك سافر الى فرنسا لدراسة القانون في السوربون، وفي سنة ١٩٤٨ انتخب رئيساً للشعبة الدستورية في باريس ،واشترك في الوزارة التفاوضية ١٩٥٤ في حكومة الطاهر بن حبيب، وعين وزيرا للتجارة والصناعة سنة ١٩٥٥ ،وبعد الاستقلال عين وزيرا للدولة ،وتدرج في المناصب الادارية،حتى عين وزيرا للخارجية سنة ١٩٧٠. ينظر حسن زغير حزيم،المصدر السابق،ص٣٥.

[4]-Mohamed Mzali , Op.Cit, p194.

[٥] - المجلة التاريخية المغاربية ،سمنار مع محمد مزالي، ص ٢٠٩ .

اثناء خمسة الاشهر والنصف التي قضاها محمد مزالي على راس الوزارة لم يتسنَ له الوقت لتطبيق افكاره في اجراء اصلاح شامل واتخاذ الاجراءات اللازمة لرفع مستوى التعليم ، وكل ما استطاع فعله هو بعض التغيرات في صلب الوزارة وبعض اللمسات العاجلة في الاساليب التربوية [١]، منها تنظيم السياسات التعليمية بما يتوافق ومتطلبات التنمية وفرص العمل ومن جملة تلك الاصلاحات اقتصار القبول في التعليم الثانوي على التلاميذ البالغين من العمر ١٤ سنة اما الذين تراوحت اعمارهم ما بين ١٤- ١٦ سنة عليهم الالتحاق بالتعليم الثانوي المهني، والهدف من ذلك وضع حد للراغبين في الالتحاق بالتعليم الجامعي، ليتناسب مع امكانات الجامعات انذاك، وتلبية لحاجات البلاد من الكوادر المؤهلة تأهيلا متوسطاً، تحقيقاً لمتطلبات سوق العمل [٢] .

في اثناء المدة الممتدة بين ١٢ حزيران ١٩٧٠ وتشرين الثاني ١٩٧١ تفرغ خلالها لمجلة الفكر فضلاً عن مشاركته في مجلس الامة بصفته نائباً [٣].

[١] -محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص٢٨٤ .
[٢]-محمد المدني المختار، المصدر السابق،ص٤٢ .
[٣] - المجلة التاريخية المغاربية ،سمنار مع محمد مزالي، ص٢١٠.

٣- توليه وزارة التربية للمرة الثانية ١٩٧١-١٩٧٣.

بعد عام ونصف من عزله من وزارة التربية القومية، وبعد انعقاد مؤتمر المنستير للحزب الاشتراكي الدستوري سنة ١٩٧١[١]، دعاه الوزير الاول الجديد الهادي نويرة وعرض عليه المشاركة في حكومته ، وعبر محمد مزالي عن موافقته المبدئية، وانه على استعداد للمشاركة في الحكومة، غير انه فضّل ان يكون على راس الشباب والرياضة، لا وزارة التربية التي اقيل مسبقا منهاً، لان افكاره عن التربية القومية معروفة ويبدو انها غير منسجمة وافكار رئيس الدولة، فرأي مزالي دائماً هو**"ان التربية القومية من مهماتها المقدسة نحت الاجيال الصاعدة وغرس الروح الوطنية فيهم، وانا لي قيم مستوحاة من الحركة الوطنية ،ومن رجالها ،والذين يقولون لنا دائما لغتكم هي العربية، ودينكم هو الاسلام ، ولهذا انا بقيت على ماتربيت عليه، رغم ان ثقافتي فرنسية"** [٢] .

غير ان الهادي نويرة اصر على توليه وزارة التربية، فانصاع للامر فعين وزيراً للتربية في تشرين الثاني ١٩٧١، ورغب مزالي بتطبيق الاصلاح الذي لم يستطع تطبيقه في المرة الاولى، وفي هذه المرة واجه عقبات عديدة ايضاً لاسيما في الجامعة، اذ وجدت معارضة كبيرة ضد الحكومة والنظام(سيأتي تفصيله لاحقاً)، وبذلك لم يستطع فعل شيء يذكر سوى بعض الاعمال اليسيرة ،منها تشكيل لجان مهمتها ضبط اهداف المدارس الترشيحية (التي تخرج المعلمين)، ووضع مناهج التعليم فيها واختيار المديرين والاساتذة الاكفاء لها[٣].

عزى محمد مزالي عدم قيامه بأعمال تذكر هذه المرة ايضا، بسبب ماحصل له بالمرة السابقة، وخوفا من اثارة اشكال بينه وبين بورقيبة بسبب سياسته الرامية الى تعريب التعليم[٤].

---

[١] - عقد الحزب الاشتراكي الدستوري مؤتمراً في مدينة المنستير في ١٥تشرين الاول سنة ١٩٧١، الذي انكشفت فيه بعض النيات ، وبرزت فيه الاطماع وبدأت التكتلات تظهر في صفوف الحزب، اذ كان الصراع على اشده بين الليبراليين بقيادة احمد المستيري ، والمحافظين بقيادة الهادي نويرة، اما محمد مزالي فقد بقي على الحياد حفاظاً على حرية التحرك فكراً وفعلاً ، وفيه اعيد انتخاب بورقيبة رئيساً للحزب ، وبدأ نجم الهادي نويرة بالظهور ، اذ عين امينا عاماً للحزب ، و بعدها كلف بتشكيل الحكومة الجديدة. ينظر الحزب الدستوري التونسي من مؤتمره التأسيسي حتى المؤتمر العاشر، مجلة البعث،(سوريا)،العدد٥٠٩٦، ٢٤ ايلول ١٩٧٩.

[٢] - المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار مع محمد مزالي، ص٢١٠ ؛شهادات جديدة عن بناة الدولة التونسية ،المصدر السابق، ص١٩٣.

[٣] - المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار مع محمد مزالي، ص٢١٠.

[٤] - إتسمت سياسات التعريب "البورقيبية" بالتذبذب والإضطراب والتراجع ،اذ حافظ بورقيبة أثناء فترة حكمه على سياسة الإزدواجية اللغوية مع وضع لغة القرآن في المرتبة الثانية بل في المرتبة الثالثة بعد كل من الفرنسية و العامية التونسية ،ولم يتردد بورقيبة في التصريح سنة ١٩٨٧ بأن تعريب التعليم في تونس أدى إلى تردي مستوى التعليم والطلبة محاولا بذلك تبرير إختياراته في إلغاء التعليم الزيتوني ،والحد من البعثات الطلابية للمشرق العربي، وعدم القيام بأي حملات تحسيسية بأهمية اللغة العربية كلغة وطنية يجب الإعتزاز بها وإعطائها الأولوية في الإستعمال ، فالتعريب الشامل لا يعد من أولويات السياسة البورقيبية التي حافظت على اللغة الفرنسية كلغة رسمية في الإدارة التونسية بالرغم من أن الدستور التونسي نص

في إثناء توليه الوزارة كانت له مشاركة بأعمال موتمر وزراء تربية العرب المنعقد بمراكش للفترة من ١٢ الى ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٢ وقدم عدة مقترحات للنهوض بواقع التربية والتعليم هي[١]:

١- انشاء جهاز للتخطيط والإحصاء في كل وزارة تربية للوقوف على كافة الاحتياجات وعلى المستويات القطاعات جميعها .

٢- التوفيق بين الاحتياجات وبين الموارد المالية .

٣- اقامة تعاون وثيق بين المسؤولين عن الصناعة والتجارة والزراعة من جانب والمسؤولين عن التعليم التقني والمهني من جانب اخر بقصد تطبيق سياسة للتنمية ملائمة لمصالح الاطراف المعنية كلها وفي النهاية اكد ان تحقيق هذه المقترحات يقع على عاتق وزراء التربية وان يكون ذلك من ضمن مسؤوليتهم ازاء الاجيال القادمة .

كانت ابرز المشكلات التي واجهت مزالي في اثناء توليه هذه الوزارة، هي حركة (شباط/ فيفري ١٩٧٢) التي قام بها الطلبة الجامعيون ، الجدير بالذكر ان الحركة الطلابية في تونس بدأت بالظهور منذ منتصف الستينيات، واتخذت الطابع السياسي متأثرة بالأفكار الاشتراكية والراديكالية القومية لاسيما بنضال الشعب الفلسطيني[٢]، ومواقف بورقيبة تجاهه وعدّه مسانداً للمعسكر الغربي[٣]، لم يكن لهذه الحركة في البداية انعكاسات سلبية على سير المؤسسات

=صراحة على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد التونسية ،وما تطلبه ذلك من إعتماد لهذه اللغة في كافة المجلات التعليمية والإدارية بين التونسيين ، علاوة على ذلك فان بورقيبة راى ان اجراء الاصلاحات ليس بالشيء السهل ،لاسيما بعد استعمار دام ٧٥ سنة، ولا يملكون العدد الكافي من المدرسين والمعلمين المؤهل لذلك، فأذا اريد مثلاً تدريس الحساب او الهندسة بالعربية فليس من السهل تهيئة المدرسين للقيام بهذا العمل، وان تعريب المناهج يتطلب معرفة جيدة بالعربية وهذا غير متوفر في ذلك الوقت للنقص الشديد في العناصر المكونة تكويناً عربياً، لذلك فضل استعمال اللغة الفرنسية لمدة مؤقتة للاستفادة من الامكانيات المتوفرة لديهم، ريثما تعد المدارس التكوينية والكوادر الضرورية للتعليم باللغة العربية في المواد جميعها. للمزيد ينظر ابراهيم السامرائي ، عرض في التعليم التونسي بين القديم والجديد ، مجلة المعلم الجديد ،ج٢، المجلد ٣١، بغداد ،١٩٦٩، ص٤١؛ سالم لبيض ،بورقيبة واشكالية الهوية في تونس، اعمال المؤتمر العالمي الثالث ، السلطة وآليات الحكم في عصر الحبيب بورقيبة في تونس والبلاد العربية ،مؤسسة التميمي للبحث العلمي ٢٠٠٣،تونس،ص١٨٠؛ محمد سويسي، المصدر السابق،ص٢٣.

[١]- الجمهورية التونسية،كتابة الدولة لاعلام ، مركز الوثائق القومية ، المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب،١٨كانون الثاني ١٩٧٢،الرقم B.5.9.

[٢]- مجموعة الحقيقة التونسية ،المصدر السابق ،ص٥٣.

[٣] - تراوحت سياسة الحكومة في تونس ازاء الطلبة بين اجراءات القمع وبين الترغيب ،ففي نيسان ١٩٦٥ اعتقلت مجموعة من الطلبة يوزعون نشرات اصدروها في باريس، وفي كانون الاول ١٩٦٦حوكم مجموعة من الطلبة بموجب قانون وضعته الادارة الفرنسية سنة ١٩٠٥، منع بموجبه الاجتماعات، كما ارسلت مجموعة من الطلبة الى الجيش كعقاب لقيامهم بالمظاهرات، لمعارضة سياسة الحكومة وبالدرجة الاولى فيما يتعلق بالموقف من العدوان الامريكي على الفيتنام، والدعوة الى الصلح مع اسرائيل،وكذلك معارضة سياسة الحكومة الداخلية والمطالبة بحرية التعبير واشاعة الديمقراطية داخل الاتحاد، ودعت اجهزة الاعلام الطلبة الى الاهتمام بدروسهم اولا واخيراً وعدم شغل انفسهم بالمسائل العامة، وذكر ان السياسة بدأت تتسرب الى الجامعات التونسية عن طريق الطلبة الوافدين من فرنسا اومن بقية الدول الاوربية ،فتكونت حلقات صغيرة لنقد سياسة

الجامعية وقيامها بمهامها ، غير انه في بداية السنة الدراسية ١٩٧١-١٩٧٢، نشطت بشكل ملحوظ وتكررت الاجتماعات وشكلت التجمعات[١]،اذ برز اليسار الطلابي من دون الانحراف عن المسار العام لسياسة الدولة ، ولا عن الخط الدائم في الحزب الاشتراكي الدستوري، الذي كان مسيطراً عليه،غير انه بعد ذلك بدأت مجموعة من الديمقراطيين واليساريين المطالبة باستقلالية المنظمة الطلابية عن السلطة ،لاسيما عن الحزب الحاكم[٢]، ومنذ ذلك الوقت برز اليسار الطلابي كقوة جديدة مع عدم تمكنه الحصول على الاغلبية داخل الهيأة القيادية للمنظمة[٣].

قرر الطلبة عقد المؤتمر السابع عشر للاتحاد العام لطلبة تونس بمدرسة ترشيح المعلمين بمدينة قربة في شباط ١٩٧١، ولفهم ما حصل داخل المؤتمر، يجب العودة إلى الوضع السياسي العام في البلاد ، ففي الفترة السابقة للمؤتمر شهدت البلاد عدّة أحداث سياسية أبرزها المظاهرات احتجاجية التي نظمها الطلبة سنة ١٩٦٨ ضد زيارة "روجرز" وزير الخارجية الأمريكي لتونس، حينما عرض مشروع التسوية للنزاع في الشرق الأوسط المعروف بمشروع روجرز [٤] ،وإنهاء تجربة التعاضد في ١٩٦٩ واعتقال الوزير أحمد بن صالح وايقافه في حزيران ١٩٧٠[٥]. وتأثير ذلك على الحزب الإشتراكي الدستوري الذي انقسم داخليا، فانعكس ذلك الإنقسام على طلبته،كما شهدت الجامعة العديد من التحركات ضدّ زيارة وزير الخارجية الأمريكية"روجرز" وضد عدد من الإجراءات، وخلقت هذه التحركات جواً من التشنج بين الإتحاد والحزب، وصل حد التراشق بالتهم بين رئيس الإتحاد عيسى البكوش[٦] ومدير

النظام والاساليب الاشتراكية التي اتخذها، وكانت اغلب هذه الحركات متأثرة اساسا بأفكار اليسار الفرنسي والاوربي ، واول تظاهره كبيرة عرفتها الجامعة التونسية كانت عقب هزيمة حزيران ١٩٦٧،اذ نزل الاف الطلبة الى الشوارع للتنديد "بالعجز العربي" وبتخاذل النظام التونسي ،والتنديد بالسياسة الامريكية والانكليزية والفرنسية فحدثت اعمال شغب كبيرة واعتقل في اثنائها عدد كبير من الطلبة واتهموا بانتمائهم الى تيارات "بعثية وناصرية" . ينظر مجلة الطليعة، (القاهرة)، السنة ٤ ،العدد ٥، ١٩٦٨،ص١١٣؛ مجلة الدستور، (لندن)، العدد ٧٣٨، كانون الثاني ١٩٨٥،ص ٢٨.

[١]-عبد القادر المهيري،حركة فيفري ١٩٧٢،مجلة اكاديميا،السنة الثانية،الاعداد ١٩,٢٠,٢١ تموز-آب-ايلول،٢٠١٣،ص٣٧ .

[٢] -علي لطيف ، مؤتمر قربة ١٩٧١،مجلة اكاديميا ،السنة الثانية،الاعداد ١٩,٢٠,٢١ ، تموز،آب،ايلول،٢٠١٣،ص٢٨ .

[٣] -محمد ضيف الله،المصدر السابق،ص١٠٧.

[٤] - عبد العزيز التميمي، الحركة الطلابية التونسية (وعي السياسة وعي المعرفة)،مجلة اقلام، السنة الثانية ،العدد ٦ ،٢٠٠٢.Aqlamonline.com

[٥]-الهادي التميومي ، تونس ١٩٥٦-١٩٨٧ ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، ٢٠٠٦، ص٩٨ .

[٦] - ولد باريانة في ١٣ تشرين الاول ١٩٤٥ من عائلة ترجع اصولها الى جزيرة جربة درس تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه والثانوية بالمدرسة الصادقية، ونشط في الحركة الكشفية الى ان اصبح قائداً فيها سنة ١٩٥٢ اكمل دراسته بمعهد دراسات التنمية الاجتماعية بكلية الحقوق بباريس ، وفي ١٩٦٨ شارك لاول مرة في المؤتمر

الحزب على أعمدة الصحف، واتهام الاول بالانحراف وعدم الانضباط ومخالفته نظام الحزب الداخلي هذا الخلاف أنتج ضغطاً ضد عيسى البكوش ما أجبره على تقديم إستقالته قبل ٦ أشهر من موعد المؤتمر [١].

انعكست هذه الامور كلها على الطلبة في الجامعات فأدت الى شغلهم بالاوضاع السياسية، فأنقسمت الاطراف المكونة للحركة الطلابية الى قسمين قسماً خرج نهائياً عن منظمة الاتحاد العام لطلبة تونس وكون له منظمة مغايرة ، وقسم موالي للحكومة لا يعترف بالديمقراطية وتحقيق التمثيل النقابي المستقل، وفي جو مشحون بالتناقضات عقد مؤتمر قربة سنة١٩٧١ ، ودار المؤتمر حول اربع مسائل،الاولى تتعلق بأعمال لجنة الشؤون الداخلية، والثانية تتعلق بأعمال اللجنة السياسية العامة، والثالثة تخص انتخاب الهيأة الادارية التي ترشح لعضويتها ٥٣ طالباً، اصبحت المسألة الثالثة المحرك الرئيس في حركة (شباط/فيفري ١٩٧٢) وهو الخلاف على انتخاب الهيأة الادارية، فهيأة الاتحاد الادارية التي انتخبت مثلت الاقلية وحافظت على تبعية الاتحاد للسلطة فرفض اغلب المؤتمرين هذه الانتخابات [٢]، فعمل اليسار الطلابي (وهم الطلبة الذين دعوا الى الحوار والانتخاب في المراحل جميعها، وطالبوا باستقلالية اتحاد الطلبة الذي تكون من الطلبة المستقلين والبعثيين والناصريين وطلبة الحزب الشيوعي التونسي) على تأليف تحالف بينهم وبين اليسار الدستوري، للحصول على اغلبية الأصوات وتكوين الهيأة الادارية منهم[٣]، من جانبهم عمد الطلبة الدستوريون الى الاصرار على مواصلة الهيمنة على المركزية الادارية مهما كانت الظروف ،حتى تواصل دورها كمنظمة قومية تعمل بالتعاون مع الحزب الاشتراكي الدستوري ، واصر الطلبة اليساريون من جانبهم على المطالبة باستحقاقهم بالصعود الى القيادة لانهم شكلوا الاغلبية، ادى هذا الخلاف الى تواصل اعمال المؤتمر لمدة احدى عشر يوماً بدلا عن ثلاثة ايام المقررة لعقده، فعمد الطلبة الدستوريون بالتنسيق مع الحزب والسلطة واستغلوا خروج اغلب المؤتمرين للغداء ، فقاموا بانقلاب وتنصيب قيادة غير

السادس عشر لاتحاد الطلبة ، وانتخب في المؤتمر السابع عشر المنعقد بالمهدية امیناً عاماً غير انه استقال في نيسان ١٩٧١ بعد اتهامه بانه من انصار احمد بن صالح . للمزيد ينظر الى مجلة اكاديميا ، المصدر السابق، ص٢٩ .

[١] - مجلة الطلائع ،(تونس)،السنة الاولى ، العدد١، تموز، ١٩٧٢،ص٦.

[٢] - منير المثلوني، الحركة الطلابية التونسية والمهام الجديدة، مجلة دراسات عربية، السنة الثانية، العدد ١٢، تشرين الاول ١٩٧٢،ص٧٥ .

[٣]- عادل الثابتي، الاتحاد العام التونسي للطلبة (خلفيات التاسيس وحالات المسار)، رسالة ماجستير غير منشورة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، تونس ،٢٠٠٨، ص١٦.

شرعية لا تمثل الأغلبية لان **"الاستقلالية في نظرهم تعني تغير ميثاق الطالب الذي يكرس تبعية الاتحاد للسلطة والحزب الحاكم"**[١].

رفض الطلبة اليساريون نتائج المؤتمر وعدم الاعتراف بالقيادة التي انبثقت عنه، ونصبوا بدورهم ما اسمته بالهيآت النقابية المؤقتة تقوم بشؤون الاتحاد حتى موعد إنجاز المؤتمر ١٨ الاستثنائي ليكون بديلاً لمؤتمر قربة [٢]، وعلى الرغم من قيام قيادة الاتحاد الجديدة بأرسال برقية الى رئيس الدولة الحبيب بورقيبة، عبرت فيها عن ولائها للدولة والتمسك بالمبادئ السياسية التي جاء بها الحزب، ونددت بالتطرف، واكدت انهم مصممون لبناء"مجتمع سليم واشتراكي عادل"[٣]، فأن اغلبية المؤتمرين لم يستسلموا وشكلوا لجنة تولت الاتصال بالصحافة العالمية ووكالات الإنباء لإعلام الرأي العام العالمي بحقيقة ما حدث من تسلط على الاتحاد العام لطلبة تونس، واصدروا لائحة قام بتوقيعها ٦٠% من طلبة الجامعة التونسية اعلنوا فيها ان المؤتمر السابع عشر لم تنته اعماله[٤] .

عقد الطلبة عدة اجتماعات لبحث الاوضاع واسفرت تلك الاجتماعات عن الاتفاق بتقديم طلب الى وزير التربية محمد مزالي، لعقد مؤتمر اخر للاتحاد، لعدم انهاء المؤتمر السابق اعماله ،والمطالبة بعقد مؤتمر استثنائي[٥]، فتم رفض الطلب على الرغم من ان القانون يجيز لهم ذلك ، لاسيما مع توفر الشروط التي من بينها (عند رغبة اكثر من نصف المنتخبين للمنظمة الطلابية في عقد مؤتمر يحق لهم ذلك)، غير ان وزير التربية محمد مزالي رفض الطلب مسوغاً ذلك بقوله **" ان غاية تلك الجماعة ليست ابداً عقد مؤتمر جديد فلقد شاهدناها تغتنم كل الفرص لاحداث الفوضى بالجامعة"**[٦]، ونظرا لتصريحات مزالي المسيئة لقيادة الإتحاد الذي وصف مسؤولي الاتحاد بالإنتهازيين الذين يريدون خدمة مصالحهم ، ما نتج عنه خلاف حاد مع الاتحاد، ولم يؤدّ رفض محمد مزالي لعقد مؤتمر استثنائي الا لمزيد من التأزم في الوضع، فتحولت الاجتماعات الى اضرابات في الجامعة، فاتخذت الحكومة عدة اجراءات منها غلق كلية الاداب والعلوم الانسانية ، واغلاق كليتي الحقوق والاداب في شباط ١٩٧٢،

---

(١)- عمار العربي الزمزمي، ذاكرة تأبى المصادرة ، مطبعة سوجيك ، تونس، ٢٠١١، ص١٧٨ .

(٢)-سوسة ابو الوليد، مختصر تاريخ الحركة الطلابية، صحيفة الوسط التونسية، ٨ شباط ٢٠٠٨. www.tunisalwasat.com؛ عبد العزيز التميمي،المصدر السابق.

(٣) -سجل العالم العربي(وثائق-احداث-اراء سياسية)، تموز-اب-ايلول١٩٧١،دار الابحاث ،بيروت،ص٣٤٣.

(٤) - مجلة الطلائع ،(تونس)،السنة الاولى ، العدد١، تموز، ١٩٧٢،ص٦. ؛ عبد العزيز التميمي،المصدر السابق.

(٥) - عمار العربي الزمزمي ، المصدر السابق ، ص١٧٨.

(٦) -مقتبس من منير المثلوني، المصدر السابق ، ص٧٨ .

غير ان حركة الاضرابات تواصلت في البلاد ، وشملت تلاميذ المدارس الثانوية (المتوسطة والاعدادية) ، وتطورت الاحداث الى حد تشكيل مجموعات ذات توجهات سياسية وفكرية جديدة للحركة الطلابية التونسية تتبنى الصدام مع السلطة، وتجاوزت مطالب الطلبة للمطالبة بضرورة عدم اتباع الاتحاد العام للطلبة للسلطة الحاكمة وعدّه منظمة مستقلة[١].

ركزت الحكومة في الجانب الاخلاقي في ردها على حركة الشباب اليساري الاحتجاجية والالتجاء الى خطاب بمسحة دينية ،وتأليب الرأي العام التونسي على الشباب المحتج في شباط ١٩٧٢، اذ كان وزير التربية محمد مزالي واضحاً في الكشف عن توجه الحكومة الجديد، عندما صرح في مجلس الامة يوم ٨ شباط ١٩٧٢ في جلسة خاصة بالجامعة التونسية متهماً الطلبة المحتجين قائلاً **"ان الحكومة قد استجابت لكل ما كان معقولاً من المطالب سواء بخصوص مبلغ المنح او عدد الطلبة المتمتعين بها، او فيما يتعلق بقضايا السكن والمطاعم الجامعية ، لكن القضية الان ليست من هذه الشاكلة ، انما هي سعي لخلق جو سياسي جديد من طرف عناصر لها تخمة ايديولوجية وروح مذهبية ، ان هذه العناصر تعتقد ان بأمكانها خلق جو ثوري في البلاد من شأنه ان يؤدي الى تطاحن الطبقات، وان هولاء الاشخاص لا هم لهم الا القضاء على جميع ما لهذه البلاد من مكاسب وقيم دينية وروحية ، وان هذه الاحداث تبين بوضوح ان اغلبية الطلبة غير مكونين تكويناً تونسيا، لذلك كما قالت الحكومة من قبل يجب مراجعة محتوى التعليم ومناهجه"**[٢] .

ويبدو ان سبب فشل انعقاد المؤتمر الاستثنائي الخارق للعادة، هو ضعف التنظيمات النقابية الداخلية للاتحاد، وعجزه عن تبني مشاكل الطلبة ،واعتماده على المحاصصة.

استمرت الاحداث بالتأزم وكثرت الاضرابات الى بداية السنة الدراسية ١٩٧٢-١٩٧٣ التي كانت ساخنة منذ مطلعها ، غير انها شهدت بعد ذلك بوادر انفراج الازمة بسبب حدوث تطورين، الاول تمثل في استقالة الهيئة الادارية المنبثقة عن مؤتمر قربة التي عدها الطلبة غير شرعية، والامر الثاني تمثل بالمبادرة التي اعلنها وزير التربية محمد مزالي الذي بعث بها يوم ١٤ شباط ١٩٧٣ الى المؤسسات الجامعية للسماح للطلبة بانتخاب ممثليهم ،والذي سمي ببرنامج (٧٣) ، واقترح هذا البرنامج في كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية يوم ١٩ كانون الثاني

---

[١]-عادل الثابتي، المصدر السابق، ص١٩ .

[٢]- عبد الجليل بوقرة، فصول من تاريخ اليسار التونسي :كيف واجه الشيوعيون وبرسبكتيف نظام الحزب الواحد (١٩٦٣-١٩٨١)، دار افاق:برسبكتيف للنشر، تونس٢٠١٢، ص٣٥٩.

في اثناء جلسة عقدها ممثلوا الطلبة بالمجالس العلمية قُدم الى وزير التربية محمد مزالي لتجاوز ازمة التمثيل النقابي [١] .

نص برنامج ٧٣ الذي تقدم به الطلبة على انتخاب هيآت نقابية مؤقتة بالجامعة التونسية مهمتها انجاز مؤتمر ١٨ الاستثنائي للاتحاد العام لطلبة تونس، ، وبعد ذلك اضاف عليه مزالي عدة نقاط اهمها فصل آليات انجاز المؤتمر، وطريقة انتخاب نوابه، وعدم مشاركة الهيأة الادارية المنصبة التي انتخبت في مؤتمر قربة ، وحدد اقصى مدة لانجاز المؤتمر عطلة الربيع أي اذار ١٩٧٣، وان توكل هذه المهمة الى هيآت فروع مؤقتة، وهيآت مكاتب فدرالية، وهيأة اللجنة الجامعية المؤقتة، وأعطى تعليمات مكتوبة بإجراء الإنتخابات تحت اشراف العمداء وخارج أطر الإتحاد ،وهدف مزالي من وراء موافقته على ذلك البرنامج وضع حد للاضطرابات التي شهدتها الجامعة ،لاسيما ان الحكومة كانت منشغلة وقتها بمعالجة خلافاتها الداخلية الحادة نتيجة تعاقب الازمات السياسية وتعدد الانشقاقات،وعمل مشروع مزالي على وضع نهاية للاتحاد العام لطلبة تونس الذي تأسس سنة ١٩٥٢، والاستعاضة عنه بممثلين في مجالس الكليات[٢].وبذلك كانت اراء مزالي متوافقة مع النظام الحاكم في مواقفه ازاء الحركة الطلابية.

مثلت موافقة مزالي على البرنامج الطلابي (٧٣) انفتاحاً على مشكلات الطلبة من الحكومة غير انه انفتاح مؤقت، اذ سرعان ما تراجع عنه بعد حصول تغيير وزاري في١٨ اذار ١٩٧٣ تم بموجبه عزل محمد مزالي من وزارة التربية وتعيين ادريس قيقة[٣] مكانه والذي قام بأنشاء "حرس خاص" مهمته الحفاظ على الامن بالجامعات[٤] .

---

[١] - عادل الثابتي، المصدر السابق، ص١٨ .

[٢]-(ازمة التعاضد وما تبعها من اقالات ومحاكمات ،ثم جاءت ازمة الخلاف مع احمد المستيري والليبراليين المطالبين بمزيد انفتاح الحزب وما عقبها من اقالات واستقالات). للمزيد ينظر عبد الجليل بوقرة، اليسار الماركسي التونسي، ص١٥١ ؛ منير المثلوتي، المصدر السايق، ص٨٧ .

[٣] - ادريس قيقة: ولد سنة ١٩٢٤ في قرية تستور، اكمل دراسته الابتدائية فيها، بعد ذلك انتقل لاكمال دراسته الثانوية في المدرسة الصادقية، وبعد ذلك اكمل دراسته الجامعية في كلية الحقوق ، دخل الحزب الحر الدستوري الجديد في سنة ١٩٤٣ بعدما نال اجازات في الحقوق والاداب من جامعة الجزائر وباريس، وفي سنة ١٩٥٥ شارك في حكومة محمد شنيق ، اذ تولى رئاسة ديوان بن سالم صهر الامين باي، والذي تولى وزارة الصحة العمومية في حكومة محمد شنيق، وفي سنة ١٩٥٦ عين مديراً للأمن الوطني، وفي اثناء ذلك كلف بنقل أمر عزل آخر بايات تونس محمد الأمين باي ،وتلاوته عليه في قصر باردو لما أعلن النظام الجمهوري في ٢٥ تموز ١٩٥٧ واستمر في منصبه حتى اقالته سنة ١٩٦٣ على خلفية المحاولة الانقلابية التي كشف عنها في كانون الأول ١٩٦٢، انتقل بعدها إلى الديوان الوطني للسياحة ، عين في سنة ١٩٧٣ وزيرا للتربية، وفي اذار ١٩٨٠ عين وزيراً للداخلية في حكومة محمد مزالي وبقي في منصبه حتى كانون الثاني ١٩٨٤ ،اذ تمت اقالته على اثر احداث الخبز وحكمت عليه المحكمة بالسجن لمدة عشر سنوات بتهمة الخيانة العظمى .ينظر مجلة الاسبوع العربي ، (باريس)، العدد ١٢٦٦، ١٦ كانون الثاني ١٩٨٤،ص ٢٢؛ محمود الحرشاني، حياتي مع الصحافة-من الهواية الى الاحتراف،مؤسسة بابل للثقافة والاعلام - محمود الحرشاني، ١٤ شباط ٢٠١٤ .-www.babylon-center.net.

[٤]- عادل الثابتي، المصدر السابق، ص١٩ .

يبدو ان هذا التعديل الوزاري كان دليلا على عدم موافقة الحكومة على مشروع مزالي وتعامله مع الطلبة، التي كانت تتأمل ان يكون التعامل مع الطلبة المتطرفين بحسب ماتسميهم بشدة اكبر، والدليل على ذلك هو تعيين ادريس قيقة ، المعروف بتشدده وصلابته في مواجهة مثل هذه المواقف.

٤-توليه وزارة الصحة ١٩٧٣-١٩٧٦

تولى محمد مزالي مسؤولية وزارة الصحة في شهر اذار ١٩٧٣،وكان حينها وزيراً للتربية، فأخبره الوزير الاول الهادي نويرة ان بورقيبة قد اجرى تعديلا وزاريا ،عُين بموجبه وزيراً للصحة العمومية وعين ادريس قيقة وزيراً للتربية القومية [١].

لم يكن مزالي راضياً بهذا التعيين لانه لم يتمكن من مواصلة تنفيذ خطته في الاصلاح التي باشر بها في وزارة التربية ،فضلا عن تعيينه في وزارة بعيدة عن تكوينه واهتماماته،غير انه على الرغم من ذلك وجب عليه القبول بالمنصب الجديد وممارسة مهامه ، فباشر العمل في الوزارة واخذ على عاتقه العمل على ادخال كل ماهو جديد ومفيد لها[٢].

خرجت اغلب البلدان المستعمرة بعد حصولها على الاستقلال بأحوال صحية مؤسفة، فورثت نظماً صحية على غرار النموذج الاستعماري، تأرجح مابين العمل الخيري وبين انهماك المستعمر بالصحة العامة ،وافتقرت المراكز والمرافق الطبية جميعها الى التجهيزات ، فضلا عن تركز المستشفيات في المدن الكبيرة ، واغلبها تابع للبعثات الدينية وعانت قلة الايدي العاملة وكانت تونس من هذه البلدان [٣]،التي سعت منذ حصولها على الاستقلال على الاهتمام بالإنسان والنهوض به ، وعدت ذلك من اولوياتها وفي طليعة اهدافها ، وكرس ذلك من خلال معالجة المواطن ومداراته ، وإعداد الشعب التونسي بدنياً للقيام بدوره، فجاء في توطئة دستور سنة ١٩٥٦ الى حق المواطن في المعالجة الصحية [٤]، وعلى هذا الاساس وجهت الدولة اهتماماتها كلها الى الجانب الصحي وعدّته رمزاً للتقدم الاجتماعي، وان الصحة حقاً يجب على الدولة ان تكفلها ، فأعلن بورقيبة سنة ١٩٥٦ **"ان العالم يحتاج ان يعلم ان الحكومة التونسية**

---

(3)-Mohamed Mzali, Op.Cit, p220 .

(٢) -محمد مزالي ،نصيبي من الحقيقة ، ص٣٦٧.

(٣) - اليزابيث لونغنيس واخرون، الصحة العامة في الوطن العربي(مهنة الطب وبناء الدولة في الوطن العربي)،مجلة المستقبل العربي ،العدد ٤١٩، كانون الثاني ٢٠١٤، ص١٧.

(٤) - كتابة الدولة للاعلام ، تونس والمسيرة الشاملة ، دار سراس للنشر ،تونس ١٩٩٣، ص٢٤٥.

مصممة على بذل كل جهد لخدمة الشعب ،وانها لا يمكن ان تسمح بترك بعض المواطنين من دون رعاية صحية ،وانها على استعداد لتجنيد الاطباء بالقوة ان لزم الامر "[١].

على هذا الاساس باشر محمد مزالي عمله في الوزارة الجديدة ، فاول عمل قام به قيامه بجولة ميدانية شملت العديد من المستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية الواقعة في المدن، وحتى في الاماكن النائية لتصبح لديه رؤية شاملة وواضحة عن الواقع الصحي في البلاد[٢].

انهى مزالي جولته التي استمرت عدة اشهر وتوصل الى الاقرار بأن هناك نقصاً عاماً ومقلقاً على الاصعدة جميعها، وشمل النقص الجانب المتعلق بالبنى التحتية، وعدد الموظفين والاطباء على حد سواء، بسبب مغادرة تونس ٦٠٠ طبيب وشكل هذا العدد ضعف عدد الاطباء المتبقي في البلاد ،ما جعل الادارة التونسية تنتدب اطباء من بلدان اخرى لتسديد النقص الحاصل في الاطباء التونسيين[٣]،فعندما تولى مزالي مسؤولية وزارة الصحة لم يكن موجوداً غير ٥٩٩ طبيباً اغلبهم اجانب، اذ كانت النسبة طبيباً اجنبياً لكل ٥٩٠٠ مواطن ، وطبيباً تونسياً لكل ١١٥٠٠مواطن[٤]، فضلا عن ذلك لا توجد في تونس غير كلية واحدة للطب في تونس العاصمة التي تأسست سنة ١٩٦٤ ، فعكفت هذه الكلية على تخريج عدد من الاطباء غير ان اعدادهم كانت غير كافية وغير قادرة على سد النقص[٥].

فكر مزالي ان اول عمل عليه القيام به هو السرعة في مسألة تكوين الكوادر الطبية المتخصصة في المجال الصحي [٦] ، فبادر الى أنشاء كليتين للطب واحدة في مدينة سوسة والثانية في مدينة صفاقس[٧] ، لاقت هذه المبادرة معارضة من بعض الاطباء في مدينة سوسة،اذ خشوا ان يكون التجهيز غير كافٍ فتكون من ثم مجرد مدارس للصحة ، غير ان هذه المخاوف لم تعق السعي في تنفيذ مبادرته ،لاسيما انه لاقى مساعدة من اثنين من الاطباء ، وهما سعاد اليعقوبي من مدينة سوسة ، وعبد الحفيظ السلامي من مدينة صفاقس اللذان بذلا

---

[١] - اليزابيث لونغنيس واخرون، المصدر السابق، ص١٨.

[٢] - محمد مزالي ،حديث الفعل ، ص٣٠٩.

[5]-Mohamed Mzali, Op.Cit, p220 .

[٤] - كتابة الدولة للاعلام ، تونس والمسيرة الشاملة ، ص٢٤٥.

[٥] - محمد مزالي ،نصيبي من الحقيقة ، ص٣٦٧.

[٦] - كتابة الدولة للاعلام ، تونس والمسيرة الشاملة، ص٢٤٥.

[٧]- محمد مزالي ،نصيبي من الحقيقة، ص٣٦٧.

جهداً غير عادي ، فأقبلا بجد على مساندته في سير العمل سواء في عملية البناء ام التجهيز ام العناية بالوسائل التربوية[١].

بادرت فرنسا وكندا بإرسال اساتذة للإسهام في عملية انشاء الكليتين ،فأقترح مزالي ان تتخصص كلية الطب بسوسة بالطب الاجتماعي ، وهذا المقترح وجد قبولا من الجانب الكندي ، فحصل تعاون مثمر مع كلية مونريال، فضلا عن ذلك استحدث مزالي كلية للصيدلة في مدينة المنستير ايضا، وبتوجيه من بورقيبة اتخذ من مدرسة قديمة لتخريج المعلمين مكاناً لانشائها[٢].

خضعت كلية الطب بتونس العاصمة التي تأسست ١٩٦٤ لنظام دراسي صارم وشديد، والمتخرجين فيها على درجة كبيرة من الكفاءة، غير ان نسبة النجاح فيها لاتتجاوز ٣٠% لكل سنة ، اذ خضعت الدراسة فيها لعملية انتقائية شديدة، ولا يخرج من هذه العملية الا عدد قليل من الطلبة ، ولا يجتاز حاجز السنوات الثلاث الاولى بمعدل طالب الى عشرة طلاب، فنتج من هذه السياسة تبديد الكثير من الطاقات ، لذلك اخذ مزالي في البحث عن اسباب هذا الخلل في نسبة النجاح ،لاسيما ان الطلبة المقبولين هم من الطلبة المتفوقين في الباكالوريا ،والاساتذة يتمتعون بسمعة طيبة وذوي كفاءة عالية ، وعميد الكلية شخص امتاز بالجدية والكفاءة ايضاً، نتيجة لذلك شكل مزالي لجنة مهمتها البحث والتقصي في اسباب هذا الخلل، وبعد البحث والدراسة تبين ان المنهاج الدراسي الذي اعتمد عليه في التدريس كثيفاً جداً اشتمل على ٢٥٠ ساعة في السنة الاولى لمادة علم التشريح [٣].

اوكل مزالي الى اللجان دراسة الموضوع من كافة جوانبه ، وايجاد الحلول المناسبة له وتكونت هذه اللجان من اساتذة وطلبة وأعضاء في الادارة الاستشفائية ، لإعداد مقترحات القصد منها تطوير البرنامج الدراسي[٤].

بعد انتهاء اللجنة من عملها توصلت الى وضع برنامج لإصلاح هياكل التعليم الطبي في شهر اب ١٩٧٤جاء فيه [١] :

---

[١]- انشئت كلية الطب في سوسة بمقتضى القانون العدد٨٢/٧٤ لسنة ١٩٧٤ في ١١تشرين الثاني ١٩٧٤ وهي تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي ،اما كلية الطب في صفاقس فقد انشئت بموجب القانون رقم ٨٣/٧٤ لسنة ١٩٧٤ وتعد من اعرق المؤسسات الصحية وهي تحت الاشراف المزدوج من وزارة التعليم العالي ووزارة الصحة .ينظر www.fmsf.run.tn .

[6]-Mohamed Mzali, Op.Cit, p221 .

[١] - محمد مزالي ،نصيبي من الحقيقة، ص٣٦٨.

[٢]- المصدر نفسه ، ص٣٧٠.

١- الغاء السنة التحضيرية وادماجها في الدراسات الطبية نفسها.

٢- انتقاء محكم يتيح الدخول الى مختلف كليات الطب على اساس الاعداد الذي حصل عليه المترشح في المواد العلمية وعلى اساس معدله في الباكالوريا.

٣- تحويل السنوات الجامعية من ٨ سنوات يستمر التدريس عملياً في كل سنة سبعة اشهر الى نظام للدراسات يمتد ١٣مدة ،ذات نصف سنة لاتتجاوز كل منها عملياً خمسة اشهر.

٤- مراقبة المعلومات المستمرة .

٥- تأطير الطلبة والحد من الفرق الكبير بين طلبة الطب المبتدئين والطلبة المتخرجين في اعقاب الدورة الدراسية.

لاقى هذا الاصلاح معارضة من الطلبة وبعض التدريسيين في كلية الطب ،بوصفه شيئاً جديداً ، فضلا عن تعودهم على النظام القديم ، لذلك اقترح عميد الكلية وعدد من الاساتذة جمع طلبة كلية الطب كافة ، وقيام محمد مزالي بالقاء محاضرة عليهم لشرح اسباب الاصلاح ومحتواه، فأجتمع الطلبة جميعهم في قاعة كبيرة ، فبدأ مزالي بالحديث مدة ساعتين شارحاً ومقيماً بالأدلة والحجج موضحاً لهم ضرورة الاصلاح واسبابه، وبعد انتهاء خطابه تمكن مزالي من اقناع الطلبة بالاصلاح ، والذي طبق فعلا ،فتغيرت نسبة النجاح من ٣٠% الى ٧٠% من دون ان يلحق ضرر بمستوى التعليم[٢].

ازداد عدد الاطباء المتخرجين جراء هذا الاصلاح ، فبعد ان كان عددهم ٤٠٥ سنة ١٩٧٣ تضاعف في اثناء اربع سنوات واصبح ٩٧٧ سنة ١٩٧٧، وتفرغ مزالي بعدها للعمل على تكوين كوادر من الممرضين والمساعدين ، وبغية مضاعفة عدد الموظفين وتشجيعهم على العمل ، واقدم على تحسين وضعيتهم ووضع اجورهم ورواتبهم وحرص على ترقيتهم بأنتظام[٣] .

شاهد مزالي ان المستشفيات في مدينة تونس العاصمة تغص بأعداد كبيرة من المرضى الذين أتوا اليها من عدة جهات من البلاد ، لذلك عمل على انشاء اربعة مستشفيات جهوية في مدينة جندومة ومدنين وقابس والمهدية ، والعديد من المراكز الطبية في مدن اخرى من البلاد ، فكان من الطبيعي ان تلاقي مشاريعه هذه معارضة من قبل وزارة التخطيط، بسبب نسبة الموارد المادية التي احتاجها، غير انه تمكن بفضل اصراره وجهده الحصول على التخصيصات المالية لانشائها[٤] ، فقد بلغت ميزانية وزارة الصحة في تلك المدة ٩% من ميزانية الدولة،وجاءت هذه

---

[١]- كتابة الدولة للاعلام ، تونس والمسيرة الشاملة ، ص٢٤٥.

[٢]- محمد مزالي، حديث الفعل، ص٢١٥.

[2]-Mohamed Mzali, Op.Cit, p221 .

[٤] - محمد مزالي ،نصيبي من الحقيقة، ص٣٧٣.

الميزانية نتيجة للحاجة الكبيرة الى الخدمات الصحية ،وتماشيا مع سياسة جديدة سلكتها الحكومة لتطوير الجانب الصحي [١].

سعى مزالي من خلال الاهتمام بالام والطفل لفتح مراكز متخصصة تولي عناية خاصة بهذه الشريحة، فقام بفتح اربع مراكز كبيرة في كل من العاصمة تونس وصفاقس وسوسة وبنزرت ، فضلا عن ٢٩ مركزاً متوزعاً في بقية المدن لرعاية الام والطفل ايضاً،ومصحتين نموذجيتين في كل من صفاقس وسوسة،اما بالنسبة للبنى التحتية فقد عمل مزالي على انشاء ٣٥ قرية طبية متحركة مهمتها التنقل في الارياف والاماكن النائية ، لتغطية حاجاتها من الخدمات الطبية [٢]، وفي هذا الصدد امر مزالي بضرورة القيام بالفحوصات الوقائية الدورية في المدارس والمعاهد والجامعات[٣].

اثناء عمله في وزارة الصحة قام مزالي وبمساندة بورقيبة له بتقديم مشروع قانون الى مجلس الامة التونسي يتعلق بضرورة (اباحة الاجهاض)، اثار هذا المشروع جدل وخلاف كبير داخل المجلس ، وبعد عدة مناقشات وجلسات لمناقشة المشروع، صودق عليه في ٢٦ ايلول ١٩٧٣ ونشر بالرائد الرسمي في ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٣ ، وفحوى هذا القانون انه (يخول لكل امرأة بترخيص من ابيها او زوجها او من دونه ان تجري عملية اجهاض مجاناً في اي مستشفى من المستشفيات في الاشهر الاولى من بدء الحمل ، اما ان كان الاجهاض بعد الاشهر الاولى فهنا يجب ان يكون القرار صادراً عن طبيبين ، لان السبب هنا لا يكون اجتماعياً بل صحياً)، فصودق عليه بأغلبية كبيرة، وذكر مزالي ان هذا القانون **" كان علامة بارزة في التاريخ الاجتماعي لتونس المعاصرة"**[٤].ويعد هذا منافي للتعاليم الاسلامية التي طالما كان مزالي يؤكد انه متأصل بالدين الاسلامي ،ولم تأثر فيه الحضارة الغربية ،غير انه على الرغم من ذلك نراه يفتخر بأصداره هذا القانون .

ادرك مزالي ان كل الجهود التي بذلها في المجال الصحي ،معرضة للانهيار في اي لحظة جراء النمو الديمغرافي المستمر الذي كان يهددهم، فقد ادركت تونس من بداية الاستقلال خطورة هذا النمو على النمو الاقتصادي ،لا سيما وان تطور الانتاج سار على نسق اقل سرعة من نمو السكان ، لذلك لابد من اجراء يتمكن من خلاله السيطرة على زيادة النسل كي يتماشى

---

[١]- كتابة الدولة للاعلام ، تونس والمسيرة الشاملة ، ص٢٤٥.

[٢]- المصدرنفسه، ص٢٤٦.

[٣]- الجمهورية التونسية،كتابة الدولة للاعلام ، مركز الوثائق القومية ، النظر في موضوع التنظيم العائلي، ٢٥ايلول ١٩٧٣،الرقم B.5.9.

[٤] - محمد مزالي، حديث الفعل، ص٣٢٦.

مع زيادة الانتاج، اذ يجب ان تتم التنمية بصورة منسجمة ومرتكزة على عدد من التدابير التشريعية والإدارية التي تحد من ارتفاع عدد السكان [١].

وطلب مزالي في اثناء الدورة الثالثة والعشرين للمنظمة العالمية للصحة لشرقي البحر المتوسط التي عقدت في ٨ ايلول ١٩٧٣ في العاصمة السورية بمشاركة ٢٥ بلداً من حوض البحر المتوسط وافريقيا واسيا ، ان تضع البلدان العربية برنامجاً لتحديد النسل للحصول التوازن مع النمو الاقتصادي[٢] .

كانت تونس غداة الاستقلال خاضعة للقانون الفرنسي الصادر ١٩٢١ الذي لم يبطل العمل به، وتضمن هذا القانون تحريم كل ضرب من ضروب منع الحمل ، شجع هذا القانون على النسل والنمو الديمغرافي بعد الحرب العالمية الاولى، نتيجة ذلك استحدث في تونس (ديوان للتنظيم العائلي) في ٣١ كانون الثاني ١٩٧٤ ونشر في الرائد الرسمي وعدّ هذا الديوان اداة قادرة على مقاومة الانفجار السكاني[٣].

لم يقتصر ديوان التنظيم العائلي في تونس على تحديد النسل فقط ،بل هو نظرة خاصة للإنسان وطريق لتحسين وضعه النفساني والمدني ، وبعث مجتمع متناسق ومتوازن لذلك اعد هذا البرنامج على اساس التوعية والتربية لتطوير التنظيم العائلي وفهمه وتقبله من المواطنين[٤].

عدّت هذه التجربة من التجارب الناجحة في مجال الحد من النمو السكاني ذلك من خلال خلق توازن بين النمو الاقتصادي والنمو السكاني ، لتحقيق مستوى عال من الرفاهية في السبعينيات، اذ عدّ العمل فيه احد مرتكزات العمل المهمة من اجل وضع حد لزيادة النمو في تونس ، فبدأ العمل في تطبيق سياسة تتمحور حول محورين اساسيين هما خفض النمو السكاني وحماية صحة الام والطفل، وإنشاء المجلس الاعلى للسكان سنة ١٩٧٤[٥] .

وعندما سُئل مزالي عن كيفية التوفيق بين انجابه لستة ابناء والبرنامج الذي اعده للتنظيم العائلي، اجاب مزالي عن هذا السؤال في اثناء حوار صحفي اجرته معه صحيفة النهار العربي والدولي قائلا:" **ان الوعي الديمغرافي لم يبلغنا الا بعد الاستقلال ،اذ اننا قبل الاستقلال كنا**

---

[١]- كتابة الدولة للاعلام ، تونس والمسيرة الشاملة، ص٢٤٠.

[٢]- الجمهورية التونسية،كتابة الدولة للاعلام ، مركز الوثائق القومية ، مزالي يقترح برنامج لتحديد النسل، ١١ايلول ١٩٧٣،الرقم B.5.9.

[2]-Mohamed Mzali, Op.Cit, p226.

[٤] - كتابة الدولة للاعلام ، تونس والمسيرة الشاملة، ص٢٥٠.

[٥]- جواد محسن الشيباني ، من تجارب الدول الناجحة في مجال العمل السكاني (التجربة التونسية انموذجاً)، صحيفة ١٤ اكتوبر (اليمن)،العدد ١٤٢٨٣، ٥كانون الثاني ،٢٠٠٨ .

نشعر بضرورة الاكثار من عدد المسلمين حتى نقاوم الاستعمار، لهذا رزقت بخمسة ابناء ، اما بعد الاستقلال فقد تغيرت النظرة وادركنا اهمية تنظيم النسل"[١].

وفي اثناء وجود محمد مزالي على رأس وزارة الصحة افتتح في العاصمة تونس المؤتمر الطبي الثالث للمغرب العربي الذي عقد في ١٤ايار ١٩٧٣[٢]، والقى خطاباً ابرز في مستهله اهمية هذا المؤتمر الذي مكن نخبة من اطباء المغرب العربي الكبير الفرصة للاجتماع وتبادل الخبرات بينهم ومناقشة مشاكل الصحة ،لاسيما معالجة الامراض المتفشية في البلاد ،وذكر بأن بلدان المغرب العربي رغم مابذلته من مجهودات لم تصل بعد للقضاء على الامراض المعدية والتي عدت من المشكلات الخطيرة المتعلقة بالصحة العامة [٣].

بعد خروجه من الوزارة وفي اثناء توليه مسؤولية الوزارة الاولى تلقى مزالي جائزة لافضل وزير صحة حقق افضل عمل في الميدان الصحي ،وذلك خلال مؤتمر وزراء الصحة العرب في صنعاء ١٩٨٥ ، واسندت الجائزة الاولى له ، وسلمه الجائزة ملك المغرب ،اذ اقيم حفل التكريم في مراكش[٤].

٥-وزيراً للتربية القومية للمرة الثالثة١٩٧٦-١٩٨٠.

عندما كان محمد مزالي يرأس الوفد التونسي للمشاركة في اعمال المؤتمر العالمي السادس والعشرين لمنظمة الصحة الدولية في جنيف في ايار ١٩٧٦ [٥] ،ابلغه مدير ديوانه بنبأ تعيينه للمرة الثالثة وزيراً للتربية، غير انه رفض قبول المنصب الجديد ، وطلب من مدير ديوانه اخبار الهادي نويرة الوزير الاول بقرار رفضه ونيته بتقديم الاستقالة ايضاً[٦]، وسوغ رفضه هذا لتجنب الوقوع في اخطاء الماضي واحتجاجاً على عزله للمرتين السابقتين وعبر عن ذلك بقوله **" لقد**

---

[١]- الجدير بالذكر ان العمل بهذا الديوان قد الغي العمل به سنة ١٩٨٢ عندما اعلن بورقيبة بأنه لا يرى مانعاً من ان يزداد عدد السكان شيئاً ما في تونس بما يستطيع به تأمين مناعتها وتعزيز كيانها، غير انه على الرغم من ذلك فأن تونس وحسب اخر الدراسات، تبدو انها مهددة بالتهرم السكاني ومن المجتمعات التي تقل فيها نسبة الشباب والاطفال قياساً الى كبار السن، فقد تراجع مؤشر النسل في تونس من ٦%في سنوات السبعينيات الى ٤,٥%خلال ٢٠١٤. ينظر مجلة الوطن العربي ، (باريس)، العدد ٢٧٦، ٢٨ ايار ١٩٨٢؛ يسرى وناس ، تراجع النمو الديمغرافي بتونس بين متطلبات الحداثة ومخاوف التهرم السكاني . Ar.habeler.com؛ مجلة النهار العربي والدولي ، (باريس)، العدد ١٥٧، ٥ ايار ١٩٨٠.

[٢] - وكالة الانباء العراقية،قسم المعلومات والبحوث، المغرب العربي، الرقم ١٢٢/٥،بتاريخ ١٤ايار ١٩٧٣.

[٣] - الجمهورية التونسية،كتابة الدولة للاعلام ، مركز الوثائق القومية ، مزالي يفتتح مؤتمر المغرب العربي الطبي الثالث، ١٥ايار ١٩٧٣،الرقم B.5.9.

[3]-Mohamed Mzali, Op.Cit, p226 .

[٥]- الجمهورية التونسية،كتابة الدولة للاعلام ، مركز الوثائق القومية ، مزالي يسافر الى جنيف، ٤ايار ١٩٧٦،الرقم B.5.9.

[٦]- عبد المجيد الزمزمي ،تونس في مواجهة التضليل،ط٢،دار الزهراء،تونس ،٢٠١١،ص٢٦.

عينتموني مرتين في التربية القومية واقلتموني في المناسبيتن من اجل افكاري [١]، وانا لم اتغير وباق على ما انا عليه"[٢].

تلقى مزالي مكالمات هاتفية ملحة من تونس من قبل الهادي نويرة والشاذلي القليبي[٣]، وحتى من قبل السفير التونسي في باريس، وبعد انتهاء مزالي من مهمته عاد الى تونس وجرت عدة لقاءات ومناقشات من اجل التوصل الى حل للموضوع من دون اعلام بورقيبة برفضه، واخيراً توصل الى اتفاق بين الهادي نويرة ومحمد مزالي،وطلب الاخير عقد اجتماعاً للديوان السياسي في الحزب الاشتراكي الدستوري، لشرح افكاره والخطوط العامة لخططه الاصلاحية على كل الاعضاء، وطلب موافقتهم فوراً، فإن حصلت الموافقة فهو مستعد ليجدد تجربته في التربية القومية، وان كانت هناك احترازات فالابتعاد افضل، بعدها عقدت ثلاثة اجتماعات مطولة من الساعة الخامسة الى الثامنة ليلاً وفي النهاية حصلت موافقة جماعية[٤]، بعدها التقى مزالي بالحبيب بورقيبة وخرج من عنده حاملا حقيبة "وزارة التربية" بعد ان شرح لبورقيبة خططه الاصلاحية، او شروطه لقبول الوزارة، وأهمها تعريب السنوات الاولى من التعليم

---

[١] - منذ تولي مزالي ديوان وزارة التربية القومية بعد الاستقلال سنة ١٩٥٦ كان من ضمن مجموعة صغيرة من المثقفين داخل النخبة السياسية الذين ناصروا التعريب ،وطالبوا بضرورة تطبيقه في تونس من اجل التخلص من تبعية اللغة الفرنسية، وكانت هذه الافكار سبباً في اقالته في المرة الاولى والثانية من وزارة التربية القومية ومثل ما هو معروف ان اول خطوة للتعريب في تونس بدأت سنة ١٩٧٠ عندما قام مزالي بتعريب سنة التعليم الاولى.ينظر الى

Mohamed Daod, Arabization in Tunisia: The Tug of War, Issues in Applied Linguistics Vol. 2 No. 1 1991,pp 7-29.

[٢]- المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار مع محمد مزالي ، المصدر السابق ، ص٢١١ .

[٣] - الشاذلي القليبي: ولد سنة ١٩٢٥ بمدينة تونس ، تلقى تعليمه الثانوي بالمدرسة الصادقية ثم التحق بباريس ليواصل دراساته العليا في الاداب والفلسفة بجامعة السوربون ، وحصل على الاجازة في اللغة والآداب العربية سنة ١٩٤٧، باشر التدريس بالمعاهد الثانوية وكلف بالقاء دروس في معهد الدراسات العليا ،وفي سنة ١٩٥٧ تفرغ للتدريس الجامعي ، عين مديرا عاما للإذاعة والتلفزة الوطنية في ايار ١٩٥٨ ،في عام ١٩٦١ اسندت اليه مهمة إنشاء وزارة الشؤون الثقافية وبقي مشرفا عليها حتى ١٩٧٠ ،فضلا عن اضطلاعه مرتين في تلك المدة بمسؤولية الاعلام ،انتخب عضوا باللجنة المركزية للحزب في تونس ١٩٦٤ وجدد انتخابه في كل مؤتمر، ثم عضوا للديوان السياسي في الحزب الحر الدستوري التونسي منذ تموز ١٩٦٨ حتى ايلول ١٩٧٩، اسندت اليه وزارة الثقافة من جديد في ١٩٧١ حتى ١٩٧٣ ، وفي ١٩٧٦ حتى ١٩٧٨، كما شغل من ١٩٧٤ الى ١٩٧٦ منصب مدير ديوان رئيس الجمهورية ،وشغل منصب وزير الإعلام من ايلول ١٩٧٨ الى ٢٨ حزيران ١٩٧٩، اذ انتخب أمينا عاما لجامعة الدول العربية ، له مؤلفات مختلفة في الادب والثقافة والسياسة منها (العرب أمام قضية فلسطين) و(من قضايا الدين والعصر).ينظر عبد الوهاب الكيالي ، المصدر السابق، ٤٢٧.

[٤] - عبد المجيد الزمزمي ،المصدر السابق،ص٢٨؛محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ص٢٩٥.

الابتدائي، ويكون تعليم الفرنسية بمعدل عشرة الى خمسة عشرة ساعة في الاسبوع ابتداء من السنة الرابعة الابتدائية، وذلك من مجموع الساعات ٢٥ او ٣٠ اسبوعياً[١].

لاقت خطط محمد مزالي الاصلاحية قبول اعضاء الديوان السياسي وإجماعهم، لاسيما ان بعض المسؤولين اعلنوا سابقاً احتجاجهم على هيمنة اللغة الفرنسية على التعليم في تونس[٢]، اذ عبر النائب المرزوقي قائلاً **" نحن الان مسؤولون عن مصيرنا، ومع ذلك فبرامجنا الفرنسية في مستوى البرامج العربية، كيف لنا فهم الشعوب المجاورة اذ اتجهنا نحو الغرب، نقبل الانفتاح لكن لا يجب ان لا نغلق النوافذ على العالم العربي، فبدون اللغة العربية لا وجود للشعب التونسي"**[٣]، وقال النائب بشير بن سلامة: **"يجب التخلي عن الازدواج اللغوي ، والذي يضر باللغة العربية ومن الضروري وضع برامج وموعد محدد للتعريب الشامل "** [٤] وعزا النائب بو بكر عزايز انخفاض مستوى التعليم في تونس الى ثنائية اللغة وتهرب المسؤولين من التعريب[٥].

اما مزالي فرأى ان استعمال اللغة الفرنسية في تونس ادى الى تغلبها على لغة البلاد وهي اللغة العربية ،ما نتج عنه نفوز اغلبية التلاميذ من لغتهم الاصلية ،وميلهم الى استعمال اللغة الاجنبية ، واكد قوله تقرير اعده معهد العلوم التربوية التابع لوزارة التربية القومية سنة ١٩٦٨ فعندما سُئل التلاميذ الى اية ثقافة ينتمون، شعروا بحرج كبير وتراوحت اجوبتهم بأنتمائهم الى اتجاهات ثقافية عديدة ، واكد اكثر الطلبة التونسيين انتمائهم الى الثقافة الاجنبية ،واكد تقرير ثانٍ اعده مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية في السنة نفسها**"ان الطلبة يؤكدون انه اذا ما انفعلوا او اغضبوا ينطقون بعبارات فرنسية ،ويرى علماء النفس ان المرء اذا انساق الى عواطفه البدائية لجأ الى التعبير بلغة الام"** [٦]، لذلك طالب مزالي إن تبذل الجهود من اجل التعريب في تونس ولابد من مجهود (شجاع) وخطوة جدية من اجل تطبيقه في المدارس التونسية ، لاسيما ان منزلة اللغة الفرنسية لا تزال مرموقة منذ ان

---

[١] - عبد المجيد الزمزمي ،المصدر السابق،ص٢٩.

[٢]- كانت السلطات الرسمية في تونس غير متفقة للغاية في تعزيز التعريب ،وانها شجعت ثنائية اللغة العربية والفرنسية ،والثنائية الثقافية ،وان التعريب تم فقط الى الحد الذي خدم مصالح النخبة الحاكمة السياسية والاقتصادية،فضلا عن ان التعريب كان ناجحاً الى حد ما في التعليم وليس في المجالات كافة. للمزيد عن مسالة التعريب في تونس ينظر . Mohamed Daod, Op.Cit, p16.

[٣] - علي محافظة ،فرنسا والوحدة العربية ١٩٤٥-٢٠٠٠ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،٢٠٠٨،ص٤٠٣.

[٤] - بشير بن سلامة، ازمة التربية القومية ، مجلة الفكر، السنة ١٦، العدد٥، شباط١٩٧١،ص ١٠.

[٥]- علي محافظة، المصدر السابق، ص٢٩٥ .

[٦]- البشير بن سلامة ، ازمة التربية ،ص١٠ .

فرضتها السيطرة الفرنسية [١]، فضلا عن معاناة الطلبة من الازدواجية في اللغة المتمثلة في العربية والفرنسية، وما لهذا الشيء من خطر على مستقبل التعليم في تونس، وهناك اسباب اخرى دفعت مزالي او شجعته الى التفكير في التعريب هو تدني مستوى اللغة الفرنسية لدى الطلبة نتيجة تدني مستوى الاساتذة[٢]، وتعلم الطفل دون سن العاشرة لغتين يرهق قواه العقلية، فبدأ مزالي مرحلة الاصلاح بالاعتماد على الحوار ، وتقرر بدء تعلم اللغة الفرنسية في السنة الرابعة ،اذ بعد غرس الطفل التونسي في بيئة حتى سن الثامنة او التاسعة من عمره، يمكنه بعده ان يتعلم لغة اجنبية [٣].

جاءت الاصلاحات ابتداءً من السنة الدراسية ١٩٧٦-١٩٧٧ وتجسدت في عدد من الانجازات منها تعريب التعليم الابتدائي بصفة تدريجية عاماً بعد عام [٤]، كما سبق ان اوضحنا ان السنة الاولى من التعليم الابتدائي قد عربت سنة ١٩٧٠ (ينظر ص٨٣) [٥]، وعربت السنة الثانية سنة ١٩٧٦ والسنة الثالثة ١٩٧٧ وبذلك عربت السنوات الثلاث الاولى من التعليم الابتدائي اما التعليم الثانوي فتم تعريب مادتا التاريخ والجغرافية[٦] .

هكذا تم النزول باللغة الفرنسية الى مرتبة لغة اجنبية ثانوية ابتداءً من السنة الرابعة ابتدائي وكلغة اختيارية فيما بعد في البكالوريا [٧] ،فأصبحت اللغة العربية اللغة الوحيدة في السنوات الاربع الاولى ، واللغة الرئيسة للأداء التربوي في السنوات الثلاث المتبقية، اذ تدرس معهما الفرنسية كلغة اجنبية ، وكانت نتيجة التعريب هذه ان بدأت أعداد المعلمين الفرنسيين بالتناقص فنقص عدد المعلمين الفرنسيين في ميدان التعليم من ٢١٥٢ في السنة الدراسية ١٩٧٢-١٩٧٣ الى ١٢٤٦ في السنة الدراسية ١٩٧٦-١٩٧٧ ، وحل محلهم معلمون تونسيون

---

[١]- افتتاحية مجلة الفكر، السنة ١٦، العدد٢، تشرين الثاني، ١٩٧١، ص١ .

[٢]- كان تدني مستوى الفرنسية هو استمرار العمل باصلاح ١٩٥٨ الذي اجاز بقاء اللغة الفرنسية كلغة في التدريس وبالتالي الاعتماد على الكادر الفرنسي في التدريس ، لقلة الكوادر التونسية ، ولما كانت دول المغرب العربي عامة بحاجة الى الفرنسيين للتعليم ، اصبحت فرنسا نفسها عاجزة عن تلبية رغبات الدول التي تستعمل الفرنسية، لذلك اخذت فرنسا تستعين بالمجندين في اطار الخدمة المدنية لإعارتهم وهم غير مؤهلين علمياً لتعليم اللغة الفرنسية. ينظر عبد الكريم غلاب ، التعريب ودوره في حركات التحرر في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، السنة ٢، العدد٣٦، ١٩٨٢،ص٩٨ .

[٣]- المجلة التاريخية المغاربية،سمنار مع محمد مزالي ، ص٢١١ .

[٤]- عبد العزير عاشوري، المصدر السابق، ص٩٧ .

[5] -Mohamed Daod, Op.Cit, p16 .

[٦]- علي محافظة ، المصدر السابق، ص٤٠٤ .

[٧]-مختار العياشي ، المصدر السابق، ص٣٢٤ .

ونقصت اعدادهم في المرحلة الثانوية بنسبة ٨٥% بين سنتي ١٩٧٧-١٩٨٠ ، واختفى وجودهم في المواد الادبية وانخفض عددهم في الرياضيات الى ٤% [١] .

وشهدت السنوات ١٩٧٦- ١٩٧٩ نهاية للتعاون التعليمي وبدأ استبدال المعلمين الاجانب الناطقين بالفرنسية في كل مكان، لا سيما في مادة الرياضيات والعلوم، واصبحت اللغة العربية لغة التدريس في المواد جميعها بأستثناء برامج الدراسات الجامعية[٢]، فلم يجر مزالي أي اصلاح بسبب قصر مدة بقائه في الوزارة اولاً، وانه وجد صعوبة في الحوار ثانياً ، وعلاوة على ذلك ان سلطة الاشراف على التربية والتعليم في البلاد التونسية لا تتدخل في الطرق التربوية الخاصة التي اختارتها الكليات ، وجعلت للمجالس العلمية في هذه الكليات ومجالس الاساتذة بأقسام التدريس حرية تكاد تكون مطلقة في اختيار الوسائل التعليمية المناسبة[٣]، والشيء الوحيد الذي فعله هو تحسين وضعية الاساتذة لان مداخيلهم كانت متواضعة قياساً بحاملي الشهادة والموجودين في قطاعات اخرى[٤] وبذلك استطاع مزالي انجاز تجربة التعريب على الرغم من ما واجهته من صعوبات وعراقيل ومعارضة من اطراف عديدة[٥]، اذ اثيرت قضية التعريب عند اجتماع مجلس الامة التونسي سنة ١٩٧٩، ولفتت انتباه الرأي العام ، ففي اثناء الجلسة التي نوقشت فيها الميزانية، اثار نائبان وهم محمود شرشور وحسن قاسم هذه القضية[٦]، وعبرا عن معارضتهما السياسية للتعريب، لاسيما تعريب العلوم ، على الرغم من ان تقرير اللجنة البرلمانية اكد ان عملية التعريب سارت سيراً طبيعياً، وانها مسايرة لقرار الحكومة، وطالب احدهما وهو احد مساعدي مدير الحزب وعضو اللجنة المركزية بالحزب بأن يخصص مجلس الامة جلسة خاصة خارج جلسات الميزانية لمناقشة سياسة التعليم [٧]، في حين ركز النائب الثاني في التعليم الديني، اذ هاجم رجال الدين والتشكيك فيهم ، ووجه سؤال الى محمد مزالي عن موقفه من المذهب السياسي الذي ظهر وتعزز واصبح خطراً يداهم البلاد[٨].

---

[١] -علي محافظة ، المصدر السابق، ص٤٠٤ .

[2]- Pierre Vermeren,the north African educational challenge:from colonization to the current alledged islamist, Mediterranean Journal of Educational Studies, Vol. 14(2), 2009, pp. 49-64.
.

[٣] -محمد سويسي، المصدر السابق، ص٢٧ .

[٤] - المجلة التاريخية المغاربية، سمنار مع محمد مزالي ، ص٩٨.

[٥] - عبد العزيز عاشوري، المصدر السابق، ص٩٨ .

[٦] - مجلة التضامن ،(باريس)، العدد٧٥، ١٥ ايلول ١٩٨٤.

[٧]- مجلة الشرق الاوسط ،(لندن)، العدد٤٦٣، ٧ كانون الثاني ١٩٨٠.

[٨]- مجلة التضامن ،(باريس)، العدد٧٥، ١٥ ايلول ١٩٨٤.

اوحى موقف هذين النائبين بأن التعريب ودعم التربية الدينية في برامج التعليم يتحملان نمو التيار الاسلامي(الاخوان المسلمين)، وان وزير التربية القومية مسؤول ومتعاطف معهم، وهو المعروف بالتونسة والتعريب وتسخير التعليم لتركيز الاصالة والانتماء العربي الاسلامي، من جانبه وافق مزالي على الاقتراح الداعي الى عقد مجلس الامة جلسات خاصة بقضية التعليم للتعمق في درس شؤونه، غير انه وصف تدخلات النائبين بأنها "لمزات"، ورد على النائب الذي طلب منه توضيح موقفه من التيار الديني قائلا:**"انا اعتز بانتمائي الى الاسلام ،ومنه استمد قوتي وعزيمتي ، ولن استعمل الدين للإغراض التي يهدف اليها البعض،ان اختيارنا التربوي يسد الطريق على الذين يتاجرون بالدين، ويناوئون الحكومة بعنوان التدين المزيف، وأوكد بأننا سنستمد من الدين قوة لكسب الرهان الحضاري"**[١].

لقد قطع التعريب خطوات مهمة ، من خلال تعريب التعليم الابتدائي والعلوم الانسانية في التعليم الثانوي، وكان يمكن للتعريب ان يحقق نتائج اكبر ويتوسع اكثر، اذا ما توفرت الوسائل الفنية لاكتمال المشروع، منها تحقق الاكتفاء الذاتي في الكوادر التربوية على المستوى التونسي لا سيما في التعليم الابتدائي والثانوي[٢] .

أخيرا يمكن القول انه بالرغم من ان مزالي خطا خطوات متقدمة في مجال التعريب ، غير ان هناك من انتقد هذه التجربة، لا سيما ضعف مستوى تلاميذ المرحلة الابتدائية في اللغة الفرنسية.

والمثال على ذلك قول احد المختصين ان الطلبة عند وصولهم الى مرحلة الثانوية ، كانوا يجدون صعوبة كبيرة في المتابعة، لاسيما في مادة الرياضيات التي تدرس بالفرنسية، فالتعليم الحقيقي هو ليس نظري فقط بل ممارسة خارج المدرسة[٣] ،وهناك من قال ان قضية التعريب لم تعالج على اساس انها قضية مركزية اساسية ، وسبباً مباشراً من اسباب مراجعة النظام التربوي والمناهج الدراسية في مختلف المراحل ، بل نُظر فيها على انها مسألة من مسائل مهمة منها تونسة الكادر التربوي، ومراجعة مناهج التاريخ وسائر العلوم الانسانية والملائمة بين العمل التربوي وحاجات البلاد الاقتصادية وديمقراطية التعليم[٤] ، وراي اخر قال ان التعريب انذاك تميز بالعشوائية فهو لم يأت نتيجة بحوث عميقة ولا خطة علمية مدروسة ،ما جعله يبدو شكليا

---

[١]- مجلة الشرق الاوسط ،(لندن)، العدد٤٦٣، ٧ كانون الثاني ١٩٨٠.

[٢] - عبد العزيز عاشوري، المصدر السابق، ص٩٨ .

[٣] - المجلة التاريخية المغاربية، سمنار مع محمد مزالي تعقيب من قبل الحبيب الحواص، المصدر السابق، ص٢١٦ .

[٤] - عبد العزيز عاشوري، المصدر السابق، ص٩٨ .

وسطحيا ، ما كان يستدعي اسهام عدد اكبر من الاختصاصيين لانجاحه،لان التعريب في هذه الطريقة ادى الى الفشل في تعليم اللغة العربية وفي تعليم اللغات الاخرى ،بمعنى ان التعريب كان نتاجا معكوسا من الناحية اللغوية[١].

غير انه على الرغم ما تقدم نرى أن الدور الذي قام به محمد مزالي في تحقيق مشروع التعريب في التربية القومية ، جعله سباقاً ورائداً لمرحلة جديدة في تاريخ تونس التي لم يسبقه احد في تبنيها.

ثانياً: نشاط محمد مزالي الثقافي

١ -دوره في اتحاد الكتاب التونسيين١٩٧٠-١٩٨٠

كان محمد مزالي من بين الهيأة المؤسسة لاتحاد الكتاب التونسيين المكون من عشرة اشخاص[٢]، فبعد اقالته من وزارة التربية القومية للمرة الاولى سنة ١٩٧٠ جرد وقتها من كل مسؤولية حكومية وحزبية،اقترح حينها الشاذلي القليبي (وزير الثقافة)على مجموعة من الكتاب تكوين اتحاد يضم الكتاب والأدباء التونسيين[٣]، لذلك وجد مقترحه القبول وتأسس الاتحاد، وعبر مزالي عن ذلك قائلاً:**" فبعث اتحاد الكتاب في جو من الثقة والتفاؤل والحماس ،استجابة لإرادة رجال الفكر والأدب وسعيهم الى تقارب الاراء وتكافل الجهود،اسوة بما هو موجود في اكثر دول العالم"**[٤].

نتيجة ذلك انتظمت عدة جلسات لتحرير قانونه الاساسي ،وانتخاب الهيأة المديرة له ، وانتخب محمد مزالي رئيساً له للمرة الاولى عام ١٩٧٠[٥].

عقدت جلسة الاتحاد الاولى في كانون الاول ١٩٧٠ التي استمرت ست ساعات،اتفق فيها على اهم المبادئ التي يجب على الاتحاد الالتزام بها والسير عليها [٦].

---

(١) -محمد الحمار ، التعريب المشكلة والتعريب الحل،صحيفة المثقف، العدد١٩٢٧،تشرين الثاني ٢٠١١.

(٢) - محمد مزالي – رئيساً،محمد العروسي المطوي-نائباً للرئيس،البشير بن سلامة -امين المال،احمد القديري -نائبا لامين المال،مصطفى الفارسي-كاتباً عاما،ابو القاسم محمد كرو- نائباً للكاتب العام،الحبيب الجنحاني –عضواً،جعفر ماجد-عضواً ،سليمان زبيس -عضواً،الطيب العنابي- عضواً.ينظر الجمهورية التونسية،كتابة الدولة للاعلام ،مركز الوثائق القومية ، هيئة جديدة لاتحاد الكتاب التونسيين، ٢٢نيسان ١٩٧٠،الرقمB.3.7 .

(٣)- محمد مزالي ،نصيبي من الحقيقة،ص٣٥٧.

(٤)- مجلة الفكر ،السنة ١٦، العدد٤ ، كانون الاول ١٩٧١، ص١-٣.

(٥) - محمد مزالي، وجهات نظر، الدار التونسية للتوزيع ،تونس،١٩٧٥،ص٥٦.

(٦) - أ- يجب على الاتحاد ان لا يصدر احكاماً باسمه على قيمة انتاج اعضائه او تبني تيار فكري او ادبي معين،بمعنى ان يكون الفكر حرا وليس لاي فرد او جماعة ان يعد نفسه وصيا على الكُتاب.

ب-ان يتحلى الجميع بروح النسبية ويكونوا على قدر كبير من التواضع والتسامح.

ج- يلزم استعمال ما لأعضائه من نفوذ ادبي ووزن شخصي في العالم لخدمة التفاهم البشري والاحترام المتبادل بين الشعوب.

اما غايات الاتحاد فتجلت منذ الجلسة الاولى بالأهداف الاتية[١]:

١- رعاية اعضائه والمنتسبين اليه.

٢- التعريف بالإنتاج التونسي.

٣- العمل على النهوض بوسائل النشر والترجمة والتوزيع كلها للكتُّاب التونسيين داخل تونس وخارجها.

٤- تشجيع الكتاب التونسيين الشباب على ابراز طاقات الابداع فيهم ومساعدتهم على نشر انتاجهم وترويجه.

٥-ربط علاقات صداقة وتعاون بين الاتحاد وبين الجمعيات الثقافية المماثلة في سائر الدول لاسيما دول حوض البحر المتوسط والبلدان الافريقية.

في اثناء رئاسة مزالي للاتحاد نظم لاول مرة في تونس مؤتمر الكتاب والأدباء العرب التاسع في ١٨ اذار ١٩٧٣ ، الذي افتتحه الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ، ووجه مزالي في اثناء المؤتمر كلمة للمؤتمرين بوصفه رئيسا لاتحاد التونسيين ، فكان ذلك المؤتمر فرصة لربط العلاقات بين الكتَاب التونسيين وبين الكتَاب العرب،لاسيما بين كتَاب المشرق العربي والمغرب العربي، والتعريف بنهضة تونس ومعرفة مدى اسهامها في خدمة الثقافة العربية[٢].

طالب مزالي في كلمته التي القاها بوجوب مراجعة اتحاد الكتَاب العرب لقانونه الاساسي،ونظامه الداخلي وان تبذل الجهود لإيجاد طرق اكثر نجاحا لتنظيم المؤتمرات المقبلة،لاسيما ان قرار اجتماع الادباء العرب وشعرائهم ، وما يسفر عن اجتماعاتهم من قرارات وإمكانية تنفيذها متعلق بقدرة الحكومات ورغبتها في تنفيذها، طبقا لقوانينها ومصادقة مجالسها النيابية والهيآت الاستشارية فيها، وعلى هذا الاساس طالب بضرورة عقد اجتماع يضم وزراء الثقافة والتعليم العرب، لوضع استيراتيجية للنهوض بالثقافة العربية وتحرير الفكر العربي ، وإيجاد الطرق الكفيلة والناجحة ليكون للكتاب والأدباء دور كبير في الحضارة الإنسانية ، ودعا الكتَاب ورجال الفكر الى بذل جهودهم من اجل توعية الجماهير، وتجديد القيم ورفع مستواها وتبصيرها بواقعها[٣]، وبذلت هيأة اتحاد الكتَاب التونسيين مجهودات كبيرة لإعداد هذا المؤتمر ليظهر بصورة مشرفة ، واتخذت الاستعدادات الضرورية كافة لتأمين اقامة الضيوف وتمكينهم

د- العناية بالادباء الشباب وتشجيعهم. للمزيد ينظر الى مجلة الفكر ، السنة ١٦، العدد٤ ، كانون الاول ١٩٧٠، ص١-٣.

[١] - محمد مزالي، وجهات نظر،ص٥٧.

[٢]- مجلة الفكر ،السنة ١٨، العدد٧ ، نيسان ،١٩٧٣، ص٢.

[٣]- مجلة الفكر ،السنة ١٨، العدد٨ ،ا ايار ،١٩٧٣، ص١-٣.

من التوفيق بين التفرغ لأعمال المؤتمر ومهرجان الشعر الذي عقد في المدة نفسها من جهة وبين التعرف على تونس وزيارة معالمها والاتصال بأدبائها ومثقفيها من جهة اخرى[١].

اما على الصعيد الداخلي فقد نظم الاتحاد ملتقى حول الادب التونسي (منزلته ودوره في التعليم والثقافة)، الذي نظم بنزل افريقيا يوم ١٢تشرين الاول١٩٧٦ شارك فيه عدد كبير من المثقفين والكتَاب والأدباء والاساتذة الجامعيين ورجال التربية ، وكشف هذا الملتقى عن المشكلات التي تواجه المفكرين التونسيين [٢] ، وافتتح هذا الملتقى بإشراف رئيس الاتحاد محمد مزالي الذي القى كلمة ركز فيها في اهمية هذا الملتقى، الذي فسح المجال للمتخصصين والخلاقين والمنتجين للاجتماع بهدف الحوار وتطارح الاراء والافكار، ومحاربة الخروج من الوضعية السيئة التي عاشها الادب التونسي ، ولا يكون ذلك برأي مزالي الا بخلق الحاجة الى المطالعة في اوساط التلاميذ والطلبة وخلق المناخ الذي يجعل الادب التونسي محترماً[٣]، ، وللبحث في الواقع الادبي والثقافي في المدارس التونسية، والسعي من اجل تنشئة الاجيال على حب المطالعة وتعريفهم بالمؤلفات التونسية ، قديمها وجديدها ،وترسيخها في نفوسهم ،انطلاقا من مبدأ التونسة (احلال النصوص التونسية في المناهج والكتب المدرسية)، اذ لم يكن في كتب القراءة وكتب المطالعة، او كتب النصوص الادبية المستعملة في الابتدائي والثانوي حتى سنة ١٩٧٠ سوى اربعة نصوص او خمسة من جملة مائة وخمسين نصاً،باستثناء الشاعر التونسي ابو القاسم الشابي[٤]، لذلك اوصى المؤتمر بمراجعة برامج التعليم ومتمماتها في مختلف مراحل الدراسة ، بالاعتماد على الادب التونسي بصورة تضمن تأصيل التلميذ والطالب في بيئته ضمن اطارها الحضاري التونسي العربي الاسلامي، وما يوجب ذلك من اتمام الاطار التعليمي بالمزيد من عقد الندوات وتنظيم الملتقيات الثقافية للتعريف بالادباء التونسيين وانتاجهم، فضلا عن الحصص الاذاعية المعتنية بالادب التونسي[٥] ، وفي نهاية الملتقى توصل المجتمعون الى وجود علاقة جدلية بين النظام التربوي في اي بلد وبين الثقافة والأدب،فالمناهج المعدة اعدادا

---

[١] -محمد عبد المنعم الخفاجي واخرون، المصدر السابق،ص ١٠٣.

[٢]- الجمهورية التونسية وزارة الاعلام ،مركز التوثيق القومي ،حول ملتقى الادباء والمثقفين (من القضايا الحساسة) ،٢٢تشرين الاول ١٩٧٦،رقم B-3-7.

[٣] - الجمهورية التونسية وزارة الاعلام ،مركز التوثيق القومي ، مزالي يفتتح ملتقى حول الادب التونسي،١٣تشرين الاول ١٩٧٦، رقم B-3-7.

[٤] -مجلة الفكر ، السنة ١٨، العدد٢، ١٩٧٣،ص ٥.

[٥] - الجمهورية التونسية وزارة الاعلام ،مركز التوثيق القومي ،رجال الفكر والثقافة يناقشون منزلة الادب التونسي في التربية والثقافة ،المصدر السابق.

جيداً وسليماً، هي وحدها قادرة على تهذيب الحس الادبي في الناشئة وتنمية خيالها، واكد مزالي ان الانظمة التربوية مسؤولة الى حد بعيد عن الرفع من شأن الثقافة والأدب"[١] .

اما الاعمال الروتينية الاخرى التي قام بها الاتحاد ، تعيين الوفود التي تمثل الاتحاد في الملتقيات ،وفي مؤتمرات اتحادات الكتَاب في الدول الاخرى العربية منها والأجنبية. وبخصوص آلية الانتساب للاتحاد فجودة الكتب المنشورة هو المعيار الاهم للانتساب، واذا حصل ولم تتفق الهيأة المشرفة على العضو الجديد ، ففي هذه الحالة يُلجأ الى التصويت السري[٢] .

ومن مواقف الاتحاد مع محمد مزالي ،اتخذ اتحاد الكتاب والادباء التونسيين موقفاً بالدفاع عن محمد مزالي، عندما تعرض لهجوم قاسٍ من نائبين على سياسته التربوية في جلسة البرلمان، اذ دافع عنه واصدر في ختام مؤتمره المنعقد في كانون الاول ١٩٧٩، لائحة شد فيها من ازر وزير التربية محمد مزالي ووقوفه معه [٣].

بقي مزالي رئيساً للاتحاد لمدة عشر سنوات من دون انقطاع ، وعند تعيينه وزيراً اول وجه رسالة استقالة الى الهيأة المديرة للاتحاد ، بين فيها ان هذا التعيين عرضه الى المسؤوليات الثقيلة ، ما دفعه الى التخلي عن رئاسة ألاتحاد مع البقاء دائماً معه ومع الاعضاء في سبيل تحقيق ما التزم به الجميع، لهذا بقي عضوا فيه، واجتمعت االهيأة المديرة لاتحاد الكتاب في يوم الثلاثاء ١٠حزيران ١٩٨٠ وسجلت تسمية محمد مزالي وزيراً اول وامينا عاما للحزب الاشتراكي الدستوري وهو سياق عمل يناله اعضاء الاتحاد كافة [٤].

فكان الاتحاد مجالا للقاءات ومكان عرضت فيه الآراء ووجهات النظر ،واحترمت اختيارات اعضاءه كلها،وبذلك استطاع مزالي اثناء رئاسته للاتحاد ان يقدم خدمة للثقافة التونسية ولو بجزء يسير فناصر الكتَاب ودافع عنهم وعن حقوقهم المعنوية.

٢-أعمال محمد مزالي الفكرية

بعد ان تعرفنا على اهم العوامل المكونة لشخصيته من مؤثرات اجتماعية وثقافية وسياسية، ومشاركته في السياسة ، والعمل في السلك الوزاري، نتطرق هنا الى اهم اعماله الفكرية،التي

---

[١] - سعيد فرحان، اتجاهات فكرية في الادب التونسي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ، ١٩٨١،ص٢٧.

[٢] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،ص٣٥٨.

[٣] - مجلة التضامن ،(باريس) ، العدد٧٥، ١٥ايلول ١٩٨٤ .

[٤]- مركز الوثائق القومية التونسية ،(اسناد لقب الرئيس المؤسس للاتحاد لمزالي) ١٣،حزيران١٩٨٠،رقم 99- 3 -Q.

عبر فيها عن افكاره وآرائه وفي مختلف الجوانب ، وقد حاول من خلالها عرض افكاره، محللا بعض الاحداث التي شهدتها تونس.

الكتابة عند مزالي ليس احترافاً، وإنما هي جزء من العمل من اجل التغيير والتقدم نحو تحقيق المشروع ، فالكتابة عنده هي محاضرة في منتدى، ونقد لتقصير، والتوجيه نحو هدف ، فهي احد اوجه ممارسة الحياة وليست ضرورة شخصية [١]، فأوجز كتاباته وحصرها في المبادئ العامة التي شكلت فكره ومعتقده وتبلوره، فتناول في كتاباته مختلف الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والتقافية والادبية[٢]، وركزت في تعظيم وتمجيد الاخلاق والمثل والقيم ايضاً، واعطائها المكانة الاولى لقيمة الانسان وحضارته،وعالج بكتاباته مختلف القضايا التي واجهت مجتمعه في مرحلة عصيبة من تاريخ بلاده، مؤمنا بأن الكاتب الاصيل يتخذ دائما موقفا من دون مواربة ولا التواء، لانه يؤمن بقدرة الارادة البشرية على تغيير الواقع[٣].

بدأ محمد مزالي نشاطه في ميدان الكتابة بإلقاء المحاضرات ،ونشر مقالات في الصحف الى ان اصدر مجلة الفكر، (ينظر ص٣٩)، كان اول نشاط فكري له في سنة ١٩٤٩ وهي محاضرة (تعليم الفتاة المسلمة)، بعدها نشر العديد من المقالات والمحاضرات، فهو الى جانب كتاباته في المجلات والجرائد كان خطيباً بارعاً امام الجماهير وكانت اغلب خطبه مرتجلة .وسنلقي الضوء على اهم مؤلفاته.

١-الكتاب الاول **(الديمقراطية):** صدر سنة ١٩٥٥، وكانت حينها البلاد على ابواب الاستقلال، ضمن سلسلة من المحاضرات المعدة للتوعية والتوجيه في الشعب الدستورية، وموضوعه يدور حول تاريخ الديمقراطية، واتخاذ الديمقراطية كواقع،وكيفية تحقق الديمقراطية، وفي معالجته لكيفية المشاركة الجماهيرية في حماية مكسب الديمقراطية ،اذ قال **"واخيراً تبقى مسألة المراقبة الواعية اليقظة التي لابد ان يقوم بها المواطنون حتى تحيا الديمقراطية وتنمو وتتحسن، مبدأ وتطبيقا والمراقبة امر ضروري لأننا نعيش في دنيا البشر ، والبشر ليسوا**

---

[١] - غالي شكري ،الثقافة العربية في تونس ،الدار التونسية للنشر،تونس،١٩٨٦،ص١٥٤.

[٢]- سعيد فرحات ،المصدر السابق،ص٣٤.

[٣] - حسني سيد لبيب ، تحديات العصر في فكر زكي نجيب محمود ومحمد مزالي، مجلة المعرفة (سوريا)، السنة٣١، العدد ٣٤٧،اب ١٩٩٢، ص٩.

خيراً فقط ،ونفوسهم بالسوء، وعزائمهم تتفاوت قوة وضعفاً، فما الذي يضمن للمواطن ان النائب او الوزير لايزال مكرساً جهوده في خدمته منصرفاً بكليته الى الصالح العام"[1] .

٢-الكتاب الثاني **(من وحي الفكر)**: صدر بطبعتين الاولى نشره سنة ١٩٦٩، والثانية ١٩٧٩،وهو عبارة عن مجموعة من المقالات تضمنت مجموعة كبرى من الارشادات تناولت زمناً امتد من ١٩٥٥ الى ١٩٦٩ التي كتبها في مجلة الفكر ، مدة ١٤ عاماً تناول مختلف القضايا القومية والإنسانية والثقافية كانت او السياسية والاجتماعية.

٣-الكتاب الثالث **(مواقف)** : نشره سنة ١٩٧٣، احتوى على مجموعة من المقالات نشرت في الجرائد والمجلات التونسية ،ظهر بعضها من دون توقيع ، كما يحتوي على العدد من التعاليق الاذاعية التي اذيعت غداة الاستقلال تلقي الضوء على بعض الاحداث التاريخية، ومايخص البيئة التونسية قبيل الاستقلال وما بعده.

٤- الكتاب الرابع **(دراسات ثقافية)**: نشر سنة ١٩٧٤ احتوى على مجموعة من الدراسات الثقافية المهمة ، تناولت مختلف الشؤون الثقافية والتربوية ،أكد خلالها نظرياته، وقناعاته، والعمل الذي اندرج في صلب عمله من أجل تونس.

٥-الكتاب الخامس **(وجهات نظر)**: نشر سنة ١٩٧٥، يحتوي على كل الافتتاحيات المنشورة في مجلة الفكر من تشرين الاول ١٩٦٩الى تموز ١٩٧٤ وهو بذلك امتداد لكتاب من وحي الفكر ، عبر فيها عن ارائه في عدة قضايا حاول تحليلها وتقويمها.

٦-الكتاب السادس **(في دروب الفكر)**: نشر سنة ١٩٧٩ ، ايضاً ضم هذا الكتاب باقة متفرقة من افتتاحيات مجلة الفكر لمدة خمس سنوات ، طرح فيها بعض القضايا المهمة.

احتوت هذه الكتب جميعها المقالات التي نشرت في الجرائد والمجلات التونسية، وعدداً من التعاليق الاذاعية بعد الاستقلال، فضلا عن المحاضرات التي القاها وكانت جميعها تسلط الضوء على البيئة التونسية وعلى احداث تاريخية، وعالج فيها القضايا التي واجهت مجتمعه كافة ، والتعريف بأتجاهات المثقفين والمربين الشباب تجاه المستقبل.

قام بالتعاون مع البشير بن سلامة بترجمة كتاب تاريخ افريقيا الشمالية للكاتب الفرنسي شارل اندري جوليان بجزأيه ، الاول سنة ١٩٦٨ ، الجزء الثاني سنة ١٩٧٤ .ترجما للمؤلف نفسه كتاب المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي سنة ١٩٧٠ايضا.

---

[1] - مجلة التضامن ،(باريس)، العدد ٢٩، ٢٩تشرين الاول١٩٨٣،ص٦.

أما أدب محمد مزالي قال توفيق الحكيم في مقدمته لكتاب الرؤيا الإبداعية في أدب مزالي: **" محمد مزالي صاحب مجلة الفكر الذي حمل عبء الفكر والأدب والشعر والنقد طيلة ثلاثين عاما هو تعادلي في أدبه، يجمع بين التراث والمعاصرة، وبين الأدب والفكر، وبين الصحافة والعلم، وبين مطالب الروح ومطالب المادة، وبين الصياغة الأصيلة والصورة الادبية الحديثة... فكره متوهج دائما، وأدبه يسحر عقول الشباب والشيوخ على السواء. ولعل التعادلية هي مذهب اليوم وفكر الغد التي تتجلى فيها صور العبقرية المستقبلة"**[١].

طغت على ادب محمد مزالي الأفكار الفلسفيّة أكثر من الابتكارات الادبية، فالتجأ لأدب المقال والحوار، اعتقادا منه بان ذلك يمكن أن يكون وسيلة من أجل إيصال الأفكار الفلسفية العويصة إلى مستوى الفهم الأدبي، جمع مزالي بين ادب المقال والحوار وبين افكاره الفلسفية ، اذ انطبعت ثقافته ودراسته بطابعين طابع ادبي وطابع فلسفي ، فهو حاصل على الاجازة الفلسفية من ناحية ،ودبلوم الدراسات العليا في الاداب من ناحية اخرى، وقد مكنه ذلك من الجمع بين تجربة تعتمد على الواقع في هذا الأدب الإنساني، وتجربة ثانية تعتمد على الذات المفكرة والفاعلة [٢].

فضلا عن ذلك له العديد من المؤلفات كتبها في السنوات اللاحقة منها الحركة الاولمبية اليوم باللغة الفرنسية سنة ١٩٨٤، وحديث الفعل سنة ١٩٨٥ صدر باللغة العربية والفرنسية والايطالية والصينية، وهو على شكل حوار صحفي ضمن سلسلة تتمثل اساساً في احاديث مع شخصيات اسهموا بصورة من الصور في حياة مجتمهاتهم، وبعد اقالته اصدر كتاب (رسالة مفتوحة الى بورقيبة) بالفرنسية ١٩٨٧ ، هو عبارة عن عرض لبعض الحقائق عرفها محمد مزالي في اثناء احتكاكه بالرئيس بورقيبة ايام كان يشغل منصب الوزير الاول، وهو تسجيل بعض الاحداث السياسية وغير السياسية التي اتسم بها الحكم في تونس، وفي سنة ٢٠٠٤ اصدر كتاب وزير اول في رئاسة بورقيبة يشهد باللغة الفرنسية في باريس، وعند عودته الى تونس في سنة ٢٠٠٢ حجزت النسخ التي جلبها معه ، وصدرت الطبعة الثانية منه في ٢٠١٠.

---

[١] - محمد عبد المنعم الخفاجي ،المصدر السابق،ص٣.

[٢]- محمد الأمين خلفة، المصدر السابق ص. ١٥.

من خلال ماتقدم نلاحظ انه من الطبيعي أن تثمر المهام التي تولاها محمد مزالي أعمالا ملموسة في مجال بناء الدولة التونسية ، فكانت إنجازاته في مجالات متعددة، سواء عند تقلده رئاسة ديوان وزير التربية القومية (١٩٥٦- ١٩٥٨) ،أو اضطلاعه بمسؤولية الإدارة العامة للشباب والرياضة (١٩٥٩- ١٩٦٤)، أو بعثه للتلفزة التونسية بصفته مديرا عاما للإذاعة والتلفزة (١٩٦٤- ١٩٦٨)، أو لما عين على رأس وزارة الدفاع (١٩٦٨ - ١٩٦٩) أو وزارة الصحة (١٩٧٣ - ١٩٧٦) أو عندما كلف على ثلاث كرات بمهام وزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي (١٩٦٩ -١٩٧٠) ، و(١٩٧١ - ١٩٧٣)، و(ومن ١٩٧٦ - ١٩٨٠)، وتتويجا لهذه المسيرة عينه الحبيب بورقيبة، إثر مرض الوزير الأول الهادي نويرة، منسقا للعمل الحكومي في اذار ١٩٨٠، ثم في ٢٣ نيسان ١٩٨٠ وزيرا أول جامعا بين هذه الوظيفة ووزارة الداخلية من ٧ كانون الاول ١٩٨٤ إلى ٢٨ ايار ١٩٨٦ . وهذا ما سيأتي تفصيله في الفصلين التاليين.

الفصل الرابع

تولي محمد مزالي منصب الوزير الاول وموقفه من التطورات السياسية في تونس ١٩٨٠ـ ١٩٨٦

أولاً- عوامل تولي محمد مزالي منصب الوزير الأول.

أ-عملية قفصة ١٩٨٠ .

ب- مرض الهادي نويرة.

ثانياً-الخلاف التونسي الليبي وموقف محمد مزالي منه.

ثالثاً- تجربة التعددية الحزبية في تونس سنة ١٩٨١ودور محمد مزالي فيها.

رابعاً-تصاعد نشاط الاسلاميين وموقف محمد مزالي منه.

خامساً-العلاقة بين حكومة مزالي والاتحاد العام التونسي للشغل.

سادساً-الوجود الفلسطيني في تونس وموقف محمد مزالي منه.

شكلت السنوات الاولى من عقد الثمانينيات ١٩٨٠-١٩٨٦ نقطة تحول سياسي في تونس، فهي مرحلة مهمة في تاريخ تونس المعاصر، اذ كانت مثقلة بالاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويمكن عدّها مرحلة انتقالية هيأت الظروف لتغيير سياسي كبير في تونس ، بسبب دكتاتورية الحبيب بورقيبة ،وهيمنته الكاملة على مؤسسات الدولة وصناعة القرار فيها ، فشهدت تونس في اثنائها انهيار مقومات الدولة على جميع الاصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما شهدت احداث مهمه وتطورات سريعة ومتلاحقة ، يمكن ارجاعها الى شيخوخة الرئيس التونسي بورقيبة الذي حكم تونس منذ الاستقلال سنة ١٩٥٦ ، وتكالب الطامعين على السلطة ، لذلك سوف نسلط الاضواء على هذه التحولات وما آلت اليه الامور في اثنائها .

اولاً- عوامل تولي محمد مزالي منصب الوزير الأول

أ-عملية قفصة المسلحة ١٩٨٠:

شهدت تونس بداية سنة ١٩٨٠ احداثاً خطيرة اوضحت مدى ضعف سياستها وتصدع جبهتها الداخلية منذ اول حدث تعرضت له.وتعود جذور الاحداث الكثيرة التي شهدتها تونس في بداية الثمانينيات الى العام ١٩٧٨، حين تصاعد الصراع وحدة الخلاف بين الاتحاد العام التونسي للشغل[1] والحكومة، وتأزمت الاوضاع وتفاقمت ، فقررت القيادة النقابية اعلان الاضراب العام في ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٨،

[1]- نشأت الحركة النقابية التونسية لاول مرة على يد محمد علي الحامي (١٨٩١-١٩٢٨) ، بعد عودته من برلين أوائل اذار سنة ١٩٢٤ بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد السياسي. ويعد مجيئه البداية الحقيقية لمرحلة جديدة في تاريخ الحركة العمالية والحركة النقابية ، ،وبدأت الدعوة لتأسيس (جمعية التعاون الاقتصادي التونسي)، وفي حزيران ١٩٢٥ أسست لجنة لجمع التبرعات ولجنة أخرى للاشراف رأسها محمد علي ، ثم انطلق أعضاء الجمعية لبث الدعاية لها وشرح أهدافها ومبادئها ، فأقامت اجتماعات ومهرجانات خطابية في جميع أنحاء تونس وقام محمد علي الحامي(القابسي) ورفاقه بالقاء الخطب ،وقد لقيت قبولاً من الناس والعمال و أدت الى تحولات كبيرة في جهود محمد علي في تأسيس الحركة النقابية .،غير انه في الخامس من شباط ١٩٢٥ اوقف محمد علي بتهمة التآمر على أمن الدولة ،وبقيت الحركة النقابية معطلة من (١٩٢٥-١٩٣٢) ،وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٢ وافقت السلطات الفرنسية على ترخيص العمل النقابي في تونس، ومع مجيء حكومة الجبهة الشعبية سنة ١٩٣٦-١٩٣٧ قامت بالافراج عن المحكومين السياسيين وعن محمد علي وعادوا من منفاهم ،لتأسيس منظمة عمالية على غرار الجامعة الاولى ، وفي سنة ١٩٣٧ أسس بلقاسم القناوي بدوره منظّمة نقابية سماها جامعة عموم العملة التونسيين.ولم تعمر هذه التجربة بدورها طويلا حيث انفرضت بعد عامين فقط من تأسيسها، في أوائل سنة ١٩٤٤ قرر جمع كبير من العمال التونسيين يقودهم الزعيم فرحات حشاد الانسلاخ من النقابة الفرنسية وبعث حركة نقابية تونسية، وفي ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٤ بُعث إتحاد النقابات المستقلة بالجنوب وقد تولى فرحات حشاد أمانته العامة ،وشكلت هذه النقابات النواة الأولى لتأسيس الإتحاد العام التونسي للشغل. وبداية الطريق نحو استقلالية الحركة النقابية للعمال التونسيين عندما قام حشاد بتأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل سنة ١٩٤٦.ينظر سعد توفيق عزيز عبدالله، الحركة العمالية في تونس(١٩٤٦-١٩٥٦)نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، رسالة ماجستير غير منشورة/ كلية الاداب جامعة الموصل، ٢٠٠٥م.

الذي سمي فيما بعد بـ(الخميس الاسود) [١] ، نتيجة ذلك بقي الوضع قلقاً ومضطرباً، واذا كان مرور الذكرى الاولى لاحداث الخميس الاسود عابراً من دون حصول شيء مهم، فأن الذكرى الثانية لهذه الاحداث اي سنة ١٩٨٠ شهدت احداثاً مهمة ، فعند اقتراب الذكرى الثانية في يوم ١٤ كانون الثاني قام شاب تونسي بأختطاف طائرة تابعة للخطوط الجوية الايطالية ، وتعود الطائرة المخطوفة الى شركة (اليطاليا) العاملة على خط روما- تونس[٢]، واشترط خاطفها لتسليمها اطلاق سراح ١٤ معتقلاً نقابياً لازالوا في السجون التونسية، ولم يسلم نفسه للشرطة الايطالية الا بعد ان تدخلت النقابات الايطالية ووعدت بأن تأخذ على عاتقها مسؤولية الدفاع عن المعتقلين النقابيين في تونس، غير ان الحكومة التونسية لم تقم بإطلاق سراح سوى اثنين من المسؤولين النقابيين، ما سبب خيبة امل كبيرة في الاوساط النقابية والمعارضة معاً،التي تأملت من خلال الافراج عنهم ايجاد حل وسط يمكن ان يحقق المصالحة مع الحكومة[٣].

بعد انهاء عملية اختطاف الطائرة عادت الاوضاع السياسية الى التوتر نتيجة الاعلان عن زيادة في اسعار المواد الغذائية والاساسية(الخبز والزيت والسكر والحبوب) بلغت ٥٠% ،ردت النقابات العمالية على القرار بالاضراب العام شلت على اثره حركة الكثير من مؤسسات الدولة، وفي خضم هذه الاحداث

---

[١] - تعود اسباب التوتر بين الحكومة والاتحاد العام التونسي للشغل الى ١٧ ايلول ١٩٧٧ووصل الامر الى حد تهديد الهادي نويرة الوزير الاول التونسي بطرد الحبيب عاشور امين عام الاتحاد العام التونسي للشغل من رئاسة الاتحاد ، وتلويح الحبيب عاشور بألانفصال عن الحزب، وكانت الازمة هذه المرة هي الاولى من نوعها التي اكتسبت مظهراً سياسياً جماهيرياً لانها دارت على مرأى ومسمع من الناس ، توافق ذلك مع انتهاج الهادي نويرة سياسة اقتصادية اعتمدت على تقليص دور الدولة في جميع المؤسسات ، فأصدر مايسمى بـ (ميثاق تقدم في سبيل الافضل) لرسم حقوق وواجبات بين الطبقات الاجتماعية في تونس على سبيل التكافل ، غير ان هذا المشروع لم يحقق مايأمله من طموحات بسبب التضخم العالمي ، وسوء الرقابة على السلع، فأدى ذلك الى ارتفاع الاسعار وانخفاض القيمة الشرائية للعمال مما حدا ببورقيبة الى التدخل برفع الاجور واقرار مبدأ سلم الاجور المتحرك مع الاسعار ، غير ان الاسعار استمرت في الارتفاع،فضلا عن اختفاء السلع الاساسية مما اصاب العمال بأضرار كبيرة، و مع مطلع سنة ١٩٧٨ انتشر خبر استقالة الحبيب عاشور من الديوان السياسي واللجنة المركزية قاطعاً الطريق على الحزب فصله منه ،وفاتحاً الطريق للمواجهة الحادة بين الحكومة والاتحاد العام التونسي للشغل والذي كان يطالب بالاستقلالية ، وفي يوم ٢٥كانون الثاني اصدر المجلس الوطني للاتحاد قرارات تنم من حيث اللهجة والمحتوى على تصعيد للموقف سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، من خلال مهاجمتها سياسة الحكومة، فضلا عن التنديد بتفاقم الفوارق الاجتماعية وتركز الثروة بين الاقلية وحرمان العمال من حقوقهم ، نتيجة ذلك تمت مهاجمة مكاتب الاتحاد ، واعتقال النقابيين ، مما دفع الاتحاد الى تنظيم اضراب عام في ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٨،وهنا تحركت الحكومة والجيش ضد العمال، وتم اطلاق النار ما ادى الى مقتل وجرح ٣٥٠ على حد قول اذاعة تونس، كما احتلت القوات الامنية والمسلحة مكاتب نقابات ومنازل القياديين،وتم اعتقال الكثير منهم وكان منهم الحبيب عاشور، كانت الاسباب الظاهرة للاحداث هو الخلاف حول الأجور، إلا أن أسبابه العميقة تعود أساسا إلى عدم هضم السلطة جرأة الاتحاد في نقد الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وما مثله هذا الموقف من تكريس لاستقلالية الاتحاد وخروج عن دائرة الوحدة القومية وفق التعبير البورقيبي.للمزيد ينظر جهاد عودة، الازمة السياسية والنظام التونسي ، مجلة السياسة الدولية ، العدد٥٢، نيسان ١٩٧٨، ص١٥٦؛ نجيب بن مرعي ، احداث ١٩٧٨، دار محمد علي للنشر ، تونس ،٢٠١١، ص١٢.

[٢]- مجلة النهار العربي والدولي،(باريس)، العدد ١٤٤، ٤ شباط ١٩٨٠.

[٣] - مجلة الصياد،(بيروت)، العدد ١٨٤٧، ٢٨ اذار ١٩٨٠.

واستمرار الوضع الاجتماعي والاقتصادي بالتدني مع تعدد الاضطرابات في المؤسسات الكبرى والمعامل، فوجئ الجميع بالاذاعة تعلن خبر الهجوم المسلح على مدينة قفصة الحدودية[١]،اذ تعرضت المدينة في الليلة الفاصلة ٢٦/ ٢٧ كانون الثاني ١٩٨٠ لهجوم مسلح تولت القيام به مجموعة من الأشخاص، قدر عددهم بحوالي ٦٠ مسلح،مقسمة الى خمس مجاميع كل واحدة لها واجب محدد، هاجموا مراكز الشرطة والحرس وثكنتين بالمدينة قبل أن يوجهوا دعواتهم إلى الأهالي، للانضمام إلى الثورة المسلحة "والإطاحة "بالنظام البورقيبي، ونجحت في الاستيلاء على بعض المراكز الأمنية ،وفي صبيحة يوم ٢٧ كانون الثاني تمكن المهاجمون من السيطرة على المدينة ،بعد أن سقطت المراكز الأمنية وثكنة الجيش الخارجية في أيديهم ، غير ان ذلك لم يستمر طويلا بسبب عدم استجابة سكان مدينة قفصة للنداءات المتكررة لحمل السلاح والالتحاق بـ"الثورة "، وبسبب غياب التنسيق بين مختلف المجموعات ،ما أدى إلى فشل قياداتها في تشكيل "حكومة مدنية"، وتدعم هذا الفشل بدخول قوات الجيش المدينة وإعلان السيطرة عليها، والقي القبض على هذه الجماعة المسلحة بعد معارك ومطاردات[٢].

اعلن الهادي نويرة الوزير الاول التونسي بعد ذلك قائلا :**" ان فرقة من المسلحين من خارج تونس، كانت تعتمد على عملاء لها في الداخل، كانوا يأملون بأجتياح المدينة والسيطرة عليها ، والاعلان عن قيام حكومة جديدة، ثم يقومون بطلب العون الخارجي"**[٣]، وقد تسللت هذه مجموعة المسلحة عبر الحدود الجنوبية الغربية في منطقة اسمها (بئر ام علي)، وهي نقطة حدودية بين تونس والجزائر[٤] .

وجهت الحكومة التونسية في البداية اتهامها الى الجزائر لمساعدتها المهاجمين بالعبور الى اراضيها، فاحتجت الحكومة الجزائرية على الاتهامات التونسية الموجهه اليها ، اذ نفت ان تكون لها علاقة بالهجوم على مدينة قفصة واستدعت السفير التونسي في العاصمة الجزائرية وسلمته الاحتجاج رسمياً[٥]، واصدرت بيانا أكدت فيه أن حرس مراقبة الحدود لم يسجل أي تسرب لأشخاص أو لحركة مريبة ايضاً[٦]، غير ان الهادي نويرة الوزير الأول التونسي شكك في هذا الموقف عاداً أن الحكومة الجزائرية ضالعة في أحداث قفصة، فقد استند في ذلك إلى اعترافات عز الدين الشريف[٧] قائد عملية قفصة المدني ، الذي اعتقل من

---

[١] -قفصة: مدينة صغيرة تقع جنوبي تونس على مسافة ٣٥٠ كم، الى الجنوبي الغربي من تونس العاصمة ،وهي قريبة من الحدود الجزائرية ،ولا تبعد كثيراً عن الحدود الليبية كان عدد سكانها ٣٠ الف نسمة يعمل معظمهم في مناجم الفوسفات وهو مورد عيشهم الاساسي . ينظر الى مجلة النهار العربي والدولي ،(باريس)، العدد ١٥١، ١١شباط ١٩٨٠.

[٢] - عادل الثابتي، المصدر السابق، ص٤٢؛ سالم البيض ، الازمات الاجتماعية والسياسية ، ص٢٢٠.

[٣] - صحيفة الانوار،(بيروت)، العدد ٦٨٦٨، ٢ شباط، ١٩٨٠ .

[٤] - مجلة الشرق الاوسط(لندن) ، العدد٧٢٢، ٢٩ تشرين الثاني ١٩٨٠ .

[٥] - صحيفة السفير(بيروت)، العدد ٢٠٧٣، ٢٩ كانون الثاني ١٩٨٠ .

[٦] - صحيفة العراق، (العراق)، العدد ١١٩٣، ٢٩ كانون الثاني ١٩٨٠ .

[٧] - عز الدين شريف : ولد في مدينة قفصة وبدأ دراسته بالمدرسة الفرنسية العربية درس لمدة سنتين ،وفي سنة ١٩٤٨ التحق بفرع جامع الاعظم بمدينة قفصة ،وحصل على الشهادة الاهلية واصل بعد ذلك دراسته في جامع الزيتونة ،وبعدها انتمى الى شعبة الاداب واللغة العربية وفي سنة ١٩٥٧ عمل في التعليم الابتدائي ،وبقي فيها الى ان شارك سنة ١٩٦٢ في

قبل السلطات التونسية بعد السيطرة على المدينة، والذي أقر بوجود علاقة تربطه بالسلطات الجزائرية وبجهاز مخابراتها، وهي العلاقة التي نسجت في أثناء اشتغال الشريف في الجزائر[١].

ان احتجاج الجزائر على اتهام التونسيين وتكذيبها تسلل المهاجمين عبر حدودها، على الرغم انه كان واضح يشير الى رغبة الجزائر الى تخفيف حدة التوتر بين البلدين، وهو ما اتضح من اللهجة المعتدلة في رد الفعل الجزائري ،وطبيعة الاجراء الذي قامت به وزارة الخارجية الجزائرية لدى سفير تونس في الجزائر[٢]، ذلك ان العلاقة بين تونس والجزائر قد ساءت بعد احتضان الجزائر لبعض الشخصيات المعارضة للحبيب بورقيبة وحكمه ، لاسيما بعد المحاولة الانقلابية سنة ١٩٦٢، كما ان وقوف تونس الى جانب المغرب في قضية الصحراء الغربية[٣] ادى الى انزعاج كبير من طرف الرئيس الجزائري هواري بومدين[٤]،فروادت الجزائريين والليبيين افكار للاطاحة بنظام بورقيبة[١]،فالاتفاق الضمني بين

المحاولة الانقلابية للاطاحة بنظام بورقيبة غير انه بعد فشل المحاولة القي القبض عليه وسجن لمدة عشر سنوات مع =الاشغال الشاقة، وبعد انتهاء مدة العقوبة واطلاق سراحه عاد الى ممارسة نشاطه المعارض، فسافر الى ليبيا والتقى هناك برفاقه القدامى الذي مهدوا له الطريق عبر ربطه بمكتب الاتصال العربي فتمرس هناك على تهريب الاسلحة ومنذ سنة ١٩٧٨ بدأ بالاعداد لعملية قفصة .ينظر سالم البيض ، الازمات الاجتماعية والسياسية، ص٢٢١.

[١] - المصدر نفسه.

[٢]-مجلة الشرق الاوسط ،(لندن)، العدد٧٢٢ ، ٢٩ تشرين الثاني ١٩٨٠.

[٣]-لم يعرف المغرب العربي مشكلة اكثر تعقيد او خطورة من مشكلة الصحراء الغربية ،ولم تدخل حكومات مابعد الاستقلال في استنزاف متبادل منذ حروب التحرير مثل ماوقع مع هذه المشكلة . وتعد قضية الصحراء الغربية وليدة صراع الزعامة بين المغرب والجزائر في منطقة المغرب العربي منذ سنة ١٩٦٣،وتعود اهمية المشكلة الى الموقع الجغرافي للمنطقة ،والى اهميتها الاقتصادية فهي تحتل المرتبة الاولى عالميا في انتاج الفوسفات،وتمثل الصحراء الغربية نقطة الوصل التي تربط الدول الثلاث بعضها ببعض،فهي تشكل الامتداد الجنوبي للمغرب والغربي للجزائر والشمالي لموريتانيا،وتتباين مواقف هذه الدول حول المشكلة فالمغرب ينظر اليها من زاوية الحق الشرعي والتاريخي بعدّها جزءً لا يتجزء من الاراضي المغربية،والجزائر ترى في ضم المغرب لها تشجيعا للمطامح التوسعية للمغرب على حسابها ،لذلك ترى الجزائر بضرورة حل القضية وفق تقرير المصير ، وموريتانيا ترى في ضمها توحيدا للمجموعة البيضانية،والبوليساريو ترى ان الصحراء ليس ارضا بلا مالك،واستمرت جبهة البوليساريو مطالبة بالصحراء معتمدة على الدعم الجزائري لها. للمزيد عن مشكلة الصحراء الغربية ينظر خلود محمد نعيم ،اثر العوامل الاقتصادية على الصراعات السياسية(دول المغرب العربي)،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة اليرموك،كلية الاداب –قسم العلوم السياسية،٢٠٠٥،ص٦١؛ ديدي ولد السالك ،اتحاد المغرب العربي (اسباب التعثر ومداخل التفعيل)،مجلة المستقبل العربي،السنة٢٧،العدد٣١٢،شباط ٢٠٠٥،ص٥٢.

[٤] - هواري بومدين (١٩٣٢-١٩٧٨): ولد في ٢٣اب ١٩٣٢ في دوار بني عدي من عائلة متواضعة الحال،وعلى الرغم من ظروفه المادية الصعبة قرر والده تعليمه فدخل الكتاب وعمره ٤سنوات ودخل بعدها المدرسة الابتدائية ، في سنة ١٩٤٩قرر الفرار الى تونس هروبا من الخدمة العسكرية التي كانت تفرضها السلطات الفرنسية على كل جزائري يبلغ الثامنة عشر، فسافر برا باتجاه تونس ومن تونس توجه إلى مصر عبر الأراضي الليبية ،و في مصر التحق بجامع الأزهر ، وهناك قسم وقته بين الدراسة والنضال السياسي اذ كان منخرطا في حزب الشعب الجزائري، كما كان يعمل ضمن مكتب المغرب العربي الكبير سنة ١٩٥٠، في أيلول ١٩٥٧ تولي قيادة الولاية الخامسة، مع اندلاع الثورة الجزائرية في الاول من تشرين الثاني ١٩٥٤ انضم إلى جيش التحرير الوطني في المنطقة الغربية وتطورت حياته العسكرية، تولى قيادة

بومدين والقذافي [٢]حاصلا بأتجاه تونس في حده الادنى، وهو ان النظام قد تآكل وصراعاته الداخلية تساعدهما في ذلك، غير انهما لم يملكان خطة مشتركة ، ولا اتفاقاً مشتركاً على اقامة نوع من التوافق على ارض تونس ،فهم لا يملكان اعوان داخل الجيش التونسي ، فضلا عن انهما كانا حذرين من تهمة التدخل بالشؤون الداخلية لتونس، وفي تلك اللحظة لاحت فكرة في العاصمتين الليبية والجزائرية مفادها ان نظام بورقيبة في مرحلة التداعي ومن السهولة القضاء عليه، فبدأ الترتيب لعملية قفصة في كل من ليبيا والجزائر ، في اثناء هذا الوقت تعرض بومدين الى مرض مفاجيء ، فسافر رئيس مخابراته قاصدي مرباح الى طرابلس ليضع مع رجال القذافي الخطة النهائية للهجوم وكانت العملية ستنطلق في صيف ١٩٧٨،غير انها أجلت بسبب مرض بومدين، فوقعت في زمن الشاذلي بن جديد الذي لم يكن يعلم بها، كما اوضح القذافي فيما بعد لاحدى الصحف الفرنسية بأن قاصدي مرباح هو الذي اعد الخطة مع بومدين وجاء الى ليبيا ليطلب المساعدة والمشاركة قائلا:**" ان قاصدي مرباح الجزائري هو الذي عرض خطة الهجوم على مدينة قفصة التونسية، وان التونسيين قد عرفوا منذ اليوم الاول ان الجزائر ضالعة في العملية ،غير انهم تجنبوا اي اشارة لذلك ،اما الشاذلي بن جديد لم يكن**

وهران من سنة ١٩٥٧ إلى سنة ١٩٦٠ ثم تولى رئاسة الأركان من ١٩٦٠ حتى الاستقلال سنة ١٩٦٢، وعين بعد الاستقلال وزيرا للدفاع ثم نائبا لرئيس مجلس الوزراء سنة ١٩٦٣ دون أن يتخلى عن منصبه كوزير للدفاع، تولى بومدين الحكم في الجزائر عن طريق انقلاب عسكري على الرئيس أحمد بن بلة من ١٩ حزيران ١٩٦٥ إلى غاية كانون الأول ١٩٧٨ وكان في أول الأمر رئيسا لمجلس التصحيح الثوري بعدها تم انتخابه رئيسا للجمهورية الجزائرية سنة ١٩٧٥، توفي صباح الأربعاء ٢٧ كانون الاول ١٩٧٨ على اصابته بمرض عضال.ينظر الزعيم الجزائري هواري بومدين ،مجلة افريقيا قارتنا ،العدد ٣،اذار ٢٠١٣،ص١-٣.

[١] - يحيى بوزكريا، الطريق الى الصحراء الغربية ، دار ناشري، ٢٠١٣، ص٢١.www.nashiri.net

[٢]- معمر القذافي (١٩٤٢-٢٠١١):رئيس الجماهيرية العربية الليبية، قائد انقلاب الفاتح من ايلول ١٩٦٩ التي اطاحت بالنظام الملكي، هو معمر محمد عبد السلام القذافي، ولد سنة ١٩٤٢ في مدينة سرت شمال ليبيا ، كانت اسرته تعمل في الزراعة وتربية المواشي، فترعرع في ظل ظروف قاسية، بذل جهداً اثناء دراسته وحصل على نتائج ممتازة، إلى جانب ذلك، شارك بنشاط في الأنشطة السياسية، وأصبح زعيم الطلاب في سن ١٤ من عمره. وفي سنة ١٩٦١، طُرد القذافي من المدرسة بسبب تنظيمه مظاهرات ضد تفكك الوحدة بين مصر وسوريا،وفي عام ١٩٦٣أدرك القذافي أهمية الجيش فقرر الانضمام إلى الجيش، وفي سنة ١٩٦٥تخرج من الاكاديمية الملكية العسكرية في سانت هيرست . أسس جمعية سرية باسم الضباط الاحرار للتخطيط في الإطاحة بإدريس الأول، وفي الأول من ايلول سنة ١٩٦٩، وصل القذافي إلى السلطة بعد انقلاب عسكري قامت به جمعية الضباط الوحدويين الاحرار، وكان عمره يبلغ ٢٧ سنة فقط، رقي القذافي الى رتبة عقيد ثم عين رئيساً لمجلس الثورة ورئيساً للوزراء وقائداً عاماً للقوات المسلحة حتى اذار ١٩٧٧ حين عينه مجلس الشعب أميناً عاماً لمؤتمر الشعب العام، واعلن تغييراسم الجمهورية العربية الليبية الى الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ظل القذافي رئيس مجلس الوزراء وو"زير الدفاع، ، ومنذ عام ١٩٧٧، أصبح الزعيم الثوري والقائد الأعلى للقوات المسلحة، وفي اذار عام ١٩٧٩، استقال القذافي من كافة المناصب السياسية والإدارية سوى منصب قائد ثورة أول ايلول، بعد حكمه ليبيا لأكثر من ٤٠ سنة قتل معمر القذافي في سرت (مسقط رأسه) عن عمر يناهز ٦٩ سنة في ٢٠ تشرين الاول ٢٠١١. ينظر عبد الفتاح ابو عيشة ، موسوعة القادة السياسيين ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠٠٥.ص٣٠١.

يعلم بالعملية لان الملف كان بين يدي رجال بومدين الاقوياء وهو لايزال رئيساً جديداً"[١] .

وأكد ذلك ايضاً الهادي البكوش[٢] (تولى ادارة الحزب الاشتراكي الدستوري سنة ١٩٨٤) أن عملية قفصة تمت بترتيب جزائري ليبي، اذ وافق الرئيس الجزائري الهواري بومدين قبل وفاته سنة ١٩٧٨ القذافي على تنظيم عملية لزعزعة النظام التونسي وإن أمكن تغييره. وأن وفاة بومدين ومجيء الشاذلي بن جديد خليفة له أفشلا العملية المسلحة في قفصة، حيث أمر بن جديد باتخاذ كل الإجراءات لإيقافها بعد أن بلغه الأمر، ليبقى القذافي وحده يدير المجموعة التي اوقفت لاحقا، واضاف الهادي البكوش انه كانت لبومدين والقذافي مآخذ على تونس فالأول كان معارضاً للوحدة بين تونس وليبيا التي عقدت عام ١٩٧٤[٣]، والثاني غاضبا من رئيس الحكومة التونسية وقتها الهادي نويرة لإحباطه هذه الوحدة[٤].

---

[١] - قاصدي مرباح اصبح فيما بعد رئيساً للوزراء في زمن الشاذلي بن جديد ،ثم استقال وكون حزباً سياسياً سماه (مجد) ، بعد ذلك قتل في حادث تفجير لسيارته . ينظر الصافي سعيد ، المصدر السابق،ص٣٥٥-٣٥٨.

[٢]-الهادي البكوش :ولد في حمام سوسة سنة ١٩٣٠، انتمى الى الكشافة التونسية واصبح قائد فوج سنة١٩٤٦ ، وفي سنة ١٩٤٨ انتمى الى جمعية الشباب المسلمين ،بعدها انتمى الى الحزب الدستوري الجديد ، وناضل البكوش في صفوفه ،بعدها انخرط في المقاومة السرية المسلحة لمقاومة السيطرة الفرنسية ، قبض عليه بعد اعتقال قيادات الحزب الدستوري الجديد في كانون الثاني ١٩٥٢ من قبل السلطات الفرنسية وقضى عامين في السجن افرج عنه في اذار ١٩٥٤، سافر بعدها الى فرنسا لإكمال دراسته الجامعية وحصل على الشهادة في الاداب والفلسفة في سنة ١٩٥٩، وتولى عدة مناصب حزبية ،اذ اصبح في سنة ١٩٦١مسؤول الشباب في الحزب الدستوري الجديد ،وفي سنة ١٩٧٨ عينه الوزير الأول الهادي نويرة مديراً لمكتبه. اشرف البكوش على مؤتمر الحزب الاشتراكي الدستوري في سبتمبر ١٩٧٩ الذي افضى إلى نجاح مرشحي نويرة في اللجنة المركزية، في سنة نفسها عين قنصل في مدينة ليون. عين بين ١٩٨١ و١٩٨٢ سفيرا لدى الفاتيكان ثم سفيرا لدى الجزائر. عين في ١٦ اذار ١٩٨٤ مديرا للحزب الاشتراكي الدستوري قبل أن يصبح سنة ١٩٨٧ وزيرا للشؤون الاجتماعية. أصبح وزيرا أولا بعد حركة ٧ تشرين الثاني ١٩٨٧ التي قادها زين العابدين بن علي، والتي أطاحت بالرئيس حبيب بورقيبة. ينظرقناة الجزيرة الفضائية، برنامج شاهد على العصر ، لقاء مع الهادي البكوش ج١، بتاريخ ١٨ ايار ٢٠١٤.www.Aljazeera.net

[٣] - اتفاق بين الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة والزعيم الليبي معمر القذافي الذي تم في جزيرة جربة في ١٢ كانون الثاني ١٩٧٤ ، على توحيد بلديهما في دولة واحدة يطلق عليها تسمية (الجمهورية العربية الاسلامية) وان يكون لهذه الدولة رئيس واحد وجيش واحد ،وسلطات تشريعية وتنفيذية واحدة وحُدد تاريخ لاجراء استفتاء شعبي في كلا البلدين في يوم ١٨ من الشهر نفسه ،غير ان هذا الاتفاق لم يدم سوى ٢٤ ساعة فقط، اذ نقضه الرئيس التونسي في حين استمر الزعيم الليبي في عده قائماً استناداً الى عدم جواز الغائه من الجانب التونسي وحده ، وكان الجانب الليبي قد حمل الهادي نويرة مسؤولية افشال الاتفاق اذ كان الهادي نويرة حينما اتفق على هذا الاتفاق في زيارة رسمية الى ايران ،وحالما سمع بالاتفاق قطع زيارته وعاد الى بلاده ليعلن فور وصوله الغاء الاتفاق . للمزيد ينظر حسنين كروم ، العلاقات التونسية الجزائرية بعد اعلان جربة، مجلة الكاتب ، السنة ١٤، العدد ١٥٧، نيسان ١٩٧٤، ص١٠٤.

[٤]-قناة الجزيرة الفضائية، برنامج شاهد على العصر ، لقاء مع الهادي البكوش ج٩، بتاريخ ٢٧تموز٢٠١٤.

كان بورقيبة يعلم بأن كل من الجزائر وليبيا ضالعة في عملية قفصة ،غير انه رأى انه ليس من المصلحة ولا من الحكمة مهاجمة كلا البلدين مرة واحدة ، فتغاضى عن دور الجزائر فيما شن حملته على القذافي [١].

من جانب اخر ذكر وزير الاعلام التونسي فؤاد المبزغ لصحيفة الرأي العام الكويتية ان دخول المسلحين والاسلحة الى تونس عن طريق الجزائر، كان من باب التضليل والقصد منه اثارة النزاع بين الجزائر وتونس،فضلا عن ان الحدود مع الجزائر كانت حمايتها اخف ،لان العلاقات الجزائرية التونسية لم تشهد اي تصعيداً خطيراً ،حتى ان السلطات الجزائرية اكدت بدورها انها لاترى حاجة في تشديد الرقابة على الحدود التونسية[٢].

بعد ان وجهت الحكومة التونسية اتهامها الى الجزائر بمساعدة المهاجمين ، عادت ووجهت اصابع الاتهام اتجاه ليبيا، اذ ذكرت ان مجموعة فدائية مسلحة تم تدريبها في ليبيا حاولت القيام بأنقلاب في قفصة بعد استيلائها على ثكنات ومراكز للشرطة، واكدت ان المهاجمين هم عمال تونسيون مهاجرون تلقوا تدريباتهم في معسكرات ليبية ايضا [٣].

نفت السلطات الليبية من جهتها اية علاقة لها بعملية قفصة وجاء التصريح على لسان امين خارجيتها الذي جاء فيه **"ان الجماهير الليبية غير متورطة بصفة مباشرة او غير مباشرة بالاحداث بمدينة قفصة"**[٤] واعرب عن اسفه للاجراءات التي اتخذتها الحكومة التونسية بصدد العلاقات بين البلدين ، اذ اعلن الوزير الاول الهادي نويرة في ١ شباط ١٩٨٠ ان حكومته طلبت من السفير الليبي لديها عبد الحميد الزنتاني مغادرة البلاد ، وقررت اغلاق المراكز الثقافية التونسية في طرابلس والليبية في تونس كما قررت استدعاء سفيرها في طرابلس ، وسوّغ الهادي نويرة تلك الخطوة قائلاً **" ان الاحتفاظ بالعلاقات بين البلدين على مستوى عال كهذا اصبح مستحيلاً نظراً للظروف الراهنة"** [٥] واتهم نويرة ليبيا بقوله ان المهاجمين تلقوا تدريباتهم في ليبيا، كما ان وزير الداخلية التونسي عثمان كرشيد عرض على الصحافيين جواز سفر ليبي بأسم احد المهاجمين[٦]، وأجرت الاذاعة والتلفزيون التونسي مقابلة مع احد من المهاجمين

---

[١]-الصافي سعيد ، المصدر السابق،ص٣٥٨.

[٢] - صحيفة الرأي العام، (الكويت)، العدد ٥٨٦٤ ، ١٤اذار، ١٩٨٠ .

[٣] - صحيفة النهار، (بيروت)، العدد ١٤١٤٧ ، ٢٩كانون الثاني، ١٩٨٠ ؛ مجلة العرب، (لندن)، العدد ٦٤٨، ٦شباط ١٩٨٠.

[٤] - صحيفة العراق ، بغداد ، العدد ١١٩٥، ٢ شباط ١٩٨٠ .

[٥]-صحيفة السفير(بيروت)، العدد ٢٠٧٥، ٣١ كانون الثاني١٩٨٠.

[٦] - المصدر نفسه .

الذين قبض عليهم ، وتحدث عن كيفية التحاقة بالعملية منذ تجنيده في ليبيا وعن التدريب الي تلقاه في معسكراتها[١] .

ذكر الحبيب بورقيبة من جانبه في حديث صحفي لصحيفة السفير ان معركة قفصة هي **"محاولة من القذافي لاكتساحنا وقد فشلت ولم تحقق أي نتيجة، وان القذافي اراد ان يبتلع تونس"** [٢] ، واكد عدم مسؤولية الحكومة الجزائرية بالمسألة كلها وعدم معرفتهم بمرور مجموعة المهاجمين عبر اراضيها، وقال ان الزعماء الجزائريين تعرضوا مثلنا الى عملية "خداع"، وان اختيار مدينة قفصة القريبة من الحدود الجزائرية، كان الهدف منه توريط الجزائر بطريقة مباشرة اوغير مباشرة بنقل الاسلحة عبر اراضيها [٣].

كان نفي السلطات الليبية علمها وعدم مشاركتها بعملية قفصة ، ماهو الا مجرد موقف سياسي فرضته العلاقات الدولية والقانون الدولي**" الذي يمنع التدخل في الشؤون الداخلية لدولة ثانية وتغير نظام الحكم بالقوة"** [٤]،اذ تؤكد الكثير من الادلة والاعترافات ان عملية قفصة لسنة ١٩٨٠، كانت احدى مخططات السلطات الليبية من خلال دورها في تنظيم العملية عن طريق ما يعرف بمكتب الاتصال العربي(احد مؤسسات جهاز الاستخبارات الليبي)، الذي وفر الدعم المادي والمعنوي والتغطية الاعلامية لعملية قفصة، واتفقت مصالحها والجبهة القومية التقدمية[٥]التي اعلنت مسؤوليتها عن الحادث فيما بعد[٦].

الجدير بالذكر ان عز الدين شريف قائد عملية قفصة المدني بعد خروجه الى ليبيا سنة ١٩٧٥، دخل الى تونس سنة ١٩٧٧ للمرة الاولى بحجة زيارة عائلته، فعمل على الاتصال ببعض الشخصيات المعروفة بمعارضتها للنظام التونسي من دون اعلامهم بخطته، وفي سنة ١٩٧٨ دخل تونس للمرة الثانية واخبرهم انه يشرف على عمل منظم مناهض للنظام البورقيبي، وان هذا العمل ذو طابع عسكري بدعم واسناد وتمويل من ليبيا وحاول اقناعهم بالمشاركة في العملية، وبَين لهم انها مضمونة النتائج وهي تصفية حساب بين النظامين[٧]، الليبي والتونسي اللذين اتسمت العلاقة بينهما بالتذبذب[١].

---

[١] - مجلة الدستور(لندن) ، العدد ٤٥٢، ١١ شباط ، ١٩٨٠.

[٢]- صحيفة السفير(بيروت) ، العدد٢٠٨٥، ١٠ شباط،١٩٨٠.

[٣] - المصدر نفسه .

[٤] -سالم لبيض، الازمات الاجتماعية والسياسية في تونس،ص٢٢٥.

[٥] -حركة سياسية معارضة وهي امتداد للحركة اليوسفية نسبة الى صالح بن يوسف المعارض لبورقيبة الذي قام بأغتياله في ١٩٦٢ وتصفية الالاف من عناصرها ، غير ان البقية منهم قاموا بأعادة تنظيم انفسهم في حزب سياسي سري مارس نشاطه خارج تونس اطلق على نفسه (الجبهة التقدمية لتحرير تونس) وكانت هذه الحركة ناشطة منذ سنة ١٩٧٠ وقد اعلن تشكيلها في بيروت وركزت انشطتها في كل من الجزائر وليبيا بين صفوف اليوسفيين ، وكانت في الوقت نفسه وثيقة الصلة بالمقاومة والتنظيمات الفلسطينية ، وشاركت في عملياتها في لبنان للمزيد ينظر سالم لبيض ، تونس: الثورة في زمن الهيمنة، منشورات مؤسسة الحصاد، تونس، ٢٠١٣، ص٦٥-٦٦.

[٦] - صحيفة السفير،(بيروت) ، العدد ٢٠٧٥، ٣١ كانون الثاني١٩٨٠ ؛ سالم لبيض، الازمات الاجتماعية والسياسية في تونس،ص٢٢٥.

[٧]- العربي بن احمد العكرمي ، من ذاكرة مجاهد ، دار نقوش عربية، تونس، ٢٠١٢،ص٩٢-٨٧ .

جاء بعد ذلك في اعترافات القائد العسكري لعملية قفصة احمد المرغيني ايضا[٢]،الذي ذكر ان عملية قفصة هدفها قلب نظام الحكم وان هذه الفكرة بدأت تتبلور منذ السنوات الاولى من السبعينيات، اذ باشر المسلحون التدريب في عدة معسكرات ليبية ، وذكر ان مكتب الاتصال العربي(احد مؤسسات جهاز الاستخبارات الليبي) التابع لطرابلس قام بنقل المسلحين الى الجزائر اخفاءً لهويتهم وللتمويه بان المسلحين هم من الجزائر، ومنها دخلوا الى قفصة ومن هناك بدأت تتدفق الاسلحة ليلاً مع التأكيد على انهم تلقوا وعداً من القذافي بمساعدتهم وانه على استعداد لاستنفار الجيش الليبي لإشغال القوات التونسية[٣].

ب – مرض الهادي نويرة:

ما كادت صفحة قفصة تطوى حتى تعرضت تونس لازمة اخرى وهي اصابة الهادي نويرة الوزير الاول التونسي بنزيف دموي خطير، وشلل نصفي في ٢٦ شباط ١٩٨٠[٤]، فأصبحت المشكلة مزدوجة (العبارة التي افتتح بورقيبة بها اجتماع مجلس الوزراء نيابة عن الهادي نويرة)[٥]،لاسيما ان تونس شهدت في هذه المدة تحديات خارجية وداخلية فجاء مرضه ليترك فراغ سياسي على راس الحكومة بعد ان تولاها منذ سنة ١٩٧٠، فتحولت انظار تونس من احداث قفصة وانعكاساتها الى مرض الساعد الايمن والاقوى الهادي نويرة ،واتجهت الانظار من قفصة الى باريس في ترقب حيث يعالج الهادي نويرة[٦] .

---

[١]- تعود جذور التوتر بين ليبيا وتونس الى سنة ١٩٧٤ تاريخ الغاء بورقيبة المعاهدة الوحدوية بين تونس وليبيا الموقعة في ١٢ كانون الثاني ١٩٧٤ ، فقد اتخذت الحكومة الليبية خلال تلك المدة خطاً وحدوياً يقوم على تحقيق فكرة الوحدة العربية بالقوة ما وضعها في موقف عداء مع الكثير من الانظمة العربية، ومن الجدير بالذكر ان الحكومة التونسية قد اتهمت في سنة ١٩٧٩ السلطات الليبية بتدريب التونسيين في معسكرات ليبية بهدف القيام بعمليات تخريب وادخال اسلحة الى تونس . للمزيد ينظر صحيفة القبس، (الكويت)، العدد ٢٧٧٤، ٦ شباط ١٩٨٠؛سالم لبيض ، الازمات الاجتماعية والسياسية، ص٢٢٦.

[٢] - احمد المرغيني: وهو قائد عملية قفصة العسكري ولد في مدينة جرجيس في الجنوبي التونسي سنة ١٩٤١ باشر تعلمه الابتدائي غير انه انقطع عن الدراسة بعد مدة، فتركها ودخل الحياة العامة ، سافر الى الجزائر سنة ١٩٦٢ من اجل الحصول على عمل، ثم تحول الى ليبيا سنة ١٩٧١ لايجاد فرصة عمل اخرى،وهناك التقى ببعض وجوه المعارضة بسبب =انتمائه الى الجبهة القومية للقوى التقدمية التونسية، كلف المرغيني بتفجير مقر الحزب الحاكم في تونس والمركز الثقافي الامريكي في شهر حزيران سنة ١٩٧٢ وقد القي القبض عليه قبل تنفيذ العملية وحكم علية بالسجن لمدة خمس سنوات غير انه خرج من السجن بعد ان قضى اربع سنوات فيه بسبب العفو الرئاسي بمناسبة ذكرى الاستقلال سنة ١٩٧٦ .بعد خروجه عاد الى لبيبا ليمارس نشاطه مع الجبهة القومية التقدمية بعد ذلك انتقل الى لبنان ليجند بعض التونسيين في صفوف الجبهة المذكورة في اعلاه. ينظر سالم لبيض ، الازمات الاجتماعية والسياسية، ص٢٢١.

[٣] - صحيفة العلم ، (المغرب)، العدد ٨٠٩-١٠، ٢٦ شباط ١٩٨٠ .

[٤] - اصيب الهادي نويرة بتوعك صحي في ٢٦ شباط ١٩٨٠ وقد اكتشف الاطباء ان تجمعاً دمويا في جزء الدماغ الايمن قد اصبح يشل حركته واجريت له عملية جراحية بمستشفى في باريس كللت بالنجاح لكنها لم تفلح في اعادة حيويته لممارسة مهامه . للمزيد ينظر : محمد لطفي الشايبي ، المصدر السابق ، ص٣١ .صحيفة الراي العام(الكويت) العدد ٥٨٦٢، ٢ اذار ١٩٨٠ ؛ مجلة الكفاح العربي ،(بيروت)، ٩٠ـــ٧٧٣، ٣ اذار ١٩٨٠ .

[٥] - مجلة الصياد ،(بيروت) ، العدد ١٨٤٧، ٢٨ اذار،١٩٨٠ .

[٦] - المصدر نفسه.

في اثناء هذه المدة تولى بورقيبة مسؤوليات الهادي نويرة كافة، فرأس بنفسه جلسات مجلس الوزراء والاجتماعات الاسبوعية وغيرها من المسؤوليات، فلم يستطع بورقيبة تحمل عبأ هذه المسؤوليات، ففكر في تكليف شخص يساعده في ادارة امور الدولة، فكلف محمد مزالي للقيام بأعمال الوزير الاول وكالة طيلة فترة علاج الهادي نويرة ،وقيامه بمساعدة بورقيبة على الاشراف على المجموعة الوزارية مع الاحتفاظ بمنصبه كوزير للتربية للمرة الثالثة[١]، ريثما يتم تعيين وزير اول يكون خليفته المحتمل[٢] .

ذكر محمد مزالي عن تعيينه منسقاً للعمل الوزاري قائلاً **" كنت على بينة من وضع البلاد العسير، اذ لا شي يسير فيها سيراً عادياً فكانت الاضطرابات تتوالى ، فالاضطرابات بالجامعة مستمرة، ولم ينسى الناس بعد احداث قفصة ، والمشاكل مع اتحاد الشغل لا زالت مستمرة ، وكانت الاضطرابات الاجتماعية تنال من هيبة الدولة والاضطرابات متتالية ، فظهر النظام هشاً ومتداعياً..... في هذا الوقت العصيب ، اوكلت لي هذه المسؤولية الثقيلة"**[٣] .

قال الباهي الأدغم الوزير الأول الأسبق إثر تعيين محمد مزالي **" إن تونس تمر بمرحلة دقيقة، فهل أن مزالي سيكون كبش الفداء، أم أنه سينجح في هذا الاختبار كوزير أول، ذلك ان عدوان ليبيا، وقضية المجموعة التي هاجمت قفصة، وما سينجر عن ذلك من أحكام بالإعدام، وتذمر الطبقات الاجتماعية... سيجعل كل ذلك الامتحان عسيرا"**[٤].

بقي مزالي منسقاً لعمل الحكومة الى ان عينه بورقيبة بصفة رسمية في ٢٣ نيسان ١٩٨٠ ،اذ اصدر الرئيس التونسي قراراً جمهورياً بتعيينه وزيراً اول[٥] ،وتشكيل الحكومة الجديدة برئاسة محمد مزالي[١] .

---

[١]- صحيفة الراي ،(الاردن) العدد ٣٦٠٥، ١٢ اذار ١٩٨٠؛ صحيفة الوطن،(الكويت) العدد١٩٦٢، ١٨ نيسان ١٩٨٠ .

[٢] -حسب الفصل ٥٧ من الدستور الذي كان البت فيه يوم ٢٩ كانون الاول سنة ١٩٦٩ والذي تضمن: لرئيس الجمهورية اذا تعذر عليه القيام بمهامه بصورة وقتية ان يفوض سلطاته كلها او بعضها الى الوزير الاول،عند شغور منصب رئاسة الجمهورية بسبب الوفاة او الاستقالة او العجز التام ، فيتولى فورا الوزير الاول مهام رئاسة الدولة لما بقي من مدة الرئاسة ، ويوجه رسالة في ذلك الى رئيس مجلس الامة ، ويؤدي اليمين الدستورية المنصوص عليها بالفصل الواحد والاربعين امام مجلس الامة ، وعند التعذر امام مكتب مجلس الامة. للمزيد ينظر الى البشير بوعلي ، مجلس النواب ١٩٥٦-١٩٩٢ ،مؤسسة عبد الكريم عبد الله للنشر، تونس، ٢٠٠٥، ص٦٣ .

[٣] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص٣٨٥ .

[٤]- المصدر نفسه،ص٣٨٦ .

[٥]- نص الفصل ٥٠ في المادة الاولى من دستور ١٩٧٦ قيام رئيس الجمهورية بتعيين (الوزير الاول)، وبناء على اقتراحات الاخير تتم تسمية اعضاء الحكومة ، ويكون ذلك بواسطة اصدار مرسوم رئاسي ،ونص الفصل ٥١ على انه من صلاحيات رئيس الجمهورية ان يضع حداً للحكومة او لاحد اعضائها بمبادرة منه او من وزيره الاول ، ولا يعد الوزير الاول رئيساً للحكومة او رئيساً للوزراء بل هو اول الوزراء يقوم بتسيير اعمال الحكومة وينسق اعمالها، ويشرف على الوزراء جمعيهم، وله عليهم مايشبه السلطة الرئاسية، ويمكن للوزير الاول نيابة رئيس الجمهورية في رئاسة مجلس الوزراء او أي مجلس اخر وقد كانت رئاسة مجلس الوزراء مستمرة بالنسبة للوزير الاول في اثناء وزارة الباهي الادغم والهادي نويرة ،و منذ تولي محمد مزالي الوزارة الاولى اصبحت رئاسة مجلس الوزراء من طرف الوزير الاول استثنائية جداً، فلم يرأس الوزير الاول مجلس الوزراء بتاتاً فضلاً عن تباعد مدد اجتماع مجلس الوزراء فقد كان يجتمع مرة في

في خضم هذه التطورات والاحداث التي مرت بها تونس، عُيَن محمد مزالي وزيراً اول، هل نجح مزالي بالخروج بتونس من هذه الظروف وهل تمكن من مواجهة هذه التطورات ، واصبح رجل المرحلة ام سارت على غير ما رسم لها ؟

شكل ابتعاد الهادي نويرة عن الوزارة الاولى صدمة لدى الحبيب بورقيبة، اذ ترك ابتعاده فراغاً كبيراً في نظام الحكم، هذا الوضع جعل بورقيبة يفكر فيمن يمكن ان يرتقي الى كفاءة نويرة السياسية والمتميزة ليتسلم مهام الوزارة الاولى ، اذ لم تكن تلك بالمهمة السهلة فالشخصية التي بحث عنها بورقيبة، يجب ان تكون في نظره ذات المام بمختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[٢].

اختار بورقيبة في بادئ الأمر محمد الصياح[٣] لشغل المنصب ،وكان الصياح يتمتع بمكانة خاصة عند بورقيبة ،اذ أتمنه على كتابة تاريخ الحركة الوطنية التونسية[٤]، واعجب بورقيبة بالامكانات التي تمتع

الاسبوع فاصبح يجتمع مرة في الشهر او استثنائياً في غير اجتماعاته الدورية . للمزيد عن صلاحيات الوزير ينظر رافع ابن عاشور ، المؤسسات والنظام السياسي بتونس(الاطار التاريخي- للنظام لحالي) مركز النشر العالمي، تونس، ٢٠٠٠، ص٢٣٠؛ ميسور صبيح ، المؤسسات الادارية في المغرب العربي (حكومات الجزائر والمغرب وتونس) ترجمة امين سعيد عبد العزيز مسعود، منشورات المنظمة العربية للعلوم الادارية، الاردن ، ١٩٨٥،ص٣٠ ؛اعمال المؤتمر الثالث حول السلطة وآليات الحكم في عصر بورقيبة بتونس والبلاد العربية ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،مؤسسة كونراد اديناور،تونس ٢٠٠٣،ص١١٠.

[١]- الجمهورية التونسية- مركز التوثيق القومي، تعيين محمد مزالي وزيراً اول، ٤ايار ١٩٨٠، رقمB-5-9 ؛ صحيفة الانوار، (بيروت) ٦٩٥٠، ٢١ نيسان، ١٩٨٠ .

[٢]- عمر الشاذلي، بورقيبة كما عرفته، تعريب علي حمرون واخرون، دار سمباكت(simpact) للطباعة ، تونس، ٢٠١٣، ص٢٧٧ .

[٣]- محمد الصياح: ولد في ٣١ كانون الثاني ١٩٣٣في بلدة بوحجر الواقعة قرب المنستير، اكمل دراسته الابتدائية فيها ،ثم انتقل الى العاصمة تونس لاكمال دراسته في المعهد الصادقي غير انه فصل منه سنة ١٩٥١ على خلفية مشاركته في مظاهرة أمام قصر الأمين باي، أكمل بعدها دراسته الثانوية في معهد الذكور بصفاقس وبعد حصوله على شهادة الباكالوريا أتم تعليمه الجامعي في دار المعلمين العليا بتونس، كان محمد الصياح من المنتمين في الشبيبة الدستورية وفي الاتحاد العام لطلبة تونس الذي تولى أمانته العامة بين ١٩٦٠ و١٩٦٢ ،وفي اب ١٩٦٢ عينه بورقيبة مديرا مساعدا للحزب الحر الدستوري الجديد، بعدها عين عام ١٩٦٤ مديرا للحزب الاشتراكي الدستوري ، وفي تشرين الثاني ١٩٦٩ عين كاتبا للدولة للأخبار بقي في منصبه حتى حزيران ١٩٧٠ حينما عين سفيرا لتونس في جنيف، عاد إلى تونس في تشرين الاول ١٩٧١ كوزير للأشغال العامة ، في حزيران ١٩٧٣ عين وزيرا للشباب والرياضة، أعيد تعيينه في نوفمبر ١٩٧٣ مديرا للحزب ، كان في اذار ١٩٨٠ احد المرشحين لتولي منصب الوزير الاول ،غير انه عين في نيسان ١٩٨٠ وزيرا للإسكان في حكومة محمد مزالي١٩٨٠-١٩٨٦. وفي تشرين الثاني ١٩٨٣ عين سفيرا في روما ،غير انه عاد إلى الحكومة في نيسان ١٩٨٤ على رأس وزارة التجهيز التي تولاها إلى ايار ١٩٨٦ تاريخ تعيينه وزير دولة مكلف بالتربية،اعتقل في١٨ تشرين الثاني ١٩٨٧، ظل رهن الاعتقال مدة أسبوعين ثم وضع رهن الإقامة الجبرية ليبتعد بعدها نهائيا عن الحياة السياسية.ينظر محمد الصياح ، الفاعل والشاهد ، حاوره المولدي الاحمر، دار سراس للنشر ،تونس،٢٠١٢.

[٤]- لقد عمل الحبيب بورقيبة على تقريب محمد الصياح منه وقلده مناصب حزبية وسياسية عدة ، لان الصياح اول من جمع وثائق الحركة الوطنية التونسية وصنفها من خلال رؤية بورقيبية صرفة ، فاعطى في هذه الوثائق الاهمية كلها لشخص بورقيبة متغافلا عن دور الشخصيات السياسية الاخرى ، وقد صدر من هذه الوثائق التي جمعها وعلق عليها احد عشر جزءا بعنوان " تاريخ الحركة الوطنية". ينظر حسن بن التومي الشطبوري ، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تونس (١٩٥٦ – ١٩٧٢) ، رسالة ماجستير غيرمنشورة ، كلية التربية ابن رشد ،بغداد ، ٢٠٠٣ ،ص٢٣٧.

بها من ناحية احاطته بفلسفة الحكم واطلاعه على (اختياراته بالنسبة الى الخط الحداثي وموقف تونس اقليمياً ودولياً)[١]، غير انه فيما كان بورقيبة يقوم بترتيب الامور عملت زوجته وسيلة بنت عمار[٢]على ترتيب الامور بما يناسبها ، فهي وان لم تظهر في الواجهة السياسية ،كان لها وزنها الثقيل في هذا المجال ومشاركتها في القرارات المصيرية لبورقيبة، لاسيما المتعلقة بشؤون الدولة [٣]، فالحضور السياسي لوسيلة ليس جديداً في تونس ، فمنذ دخولها الحياة الرئاسية بعد زواجها من بورقيبة سنة ١٩٦٣، تحركت وتعاملت بفعالية مع الواقع السياسي مستظلة ببورقيبة الذي ترك لها عن طيب خاطر هامشاً كافياً[٤] ، والجدير بالذكر ان وسيلة كانت من المعادين للهادي نويرة وقد نجحت في تكوين تحالف للوقوف في وجه الوزير الاول السابق الهادي نويرة ، وهذا التحالف اقبل على اختيار قوى لقوته من خلال اختيار الوزير الاول [٥]، لذلك استطاعت وسيلة ان تثني بورقيبة عن عزمه ،لان محمد الصياح لم يكن من المقربين منها ولا من انصارها ، فضلا عن تمتعه بمكانه خاصة لدى بورقيبة وبالامكان ان يؤثر عليها ، معللة لبورقيبة بانه صغير السن (٤٧ عاماً) وما زال يعاني من عواقب مشاركته في قمع انتفاضة كانون الثاني ١٩٧٨[٦].فضلا عن ذلك فأن وسيلة بنت عمار رأت ان محمد الصياح يطمح ليكون خليفة للحبيب بورقيبة، ما دفعها الى العمل على ابعاده، وبهذا فأن وسيلة بن عمار تعد الشخصية الاكثر تأثيرا في خلق حالة من عدم الاستقرار السياسي في تونس ، اذ اخذ التنافس السياسي يشتد على خلافة الحبيب بورقيبة الذي اصبح غير قادر على ادارة البلاد في ظل الازمات المرضية، والانتكاسات الصحية التي انتابته بين الحين والاخر، في الوقت الذي كان يبحث فيه عن الشخصية السياسية المناسبة لادارة البلاد من بعده،

---

[١]-عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص١٧٨ .

[٢] -وسيلة بنت عمار(١٩١٢-١٩٩٩): وسيلة بنت محمد بن عمار ولدت في مدينة باجة في ٢٢ نيسان ١٩١٢ تنتمي الى عائلة برجوازية عرفت بنضالها واسهاماتها في الحركة الوطنية من مدينة الكاف ،والدها كان وكيلاً بالمحاكم الشرعية ، حصلت على الشهادة الابتدائية والتحقت بالتعليم الثانوي لكنها سرعان ما انقطعت عن الدراسة تزوجت في البداية من علي الشاذلي احد اثرياء مدينة الكاف وانجبت منه بنتاً واحدة، عرف بورقيبة وسيلة لاول مرة بعد عودته من المنفى سنة ١٩٤٣ وتزوجها سنة ١٩٦٣ بعد طلاقها من زوجها الاول وطلاق بورقيبة لزوجته الاولى، لان القانون التونسي لا يجيز تعدد الزوجات، ادت وسيلة دوراً كبيراً في الحياة السياسية التونسية ، فقد كانت وراء توزير عدد مهم من الوزراء و لها دور كبير في ازاحة الاخرين، فضلاً عن دورها في السياسة الخارجية. انفصل عنها بورقيبة سنة ١٩٨٦،توفيت سنة ١٩٩٩ . ينظرمحمد بوذينة مشاهير تونسيين ، ط٣،منشورات محمد بوذينة ،تونس ٢٠٠١،ص٦٨٥ ؛موسوعة مشاهير تونس ، المصدر السابق، www.tunisietars.wordPress.com.

[٣]- مجلة الكفاح العربي ، (بيروت)، العدد ٩١-٧٧٤ ، ١٠اذار ١٩٨٠.

[٤]- مجلة الحوادث ، (لندن)، العدد ١٣٤٩ ، ١٠ايلول ١٩٨٢.

[٥]-تألف من الحبيب الشطي (امين عام منظمة العمل الاسلامي) والطاهر بلخوجة .ينظر مجلة الكفاح العربي ، (بيروت)، العدد ٩١-٧٧٤ ، ١٠اذار ١٩٨٠.

[٦] - الطاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة(سيرة زعيم) ، الدار الثقافية للنشر، مصر، ١٩٩٩، ص٢٩٨.

وفق منظوره الشخصي الذي تماشى وفكره البورقيبي، لذلك اوعزت لبورقيبة بترشيح محمد مزالي ، فهو رجل ثقافة ولا ينتمي الى أي فريق سياسي وبذلك تضمن لنفسها عدم استعلائه عليها [١].

وفيما كان مزالي يمارس رياضته الصباحية في اذار ١٩٨٠ أعُلم بطلب استدعائه من بورقيبة برفقة محمد الصياح، وعندما تقابلا مع بورقيبة قال بورقيبة لمحمد الصياح من دون مقدمات **"رأيت تحميلك مسؤولية منسق للعمل الحكومي ، ثم فكرت وقلت في نفسي سيتقبل المواطنون محمد مزالي احسن منك ، لذا فهو الذي عينته منسقاً للعمل الحكومي"**[٢] .

كان بورقيبة يميل دائماً الى اختيار الرجال الاقوياء الذين شاركوا معه في اثناء الكفاح من اجل الاستقلال لمنصب الوزير الاول، ولم يكن محمد مزالي واحد من هؤلاء ، لذلك اختلفت الاراء ووجهات النظر ما بين الكتاب التونسيين والمعاصرين لمزالي في الاسباب التي دفعت بورقيبة لاختيار مزالي منسقاً للحكومة ومن ثم وزيراً اول، ومن الطبيعي ان يكون لوسيلة تأثيراً في اختيارات بورقيبة، غير انه في النهاية يبقى رأي بورقيبة الشخصي وخياراته وقناعاته القرار الحاسم في اختيار وزيره الاول .

هنا يجدر بنا ان نسلط الضوء على اهم ماكتب في هذا الخصوص:

ذكر الطاهر بلخوجة[٣] وزير الاعلام في حكومة محمد مزالي **"ان بورقيبة عين مزالي وزير اول دون تحمس كبير بعدما اقتنع بعجز نويرة صحياً، اذ لم يكن مزالي قد تقلد من قبل أي وزارة او مسؤولية سياسية او اقتصادية هامة"** [٤]. وهذا مناقض تماما للمسؤوليات التي تولاها مزالي لانه التحق في هياكل الدولة منذ الاستقلال وتسلسل في المناصب حتى تعيينه وزيراً اول، بخصوص المسؤولية الاقتصادية يمكن يكون كلامه صحيح، غير اننا لا نعلم ماذا يقصد الطاهر بلخوجة بالمسؤولية السياسية؟ مع العلم ان مزالي تولى وزارة الدفاع، ووزارة الصحة، ووزارة التربية ثلاث مرات.

ذكر بشير بن سلامة **"ان محمد مزالي ديمقراطي لا يميل الى الجهوية، فهو مقبول من كل الاوساط وكان من الاوائل الذين يتم التصويت لهم في كل مؤتمرات الحزب ،اذ كان يحصل على احسن نسبة في**

---

[١]- الصافي سعيد، الحبيب بورقيبة سيرة شبه محرمة، رياض الريس، بيروت ، ٢٠٠٢، ص ٣٤٥ ؛ عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص٢٧٨ .

[٢] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة،ص٣٨٤ .

[٣]- الطاهر بلخوجة: ولد سنة ١٩٣١ في مدينة المهدية قرب الساحل التونسي وبعد ان اكمل دراسته الابتدائية والثانوية التحق بمعهد الزراعة في تونس وتخرج فيها مهندساً زراعياً سنة ١٩٥٦، وبعد لك انتخب امينا عاماً لاتحاد طلبة تونس للمدة ١٩٥٧-١٩٥٩ وفي سنة ١٩٥٩ اصبح ديوان وزير الخارجية وتدرج في المناصب الادارية الى ان اصبح وزيراً للشباب والرياضة سنة ١٩٧١ ثم وزيراً للداخلية سنة ١٩٨٣ ، بعد ذلك عين وزيرا للاعلام في حكومة مزالي للمدة من ١٩٨٠-١٩٨٣ . ينظر الطاهر بلخوجة،المصدر السابق.

[٤]- المصدر نفسه، ص٢٩٩ .

التصويت ، فضلاً عن التاكيد على دور وسيلة في دفع بورقيبة على اختياره خشية ان يكون الوزير الاول بعد الهادي نويرة مناوئاً لها، لذلك فضلت مزالي الذي لم يكن يشكل أي خطر عليها"[١] .

ذكر المؤرخ عبد الجليل بوقرة **"ان بورقيبة كان يعتقد ان قدرات مزالي الخطابية بتكوينه الفلسفي والادبي كفيلة بأعادة بناء الجسور بين الشعب والنظام ،لا سيما بعد احداث كانون الأول ١٩٧٨ واحداث قفصة وبعد فشل الهادي نويرة في اعادتها بخطابة التقني الجاف وتكوينه القانوني الاقتصادي"**[٢].

اما المؤرخ رضا الذاودي فذكر **"ان بورقيبة كان ينظر الى محمد مزالي على انه من رجال الدولة والحزب المطيعين ، فهو ليس له اعداء مع الاتحاد العام للشغل في تونس ولا مع احد من رجال الحزب، فهو من رجال الحكم الذين بقوا في موقع ثاني ولم يظهروا اي طموح سياسي فأختياره يمكن ان يكون صائباً وقتياً وظرفياً "** [٣].

اما الروائي والصحفي الصافي سعيد فقد ذكر ما نصه **" اراد بورقيبة اختيار رجلا حيادياً الى حد ما، رجلا بلا تاريخ معقد ولا طموحات غامضة ، رجلا بلا اعداء وبلا مشاريع كبيرة ،لذ فكر في مزالي الذي لم يحاور المتصلبين ولم يوافق الليبراليين ، فأفكاره بسيطة وذكاؤه السياسي متوسط ، وتلك المواصفات التي لا تثير اي حماسة له داخل الحزب ولا في الشارع، فأن وسيلة وجدتها مناسبة ، اذ ظنت انه ليس بالرجل الخطير الذي يهدد سلطتها"** [٤].

كان لصحيقة النهار العربي الدولي وجهة نظر في اختيار مزالي حين ذكرت **"ان تعيين محمد مزالي وزيراً اول بعد الهادي نويرة جاء ليتوج خطة بورقيبة للمصالحة الوطنية ، فهو من العناصر المعتدلة ولم يتورط بالصراعات الداخلية بين قيادات الحزب ولم يهاجم المعارضين داخله او حتى المنشقين عنه، بل كان دائما من انصار الحوار وهذا يعني ان بورقيبة اراد اتخاذ سياسة معتدلة لحكم البلاد"** [٥].

ذكرت الصحيفة نفسها في عدد اخر رأي اخر بخصوص اختيار مزالي اذ ذكرت **"انه يجمع عدد من المواصفات لم تتوفر لغيره من مساعدي بورقيبة ، فتجربته في ممارسة العمل الحكومي تجعله اقدم من اي وزير اخر في الوزارة ، فقد تدرج بالمناصب الادارية والوزارية منذ سنة ١٩٥٦الى سنة ١٩٨٠ عام**

---

(١) - رسالة من السيد بشير بن سلامة بتاريخ ٢٨تموز٢٠١٤ عبر البريد الالكتروني.

(٢) - عبد الجليل بوقرة ،النظام البورقيبي الصعود والانحدار ١٩٥٦-١٩٨٧، الدار المغاربية للطباعة، تونس،٢٠١٢،ص٨١ .

(٣)- رضا الذوادي،الصراع الطبقي في تونس ١٩٥٦-١٩٨٠، دار صامد للنشر والتوزيع ، تونس،٢٠١٢،ص١٣٤ .

(٤)- الصافي سعيد ، المصدر السابق، ص٢٦٢.

(٥) - مجلة النهار العربي والدولي،(باريس) العدد ٢,١٥٦ ايار ١٩٨٠ .

اختياره وزيراً اول ، لذلك فهو يملك الكثير من الكفاءة والخبرة الطويلة ما يؤهله لتسيير الحكومة الجديدة ، فضلا عن تجربته الطويلة بالعمل الحزبي" [١] .

صحيفة الوطن الكويتية كتبت **" اختيار مزالي يمثل مخرجاً مشرفاً ومرضياً ،فهو فضلا عن ابتعاده عن الصراعات الداخلية يتمتع بمؤهلات كبيرة تجعله قادراً على الانتقال بالبلاد الى مرحلة جديدة تعيش فيها بأستقرار بعد التوتر الذي عانت منه،ويمكن ان يكون اختياره تخفيفاً من حدة التوتر"** [٢].

ذكرت صحيفة الرأي الاردنية **"ان بورقيبة قرر اسناد رئاسة الوزراء الى محمد مزالي المعروف بالليونة والانفتاح على كافة الاجنحة داخل الحزب الحر الدستوري فهو من مواليد مدينة المنستير ، مسقط راس الحبيب بورقيبة ومن رجال الحزب الاقوياء "**[٣].

اما محمد مزالي فذكر ان الحال الذي كانت تعيش فيه تونس حتم على بورقيبة **" ختيار رجل سياسي لا مجرد محترف للسياسة ، رجل مطلع على مشاكل تسيير الدولة، وينتسب الى الحزب بدون ان يكون منحازاً الى احدى الكتل منغلقاً على غيرها، لرجلٍ قادرٍ على التجديد والتفتح"**[٤].

على الرغم مما تقدم ومهما كانت الاراء ووجهات النظر فأن مقاييس اختيار الوزير الاول اختلط فيها الذاتي بالموضوعي لم يعرفها الا بورقيبة شخصياً وبعض حاشيته، اولها يجب ان يكون منتمياً الى الحزب الاشتراكي الدستوري الحاكم، وله نشاط سواء في مرحلة النضال الوطني ضد السيطرة الفرنسية او بعد الاستقلال، فضلا عن المؤهلات الثقافية والاجتماعية ،وان يكون من النخبة المثقفة ومن خريجي المدرسة الصادقية ، فقد كان بورقيبة يميل الى الصادقيين الذين تعلموا الفرنسية وتثقفوا بها ، وممن درسوا في الجامعات الفرنسية ، وممن نشطوا في الحزب الدستوري وفي جمعية طلبة شمال افريقيا ، وعليه ان يكون خطيباً فصيحاً لديه القدرة على اقناع الشعب، وشكل الانتماء الجغرافي دوراً اخر في اختيارهم فهناك مقولة تونسية مشهورة تقول (يكفي ان تكون من المنستير لتكون وزيراً)، والمنستير هي (مسقط رأس بورقيبة) [٥]، وعلاوة على ذلك فمنصب الوزير الاول كان يعد هبة من الرئيس الى الوزير الاول ، وبرر بورقيبة اختياره للباهي الادغم بما فرضه السياق الاقتصادي للبلاد، ومن ناحية اخرى فأن الباهي الادغم مثّل امين سره ومحط ثقته منذ مراحل النضال الوطني ،وقال بورقيبة في شأنه**" انه رفيق دربي في النضال منذ اربعين**

---

[١]- مجلة النهار العربي والدولي،(باريس) العدد ١٥٧ ، ٥ ايار،١٩٨٠ .

[٢]- صحيفة الوطن،(الكويت) العدد ١٩٨٨ ، ١٨ايار ١٩٨٠ .

[٣] - صحيفة الرأي ، (الاردن) العدد ٣٦٠٥ ،١٢ اذار ١٩٨٠ .

[٤]-محمد مزالي ، حديث الفعل ، ص٣٤٥ .

[٥]-عبد اللطيف الحناشي ، النخبة الوزارية في تونس ومسألة توحيد المغرب العربي ، بحث منشور ضمن كتاب نخب مغاربية (الخلفيات والمسارات)، مركز الدراسات والابحاث الانسانية (مدى)، تونس ، ٢٠١٠، ص١٧١.

سنة ، فلقد كان من اوائل المناضلين الذين انضموا الي"[١]، اما الهادي نويره احد المرافقين له في النضال وعضده الايمن ،واختاره بورقيبة اعتبارا لعلاقته الشخصية به،ثم نظر لكفاءته الوطنية حتى انه قال فيه انه بفضل الهادي نويره سوف تتمكن تونس من التغلب على التخلف.

هذه الحضوة والمكانة والشهادة انتظرها مزالي وسعى اليها من خلال عدم التردد في اعلان الولاء والوفاء لشخص بورقيبة بمناسبة وبغير مناسبة ، فمزالي لايستشهد في كلامه وفي خطبه الا بأقوال واراء بورقيبة ،وكم من مرة صرح بالقول **"انا لست سوى منفذ لسياسة الرئيس،ونحن في اطار نظام رئاسي شخصي ونحن اعضاد بورقيبة"**[٢]، فبهذا الولاء والتبعية والاستعداد اللامشروط كسب مزالي رضا بورقيبة[٣].

لذلك يمكن القول من خلال ماتقدم انه كانت لمزالي بعض المزايا دفعت بورقيبة الى اختياره وزيراً اول، فهو وان كان من الصف الثاني في الحزب الاشتراكي الدستوري،فهو في حينها كان من اقدم الموجودين في الحزب، وهو رجل ثقافة،وشخصية محبوبة في الاوساط المثقفة والجامعية والنقابية،وليس له عداء مع اي جانب،وكان موقفه في كل الازمات التي حدثت في تونس، متوافقاً مع الحكومة ،علاوة على كل ذلك ولائه المطلق لبورقيبة.

لم يكن مزالي يتوقع مهمته الجديدة امام من سبقوه في النشاط والعمل السياسي ،فأصبح فجأة خليفة بورقيبة[٤].ويبدو ان بورقيبة عند البحث عن شخصية لتولي منصب الوزير الاول، اراد بالاساس اختيار خليفة له ،وليس وزير اول فقط.

اصدر الرئيس التونسي في ٢٣ نيسان ١٩٨٠ قراراً جمهورياً بتشكيل الحكومة الجديدة، وفي ١٤ايلول ١٩٨٠ اصدر بورقيبة قانون تضمن تفويض سلطات رئيس الجمهورية كاملة الى الوزير الاول محمد مزالي[٥].

دعم بورقيبة وزيره الاول الجديد محمد مزالي ببعض السياسيين من اصحاب الكفاءة والحنكة، وكذلك من الوزراء الذين ابعدوا لمواقفهم السياسية بعد سنة ١٩٧٧، فتألفت الوزارة الجديدة برئاسة محمد مزالي[٦].

---

[١]-اعمال المؤتمر العالمي الثالث ،السلطة وآاليات الحكم في عصربورقيبة بتونس والبلاد العربية،ص١١١.

[٢]-المصدر نفسه .

[٣]-المصدر نفسه ص١١٢.

[٤]-محمد الهاشمي عباس، بورقيبة ونويرة(ذكريات ومذكرات) ، ج٢-٤، ط٥، ميديا كوم للنشر، تونس، ٢٠١٠،ص٤٦١.

[٥] – الرائد الرسمي للجمهورية التونسية، (امر عدد ١١٣٩ في ١٤ايلول ١٩٨٠)، السنة ١٢٣، العدد ٥١، ١٦ايلول ١٩٨٠.

[٦]- ضمت الوزارة الجديدة عناصر دستورية وكانت التشكيلة كالاتي:

ادخل بورقيبة في التشكيلة الوزارية الجديدة ايضاً، بعض الشخصيات المعارضة لبعض اتجاهاته السياسية ما يعني انه اراد نوعاً من الانفتاح ودافعاً للحكومة الجديدة لممارسة عملها بحرية اكبر، ومن هولاء الشخصيات المنجي الكعلي[١] الذي عينه وزيراً للدولة لدى الوزير الاول ومديراً للحزب الاشتراكي الدستوري بدلاً عن محمد الصباح [٢]، وقدم المنجي الكعلي استقالته من الحكومة في كانون الاول ١٩٧٧ وخمسة وزراء اخرين لمعارضتهم الاتجاه الحكومي المتسم بالتشدد في اثناء النزاع مع النقابات العمالية ، وبلحاج عمر وزيراً معتمد لدى الوزير الاول مكلفاً بالوظيفة العمومية والاصلاح الاداري[٣].

فضلاً عن عبد العزيز الاصرم وزيراً للاقتصاد ،ومنصور معلى[٤] وزيراً للتخطيط، ان انضمام هولاءالى التشكيلة الوزارية برئاسة محمد مزالي ،فهم الى جانب خبرتهم السياسية امتلكوا خبرة في مجال الادارة الاقتصادية والادارية ،ما يدل على الرغبة في اعطاء دفعة للتنمية الاقتصادية في البلاد[٥].

اجرى بورقيبة في كانون الاول ١٩٨٠ تعديل وزاري جزئي بعد ان فصل وزارة الشؤون الثقافية عن الاعلام ، ووزارة التجهيز عن الاسكان فعين الطاهر بلخوجة وزيراً للاعلام ، والمنصف بلحاج عمر وزيراً

محمد مزالي الوزير الاول،الحبيب بورقيبة(الابن)المستشار الخاص لبورقيبة،محمد شاكر وزير العدل،احسان بلخوجة وزير الخارجية،ادريس قيقة وزير الداخلية،صلاح الدين بالي وزير الدفاع،منصور معلى وزير التخطيط والمالية،عبد العزيز الاصرم وزير الاقتصاد الوطني،محمد الصباح وزير التجهيز والاسكان فؤاد المبزغ وزير الاعلام والشؤون الثقافية ،محمد فرج الشاذلي وزير التربية القومية ،عبد العزيز بن ضياء وزير التعليم العالي والبحث العلمي،الاسعد بن عصمان وزير الفلاحة،رشيد صفر وزير الصحة العمومية،الصادق بن جمعة وزير النقل والمواصلات،محمد الناصر وزير الشؤون الاجتماعية،الهادي الزغل وزير الشباب والرياضة. ينظر صحيفة الانوار(بيروت) العدد٦٩٥٠، ٢١ نيسان ١٩٨٠؛ المنجي الكعلي ، في خدمة الجمهورية بقيادة بورقيبة، دار سراس للنشر ، تونس ٢٠١٣، ص١٢٩؛ محمد الهاشمي، المصدر السابق، ص٤٦٥.

[١]- المنجي الكعلي: ولد١٩٣٠ في مدينة قصر هلال في ولاية المنستير، ، اكمل دراسته الابتدائية فيها ، بعد ذلك التحق بالمعهد الصادقي لاكمال تعلمه الثانوي في العاصمة ،وبعد تخرجه فيها اكمل تعلمه الجامعي بكلية الحقوق بباريس ، تولي مناصب ادارية عديدة الى ان تولى وزارة الصحة ١٩٧٦ ، وفي سنة ١٩٨٠ تولي منصب مدير الحزب الحاكم في حكومة مزالي من سنة١٩٨٠الى سنة ١٩٨٤ ، وقد بقي يحمل صفة ممثل بورقيبة الشخصي الى سنة ١٩٨٦مع احتفاظه بصفة عضو في الحكومة . ينظر الى المنجي الكعلي، المصدر السابق.

[٢] – الجمهورية التونسية –مركز التوثيق القومي ، تعيين مدير الحزب، ٢٦نيسان ١٩٨٠، الرقم B-5-9 ؛صحيفة الوطن، (الكويت) العدد١٩٦٩ ، ٢٦نيسان ١٩٨٠ .

[٣] - المنجي الكعلي، المصدر السابق،ص١٣٠.

[٤] - منصور معلى: سياسي ورجل أعمال واقتصاد ووزير تونسي ،ولد بمدينة صفاقس في ١ اذار ١٩٣٠،درس منصور معلى الابتدائي والثانوي بمسقط رأسه، ثم اتجه إلى فرنسا لدراسة الحقوق، وانخرط في المدرسة الوطنية للإدارة، وأحرز على شهادتها. وكان من مؤسسي الاتحاد العام لطلبة تونس وتولى رئاسته في مؤتمره الثاني المنعقد في سنة١٩٥٤. تولى منذ سنة ١٩٦٧ عدة حقائب وزارية' منها الصناعة والتجار، في ٢٦ تموز ١٩٦٧ ،والبريد والبرق والهاتف، في ايلول ١٩٦٨ والتخطيط في حزيران ١٩٧٠ ،التخطيط والمالية فيما بين ٢٥ نيسان ١٩٨٠ و١٨ حزيران ١٩٨٣.دخل بعد ذلك ميدان الأعمال، حيث أسس بنك تونس العربي الدولي بالشراكة مع مستثمرين من الخليج العربي وأداره إلى عام ١٩٩٤، وبقي من أهم المساهمين فيه.ar.wikipedia.org/wiki

[٥]- صحيفة الوحدة ، (ابو ظبي)، العدد ٣٨ ،٢٦ نيسان ١٩٨٠؛ مجلة المستقبل (باريس)،العدد ١٦٧ ،٣ ايار ١٩٨٠ .

للاسكان، والمازري شقير [١] وزيراً للوظيفة العمومية والاصلاح الاداري، وعين الباجي قائد السبسي[٢] وزيرا لدى الوزير الاول ، وفي الثاني من كانون الثاني١٩٨١خلف البشير بن سلامة فؤاد المبزغ على رأس وزارة الشؤون الثقافية، وفي سنة ١٩٨٣ استحدث بورقيبة وزارة جديدة هي وزارة الاسرة والنهوض بالمرأة عينت فتحية مزالي(زوجة محمد مزالي) وزيرة عليها [٣].

ورثت حكومة مزالي مجموعة كبيرة من المشكلات المعقدة في الداخل والخارج واراد مزالي حل هذه المشكلات لكي يتسنى له ادارة البلاد بأمان من دون صعوبات، اذن كيف تعامل مزالي مع هذه المشكلات ، وكيف عالجها في ظل احوال تونس الحرجة؟

ثانيا-الخلاف التونسي الليبي وموقف مزالي منه.

لم تمر ثلاثة اشهر على احداث قفصة ، حتى استجابت ليبيا مع ما ابداه محمد مزالي من استعداد لطي صفحة الماضي مكتفية بسقوط الهادي نويرة[٤]، الذي كانت تحّمله مسؤولية افشال الوحدة بين البلدين ، ذلك ان الهادي نويرة ألف تكتلا قوياً لافشال الوحدة التي عّدها خطوة مرتجلة ولها انعكاسات خطيرة[٥] .

تميزت العلاقة بين ليبيا وتونس منذ استقلال البلدين بعدم الاستقرار، إذ تراوحت بين الهدوء والانسجام تارة، والتنافر والاضطراب تارة أخرى،لاسيما بعد الانقلاب العسكري الذي قام به معمر القذافي في الاول من أيلول ١٩٦٩، فتميزت هذه المرحلة بالارتجال والاضطراب،إذ شكل حكم معمر القذافي

---

[١]-المازري شقير:(١٩٣٣-٢٠١٣): ولد في المنستير سنة ١٩٣٣ ، قد تولى حقائب وزارية ودبلوماسية عديدة في زمن الحبيب بورقيبة.. توفي يوم الأحد ٢٢ ايلول ٢٠١٣./www.alchourouk.com/20292/151

[٢]-الباجي قائد السبسي : ولد في تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ في سيدي بوسعيد إحدى ضواحي العاصمة تونس، نشأ الباجي قائد السبسي في كنف عائلة قريبة من البايات الحسينيين اكمل دراسته الابتدائية فيها، بعد ذلك التحق بالثانوية الصادقية في العاصمة تونس، وبعد حصوله على الباكالوريا سافر الى باريس لاكمال دراسته في المحاماة في كلية الحقوق وتخرج فيها سنة١٩٥٠،ناضل في الحزب الحر الدستوري الجديد منذ شبابه، تولى عدة مناصب مهمة في الدولة التونسية بين ١٩٦٣ و١٩٩١، عين سنة ١٩٦٣ على رأس إدارة الأمن الوطني بعد إقالة إدريس قيقة على خلفية المحاولة الانقلابية التي كشف عنها في كانون الأول ١٩٦٢، وعين سنة ١٩٦٥ وزيرا للداخلية بعد وفاة الطيب المهيري، وقد ساند من منصبه التجربة التعاضدية التي قادها الوزير أحمد بن صالح، تولى وزارة الدفاع في تشرين الثاني ١٩٦٩ وبقي في منصبه الى حزيران ١٩٧٠ ليعين سفيرا في باريس،جمد نشاطه في الحزب الاشتراكي الدستوري الحاكم عام ١٩٧١ على خلفية تأييده إصلاح النظام السياسي قبل أن ينسحب منه عام ١٩٧٤ لينضم عام ١٩٧٨ الى حركة الديمقراطيين الاشتراكيين بزعامة أحمد المستيري،عاد إلى الحكومة في ٣ كانون الأول ١٩٨٠ كوزير معتمد لدى الوزير الأول محمد مزالي ، وفي ١٥ نيسان ١٩٨١ عين وزيرا للخارجية . ينظر الباجي قائد السبسي، الحبيب بورقيبة المهم وألاهم، ترجمة محمد معالي ، دار الجنوب للنشر، تونس ٢٠١١.

[٣] - المنجي الكعلي ، المصدر السابق، ص١٣٠ .

[٤] - سالم الحداد ، الحركة النقابية في تونس بين الاستقلالية والتبعية (الاتحاد العام التونسي للشغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصدام ، ج٢، جريدة الشعب، تونس،٢٠١١، ص١٦٩ .

[٥] - النان ولد المامي، اتحاد المغرب العربي وافاقه المستقبلية، رسالة ماجستير غير منشورة ،مقدمة الى جامعة بغداد – كلية العلوم السياسية ، ١٩٩٦،ص ٥٥.

بنزواته السياسية عبئا على الدولة والمجتمع التونسيين، وتجسد ذلك في تدخل القذافي المستمر في الشؤون الداخلية للدولة التونسية، والضغط عليها ومحاولة فرض سياسة الأمر الواقع اعتمادا على إمكانياته المالية تارة والعسكرية تارة أخرى، والاثنين معا في أغلب الأحيان[١].

جاء القذافي بأفكار وطموحات قومية، فأخذ هذا النظام منذ توليه الحكم ، بالبحث عن وسائل جديدة لأشباع طموحه ايماناً منه بدور الهوية القومية على حد زعمه ،لا سيما بعد حرب ١٩٤٨و١٩٦٧ وتحطم الحلم الناصري بالوحدة ، فحاولت ليبيا ممارسة دور قيادي فيما اسمته (انهاض الهوية القومية) لذلك عملت على جذب اعداد كبيرة من البلدان المجاورة لتنفيذ دورها كبؤرة ثورية ، وبما ان ليبيا كانت في طور البناء والنمو، ولا شك ان التغييرات السكانية والاجتماعية وبناء المرتكزات الاقتصادية تطلبت المزيد من الايدي العاملة الخارجية ، لذلك اول ما حولت ليبيا انظارها نحو تونس ، واستقطبت اعداداً كبيرة من العمال التونسيين، ومن ناحية ثانية عدّت ليبيا مسانداً مالياً لمشروعات النمو الاقتصادي في تونس، غير انها رغم ذلك لم تستجب لطموحات ليبيا في الوحدة الاندماجية التي طرحتها ليبيا، أي ان تونس ارادت الحصول على كل شي دون دفع الثمن، ما ادى الى توتر العلاقات واتهام كل واحدة للاخرى بإثارة المشاكل، وفي كل مرة استعمل القذافي سلاحاً للضغط على تونس وهو طرد العمال التونسيين[٢]العاملين في ليبيا والتي قدر عددهم ب ٦٠ الف عامل[٣] .

---

[١]-عبد اللطيف الحناشي، العلاقات التونسية الليبية: مرتكزاتها، معطياتها، مساراتها المحتملة،مركز الجزيرة للدراسات،تموز ٢٠١٣.studies.aljazeera.net

[٢]- ان الحركة السكانية بين تونس وليبيا قديمة ، وكانت تتم في الاتجاهين تبعاً للظروف الاقتصادية والاجتماعية، وتأثرت الهجرة بين البلدين بالظروف السياسية ، والهجرة التونسية الى ليبيا تجسم في هذا المجال نموذجاً واضحاً،لان كل توتر حصل في العلاقات السياسية أثر مباشرة وآلياً على الهجرة وعلى وضع المهاجرين ، ويبدو ان كلا الطرفين حاول استقبال الايدي العاملة كوسيلة ضغط يخلق بها مصاعب اقتصادية واجتماعية للطرف الثاني ،ومن المناسبات التي تعرض فيها العمال للطرد والى شتى الممارسات السلبية ، فشل الوحدة بين البلدين المعلن عنها في مدينة جربة ١٩٧٤، ولجوء عمر المحيشي عضو مجلس قيادة الثورة الليبي ورفيق القذافي في الانقلاب ووزير التخطيط ،الذي خطط لمحاولة الانقلاب ضد القذافي الى تونس الذي استقبلته ومنحته اللجوء السياسي، وتوتر العلاقات الليبية التونسية بسبب رفض تونس تسليمه، ليتصاعد الامر بمحاولات النظام الليبي زعزعة الاستقرار في تونس من خلال محاولة اغتيال الوزير الأول التونسي الهادي نويرة، ومسألة الجرف القاري.فعلى سبيل المثال قامت ليبيا سنة ١٩٧٦بطرد ١٥٠٠٠عامل تونسي بحجة ان عملهم واقامتهم بصفة غير شرعية، وعملت السلطات التونسية من جانبها على وقف الهجرة المنظمة الى ليبيا بهدف خلق شح في الايدي العاملة ،لاسيما وان الاخيرة كانت تطرد العمال المصريين ايضاً . للمزيد ينظر علي لبيب ، الهجرة التونسية الى ليبيا ، مجلة المستقبل العربي،السنة ٥، العدد ٤٧ ، كانون الثاني ١٩٨٣، ص١١١؛الطاهر بلخوجة، المصدر السابق، ص٢٦٣.

[٣]- صحيفة الاهرام،(مصر) ،العدد٣٥٦١٧، ١٨حزيران ١٩٨٤ .

وعلى الرغم من الخلافات الدائمة بين البلدين اقترح مزالي في نيسان ١٩٨٠عند توليه منصب الوزير الاول بناء علاقة ود واحترام مع ليبيا ،وكانت هذه من اولويات سياسة حكومته الخارجية ، والعمل بجدية على اعادة تبادل السفراء وتبادل الزيارات بين البلدين[١].

ولم يكن المقصود من ذلك هو بناء علاقات حسن الجوار فحسب لتحسين العلاقات التونسية الليبية ، انما الحكومة التونسية كانت بحاجة ماسة الى ليبيا ، لكونها منفذ تدفقت منه اجور عشرات الالاف من العمال، فالازمات الخانقة التي تعرض لها النظام التونسي ارغمته على السير في هذا الخطى ،اذ استوعبت ليبيا كل الايدي العاملة التونسية التي عانت البطالة بسبب مشاريع النهضة الزراعية والصناعية فيها، وانتقال هذه العمالة الى ليبيا سينعكس ايجابياً على الوضعين الاقتصادي والاجتماعي في تونس[٢]، فضلاً عن ان ليبيا عدّت سوقاً حيوياً لتصدير المنتوجات التونسية ، وهي قادرة على استيعاب قسم كبير من المنتجات المصنعة في تونس، ما يعني امتصاص قسماً كبيراً من الازمات الاقتصادية التونسية، وان نجاح محمد مزالي في اعادة العلاقات الى طبيعتها من شأنه حل معظم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تراكمت من قبل[٣] ،اذ كانت ليبيا قادرة على استيعاب ٤٠٠ الف عامل تونسي، فضلاً عن المشاريع المشتركة التي نفذت برأسمال ليبي وخبرة تونسية ، فكان على مزالي فتح هذا المنفذ بتحسين علاقات تونس مع ليبيا، لتستفيد منه تونس ويغنيها عن المساعدات الغربية[٤].

جاءت المبادرة في البداية من الحكومة الليبية التي اعربت عن املها في اعادة العلاقات مع تونس الى سابق عهدها قبل سنة ١٩٧٤تاريخ انعقاد اتفاق جربة، ودعت الحكومة التونسية الجديدة الى العمل من اجل اعادة العلاقات مع جاراتها[٥]، وبناءً على ذلك بعث امين اللجنة الشعبية للشؤون الخارجية في ليبيا جاد الله عزوز في ٢٥ نيسان ١٩٨٠ برقية تهنئة الى مزالي تضمنت **"نعرب عن استعدادنا لعودة العلاقات الاخوية بين البلدين الى سابق عهدها واستعدادنا الى تجاوز كل ماحاول الاقليميون والحاقدون زرعه من مشكلات بين الشعبين، والامل بأن يتم في عهد محمد مزالي وضع بيان جربة موضع التنفيذ"**[٦] .

---

[١] - عصام شريف ، محاور السياسية العربية في الثمانينيات ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق، ١٩٨٧، ص٧٠.

[٢]-مجلة الكفاح العربي(بيروت) ، العدد ٩٩-٧٨٢، ٥ايار ١٩٨٠.

[٣]-سالم الحداد ، المصدر السابق، ص١٩٧ .

[٤]-مجلة الكفاح العربي، بيروت، العدد ١١٤-٧٩٧، ١٨ اب ١٩٨٠ ؛ السفير، (بيروت)،العدد٢١٦٠، ٢٦ نيسان١٩٨٠ .

[٥]- صحيفة السفير ،(بيروت)، العدد ٢١٦٠، ٢٦نيسان ١٩٨٠.

[٦] - المصدر نفسه .

صرح محمد مزالي فيما بعد في مقابلة مع التلفزيون الفرنسي في العاشر من ايلول ١٩٨٠ عن استعداده لتسوية الخلافات مع ليبيا ، ومقابلة القذافي والتعاون معه لحل المشكلات العالقة بين البلدين والتعاون لاستغلال ثروات الجرف القاري[١].

اما بالنسبة الى مشكلة الجرف القاري فقد صرح مزالي انه يمكن فض النزاع من خلال التفاهم والتحاور بعيداً عن التشاحن والصراع، واقترح لحلها انشاء شركة متناصفة بين البلدين للتصرف فيها،وطرح القضية امام محكمة العدل الدولية في لاهاي لحل النزاع واكد على الجانب الليبي القيام بغلق المعسكرات التونسية في ليبيا التي عملت على تدريب التونسيين على السلاح[٢] .

لذا فأن استفادة تونس الاقتصادية والاجتماعية الحاصلة والمنتظرة لحل الكثير من الازمات التي عانت منها تونس ،لاسيما مشكلة البطالة جعلت الحكومة التونسية بالرغم من التحدي الذي واجهته في قفصة حريصة على تطبيع علاقاتها مع طرابلس[٣].

توج هذا التطبيع في العلاقات سنة ١٩٨٢عندما قام الزعيم الليبي معمر القذافي بزيارة رسمية الى تونس من ٢٣الى ٢٧شباط ١٩٨٢ تلبية لدعوة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة،واجريا سلسلة من المحادثات شارك فيها الوزير الاول محمد مزالي، فأكدا خلال هذا اللقاء اقامة علاقات اخوية بين البلدين والتعاون بينهما في الميادين كافة، وفي ٢٠تموز ١٩٨٣ مثل مزالي تونس في الاجتماع الاول للجنة العليا

---

(١) - تُمثل منطقة الجرف القاري أهمية قانونية واقتصادية بالنسبة لتونس بوصفها منطقة تضم آبارا نفطية وغازية ضخمة ، فضلا عن موقعها الجيوسياسي، وهي منطقة مشتركة بين تونس وليبيا وامتداد بحري للبلدين في البحر الابيض المتوسط ، وهو المطل البحري الوحيد للدولتين، وكان الاتفاق في سنة ١٩٧٢ بين البلدين على عد منطقة الجرف القاري تابعة للبلدين وهي وحدة اقتصادية واحدة وتشتثمر على اساس المناصفة بين البلدين، اذ يحتوي الجرف القاري على امكانية انتاجه للنفط تقدر بحوالي مليون طن سنوياً من بئر السبع في خليج قابس، غير ان الخلافات تجددت مرة اخرى حول هذه المنطقة لاسيما بعد فشل الوحدة الاندماجية بين تونس وليبيا سنة ١٩٧٤، اذ تفاقمت حدة الخلافات حول المنطقة بعد سنة ١٩٧٧، وكادت تؤدي الى حرب بين البلدين، نتيجة التوتر الحاصل على الحدود البحرية على إثر انتصاب شركة بترولية أمريكية يوم ٢٨ نيسان على سطح الجرف، بحراسة وحدة عسكرية ليبية وفي حالة استنفار قصوى تتمثل في باخرتين ليبيتين في مواجهة باخرة تونسية، وقد إقترح "معمر القذافي" في ٢ حزيران ١٩٧٧ حلاً تاريخيا عادلا تمثل في الوحدة وهي عنده أحسن الحلول في اندماج البلدين فتسمح بتقاسم الليبيين والتونسيين البترول بالجرف القاري وبالصحراء أيضا فإن استحال لم ير مانعا من الحل الذي اقترحه " الحبيب بورقيبة" وهو اللجوء إلى التحكيم وأضاف **:"فلا نخسر شيئا إذا قمنا بالتنقيب، بما أنّنا مستعدون من الجانبين للالتجاء إلى التّحكيم والخضوع لقراره"** ، غير ان الحكومة التّونسية أصرت على الذهاب إلى محكمة العدل الدولية،فانتهى الأمر بتوقيع الجانبين اتفاقية حول عرض الموضوع على محكمة العدل الدولية والاحتكام إليها ، تمت المصادقة عليها يوم ٢٧ شباط ١٩٧٨، واستمرت إجراءات التقاضي بمراحلها الكتابية والشفوية ممهدة لصدور حكم المحكمة في القضية يوم ٢٤ شباط ١٩٨٢، وعد القرار مرضي للطرفين غير ان تطبيقه بدأ صعباً، وقد وقعت اتّفاقية بين تونس وليبيا بتاريخ ٨ اب ١٩٨٨ لاستغلال هذا الجرف بإنشاء شركة للنفط مناصفة بين المؤسسة التونسية للأنشطة البترولية "ETAP" والمؤسسة الوطنية "NOC"سمّيت "المشتركة للنّفط "Joint" Oil".. للمزيد ينظر الى محمد طلعت الغينمي ، التعاون الاقتصادي المشترك بين ليبيا وتونس، مجلة السياسة الدولية، العدد ٣٣، تموز ١٩٧٣، ص١٢٦؛مجلة الدستور ، لندن، العدد ٤٧٧، ٤ اب ١٩٨٠ ؛ الأزهر السمعلي، ملف الجرف القاري بين تونس وليبيا:أين تذهب مداخيل نفط تونس؟٢تموز ٢٠١٣، ص١٤. www.attounissia.com؛صحيفة العمل ،(تونس) ، العدد ٨٦٣٤ ، ١٢تموز ١٩٨٠.

(٢) -مجلة الدستور،(لندن)، العدد٤٧٧، ١٤اب١٩٨٠.

(٣)- سالم الحداد، المصدر السابق، ص١٩٧ .

المشتركة بين مجلس الوزراء التونسي واللجنة الشعبية العامة الليبية في طرابلس، اذ اكد الطرفان اهمية دراسة الخطط التنموية في البلدين والتنسيق بينهما ، بهدف تحقيق التكامل الاقتصادي في مختلف المجالات، ولتحقيق ذلك اتفق الطرفان على العمل على تبادل الخبرات والدراسات والوثائق والمعلومات الاقتصادية[١]، غير ان شيئاً من ذلك لم يطبق ويعزى ذلك لعدم التزام الجانب الليبي باتفاقاته، وكثرة التنصل من التزاماته، وجاء توقيع معاهدة الاخاء والوفاق بين تونس والجزائر في اذار ١٩٨٣، ورفض انضمام ليبيا لتلك المعاهدة لتضع عذراً جديداً للنظام الليبي للتنصل من التزاماته وتعاقداته الثنائية مع تونس[٢].

في خضم ثورة الخبز التي انتهت بسقوط عدد من القتلى في كانون الثاني ١٩٨٤ هاجمت جماعة مسلحة انبوب النفط الجزائري المار عبر تونس ،اذ اصدرت وزارة الدفاع التونسية بياناً في ٩كانون الثاني ١٩٨٤ قالت فيه **"ان خطاً لانابيب النفط ينقل النفط الجزائري الى الساحل التونسي تعرض الى الانفجار في جنوب تونس، وكان بفعل مجموعة مسلحة جاءت من ليبيا وعادت اليها بعد ان اتمت عمليتها"**[٣] ، وقد ارسلت وزارة الخارجية التونسية مذكرة احتجاج على اثر هذا التخريب الى الحكومة الليبية وهو امر نفته السلطات الليبية[٤] ،ومن اجل التقليل من حدة التوتر قام امين اللجنة الشعبية العام محمد رجب رزق ، بداية كانون الاول ١٩٨٤بزيارة الى تونس اتفق في اثنائها على اعادة العلاقات بين البلدين ، واستئناف التبادل التجاري بينهما[٥].

ساءت العلاقات اكثر وعادت الى التوتر عندما اقدمت ليبيا في ١١اب ١٩٨٥ على طرد جماعي للعمال التونسيين وصلت الى ٣٠ الف عامل ، ومثلت هذه العملية اكبر عملية طرد جماعي في احوال قاسية ، اذ خضع المطرودين الى تجريد من اموالهم وامتعتهم وجواز سفرهم[٦]،عللت ليبيا اجراءاتها بالازمات الاقتصادية التي عانت منها ما اضطرها الى الاستغناء عن العمال الاجانب واعادة توزيع القوى العاملة المحلية [٧].

ردت تونس على الاجراءات الليبية بطرد ٣٠٠ من الدبلوماسيين الليبيين العاملين في تونس، وابعاد ٢٥٣ سائحاً ليبياً من تونس، واغلاق المركز الثقافي الليبي في العاصمة، واغلاق القنصلية الليبية في

---

[١]- جمعية الدراسات الدولية، المغرب العربي الكبير بين التجارب والتشييد،تونس، ١٩٨٤،ص٥٧-٦٦.
[٢] - عصام شريف ، المصدر السابق، ص٧١ .
[٣] - صحيفة السياسة ، (الكويت) ، العدد ٥٥٣٩، ١٠كانون الثاني ١٩٨٤ .
[٤]- مجلة الوطن العربي ، (باريس) ، العدد ٣٦١، ١٣كانون الثاني ١٩٨٤ .
[٥]- مجلة المجالس ، (الكويت)، العدد٧٤٤ ، ١٩تشرين الاول ١٩٨٥، ص٢٧.
[٦] – وكالة الانباء العراقية (قسم المعلومات)،طرد العمال التونسيين،ع ١٠٤،الرقم٠٤٢، ١٢اب١٩٨٥.
[٧] – صحيفة الراي، (الاردن)، العدد ٥٥٣٩، ٢٢اب ١٩٨٥ .

صفاقس ،واعادة العمل بنظام التأشيرة لدخول الليبين الى تونس وتجميد التبادل التجاري بين البلدين[١]، ووصف مزالي العلاقات التونسية الليبية بأنها تحت الصفر، ولا يستبعد ان يكون الطرد سبباً لاثارة العمال التونسيين والضغط على حكومتهم ،وان يوجهوا غضبهم على ذلك الى الحكومة التونسية، ومضاعفة الازمة الاجتماعية في البلاد [٢].

سببت هذه الاجراءات خسارة تونس السوق الليبية التي استوعبت كميات كبيرة من المنتجات التونسية، فضلا عن عائدات العمال المطرودين ، وقدرت خسارة تونس بنحو ٢٥٠ مليون دينار تونسي (اكثر من ٣٠٠مليون دولار امريكي)،ما دفعها الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ليبيا في ٢٦ ايلول١٩٨٥، وقامت تونس بطرد اربعة ليبين بينهم ثلاثة دبلوماسيين بعد ان عدّتهم مسؤولين عن توزيع رسائل ملغومة على مراكز بريد العاصمة التونسية في ٢٥ ايلول ١٩٨٥، بهدف ايصالها الى عدد من الاعلاميين التونسيين،كتهديد لهم ووقف حملاتهم ضد ليبيا ، على اثر طرد العمال التونسيين، وحشدت السلطات الليبية قوات عسكرية على الحدود الليبية مع تونس [٣]، كما قامت اربع طائرات الحربية الليبية بأختراق المجال الجوي التونسي، اذ اعلنت تونس عن قيام اربع طائرات حربية بأنتهاك مجالها الجوي وتوغلت لمسافة ٥٠كم داخل جنوبي البلاد ، على اثر ذلك قدمت الحكومة التونسية احتجاج رسمي لمجلس الامن الدولي بشأن ماوصفه بأستمرار اختراق الطائرات العسكرية الليبية للاجواء التونسية[٤].

تسلم محمد مزالي قيادة الازمة مع ليبيا، فعلى الصعيد الخارجي قام بحملة للحصول على دعم خارجي في زيارات قام بها الى عدد من الدول منها سوريا ولبنان وتشيكوسلوفاكيا [٥]، وكذلك قام بزيارة العراق في ١٣ايلول ١٩٨٥ لطلب المساعدة ،واكد العراق من جانبه الوقوف الى جانب تونس لما تعرضت اليه من اذى وتهديد[٦]، وطلب مزالي المساعدة من البلدان الشقيقة والصديقة، فاعلنت المغرب تضامنها مع تونس ولا تسمح بتعويض التونسيين المطرودين بالمغاربة، واعربت كل من الكويت والإمارات المتحدة استعدادهما لقبول العديد من العمال التونسيين، وابدت الجزائر تضامنها ايضاً مع تونس، وعلى

---

[١] - عصام شريف ، المصدر السابق، ص٧٢ .

[٢]- صحيفة الانباء ، (الكويت)، العدد٣٥٦١ ، ٢٢تشرين الثاني ١٩٨٥، ص١.

[٣]-صحيفة السياسة ، (الكويت) ، العدد ٦١٥٦، ٢٧ايلول ١٩٨٥ ،ص٢٠؛صحيفة الراية ، (قطر) ، العدد ١٧٨٢، ٢٥ايلول ١٩٨٥ ،ص١١.

[٤]-وكالة الانباء العراقية (قسم المعلومات)،المغرب العربي، ع١٠٤، الرقم ٠٤٢، ٢٨ايلول ١٩٨٥.

[٥] -صحيفة الوطن، (الكويت)، العدد ٣٨٣٠ ، ٢تشرين الاول ١٩٨٥،ص١٤.

[٦]-وكالة الانباء العراقية/قسم المعلومات، العراق يقف الى جانب اشقائه في تونس،ع١٠٤،رقم ٠٤٢.بتاريخ ١٣ايلول ١٩٨٥.

المستوى الداخلي قام مزالي بعرض الوضع من على منبر مجلس النواب وبيّن انه من بين العشرين ألف القادرين على العمل من بين المطرودين يوجد ١٥ ألف عاطل عن العمل يمكن إضافتهم إلى الثلاثمائة ألف من البطالين الذين وقع إحصائهم قبل ذلك، وفي حين كانت ليبيا تتردد في طرد المتعاونين التونسيين أو الذين يعملون في القطاع العام، قررت تونس الكف عن إرسال المعلمين ومتعاونين آخرين ونتج عن ذلك غلق المدارس الليبية في تونس، والمدارس التونسية في ليبيا[١].

يتضح مما تقدم ان العلاقات التونسية الليبية قد اتسمت بالتذبذب وعدم الاستقرار على حال ، اذ ان السلطات الليبية حاولت دائماً التدخل في الشؤون الداخلية التونسية ، وفرض سيطرتها، واستخدمت دائماً الورقة الاقتصادية كعامل ضغط على تونس،وعلى الرغم من ان مزالي حاول تحسين علاقة بلاده مع ليبيا، غير ان ليبيا بقيت على وضعها منتهزة الفرص للقضاء على النظام البورقيبي الذي لم تغفر له عملية افشال الوحدة بين البلدين ، فضلا عن ذلك يمكن عد محمد مزالي سياسي حذر، لم يتم استفزازه من القيادة الليبية ،اذ عمل مزالي على مواجهة القذافي بالتحرك الخارجي،لايجاد حل للازمة،وعدم المواجهة ، متجنباً ماحصل للوزير الاول السابق الهادي نويرة.

ثالثاً- تجربة التعددية الحزبية في تونس سنة ١٩٨١ودور محمد مزالي فيها.

على الرغم من أن الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة كان منذ استقلال تونس وتوليه السلطة في البلاد سنة ١٩٥٦يدعي باستمرار سعيه الى بناء دولة قوية ومستقرة هدفها الأساس تحقيق سعادة الشعب التونسي ورفاهيته، غير انه في الوقت نفسه اكد أنه صاحب القول الفصل في ذلك لكونه كما اعتقد يمتلك قدرات خارقة لايمتلكها غيره،على الرغم من تأكيده أن بناء تلك الدولة تم بجهود جماعية إذ قال" **أنحصر همنا في تكوين دولة نظيفة شغلها الشاغل العمل لمصلحة الأمة ورفع مستواها وتلقينها كيفية التصرف في خيراتها وتنميتها مع الحث على التكاتف والمحبة والاحترام**"[٢] ،وذكر أيضاً :"**وإن الشيء الذي أمكن أن نقوم به جميعاً هو خلق هذه الدولة التي أنشأناها من العدم ، فهذه الدولة من صنيع الشعب ومن صميمه، وبذلك بدأنا بتكوين دولة شعبية منظمة ... وأقمنا دولة وحكومة**".[٣]

---

[١] – محمد مزالي ، مغامرات الوحدة القذافية في تونس والمغرب العربي، الوسط التونسية، ٨ شباط ٢٠٠٨.
www.turess.com/alwasat/7806؛ محمد مزالي ،نصيبي من الحقيقة ، ص ٥٦٧.

[٢]- طه حميد حسن العنبكي ، النظام السياسي التونسي ١٩٥٦-١٩٨٩،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية ، تموز١٩٩٢،ص٢١.

[٣]- المصدر نفسه.

وبناء على ذلك وجد بورقيبة نفسه وهو رئيس أول حكومة تونسية منتخبة بعد الاستقلال سنة ١٩٥٦مضطراً الاخذ بالأسلوب الديمقراطي أول الأمر ، لأنه نشأ نشأة ليبرالية ومتأثراً بالأسس الديمقراطية الغربية التي دعا إليها مراراً وتكراراً ،غير انه في الوقت نفسه طمح في قرارة نفسه الى تعزيز سلطاته الجديدة على الأسس المركزية ،لاسيما أنه تزعم **"حزباً كاسحاً في جماهيريته"**[١]وهو الحزب الحر الدستوري الجديد، فسعى بورقيبة شيئاً فشيئاً إلى تركيز السلطة وتجميعها بيده وجاء ذلك متزامناً مع عملية بناء المجتمع التونسي، وعلى اساس ذلك أقر قادة الحزب الحر الدستوري الجديد هذا التوجه في مؤتمرهم المنعقد في مدينة سوسة في تشرين الأول سنة ١٩٥٨م من خلال الكلمة التي ألقاها الزعيم التونسي على الحاضرين أثناء أفتتاح المؤتمر بقوله **"نحن بحاجة الى سلطة قوية لا تنضب نحن بحاجة الى تجسيد النظام لتوسيع التأثير، فنحن بحاجة الى تكثيف السلطة"**[٢].

وتجسيداً لهذه الفكرة كان الحزب الحر الدستوري الجديد السلاح الأساس في يد الحبيب بورقيبة في معركة الأستيلاء على الدولة وفي تطوير أجهزتها وتوسيعها، وفي إقامة النسق السياسي الجمهوري التونسي على وفق القواعد المركزية السياسية، ومنذئذ وقف بورقيبة ومن حوله الحزب وأجهزة الدولة في وسط النسق السياسي التونسي ، فعمل على استبعاد كل القوى التي من شأنها ان تنافسه حول الدولة والسلطة وتأطير المجتمع، فاستمر الحزب الحر الدستوري الجديد الذي اصبح اسمه الحزب الاشتراكي الدستوري سنة ١٩٦٤ مهيمناً على الحياة السياسية نظراً الى حجم قوته واستناداً الى القانون[٣]، فسيطر على اجهزة الحكم وأجهزة الدولة الادارية لدرجة عدّ جزءاً منها، اذ شارك سكرتيراً عاماً للحزب في اجتماعات مجلس الوزراء ما كشف عن مدى هيمنة الحزب على الحياة السياسية في البلاد[٤].

نتيجة ذلك ادى اسلوب بورقيبة الى نتائج وخيمة على الحياة السياسية وعلى تطور الحزب الحاكم ذاته، اذ لم يؤدي الاخير دوره الطبيعي في تجنيد الانصار وعمله كقناة وصل بين الجماهير التونسية وبين القيادة العليا وكأحد قنوات المشاركة السياسية ، بل على العكس من ذلك صار جهاز الحزب بيروقراطياً بكل مايعنيه ذلك من تضييق قنوات التعبير والمشاركة ، ومن ثم اصبح طبيعياً ان نشأت مؤسسات لمنافسة الحزب الاشتراكي الدستوري الجديد الحاكم، لذلك برز في البداية دور الاتحاد العام التونسي للشغل ، وهو تنظيم نقابي عدّ احد القنوات القادرة على التعبير عن مصالح ليس فقط اعضائه العمال بل ايضاً عن قطاع

---

[١]- أسعد عبد الرحمن:الإنماء السياسي في التجربتين الناصرية والبورقيبية ،دار المثلث للتصميم والطباعة والنشر، لبنان ، ١٩٨١،ص٥٦.

[٢]- شفيق عبد الرزاق السامرائي، الاحزاب السياسية في العالم العربي ، مجلة المنار، السنة ٦، العدد ٦٧، تموز ١٩٩٠، ص٨٧.

[٣]- امحمد مالكي ، الدولة في المغرب (الارث التاريخي وانماط المشاركة السياسية)،المطبعة الوطنية ، مراكش، ٢٠٠١، ص٢٣٣ .

[٤]-حسن ابو طالب، تجربة التعددية السياسية في تونس ، مجلة المنار، السنة ٥، العدد ٥٣، نيسان ١٩٨٩،ص٤٤ .

عريض من الشعب التونسي ذاته[١]، حتى اصبح الاتحاد العام التونسي للشغل بمثابة قوة نقابية وسياسية لها مكانتها الخاصة منذ قيام الدولة الجديدة سنة ١٩٥٦، ذلك ان مطالب الاتحاد الاقتصادية اصبحت تتخذ صفة الوطنية، وبالتالي اصبحت مطالب سياسية، فبدأت العلاقة بين الاتحاد والحزب تأخذ مساراً جديداً، اذ حاولت قيادة كل منهما ان تفرض نفسها على الساحة التونسية وذلك في عملية ارساء دعائم الدولة الجديدة [٢].

غير ان هذا الوضع لم يستمر طويلا ،اذ شهد الوضع السياسي منذ بداية عقد السبعينيات ظهور مراكز جديدة للقوة السياسية المؤثرة في الحياة السياسية للبلاد من بين صفوف الحزب الاشتراكي الدستوري الحاكم ،كحركة الوحدة الشعبية وحركة الديمقراطيين الاشتراكيين ، ثم تكون الى جانب هذه التيارات وبشكل مستقل عن الحزب تماماً التيارات الاسلامية [٣].

وهكذا شهدت البلاد دلائل أشرت على ان النظام السياسي القائم على الحزب الواحد وهيمنة بورقيبة الشخصية، لم يعد قادراً على استيعاب مجمل الافكار والتيارات السياسية التي افرزها المجتمع التونسي لتزايد الضغوط السياسية ،فظهرت حاجة شديدة لإفساح المجال امام حريات التعبير والتنظيم من اجل الحفاظ على استمرارية النظام [٤].

على هذا الاساس حدث بعض الانفراج النسبي لاسيما بعد تولي محمد مزالي الوزارة الاولى في شباط ١٩٨٠ ،الذي أراد الظهور بصورة مختلفة عن الذين سبقوه ، وحاول طبع الحياة السياسية بطابع ديمقراطي، اذ رأى أن ذلك لا يتم إلا بالمشاركة التي تعد شرطاً ضرورياً لبناء مجتمع جديد[٥]، فوجد ان افضل الوسائل ليفتتح بها اعمال وزارته هو دعوته الى الانفتاح النسبي على التيارات السياسية غير المتناقضة كلياً مع النظام ، وتبلورت تحركاته الاولى في هذا المجال النحو الاتي [٦]:

١- اعادة تشكيل الحكومة وضم عدداً من الوزراء الذين كانوا في السلطة وابعدوا عنها بعد احتجاجهم على الاجراءات التي اتخذتها الحكومة في مواجهة الاضرابات العمالية التي حدثت سنة ١٩٧٧.

٢- الافراج عن عدد من السجناء السياسيين وإصدار عفو عام في كانون الثاني ١٩٨١عن ألف عضو من المنتمين الى الاتحاد التونسي العام للشغل ممن اتهموا بالتورط بأحداث ١٩٧٨.

---

(١) ــ المصدر نفسه،ص٤٥.
(٢) ــ طه حميد حسن العنبكي ، النظام السياسي التونسي ١٩٥٦-١٩٨٩ ، ص١٨١ .
(٣) ــ المصدر نفسه.
(٤)-حسن ابو طالب، المصدر السابق، ص٤٨ .
(٥)- الصافي سعيد،المصدر السابق، ص٢٦٣.
(٦)-حسن ابو طالب، المصدر السابق،ص٤٨ .

٣- إبداء بعض مظاهر التسامح السياسي ازاء الحركات الحزبية المعارضة ،اذ سمح في تموز ١٩٨٠لحركة الديمقراطيين الاشتراكيين بأصدار صحيفتين اسبوعيتين ، كما أصدر عفواً عن كل اعضاء ما سمي بحركة الوحدة الشعبية.

أراد محمد مزالي من هذا كله الاستعاضة عن الحرية والانفتاح الاقتصادي الذي اتخذه سلفه الوزير الاول الهادي نويرة بالديمقراطية السياسية ، فالشعب التونسي بحاجة الى خطاب سياسي مقنع يساهم فيه ، وفي أثناء القائه لخطابه في الاول من آيار ١٩٨٠ عبر مزالي عن البعد الانفتاحي وإرادة الحكومة في التعبير والانفتاح على مختلف التيارات الاخرى وتطبيق نوع من الديمقراطية[١]، مع التأكيد على تعزيز مكانة الحكومة وتجنيبها العزلة مع القوى المعارضة من خلال تأكيده ان الاجماع هو **"رهن قدرتنا على جلب القوى الحية في البلاد نحو مراكز اتخاذ القرارات وعلى مواجهة النزعات الهامشية ، وخيبات الامل، وعلينا الابقاء على الجسور مفتوحة بيننا وبين مختلف الاتجاهات الفكرية وتجديد فرص اللقاء وتكثيف الحوار"**[٢]، وهكذا اتبع مزالي سياسة حذرة تأخذ بنظر الاعتبار الالتزام بأستيراتيجية الحزب الحاكم وعلى اساس الولاء المطلق لرئيس الحزب من جهة، وعدم تجاهل التيارات والقوى السياسية المعارضة داخل الدولة من جهة اخرى[٣].

بدأ مزالي عقد سلسلة من الاجتماعات مع اعضاء الديوان السياسي ومع قدامى الشخصيات في احزاب معارضة لحكومة بورقيبة ، وقد احدثت هذه التحركات نوعاً من الانفراج في المناخ السياسي، فكانت نتيجة هذه الاجتماعات الاتفاق على عقد مؤتمر استثنائي للحزب الاشتراكي الدستوري في يومي ١٠ و١١ نيسان ١٩٨١ في العاصمة تونس[٤].

شكلت لهذا الغرض مجموعة من عشرة اشخاص واغلبهم شخصيات تركت العمل وعارضت النهج البورقيبي[٥] ، لمناقشة امكانية تحقيق مشروع الاصلاح الديمقراطي وكيفية الانتقال من مجرد وعود الى قرار سياسي فعلي، عقدت هذه المجموعة اجتماعات دورية واجتمعت كل يوم اثنين اسبوعياً بالتناوب في بيت احد اعضاء المجموعة وكان الاجتماع يدور بشأن الإعداد للمؤتمر ومناقشة الترتيبات المادية لإقرار التعددية،وعقدت اخر جلسة في يوم الاربعاء الموافق ٨ نيسان ١٩٨١ وحصل فيها الاجماع على مبدأ

---

(١) - مجلة الشرق الاوسط ،(لندن) العدد ٥٨٨، ٣١ ايار ١٩٨٠؛ سالم الحداد ، المصدر السابق، ص٢٠٠.

(٢)- مجلة النهار العربي(الدولي) ، العدد ١٦٢، ٩ حزيران،١٩٨٠.

(٣) – طه حميد حسن العنبكي ، النظام السياسي التونسي ١٩٥٦-١٩٨٩ ، ص١٥٥ .

(٤)- صحيفة الانباء،(الكويت) العدد ٣٦٣١ ،٣١كانون الثاني١٩٨٦ ؛ حسن ابو طالب، المصدر السابق، ص٤٨.

(٥)- محمد مزالي، المنجي الكعلي، بشير زرق العيون، منصور معلى، صلاح الدين بالي، الصادق بن جمعة، ادريس قيقة، القائد الباجي السبسي، المازري شقير، الطاهر بلخوجة. ينظر الى الطاهر بلخوجة ، المصدر السابق، ص٣٠٠؛ محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص٤١٤ .

ارساء الديمقراطية، ليبقى بعد ذلك انجاز مشروع الخطاب الذي كان مقررا ان يلقيه بورقيبة في افتتاح المؤتمر[١]، وكلف باعداده مدير ديوانه السابق الشاذلي القليبي[٢].

وعندما اعدّ الخطاب لم يواجه اي اعتراض لدى المجموعة، غير انه لم ترد فيه أي فقرة أكدت على التزام واضح بالتعددية ما حدا بالأعضاء الى الاتفاق على وجوب ورود فقرة في الخطاب تؤكد التعددية الحزبية ويكون نصاً مقبولاً، لهذا طلب الباجي قائد السبسي من محمد مزالي تحرير النص، فقام محمد مزالي بتحرير فقرة موجزة ومعبرة حظيت بموافقة الجميع اذ كتب **" ان درجة النضج التي بلغها الشعب التونسي وطموحات الشباب، وتوجه اهتمامنا الى اشراك كل التونسيين والتونسيات في جميع مراحل صنع القرار بغض النظر عن ارائهم سواء كانوا داخل الحزب ام خارجه تدعونا الى ان نعلن اننا لا نرى مانعاً في ان ترى النور تشكيلات وطنية اخرى سياسية او اجتماعية ، شريطة ان تتعهد بحماية المصالح العليا للوطن والامتثال للشرعية الدستورية ، والحفاظ على مكاسب الامة ونبذ العنف والتعصب والا تكون خاضعة أيديولوجياً او مادياً لأية جهة اجنبية "**[٣] ،فحظي هذا النص بموافقة اعضاء المجموعة جميعاً واتفق على تكليف محمد مزالي بإبلاغ بورقيبة بهذا الموضوع[٤].

هناك اختلاف في مدى صحة هذه الرواية بين محمد مزالي والطاهر بلخوجة وزير الاعلام في حكومة مزالي واحد المشاركين في الاجتماع ، اذ ذكر مزالي انه هو الذي اعد الفقرة واملاها على الشاذلي القليبي ،وهو الذي اقنع بورقيبة بها فوافق عليها دون تردد، في حين ذكر الطاهر بلخوجة ان محمد مزالي كان متخوفاً من المنافسة السياسية وأعلمهم انه لا يمكن اكراه بورقيبة على شي فاقترح قيام القليبي بمخاطبة بورقيبة مسبقاً واخذ رأيه فلم توافق المجموعة على ذلك، فقاموا بتحرير النص او الفقرة وتكوين وفد لإحاطة بورقيبة علماً بها ، نتيجة لذلك اضطر مزالي الى عرض النص على بورقيبة فتبناه الاخير[٥].

غير ان الباجي قائد السبسي اكد ان محمد مزالي هو الذي حرر الفقرة وهو الذي اقترح ذهاب المجموعة بأكملها الى بورقيبة لتقدم له المشروع وتدافع عنه ، واتفقا على توليهما هذه المهمه وفي النهاية تقرر ذهاب شخص واحد لبورقيبة ،وعرض المشروع عليه فوقع الاختيار على الباجي قائد السبسي، وفي ٩ نيسان ١٩٨١اتصل به مزالي وقال له انه فكر ملياً بالموضوع ،ورأى ان عليه هو اي مزالي تقديم المشروع لبورقيبة ،فوافقه على ذلك على ان يتحمل هو المسؤولية ،فاتصل به مزالي لاحقاً ليعلمه ان بورقيبه ابدى تأييده التام للمقترح،كما ذكر المنجي الكعلي مدير الحزب الاشتراكي الدستوري ايضاً ان

---

(١) - المنجي الكعلي ، المصدر السابق، ص١٤٢؛ الباجي قائد السبسي، المصدر السابق،ص٢٠٦ .

(٢)- بقي الشاذلي القليبي بعد انتخابه اميناً عاما لجامعة الدول العربية قريباً من بورقيبة الذي كان يكن له الاحترام ويثق به ، فكان يحرر له كل خطبة ولا ينفك بإسداء النصيحة . ينظر محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، ص٤١٣.

(٣) - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، ص٢٠٦ .

(٤) - الباجي قائد السبسي، المصدر السابق،ص٢٠٥ .

(٥)-محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ،ص٢٠٦.

محمد مزالي هو الذي تكفل بتحرير النص ، وهذا الفصل هو حصيلة مجهود جماعي وقع اقتراحه على الشاذلي القليبي الذي طلب عرضه على بورقيبة وهو مافعله مزالي[١].

ومما تقدم يتضح ان مزالي هو الذي حرر النص ونال موافقة المجموعة عليه، واراد عرضه على بورقيبة ليتبنى هو المشروع وهذا ماحصل وفق الشهادات اعلاه.

عقد الحزب الاشتراكي الدستوري مؤتمره الاستثنائي الحادي عشر الخارق للعادة يوم ١٠ نيسان ١٩٨١ ،واهم ما جاء فيه اعلان بورقيبة عن التعددية الحزبية قائلاً **" ان درجة النضج التي بلغها الشعب التونسي ، وما يعيشه اليوم الشباب من مطامح ، وما نتصوره من فائدة في اشراك جميع التونسيين في اتخاذ القرارات مهما اختلفت اراؤهم سواء داخل الحزب وخارجه يدعونا الى التصريح بأننا لا نرى مانعاً من ظهور منظمات وطنية سياسية واجتماعية "**[٢] .وجاء هذا التصريح متوافقاً مع ما اقترحه محمد مزالي ووافق عليه جميع اعضاء المجموعة العشرة.

عدت هذه الخطوة من اولى الانجازات المهمة التي حاول مزالي جاهداً تحقيقها ، فعندما اعتلى بورقيبة المنصة لإلقاء الخطاب ، لم يكن مزالي ولا غيره يعرف ما اذا سيقرأ بورقيبة الفقرة المتعلقة بتعدد الاحزاب او لا ، فلما قرأها انفجرت القاعة بالتصفيق فتنفس مزالي الصعداء وكان اكثر المصفقين فرحاً وحماسة، ذلك لان بورقيبة لم يكن متحمساً كثيراً لهذا القرار، لانه كان يعد ذلك تقييداً للنظام السياسي القائم في البلاد انذاك،غير انه وافق عليه لادراكه ان البلاد تغيرت، وان هناك قوى جديدة برزت الى الساحة ولابد من التغير والتجديد داخل هياكل الحزب وخارجه حتى لا تسقط البلاد في دوامة العنف والفوضى مرة اخرى[٣] . فضلا عن ظهور المد الاسلامي في عموم الوطن العربي ،وانتشار اخبار الثورة الاسلامية،واثرها على سير الاحداث في تونس .

حدد المؤتمر تاريخ الانتخابات التشريعية في الاول من تشرين الثاني ١٩٨١[٤]، ثم جرت مناقشة الاعداد السياسي للانتخابات داخل اجتماع وزاري بحضور بورقيبة ومحمد مزالي حول آلية السماح للأحزاب للمشاركة في الانتخابات ، وتركز النقاش اساساً بشأن رفض بورقيبة منح اجازة حزب سياسي لأحمد المستيري[٥] او اي من رفاقه بدخول البرلمان، ذلك لان بورقيبة رأى ان كل القوى السياسية اختلفت

---

[١]الباجي قائد السبسي ، المصدر السابق، ص٢٠٧ ؛ المنجي الكعلي ، المصدر السابق، ص١٤٣.

[٢] - مجلة الدستور،(لندن) العدد ٦٠٠، ٨ اذار ١٩٨٢ ؛مجلة العربي،(باريس)، العدد ٦٧، ٧ كانون الاول ١٩٨٣.

[٣]- مجلة الحوادث،(لندن) ، العدد١٣٣٠، ٣٠ نيسان ١٩٨٢ ؛ مجلة الدستور،(لندن)، العدد ٧٦٢، ٢٤ حزيران ١٩٨٥ .

[٤]-عمر الشاذلي ، المصدر السابق، ص٢٨٠ .

[٥]-احمد المستيري : ولد في ٢٥تموز سنة ١٩٢٥، في مدينة المرسي، من عائلة ثرية من كبار الملاكين العقاريين ، وتعود بجذورها إلى مدينة المنستير ،دخل المدرسة الفرنكو عربية، بعدها التحق بمعهد كارنو ١٩٣٦ ، سافر بعدها الى باريس لاكمال دراسته في كلية الحقوق ، وتخرج فيها في سنة ١٩٤٨، انتمى منذ مطلع شبابه في عام ١٩٤٢ إلى الشعبة الدستورية بالمرسى ، وعند عودته الى تونس التحق بالحزب الدستوري الجديد واصبح من اطاراته الحزبية، اختاره الحبيب بورقيبة وزيراً للعدل في اول حكومة تونسية بعد الاستقلال سنة ١٩٥٦، في سنة ١٩٥٨ اصبح وزيراً للمالية، وبقي في منصبه الى

معه في الاساس عدا مجموعة الديمقراطيين الاشتراكيين التي اختلفت معه في الشكل فقط، فهي لم تكن معارضة للفكر البورقيبي بقدر ما كانت تعبر عن توجه جديد داخل الحزب الاشتراكي الجديد، وان بورقيبة عدّ الامر تنافساً يمكن ان يؤدي الى تداول السلطة، لذلك سعت حركة الديمقراطيين الاشتراكيين من اجل ايجاد موقع قدم لها داخل نظام الحكم يعيد لها امجاد مطلع السبعينيات، وان رغبتها في العودة الى مظلة النظام عكستها جريدة (الراي) الناطقة باسمهم إذ حرصت على ان لاتتعدى معارضتها حدوداً معينة، وان بورقيبة نفسه لمس هذه الرغبة عندما استقبل احمد المستيري سنة ١٩٧٧ بعد انقطاع دام ست سنوات بينهما، اذ وافق على استقبال المستيري طالباً تدخله للسماح لجريدة (الراي) بالصدور، فكان جواب بورقيبة سلبيا في البداية، غير ان المستيري قدم مرافعة لبورقيبة عن اهداف جريدته التي لن تتعرض لنظام قط، وانما ستعمل على النقد البناء الذي يخدم الوضع القائم ،وعلى هذا الاساس وافق بورقيبة مقابل وعد المستيري بعدم تجاوز الحدود التي رسمها له الاول [١] ، وعند احتدام النقاش بين المجتمعين بشأن مشاركة المستيري، اقترح وزير الداخلية ادريس قيقة انه لا يقع الاعتراف بالأحزاب رسمياً ،الا للأحزاب التي تحصل على ٥% [٢]من اصوات الناخبين، وفض الاجتماع على وضع شروط تتم على اساسها المشاركة في الانتخابات[٣]، فمنحت رخص وقتية سمحت لمختلف التنظيمات والتشكيلات بالتقديم للانتخابات على اساس الاعتراف الرسمي بعد التصويت بالتنظيمات الحاصلة على نسبة ٥% من الاصوات[٤] .

تحددت الشروط التي على اساسها يتم تشكل الاحزاب السياسية وهي [٥]:

١- ان تحصل على مالايقل عن ٥% من الاصوات.

٢- نبذ العنف والتعصب الديني.

٣- عدم التبعية الفكرية والمادية لجهات خارجية .

واضاف محمد مزالي شرطاً رابعاً وهو ضرورة قبول الشرعية البورقيبية[١].

سنة ١٩٦٠ بعدها عين سفيراً في موسكو وبعدها القاهرة ثم الجزائر،وفي سنة ١٩٦٦ اصبح وزيراً للدفاع، انتقد بشدة لتجربة بورقيبة الاشتراكية التي جاء بها احمد صالح فقدم استقالته من الوزارة، وكان ينتقده علانية م وقد تعرض للأقالة اكثر من مرة من بورقيبة لاصطدامه مع بورقيبة.بعد ذلك قاد حركة الديمقراطيين الاشتراكيين المعارضة.ينظر احمد المستيري، شهادة للتاريخ (ذكريات وتأملات ١٩٤٠-١٩٩٩)، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠١١.

[١]- مجلة الكفاح العربي،(بيروت)، العدد ٩٢-٧٧٥، ١٧ اذار ١٩٨١ ؛ المنجي الكعلي، المصدر السابق، ص١٤٦.

[٢]- تساوي في تونس مئة الف صوت لكل مليونيين من الناخبين واستخدم هذا الاسلوب حتى ترتكز الاحزاب على اسس تمثيلية صحيحة . ينظر حوار مع الطاهر بلخوجة اجرته صحيفة النهار العربي والدولي، العدد ٢٣٦، ٩كانون الاول ١٩٨١.

[٣]- المنجي الكعلي، المصدر السابق، ص١٤٦ .

[٤]-محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص ٤٦٨ .

[٥]-حسن ابو طالب ، المصدر السابق، ص٤٩ .

تحرك مزالي في اتجاه اجراء حوار مع بعض الاحزاب المعارضة من اجل اقناعهم بالمشاركة بالانتخابات لإعطاء العملية نوعاً من الديمقراطية والنزاهة ،فبدأت الاتصالات بأحمد المستيري الامين العام لحزب الديمقراطيين ألاشتراكيين ، الذي ذكر ان الاتصالات والمفاوضات قد توالت عليه من محمد مزالي والمنجي الكعلي والطاهر بلخوجة ، لإقناعه بالمشاركة لاسيما بعد ان لاحظوا في موقف حزبه نوعاً من التردد والحذر من خوض الانتخابات بسبب المناخ السائد في البلاد آنذاك، اذ ان الظرف السياسي لم يكن مواتياً لحرية التعبير تماماً، فعلى الرغم من سياسة الانفتاح التي استهل بها محمد مزالي حكمه ، لم يتخلص النظام بعد من رواسب احداث ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٨ ومخلفاتها، فضلا عن ذلك فقدان الحزب لقدر ادنى من التنظيم ووسائل النشاط العلني من الامكانيات المادية اللازمة للقيام بالحملة ألانتخابية، غير انه على الرغم من ذلك وافق على دخول الانتخابات بعدد من الشخصيات املاً في الحصول على نسبة ٥% ودخول مجلس النواب[٢]. وقام محمد مزالي ايضاً بفتح حوارات مع التيارات والتنظيمات التونسية المختلفة على قاعدة الشروط المعلنة [٣].

اتصل مزالي ايضا بمحمد بالحاج عمر زعيم حركة الوحدة الشعبية المنشق عن احمد بن صالح، اذ ذكر محمد بالحاج عمر ان محمد مزالي كلمه وطلب مقابلته لمناقشته حول المشاركة في الانتخابات [٤].

عمل الحزب الاشتراكي الدستوري من جانبه على تأليف جبهة وطنية لخوض الانتخابات التشريعية في تشرين الثاني ١٩٨١ تكونت من ممثلين عن الاتحاد العام التونسي للشغل واتحاد الصناعة والتجارة والاتحاد النسائي التونسي ، واتحاد الفلاحين وشخصيات مستقلة[٥] ، وبذلك حصلت حركة الديمقراطيين الاشتراكيين ، وحزب الوحدة الشعبية ، والحزب الشيوعي على حق الاشتراك في الانتخابات بعد منحهم موافقة مؤقتة[٦].

ان السماح لهذه الاحزاب للمشاركة في الانتخابات لانها لم تكن متناقضة كلياً مع مبادئ الحزب الاشتراكي الدستوري، فهم امنوا بالقيم والمعايير التي تبناها الحزب الحاكم غير انهم اختلفوا عنه في عملية التطبيق وفي اسلوب العمل ،فهم يؤمنون بعلمنة المجتمع وتكوين مجتمع صناعي متطور وهم بذلك شأنهم

---

[١]- اعمال المؤتمر الثاني حول بورقيبة والبورقيبيون وبناء الدولة الوطنية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،تونس ٢٠٠١،ص٦٧.

[٢] - احمد المستيري ، المصدر السابق،ص٢٦٥ .

[٣] - نغم اكرم عبدالله الجميلي، تجارب التعددية الحزبية في الوطن العربي نموذج تونس، رسالة مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية في الجامعة المستنصرية بغداد،٢٠٠١،ص٨٣ ؛ احمد المستيري ، المصدر السابق،ص٢٦٥ .

[٤] –سمنارات الذاكرة الوطنية وتاريخ الزمن الحاضر، شخصيات في السلطة والمعارضة من خلال شهادتهم التاريخية، ج١٣،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،نيسان ٢٠١١،ص١٧٦.

[٥]- سالم الحداد ، المصدر السابق،ص٢٠١ ؛ محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة ، ص٤١١ .

[٦] - طه حميد حسن العنبكي ، تطور الحركة الدستورية والديمقراطية في تونس ١٩٨٧-٢٠٠٠، ص٨٣.

شأن بورقيبة في اضطلاعه بإنشاء مجتمع عصري حديث، غير انهم طالبوا بمبدأ انتقالية المجتمع المدني بمعنى الارتكاز على مبدأ الديمقراطية وتكافؤ الفرص والتباين المستقل للمصالح [١]، والسبب الاخر ان المعارضة الحقيقية للنظام البورقيبي لم تأت من هؤلاء كلهم ، ذلك ان خوف حزب الاشتراكي الدستوري يأتى من نقيض الحزب الايديولوجي والفكري ، فلا الحزب الشيوعي ولا الديمقراطيين الاشتراكيين يملكون الافكار المناقضة للحزب[٢].

وهذا يعني ان الاحزاب المشاركة في الانتخابات لا تمثل سوى فئة محدودة من المعارضة، فالاعتراف لم يشمل الحركات الاكثر امتداداً في الاوساط الشعبية والنخب الفكرية والسياسية، فحرمت الفئات اليسارية خارج الحزب الشيوعي من التعبير عن نفسها، وهو الحال نفسه بالنسبة الى حركة التجمع القومي العربي التي مثلت التيار العروبي بمكوناته المختلفة، وحركة الوحدة الشعبية الموالية لأحمد بن صالح ،فضلاً عن حركة الاتجاه الاسلامي كممثل عن التيار الاسلامي[٣] ، ذلك ان هذه الاحزاب اختلفت اختلافاً جذرياً عن النظام بقدر ما تختلف عنه المعارضة التقليدية، لا سيما التيار الاسلامي بفعل انطلاقه من التأكيد بشكل جذري لمفهوم الثقافة والهوية اذ رأوا انه لا يمكن مجابهة مشاكل المجتمع بالتجرد من التراث الحضاري والديني والثقافي [٤]، فكان في ذلك الوقت من التيارات المعارضة التي تمتعت برصيد شعبي نافس فيه الحزب الاشتراكي الدستوري[٥]، لذلك عملت الحكومة على ازالة هذا الخصم الذي شكل خطراً انتخابياً عليه، فأوقف في ١٨ تموز ١٩٨١ ستين قيادياً اسلامياً من حركة الاتجاه الاسلامي وفي مقدمتهم راشد الغنوشي [٦]، وقدموا بسرعة للمحاكمة في تموز ١٩٨١، وأكدت اوساط المعارضة ان محاكمة قادة الاتجاه الاسلامي كانت هشة وغير مقنعة والهدف منها ابعادهم عن خوض الانتخابات[٧].

لذلك لابد هنا باعطاء نبذة عن الاحزاب التي منحت الموافقة القانونية المؤقتة لخوض الانتخابات :

---

[١] - نغم اكرم عبدالله الجميلي، المصدر السابق،ص٨٣ .

[٢]- صحيفة االسفير، (لبنان) ، العدد٢٤٩٥ ،٦نيسان ١٩٨١ .

[٣] - طه حميد حسن العنبكي ، تطور الحركة الدستورية والديمقراطية في تونس ١٩٨٧-٢٠٠٠ ، ص٨٣.

[٤] - نغم اكرم عبدالله الجميلي، المصدر السابق، ص٨٤ .

[٥]- صحيفة الجمهورية ،(القاهرة)، عدد ٩٥١٥، ٦ كانون الثاني ١٩٨٠ ؛ صحيفة الوطن(الكويت) العدد ٢٣٨٦، ٣٠اب ١٩٨١

[٦]- ولد راشد الغنوشي سنة ١٩٤١ بقرية الحامة بالجنوب التونسي،تلقى الغنوشي تعليمه الابتدائي بالقرية، ثم انتقل إلى مدينة قابس، ثم إلى تونس العاصمة، حيث أتم تعليمه الثانوي في جامع الزيتونة. انتقل بعد ذلك إلى مصر لمواصلة دراسته في كلية الزراعة، خصوصا وأنه كان من المعجبين بتجربة عبد الناصر القومية، لكنه لم يستقر بها طويلا، وانتقل إلى دمشق في سوريا، حيث درس بالجامعة، وحصل على الإجازة في الفلسفة، وهناك بدأت تتبلور معالم فكره الاسلامي الاولى،انتقل راشد الغنوشي إلى فرنسا لمواصلة الدراسة بجامعة السوربون، وبموازاة الدراسة بدأ نشاطه الإسلامي وسط الطلبة العرب والمسلمين، كما تعرف على جماعة الدعوة والتبليغ، ونشط معها في أوساط العمال المغاربة، في نهاية الستينيات عاد الغنوشي لتونس وبدأ نشاطه الدعوي وسط الطلاب وتلاميذ المعاهد الثانوية، الذين تشكلت منهم حركة الاتجاه الإسلامي المعروفة بالنهضة،حوكم الغنوشي سنة ١٩٨١ بسبب نشاطه الدعوي والسياسي منها وقد حكم عليه بالسجن ١١ عاما. ينظر راشد الغنوشي ، من تجربة الحركة الاسلامية في تونس ، المركز المغاربي للبحوث والترجمة، تونس.(د-ت).

[٧]- مجلة الحوادث، (لندن) ، العدد١٣٣٠ ، ٣٠ نيسان ١٩٨٢.

١-حركة الديمقراطيين الاشتراكيين

هي حركة دستورية ألمنشأ وليدة الصراع والانقسام داخل الحزب الاشتراكي الدستوري الحاكم، تعود جذورها الى منتصف ألسبعينيات من القرن المنصرم لاسيما الى مؤتمر الحزب في المنستير سنة ١٩٧٤، الذي شهد مطالبة بعض الاعضاء بضرورة احترام الحريات الفردية والعامة، ووجوب تمكين التيارات السياسية في البلاد من حرية التعبير، ومن أبرز رموزها(أحمد المستيري)الذي شغل وزارة الداخلية في حكومة الهادي نويرة، وقد ادى ذلك الانقسام الى انشقاق مجموعة من الدستوريين، وبعثهم الى التيار الليبرالي الذي جعل من جريدة الرأي منبراً له ، وقد افضى هذا العمل الى بروز تيار اطلق على نفسه اسم التيار الديمقراطي الاشتراكي[١] ، الذي سرعان ماتحول الى حركة سياسية اعلن عن تأسيسها يوم ١٠ حزيران ١٩٧٨[٢].

اصدرت الحركة صحيفتين أسبوعيَّتين لهما دور في شرح سياسة الحركة، إذ صدرت الصحيفة الاولى باللغة العربية وسميت بـ"الرأي" ورأس تحريرها (محمد مواعدة) الذي كان من المثقفين البارزين في الساحة السياسية التونسية، وصدرت الأخرى باللغة الفرنسية باسم الديمقراطية "démocratie"، وعلى الرغم من هيمنة الحزب الحاكم على الحياة السياسية، وبما ان التعددية الحزبية لم تكن هي سمة نظام الحكم الاساسية ، فان تزايد الضغوط من التيارات والأحزاب السياسية المختلفة على النظام جعلته انتهاج سياسة قائمة على إفساح المجال للمشاركة السياسية وبصورة أوسع، ما دعا الحركة إلى التقدم بطلب رسمي للحصول على الشرعية والاعتراف بها كحزب سياسي يمتلك الشرعية، لكن السلطات امتنعت عن ذلك وسوّغت ذلك بأن الدستور لا يخول لها سلطة منح تصريح بإنشاء حزب سياسي معترف به [٣].

غير ان حركة الديمقراطيين الاشتراكيين دخلت الانتخابات البرلمانية التي جرت في مطلع تشرين الثاني ١٩٨١ مع عدد من قوى المعارضة، وعلى الرغم من أن الحركة خاضت الانتخابات بـ(١١٦) مرشحاً توزعوا على ١٩ دائرة وحصلت على نسبة٣,٢% وهي أعلى نسبة بين المعارضة، غير انه لم يعترف بها كحزب شرعي، لأن الحكومة اشترطت حصول أي حزب على نسبة ٥% لكي يتم الاعتراف به، ولم تنل التأشيرة القانونية الا عام ١٩٨٣ [٤].

٢- حركة الوحدة الشعبية

---

[١]- سالم لبيض ، الدولة واحزاب المعارضة القانونية ...اية علاقة؟حالة تونس،المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد ٢٧، ٢٠١٠، ص١٢.

[٢]- مهدي جرادات،الاحزاب والحركات السياسية في الوطن العربي ،دار اسامة ، الاردن، ٢٠٠٦، ص٧٦.

[٣]- مجلة النهار العربي والدولي، (باريس)، العدد١٨٠، ١٣تشرين الاول ١٩٨٠.

[٤]- شفيق عبد الرزاق السامرائي ، المصدر السابق، ص٧٩.

تأسست هذه الحركة ذات المنشأ الدستوري سنة ١٩٧٣ تحت اسم حركة الوحدة الشعبية على يد مجموعة من الشباب ،وبعض القياديين الذين كانوا اصلا في تنظيمات الحزب الاشتراكي الدستوري ،اذ ادى طرد احمد بن صالح، صاحب تجربة التعاضديات[١] ،التي عرفتها تونس في ستينيات القرن العشرين ، واحالته الى المحكمة ،وهربه الى فرنسا سنة ١٩٧٣الى اعلانه هناك عن تكوين تيار ضم انصاره عرف فيما بعد بحركة الوحدة الشعبية ،واصدر جريدة في باريس بأسم (الوحدة الشعبية) [٢].

ضمت الحركة تكنوقراطيين وأساتذة جامعات، فضلا عن اعضاء سابقين في الحزب الاشتراكي الدستوري ، وأعلنت في سنة١٩٧٥ تكوين فرع لها داخل تونس، محددة انتماءها السياسي بأنها **"حركة اشتراكية تناضل من اجل تحقيق اهداف تتجاوب مع الجماهير الشعبية التونسية ومع الشباب التونسي ، والغرض من ذلك تحقيق نهضة حضارية ، وتصفية الاستعمار في مجتمعنا ، وضمان استقلالنا وكرامتنا الوطنية ، وإرساء الاسس الهيكلية الاقتصادية والثقافية وما يرتبط بالمؤسسات لإقامة مجتمع اشتراكي طبقاً لما يقتضيه تدرج ديمقراطي نحو الاشتراكية"**[٣].

شهدت الحركة انقساماً في بداية الثمانينيات من القرن المنصرم الى مجموعتين ، مجموعة بقيادة احمد بن صالح عرفت بمجموعة الخارج ،بقيت تعمل خارج نطاق الشرعية القانونية ومجموعة بقيادة محمد بالحاج عمر عرفت بجماعة الداخل، الذي انتهج سياسة قائمة على الاعتراف بشرعية النظام البورقيبي، كما قام عام ١٩٨١ بتقديم طلب للاعتراف بالحركة كحزب سياسي شرعي عمل على الساحة السياسية التونسية، غير انه السلطات التونسية رفضت الطلب[٤].

منحت موافقة مؤقتة للمشاركة في الانتخابات البرلمانية التي جرت سنة ١٩٨١ ، وحصلت على نسبة ٠,٨% من أصوات الناخبين، وهذه النسبة لم تؤهلها للحصول على الشرعية القانونية للاعتراف بها كحزب سياسي،وقد حصلت الحركة على حق العمل القانوني بشكل رسمي وشرعي في تشرين الثاني ١٩٨٣ عندما رأت الحكومة التونسية أن هذا الحزب لا يشكل أي خطورة على النظام السياسي البورقيبي[٥].

---

[١]-وهي تجربة تم تطبيقها في تونس في مرحلة الستينيات، المسؤول عنها احمد بن صالح وزير الاقتصاد سنة ١٩٦٢ ، ويتلخص برنامجه الذي تم بموافقة الحزب والحكومة، في وضع كل مقدرات البلاد تحت سلطة الدولة،واقامة تعاضديات(تعاونيات)زراعية ،من خلال دمج الاراضي الصغيرة المجاورة الى اراضي الدولة ،ويدير كل تعاضدية لجنة مكونة من ملاك الاراضي والفنيون . وتقوم الدولة بتطوير وتنظيم القطاعات الاقتصادية في الصناعة والتجارة والفلاحة، ولكنها تجربة حكم عليها بالفشل من قبل بورقيبة نفسه سنة ١٩٦٩. للمزيد ينظر مجموعة الحقيقة التونسية، المصدر السابق،ص٣٨.

[٢]- سالم لبيض ، الدولة واحزاب المعارضة القانونية ...اية علاقة؟حالة تونس، ص١٣؛نغم اكرم عبدالله الجميلي، المصدر السابق،ص٩٣.

[٣]- فايز سارة ، الاحزاب والحركات السياسية في تونس ١٩٣٢-١٩٨٤،مكتب الخدمات الطباعية ، دمشق، ١٩٨٦، ص٧٤.

[٤] - سالم لبيض ، الدولة واحزاب المعارضة القانونية ...اية علاقة؟حالة تونس، ص١٣.

[٥]- شفيق عبد الرزاق السامرائي ، المصدر السابق، ص٧٩.

٣- الحزب الشيوعي التونسي

نشأ الحزب الشيوعي التونسي في مطلع العشرينات من القرن العشرين، بوصفه فرعاً من فروع الحزب الشيوعي الفرنسي، وعلى الرغم من القرار الذي اتخذه بعض ناشطيه بتونسة الحزب في المؤتمر الذي عقدوه في ٢١-٢٢ ايار ١٩٣٩ اذ غير فيه اسم الحزب الى الحزب الشيوعي التونسي ، وانتخاب علي جراد امیناً عاما له، فإنه لم يستطع التمايز والانفصال عن الحزب الشيوعي الفرنسي ، وهو ما أشار اليه في هذا المجال تصريح الامين العام للحزب في حزيران ١٩٤٤الذي جاء فيه **" ان المعركة التي نخوضها يجب ان تتواصل حتى تحرير فرنسا الكلي الى حد القضاء على الهتلرية ، عدو الانسانية وسيحدد مصير تونس بهذه المعركة حيث تكون تونس وفرنسا مشاركتين في مجموعة اخوية فتسير الى الامام نحو مزيد من الحرية والعيش الكريم "**[١].

بُنيت سياسة الحزب الشيوعي التونسي طوال مدة الاستعمار الفرنسي على فكرة الاتحاد بين فرنسا ومستعمراتها ، ومن ثم ضرورة ربط مستقبل الشعب التونسي بالشعب الفرنسي،ولم يستطع الحزب الشيوعي التونسي تحقيق أهدافه بسبب عدم ثقة الشعب بطروحاته ومعاداة الحزب الدستوري له، إذ لم تكن نظرة الشيوعيين التونسيين لقضية التحرر الوطني نابعة من تحسسهم لواقع الاضطهاد الذي مارسه المستعمرون والتخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي عانت منه تونس، بل حرصهم قام على إنهاء الصراع بين الشعب العربي في تونس والفرنسيين المستعمرين[٢].

عمل الشيوعيون في تونس بشكل علني على حين كانت الأحزاب الأخرى القادرة على منافستهم مقيدة من جانب السلطات الفرنسية، كما ان قيادة الحركة الشيوعية في تونس ظلت في أيدي مثقفين ينحدرون من الشرائح البرجوازية الصغيرة للمدن الكبرى، أما قاعدتها فتشكلت من صغار الموظفين ومن بعض الفئات العمالية[٣].

تغيرت مواقف الحزب ابان مرحلة الاستقلال بما ينسجم والخط العام الذي رسمته الحكومة التونسية، فشارك في الانتخابات التي افرزت مجلساً تأسيسياً قام بأعلان دستور ١٩٥٩[٤]، فرأت الحكومة أن الحزب لا يشكل أي خطر عليها وسمحت له بالعمل بشكل علني، وأن تكون له صحفه الخاصة به، إذ كان يصدر صحيفتين إحداهما باللغة العربية واسمها (الطليعة) والأخرى بالفرنسية واسمها منبر التقدم"progressdePlatform"، الا أن سنة ١٩٦٢ شكلت منعطفا خطيراً للحزب لاسيما بعد أن اتهم

---

[١]- توفيق المديني ، المعارضة التونسية نشأتها وتطورها ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ٢٠٠١، ص٢١١.
[٢]- فايز سارة ، المصدر السابق، ص١٣٨.
[٣]- الهادي التيمومي،دور القضية الفلسطينية في تعميق الوعي القومي العربي في المغرب العربي،مجلة المستقبل العربي ،عدد٧٢،شباط،١٩٨٢،ص١٠١.
[٤]- سالم لبيض ، الدولة واحزاب المعارضة القانونية ...اية علاقة؟حالة تونس، ص١٦.

بالتخطيط للمحاولة الانقلابية الفاشلة ضد الرئيس بورقيبة، اذ رأى بورقيبة أن الحزب الشيوعي قد ساهم في (المؤامرة) بفعل لغة النقد واللهجة الشديدة التي اعتمدها في كتاباته، لاسيما في عدد من المقالات التي تحدثت عن قصور التجربة البورقيبة وخرافة الاشتراكية الدستورية وبناء النظام لفائدة الأقلية،ما جعل الحكومة تعمل على منع نشاط الحزب، واغلقت مقراته وعطلت صحفه ومع ذلك ظل الحزب يعمل سريا على وفق برنامج محدد[١].

وبعد اعلان مزالي عن برنامجه الديمقراطي أجرى اتصالات مع محمد حرمل امين الحزب الشيوعي العام للمشاركة في الانتخابات، فاستأنف الحزب الشيوعي نشاطه العلني في الانتخابات البرلمانية التي جرت سنة ١٩٨١ بقيادة محمد حرمل زعيم الحزب، اذ شارك في الانتخابات بـ ٤٢ مرشحاً على ٦ دوائر وحصوله على ٠,٧% من أصوات الناخبين ، وعلى الرغم من عدم حصول الحزب على النسبة المطلوبة التي حددتها الحكومة للاعتراف بأي حزب وهي ٥% غير انه اعترفت بوجوده القانوني كحزب قائم بعيداً عن شرط النسبة المفروضة [٢].

اعلنت الحكومة التونسية ان الدعاية للانتخابات ستبدأ قبل ثلاثة اسابيع من يوم اجراء الانتخابات فقط، وان الدولة ستمنح لكل المتنافسين سواء كانوا من الحزب ام من اصحاب الانتماءات السياسية الاخرى فرصة الدعاية التقليدية عن طريق الصحف والاذاعة والتلفزيون[٣] ، واتفق على ان تقع الحملة الانتخابية في نطاق الديمقراطية مع بقاء السلطة على الحياد ، وان لا يشوش الحزب على المعارضة ولا هي تشوش عليه ، لتكون حملة انتخابية نظيفة لا يستطيع احد ان ينسبها لنفسه وكان ذلك بقرار من بورقيبة[٤] .

انطلقت الحملة الانتخابية بصفة رسمية من ١٠ تشرين الاول الى ٢٨ من الشهر نفسه، ووزعت حصص التحدث على الاذاعة والتلفزيون متساوية وعن طريق القرعة، وكذلك بالنسبة لاماكن تعليق القائمات والدعاية ،تم كل شيء في كنف القانون والشفافية[٥]، فبدأ المرشحون من الجبهات كافة بالتنافس بطرح برامجهم، واخذت الاجتماعات تشهد اقبالاً كبيراً ،وسادت الصحف المعارضة المقالات لنقل الاحداث والتطورات[٦] ، غير انه على الرغم من ذلك بدأت تظهر بعض المحاولات من الحزب الاشتراكي

---

[١]- توفيق المديني ، المعارضة المصدر السابق، ص٢١٥ .
[٢]- سالم لبيض ، الدولة واحزاب المعارضة القانونية ...اية علاقة؟حالة تونس، ص١٦.
[٣] - مجلة المستقبل ،(باريس) ،العدد٢٤٠، ٢٦ ايلول ١٩٨١.
[٤]- المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار مع المنجي الكعلي، السنة ٣٨، الاعداد ١٤٣-١٤٤، تشرين الاول وتشرين الثاني، ٢٠١١ ، ص١٩٩ .
[٥] - محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص٤٦٨ .
[٦]- صحيفة الرأي ،(الاردن) عدد ٤١٩٦، ٢١ كانون الاول١٩٨١.

الدستوري [١]، منها الضغط على القائمة المنافسة له في العاصمة وهي قائمة حركة الديمقراطيين الاشتراكيين بقيادة رئيسها احمد المستيري لابطال قائمتهم، غير انها تغلبت على كل المحاولات وثبتت قائمتها ،لاسيما وان احمد المستيري خاض حملة انتخابية دعائية ناجحة،ونجح في الظهور بمظهر رجل الدولة القادر على ان يكون بديلاً ناجحاً ، واستطاع ان يستعمل لغة سهلة شبيه بأسلوب بورقيبة، كل ذلك اثار رد فعل سلبي لدى بورقيبة[٢]، فضلاً عن ذلك ضم حزب المستيري مرشحين ذوي سمعة طيبة ، فخشي الدستوريون وبعض المقربين من بورقيبة من احتمال فشل قائمة الحزب فعملوا على تأجيج عداء بورقيبة للمستيري الذي برز كأفضل ممثل للعاصمة [٣].

شهدت تونس في الاول من تشرين الثاني ١٩٨١ اول تجربة انتخابات منذ الاستقلال ،وبعد انتهاء الانتخابات اعلن عن النتائج الرسمية في اليوم التالي، وجاءت نتائج الانتخابات مخيبة لأمال المعارضة اذ فشلت في الفوز بأي مقعد داخل مجلس النواب[٤]، وبفوز الحزب الاشتراكي الدستوري فوزاً ساحقاً، اذ اعلن ان الجبهة الوطنية التي تزعمها الحزب الاشتراكي الدستوري حصلت على ٦٤,٦% في حين حصلت حركة الديمقراطيين الاشتراكيين ٣,٢% ، وحركة الوحدة الشعبية ٠,٨%،وحصل الحزب الشيوعي التونسي على ٠,٧% [٥] ، وعلى الرغم من ان احمد المستيري زعيم حركة الديمقراطيين الاشتراكيين خاض الانتخابات ب ١١٦ مرشحاً توزعوا على ١٩ دائرة انتخابية، ومحمد حرمل زعيم الحزب الشيوعي التونسي خاض الانتخابات ب٤٢ مرشحاً توزعوا على ٦ دوائر، وحركة الوحدة الشعبية قدمت ٥٩ مرشحاً في ٩ دوائر انتخابية[٦].

وبفوز الجبهة الوطنية استطاعت الحصول على مقاعد مجلس النواب جميعها والبالغ عددها ١٣٦ مقعداً، وفي النهاية لم تنجح أي من التجمعات السياسية الاخرى من الفوز بالنسبة المقررة ومن ثم لم تنل أي منهما الشرعية القانونية للحصول على التأشيرة للعمل الحزبي[٧].

اعلنت وزارة الداخلية بعد ذلك ان القوائم جميعها التي واجهت الجبهة الوطنية لم تحقق مجتمعة نسبة ٤,٧١% من الاصوات[٨].

---

[١]- محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص٤٦٨ .
[٢]- مجلة الحوادث(لندن)، العدد١٣٣٠، ٣٠ نيسان ١٩٨٢.
[٣]- الطاهر بلخوجة ، المصدر السابق، ص٣٠٤.
[٤]- صحيفة الانباء،(الكويت)، العدد٣٣٧٢، ١٤ايار١٩٨٥.
[٥]- الطاهر بلخوجة ، المصدر السابق، ص٣٠٤.

[٦]-حازم صباح أحميد الدوري،صراع الهوية الوطنية في تونس، رسالة ماجستير غير منشورة ،مقدمة الى كلية العلوم السياسية -جامعة بغداد،٢٠٠٤ م، ص١٥٤ .
[٧] - مجلة كل العرب،(باريس)، العدد ٦٧، ٧ كانون الاول ١٩٨٣ .
[٨]- صحيفة الراي ، (الاردن)، العدد ٤١٩٦، ٢١ تشرين الثاني ١٩٨١.

تصاعدت الاصوات واتهمت الحكومة بالتدخل بالانتخابات وادانت الاحزاب المعارضة بشدة نتائج الانتخابات واتهمتها بالتزوير وردت بعنف، اذ عقد احمد المستيري زعيم حركة الديمقراطيين الاشتراكيين ندوة صحفية في ٩ تشرين الثاني ١٩٨١ اتهم فيها وزير الداخلية بالتزوير قائلاً: **" انـي اتهـم وزيـر الداخلية والولاة والمعتمدين بتزوير نتائج التصويت، وان النتائج المعلن عنها لا تطابق ما اختاره الشعب ، لقد وقعت الاستهانة بالقانون"**[١] .

اتجه المعارضون الى مجلس النواب في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨١ يوم افتتاح دورته وقدموا طلباً للطعن بالانتخابات ،فرفض الطعن وصرح الوزير الاول محمد مزالي قائلاً **" من الناحية الحسابية لا يستحق أي مرشح من المعارضة ان ينتخب ولا يستطيع احد الادعاء بانه حصل على ما يكفي من الاصوات ليكون منتخباً"** [٢] .

بعد ذلك اجتمع الديوان السياسي للاستفسار من وزير الداخلية ادريس قيقة عن حقيقة نتائج الانتخابات واستجوبه كل من الطاهر بلخوجة ومنصور معلى ، غير ان وزير الداخلية امتنع عن أي تعليق واكتفى بقوله **" نحن في نظام رئاسي وقد قدمت تقريري الى رئيس الدولة"**[٣].

عدت انتخابات تشرين الثاني ١٩٨١ اول انتخابات تعددية منذ انتخابات سنة ١٩٥٩ علق عليها الشعب التونسي امالا عريضة ، فهي جاءت في مرحلة كان شعارها الانفتاح السياسي والاصلاح واعلان التعددية الحزبية، وعّد فشلها في ارساء الديمقراطية مؤشراً على فشل سياسة الانفتاح التي وعد بها مزالي ،فسبب ذلك شعوراً عاماً بالإحباط والخيبة واعترف بهذا التزييف عدد من المسؤولين الذين عايشوا تلك الاحداث وجاء اعترافهم بعد خروجهم من الحكم ، فمن المفارقات ان محمد مزالي نفسه قضى على هذه التجربة من خلال اعترافه بالتزوير بعد خروجه من الحكم، رغم تأكيد محمد مزالي وادريس قيقة وقتها بأن الانتخابات تمت في كنف الديمقراطية وفي ظل حياد الادارة النزيهة وحمايتها ،غير ان الاثنين بعد ان غادروا الحكم اعترفا في سياق التهم المتبادلة بينهما بأن نتائج انتخابات ١٩٨١كانت مزورة نزولا عند رغبة بورقيبة[٤].

اذن جرت الانتخابات في صورة لم يكن يريدها مزالي لتجربته فعلقت بحكومته تهمة التزوير[٥].

ولتوضيح عملية التزوير لابد لنا من ذكر الشهادات على ذلك، منها ان بورقيبة استدعى وزير داخليته ادريس قيقة قبل ليلة من يوم الانتخابات وطلب منه ان تكون الصناديق كلها مليئة بالدستوريين اذ ذكر

---

[١] - احمد المستيري ،المصدر السابق، ص٣٤٨.
[٢] - محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص٤٦٩ .
[٣]- المصدر نفسه، ص٤٦٩.
[٤] – اعمال المؤتمر العالمي السابع للدراسات البورقيبية حول دولة القانون واتخاذ القرار في تونس وفي المغرب العربي ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ومؤسسة كونراد اديناور ،تونس ،شباط ٢٠٠٩ ، ص٢٠٧ .
[٥] - الطاهر بلخوجة ، المصدر السابق، ص٣٠٦ .

ادريس قيقة **" ان بورقيبة امره بتزييف الانتخابات قائلاً له سي ادريس يجب الا تصدق ان الشعب التونسي ناضج للديمقراطية "** [١]،وان بورقيبة اعطى قبل يوم من الانتخابات التشريعية التي انتظمت في اول تشرين الثاني ١٩٨١ تعليماته الى وزير الداخلية ادريس قيقة من دون علم محمد مزالي بألا يمكّن أي عنصر من عناصر المعارضة من النجاح، وان يبقى البرلمان خالصاً للعناصر الدستورية من دون غيرهم [٢]، واشارت الشهادات ايضاً ان ادريس قيقة قام بزيارة لمحمد مزالي في المنستير مسقط راس الأخير الذي تواجد فيها لترويج حملته الانتخابية بوصفه رئيس قائمة الحزب الحاكم في مدينة المنستير، واعلم ادريس قيقة الوزير الاول بقرار بورقيبة القاضي بالحيلولة من دون انجاح أي قائمة معارضة مهما كانت[٣]، اما مزالي فذكر ان ادريس قيقة جاءه الى مدينة المنستير على عجل ليطلب منه اجراء محادثة على انفراد، اذ تظاهر ادريس بالاسف لانه عاجز عن احترام القانون في عملية التصويت ، كما تقرر ذلك في الديوان السياسي وان بورقيبة أمره بأنجاح كل قوائم الحزب الاشتراكي الدستوري قائلاً له**" انا اعرف ان الشعب التونسي ورائي"**[٤].

طلب بورقيبة تغيير نتائج الانتخابات بعد ان ابلغه وزير داخليته بتصويت عدد كبير من الناخبين لصالح قائمات حزب الديمقراطيين الاشتراكيين ما ادى الى تقدمها بشكل كبير في العاصمة تونس[٥].

هناك من يتهم وسيلة بنت عمار زوجة بورقيبة بأن لها الدور الكبير في افشال تجربة الانتخابات التشريعية لسنة ١٩٨١، وانها هي من دفعت ادريس قيقة وزير الداخلية الى اخبار بورقيبة بتقدم قائمة الديمقراطيين الاشتراكيين لان الوضع الجديد جلب لها(الحيرة) ،فهي خشيت تهميشها بسبب التقارب الحاصل بين محمد مزالي واحمد المستيري وان تراجع الحزب الاشتراكي الدستوري في مجلس النواب لا يتوافق مع توجهها ، فعملت على توحيد جهودها مع ادريس قيقة لايقاف هذا التقدم، وقد شوهدت في صباح يوم الانتخابات مع والي تونس مهذب الرويسي في قصر الحكومة [٦]، وهذا ما ذكره مزالي، اذ ان وسيلة دعت قبل تشرين الثاني ١٩٨١ عدداً من المسؤولين في الحكومة لتحذيرهم من الافراط في التسيب وأفهمتهم ان ذلك يغضب بورقيبة [٧] ، واستعانت بوالي تونس مهذب الرويسي لمساعدتها في ذلك فضلاً عن بقية الولاة[٨] في المدن الاخرى فما كان منهم الا ان قاموا بتنفيذ تعليمات وزارة الداخلية بحذافيره،

---

[١]- مقابلة مع ادريس قيقة اجراها الصافي سعيد في باريس ١٩٨٧ .ينظر الصافي سعيد، المصدر السابق، ص٣٦٤.
[٢]- سالم الحداد، المصدر السابق،ص٢٠٢.
[٣]- الباجي قائد السبسي ، المصدر السابق ،ص٢٠٩.
[٤]- محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة ، ص٤٣٢ .
[٥]- عبد الجليل بوقرة، النظام البورقبي الصعود ولانحدار ١٩٥٦-١٩٨٧ ،ص٨٣.
[٦] - عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص٢٨٠-٢٨١ .
[٧]- محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، ص٤٣٩ .
[٨]- الولاة:الوالي هو الذي يدير الولاية وممثل للحكومة المركزية والرئيس الاعلى لكافة موظفي اجهزة الادارة الجهوية ،ويتبع الوالي مدير الادارة الجهوية بوزارة الداخلية ،غير انه مسؤول مباشر امام رئيس الجمهورية الذي يتولى تعيين

وبعد الانتخابات لما سأل اعضاء الحكومة ادريس قيقة عن عدد النقاط التي حصلت عليها احزاب المعارضة ، لم يتردد في اجابتهم بأنه لم يكن سوى منفذ وينبغي ان تطلب النتائج من القصر [١].

ذكر المنجي الكعلي مدير الحزب الاشتراكي الدستوري ان العبرة التي استخلصت من الانتخابات التشريعية لعام ١٩٨١ هو ان غالبية المسؤولين بمن فيهم الوزير الاول محمد مزالي كانوا على حسن نية ، ويودون ان تجري الانتخابات في جو ديمقراطي وتفتح وحواراً وشفافية مطلقة غير انه وقع التزوير في اخر المطاف لان هناك من لا يريد لها النجاح [٢] .

قام بورقيبة بإسقاط وزارة مزالي في اول عمل لها ولم يسمح له بأن يحقق هذا الحلم الذي انتظره الشعب التونسي منذ عام ١٩٥٩ فكان على مزالي ان يدرك ان ما يقوله بورقيبة غير ما يفعله وعليه ان يسايره بأفعاله لا بأقواله ، غير ان ذلك لم يمنعه من مداراة بورقيبة وإقناعه بالسماح لحركة الديمقراطيين الاشتراكيين وحزب الوحدة الشعبية بالوجود على الساحة السياسية فمنحت تأشيرة قانونية في ١٩ تشرين الثاني ١٩٨٣ كأحزاب رسمية فضلا عن رفع الحظر عن الحزب الشيوعي التونسي الذي أوقف سنة ١٩٦٣، مع الثقة الكاملة بإن مفتاح الاختيارات الاساسية ما زالت بيد بورقيبة وان مزالي لا يستطع ان يغير حتى لو اراد التغيير [٣].

يظهر مما تقدم تداعيات الديمقراطية التي اراد مزالي تحقيقها في تونس ،اذ حاول وضع الخطوة الاولى لها ،وان تكون هذه الخطوة مفتاحاً للتغيير في تونس، غير انه اصطدم بعراقيل كثيرة اهمها الرغبات الشخصية للسياسيين الكبار في الدولة، لان الرغبة في الاحتفاظ بالسلطة قد دفعت الى الرضوخ الى التزوير، ورفض كافة انواع المشاركة في الحكم ، وعلى الرغم من اصرار محمد مزالي في البداية على المضي قدماً في ان تكون حكومته مختلفة عن سابقتها، غير اننا نرى انه لم يفعل شيئاً ،ولم يتخذ موقفاً جاداً وصلباً ازاء عملية التزوير، واستمر في الحكم مع علمه بقضية التزوير ،اذ كان عليه الدفاع بشدة عن المشروع الذي تبناه وانجاحه حتى لو كلفه ذلك اقالته من الوزارة.

رابعاً-تصاعد نشاط الاسلاميين وموقف مزالي منه.

اتسمت علاقة الاسلاميين بالنظام البورقيبي بالتذبذب[٤] ، ومن الصعب تحديد امتداد تاريخي لتوتر العلاقة بين السلطة السياسية والجماعات الاسلامية ، اذ شكلت السنوات ١٩٥٦ الى ١٩٦٦ قمة الصراع

الوالي وانهاء مدة خدمته،يقوم الوالي بتنسيق نشاط موظفي الدولة والمؤسسات العمومية ،والمحافظة على النظام وتنفيذ القانون،وتوجيه اعمال مجالس البلديات ،والاشراف على قوات الامن والحرس الوطني والجيش في الولاية. للمزيد عن اختصاصات الولاة ينظرحسن احمد توفيق ،الادارة العامة في جمهورية تونس ،مطبعة العاصمة ،القاهرة ١٩٧٢،ص١٨.

[١]- سالم الحداد ، المصدر السابق، ص٢٠٢ ؛عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص٢٨٠-٢٨١ .

[٢]- المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار مع المنجي الكعلي ، ص٢٠٠ .

[٣]- سالم الحداد ، المصدر السابق، ص٢٠٢ .

[٤] – سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص١٣٧ .

بينهما، ففي هذه المرحلة اسس فيها الكيان الدستوري والقانوني في الدولة الجديدة، اذ شهدت بداية اعلان السياسة العلمانية وتنفيذها، وشهدت المرحلة ١٩٦٧- ١٩٧٢ لحظات مختلفة من التوتر والصراع بين السلطة السياسية والجماعات الاسلامية[١] ، ويعود الخلاف الجوهري بين المؤسسة الدينية والسلطة السياسية الى طبيعة المشروع التحديثي والاجتماعي الذي اقترحته الدولة التونسية الجديدة ، لاسيما الخطاب السياسي الذي شجع على تحرير المرأة من خلال اعلان قانون الاحوال الشخصية، والغاء كل تمييز عنصري تجاه المرأة ومساواتها والرجل دونما حيف او تمييز ، اما في مرحلة السبعينيات ركن الصراع الى الهدوء نوعاً ما ،وذلك لانشغال الحركة الاسلامية بعملية البناء الداخلي سواء على الصعيد التنظيمي ام على صعيد الخطاب الفكري والسياسي من خلال تفاعل الافكار داخل الحركة ما ساعدها على بناء خطاب متميز وشديد التأثر بالظروف المحلية داخل الحركة هذا من جانب [٢]،ومن جانب اخر فقد اخذت الدولة تعامل الاسلاميين من منطلق انتهازي توظيفي، اذ رأت فيهم ادارة الحزب التي تولاها محمد الصياح افضل وسيلة لمحاربة المد اليساري ، الذي غزا الجامعة وعجز الطلبة الدستوريون عن التصدي له على الرغم من ما تمتعوا به من دعم مادي ومعنوي من الحكومة ومن الحزب الحاكم[٣]،وهذا ما اكده راشد الغنوشي اذ قال **" ما من شك ان التيار الاسلامي ساهم في اضعاف التيار اليساري، غير ان من العبث ادراج هذا ضمن التفسير التآمري بمعنى ان هذه الظاهرة الاسلامية الضخمة هي نتيجة مؤامرة او لعبة اوجدها النظام التونسي، وبالتالي لا يمكن لها ان تتخلص منها ، والحقيقة ان الانظمة يمكن ان تكون قد استفادت من ظهور التيار الاسلامي في اضعاف التيار اليساري"** [٤].

اما في مرحلة الثمانينيات فقد ارادت الحركة دخول المجال السياسي مستفيدة من الظروف السائدة حينذاك ،فضلاً عن رغبتها في الانفتاح على المجال السياسي والتوافق ومكوناته ، لا سيما ما ابدته حكومة مزالي من مبادرات ومؤشرات على بداية الانفراج السياسي [٥].

وهنا لا بد من اعطاء نبذة عن هذه الحركة الاسلامية ومعرفة بداية تأسيسها .

بعد استقلال تونس سنة ١٩٥٦ اعلن الحبيب بورقيبة سياسة قوامها العلمانية منهجاً فكرياً وسياسياً لبناء الدولة التونسية الحديثة ، فأصدر مراسيم عديدة لتطبيق تلك السياسة ، اولها ربط مسجد الزيتونة

---

[١]- المنصف وناس، الدين والدولة في تونس ١٩٥٦-١٩٨٧ ، مجلة المستقبل العربي، السنة ١٢، العدد ١٣١، ١٩٩٠، ص٩٧ .

[٢]- عبد الحكيم ابو اللوز ، علاقة الحركات الاسلامية مع الانظمة السياسية (الحالة التونسية ١٩٨١-١٩٩١) ، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢٢، بيروت، ٢٠٠٩،ص١٣٧ .

[٣] - سالم الحداد، المصدر السابق، ص٣٠٩ .

[٤]- راشد الغنوشي ، المصدر السابق ، ص٥٩.

[٥] -عبد الحكيم ابو اللوز ، المصدر السابق، ص١٣٧ .

بنظام التعليم العلماني ، والغاء القضاء الاسلامي ، ثم اصدار قانون الاحوال الشخصية بشكل يناقض محتواه والتعاليم الاسلامية ، فضلاً عن منع الحجاب والصيام في شهر رمضان للعاملين في الدوائر الحكومية[١] ،استمر التناقض بين الجانبين الى بداية السبعينيات ، اذ شهدت تونس تنامياً متزايداً في قوة التيار الديني الاجتماعي معبراً عن ازمة حضارية تمثلت في مواجهة متطلبات التنمية، لا سيما مع غياب مشروع سياسي واجتماعي قادر على تحقيق التطلعات الشعبية، فبدأت الحركة في هدوء تام في بداية تأسيسها ولم تحدث مواجهه مع السلطة ما مكنها من بناء قواعدها [٢] .

قوى التيار الاسلامي وجوده ونشر خلاياه من خلال كوادر التعليم التي ادت دوراً بارزاً في عملية تطوير الحركة الاسلامية ،ومثال ذلك الدور الذي قام به راشد الغنوشي استاذ الفلسفة ، اذ قامت هذه العناصر بنشر دعوتها الاسلامية في الجنوبي التونسي ومن ثم في عموم البلاد ، وعقد هذا التيار مؤتمراً في قرية دوز بالجنوب سنة ١٩٧٤ وبدأت الحركة توزع منشوراتها السرية[٣]،فتكونت من التقاء تيار واسع من الالوان الفكرية والنوازع الدينية والامزجة المتعددة لمجموعة من عناصر، تلقت تكويناً اسلامياً تقليدياً وارتبطت بالأوساط الدينية، فالنواة المؤسسة والمبادرة للعمل الاسلامي بتونس تكونت من راشد الغنوشي المتأثر بالافكار الدينية والاصلاحية في كل من مصر وسوريا ، ومن عبد الفتاح مورو[٤] المتأثر بالحركة الصوفية ، الذي مثل الاتجاه الاسلامي المعتدل ثم انضم اليهم مجموعة من الشباب [٥]، وركزت الجماعة عملها في الجامعات والثانويات والمعاهد التربوية والمساجد، وتمكنت من استقطاب العديد من الأنصار، وتركزت اهم اهداف هذه الجماعة في إعادة احياء القيم والمبادئ ، ومفردات الثقافة الاسلامية ، ومقاومة الغزو الفكري وافرازات التأثر بالعلمانية الغربية[٦] .

---

[١] - سؤدد كاظم مهدي ، الحركة الاسلامية في تونس (النشأة والتطور)، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية العدد ٣٩، ايلول ٢٠١٢،ص٢٩٩.

[٢]-نغم اكرم عبدالله الجميلي، المصدر السابق، ص٩٧ ؛المنصف وناس ، المصدر السابق، ص٩٧ .

[٣] - طه حميد حسن العنبكي، النظام السياسي التونسي ١٩٥٦-١٩٨٩ ، ص١٩١ .

[٤]-عبد الفتاح مورو: ولد في مدينة تونس العاصمة في ١ حزيران ١٩٤٨ درس في المدرسة الصادقية، ثم التحق بكلية الحقوق حيث حصل على لسيانس سنة ١٩٧١ ،وكان قد تأثر بالحركة الصوفية على يد الشيخ احمد بن ميلاد الذي كان يلقيها في جامعة الزيتونة في اواسط الستينات وتقدم فيها ،وكان مرشحاً لان يكون المقدم في تلك الحركة ، في بداية انتماءه الى التيار الاسلامي المؤسس جمع بين الحركتين الى ان انحاز الى الحركة الاسلامية بالكامل وترك الصوفية بعد سنتين من النشاط الاسلامي . ينظر توفيق المديني، المصدر السابق، ص٢٤٤.

[٥]- امثال صلاح كركر، واحميدة النيفر، وصلاح الدين الجورشي الذين مثلوا فيما بعد الاتجاه الاسلامي التقدمي.المصدر نفسه، ص٢٤٤ .

[٦]-نغم محمد صالح ، الحركة الاسلامية في المغرب العربي، تونس ، الجزائر، دراسة لدورها السياسي في ظل التحولات الديمقراطية، اطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٦، ص١٠٣.

اقتصر عملها في البدء على النشاط الدعوي الثقافي والتربوي الفكري ، وابتعدت عن المجال السياسي المباشر [١]، فتمكنت من تحقيق قفزة في بنيتها التنظيمية لان غالبية كودارها من المثقفين الشباب الذين تلقوا تأهيلهم في الجامعات التونسية ذات المناهج العلمانية، واقتصرت توجهاتها في المدة ما بين ١٩٧٢- ١٩٨١ على الجوانب الثقافية والتربوية والفكرية من منطلق بعث الشخصية الاسلامية ، ووضع حد للتبعية للغرب من دون الدعوة الى العنف[٢] ، فكان ذلك واضحاً من خلال المواضع التي طرحتها الحركة في مجلة (المعرفة) لسان حال الحركة الاسلامية ، وعكست لسان حال الاسلاميين بالثقافة الاسلامية ليس غير، وهذا ألامر جعل النظام السياسي البورقيبي لم يرى في الحركة في تلك المدة اي خطر او تهديدا للنظام السياسي وعلى هذا الاساس ساد نوع من التعايش بين الطرفين نوعاً ما[٣] .

غير انه مع تمكن الحركة من اكتساب قاعدة شعبية واسعة ، واستناد الخطاب الاسلامي الى الرموز الدينية والحجج الاسلامية أساساً لاضفاء الشرعية على المسائل السياسية ، دفع الحركة الى عملية توسيع نشاطاتها داخل المجتمع وتحول نشاطها الى العمل السياسي ، وانتقاد العمل الحكومي وكانت الحملات الاعلامية الاسلامية مستمرة من خلال مجلتي (المجتمع) و(الحبيب) اللتين صدرتا عامي ١٩٧٩و١٩٨٠ الى جانب ما قام به راشد الغنوشي من القاء الدروس والخطب في المساجد[٤] ،ومع تنامي عدد حلقات الاسلاميين في المساجد ، وتوسع قاعدتهم اخذ نشاطهم شكلاً منظماً فشكل مجلس تنفيذي بإشارة من راشد الغنوشي ومجلس شورى ضم قيادات الحلقات بوساطة لجنة عهد اليها وضع قانون اساسي، استمدت بنوده من المبادىء الاصلية في حركة الاخوان المسلمين في مصر ، وتوجت هذه التحضيرات بمؤتمر سري انعقد سنة ١٩٧٩ بضاحية منوبة غربي تونس العاصمة، وبرز في المؤتمر تياران متباينان في الحركة الدينية، تيار يعد الحركة امتداداً لحركة الاخوان المسلمين في مصر وركز خطابه في الأخلاق، اذ أكد ان المجتمعات الاسلامية عاشت في جاهلية جديدة ولا بد من اعادة بناء المجتمع المسلم ، موازة وبقطيعة وبمواجهة مع المجتمع المدني القائم، ومن رموز هذا التيار راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو،اما التيار الثاني عارض هذه الرؤية ودعا الى الاسلام المستقبلي عاداً تطور المجتمعات يكون في ضوء سنن وقوانين اجتماعية وتراثه جزء من بنيته ، غير انه ليس بديلاً عن مستقبله وعلى هذا الاساس حسم المؤتمر في النهاية لفائدة التيار الاول، فيما كون التيار الثاني ما يعرف

---

[١]- يحيى ابو زكريا، المصدر السابق، ص٣ .

[٢]- سؤدد كاظم مهدي ، المصدر السابق ، ص٢٩٩.

[٣] - حميد طه حسن العنبكي، النظام السياسي التونسي ١٩٥٦-١٩٨٩ ، ص١٩٣.

[٤] -نغم اكرم عبدالله الجميلي، المصدر السابق، ص٩٨.

بالاسلاميين التقدميين الذين ظلوا لا يمثلون ثقلاً له وزنه في الساحة الاسلامية لا سيما في الساحة السياسية التونسية[١].

بعد احداث قفصة في كانون الثاني ١٩٨٠ اتخذت الحركة الاسلامية ،لا سيما في المدن طابعاً سياسياً كلاسيكياً [٢]،فخرجت من الدائرة الفكرية الى الدائرة السياسية وهناك عدة عوامل ساعدتها على ذلك منها[٣]:

١-فشل القوى القومية والديمقراطية في حل القضايا العربية الاسلامية في فلسطين ولبنان وافغانستان بعد الغزو السوفيتي ، وفشلها في معالجة قضايا المجتمعات العربية .

٢-اقتناع كوادر الحركة في ضرورة اداء دور اكبر لمواجهة التحديات التي يواجهها المجتمع .

غير انه كان هناك سبب اكثر اهمية في توجهها نحو المشاركة في المجال السياسي ، وهي انتصار الثورة الاسلامية في ايران سنة ١٩٧٩ التي اعطت الحركة الاسلامية في تونس دفعاً جديداً ، فتوافدت عليها اعداد جديدة من الشباب المتحمسين[٤]، وهذا ما عززه راشد الغنوشي الذي ذكر ان الثورة الاسلامية في ايران قد املت عليه اجراء مراجعات جذرية في طريقة تفعيل عمله السياسي، وراجع بشكل واسع منطلقاته الفكرية وخططه ، اذ استفاد من ابعادها الاجتماعية من دون تبني نهجها في التغير، وعن تأثير الثورة الايرانية قال راشد الغنوشي **" لقد كانت للثورة الاسلامية في ايران مقدرة في تطوير الفكر السياسي والاجتماعي للتيار الاسلامي التونسي، لاسيما تأهيله لاحتواء مفردات الصراع الاجتماعي ، فلقد تلقف الطلبة الاسلاميين من الادبيات الايرانية تنويهها بقوة المستضعفين التغيرية وحربها على المستكبرين"**[٥].

نتيجة ذلك ازداد عدد المنخرطين في هذا التيار الاسلامي، وبدأت شعارات الثورة الايرانية تجد مكانها ضمن خطاب الحركة التقليدي، ما جعل السلطة تتنبه الى خطورة هذا التنظيم الديني السياسي ، الذي ظل حتى ذلك التاريخ توظفه لضرب الحركة اليسارية، فبدأت السلطة تضيق على نشاط الاسلاميين واوقفت عدداً من قيادتهم في كانون الاول ١٩٨٠ [٦].

---

[١]-مثله صلاح الدين الجورشي واحميدة النيفر وزياد كريشان.ينظر مصطفى التواتي، الحركة الاسلامية في تونس، مجلة الحداثة، السنة ١٤، الاعداد ١٠٧-١٠٨، بيروت،٢٠٠٧،ص٩٧ ؛حسين رحال، الفكر السياسي الاسلامي في تونس، التحولات الفكرية واطارها الاجتماعي، مجلة الحياة الطيبة، السنة ٥ ، العدد١٦،بيروت ٢٠٠٤،ص٢٩ .

[٢] - صحيفة السفير ،(بيروت)، العدد ٢٢٢٩، ٥ تموز ١٩٨٠ .

[٣] - سؤدد كاظم مهدي ، المصدر السابق، ص٣٠٠.

[٤] -مصطفى التواتي، المصدر السابق، ص٩٩.

[٥]- راشد الغنوشي، المصدر السابق ،ص١٥٠.

[٦]- مصطفى تواتي، المصدر السابق، ص٩٩.

بعد مجيء محمد مزالي الى الحكم اطلق سراحهم ، واقام علاقات خاصة مع الاسلاميين في اطار طموحه الى فتح صفحة جديدة والبدء بمرحلة جديدة ، واتخاذه سلسة من الاجراءات لتخفيف حدة الضغط في الحياة السياسية[١]، فعند الاعلان عن نيته في اقرار التعددية الحزبية سنة ١٩٨١ بادرت الحركة الاسلامية الى عقد مؤتمر استثنائي في ربيع سنة ١٩٨١ في مدينة سوسة [٢] ، من نتائجه تجديد بيعة راشد الغنوشي ، وتحويل الحركة الى حزب سياسي علني حمل اسم الاتجاه الاسلامي ، وانتخب راشد الغنوشي رئيساً لها ، وعبد الفتاح مورو اميناً عاماً للحركة واعلن رسمياً عن هذه الحركة في ٦ حزيران ١٩٨١[٣] .

واستجابة لشروط الحكومة بفتح باب التعددية السياسية ، واهمها هو نبذ العنف والجمود والتعصب المذهبي الديني وعدم التبعية لاي جهه اجنبية، جاء في خطاب الحركة الجديدة حيز كبير لهذه النقطة ، وابرز ما نص عليه بيان الحركة التأسيسي هو رفض العنف كأداة للتغيير ونادت بالمقابل بـ **"تركيز الصراع على اسس شورية تكون هي الاسلوب الحاكم في مجالات الفكر والثقافة والسياسة "**[٤].

وعلى اثر المؤتمر الصحافي الذي عقده زعيما حركة الاتجاه الاسلامي في حزيران ١٩٨١ قدمت الحركة طلب الحصول على ترخيص للسلطات التونسية، غير ان طلبها بإقامة حزب سياسي تم رفضه[٥]، واوضح محمد مزالي اسباب عدم اعطاء الترخيص لهذه الجماعة حينما قال**"قد يقال لماذا لم يسمح لهذه العناصر بأن تؤسس حزباً وتعمل ضمن قواعد العمل الحزبي ، فهو من غير المنطقي ومن غير المعقول ذلك ما دامت تونس دولة اسلامية، ونص دستورها على ان دينها الاسلام ومعنى ذلك ان من لا ينخرط في حزب يقوم على اساس طائفي ، لا يكون مسلماً اننا في بلد مسلم، ولو كنا في بلد متعدد الطوائف مثل لبنان لجاز اعتبار مطالبة البعض بتأسيس حزب اسلامي معقولاً، لكننا بلد مسلم فضلاً عن اننا علمانيون"**[٦] .

فأنه على الرغم من سياسة الانفتاح التي اتبعها مزالي ، واعلانه السماح بالتعددية السياسية وبممارسة الحريات ،غير ان الحكومة حاولت تمييز العمل الديني عن العمل السياسي ، وذلك يبدو واضحاً من خلال الشروط التي اقرتها الحكومة بشأن هذه المسألة ، بفرضها شرطاً اساسياً وهو نبذ العنف والتعصب

---

[١] -نبيل عبد الفتاح ، الاسلام السياسي والدولة في تونس ، مجلة السياسة الدولية، العدد٨٦، تشرين الاول ١٩٨٦،ص١٧٩.

[٢] - مصطفى تواتي، المصدر السابق، ص١٠٠.

[٣]- نغم محمد صالح، المصدر السابق،ص١٣٢.

[٤] -عبد الحكيم ابو للوز، المصدر السابق، ص١٣٨ .

[٥]- توفيق المديني ، المصدر السابق، ص٢٧٩ .

[٦]- مجلة الطليعة العربية ، (باريس) ، العدد ٦٦، ١٣ اب١٩٨٤، ص٢١ .

الديني ،الامر الذي تعارض مع طبيعة حركة الاتجاه الاسلامي،وهو مايمكن عدّه ذريعة ابتدعتها الحكومة للحد من نشاط هذه الحركة[١] .

لذلك لما ارادت الحركة تطبيق نهجها السياسي ، ووضعه على النهج العملي من خلال معالجة قضايا المجتمع الراهنة ، بما في ذلك خوض غمار اللعبة الديمقراطية ، والمطالبة باستفتاء شعبي حول مجلة الاحوال الشخصية للمرأة ، قامت السلطات التونسية بحملة اعتقالات واسعة شملت حركة الاتجاه الاسلامي واعضائها وكوادرها، وتقديمهم للمحاكمة في ٣١ تموز ١٩٨١ فكانت محاكمة ١٠٧ منهم بتهمة الانتماء الى جمعية غير مرخص بها ، والنيل من كرامة رئيس الجمهورية ، ونشر انباء كاذبة وتوزيع منشورات معادية وتبع ذلك اعلان صدر عن وزير الداخلية ادريس قيقة مفاده ان السلطات التونسية قد وضعت يدها على وثيقة فضحت ارتباط الحركة بجهة اجنبية[٢] .

مارست الحركة نشاطها بشكل سري حتى سنة ١٩٨٣، التي شهدت انفراجاً بين حركة الاتجاه الاسلامي وحكومة محمد مزالي، واحد اسباب الانفراج كمن في الوساطة التي قام بها حمودة بن سلامة (امين عام الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الانسان ، واحد الشخصيات السياسية المهمه) بين الحكومة التونسية والتيار الاسلامي ، لا سيما امينها العام عبد الفتاح مورو الذي نقل شروط حكومة مزالي الى الاتجاه الاسلامي[٣]،وضمنت ثلاثة بنود وهي تخلي الحركة عن عّد نفسها حزباً سياسياً، والتوقف عن سياسة تسييس المساجد ، واحترام القانون وشجب كل ممارسات العنف[٤]،فاستجابت الحركة لشروط مزالي ، فأصدرت بياناً في حزيران ١٩٨٣ ضمن نقطتين عّدتا بمثابة تحول في موقف الحركة ازاء السلطة ، وهي عدم اللجوء الى العنف ونبذه بوصفه وسيلة للعمل السياسي، وعدم جعل حركة الاتجاه الاسلامي ممثلة للاسلام ، والاعتراف بأنها جزء من تيارات اسلامية ،فشكل هذا التحول من جانب الحركة حافزاً للحكومة على اتباع سياسة جديدة ، بهدف تشجيع الاتجاهات المعتدلة داخل الحركة ،لاسيما انها حظيت بتعاطف جماهيري واسع بعد ان اخفقت في تصفيتها ، فشكل هذا الامر مبعث قلق للسلطة من تحولها الى جماعات سرية ذات طابع ارهابي[٥]، فضلا عن ذلك فعلى اثر الازمة الاقتصادية الحادة التي عرفتها تونس وقرارها برفع الدعم عن الحبوب ومشتقاتها سنة ١٩٨٤ ، وحدوث انتفاضة الخبز في كانون الثاني ١٩٨٤، وتوتر علاقة الحكومة مع الاتحاد العام التونسي للشغل (سيأتي تفاصيل ذلك لاحقاً)هذا

---

[١]- طه حميد حسن العنبكي ، النظام السياسي التونسي ١٩٥٦-١٩٨٩،ص١٩٥.

[٢]- توفيق المديني، المصدر السابق، ص٢٨٣ .

[٣]- المصدر نفسه.

[٤]- مجلة التضامن ، (باريس)، العدد٢٣، ١٧ايلول١٩٨٣، ص٢٣.

[٥] -توفيق المديني، المصدر السابق، ص٢٨٤ .

من ناحية، ورغبة الاتجاه الاسلامي في التهدئة والتعاون مع النظام من ناحية اخرى، حاولت الحكومة التونسية تلطيف الاجواء لا سيما بعد احساسها بالضعف نتيجة الإحداث الاخيرة[١].

نتيجة ذلك اطلق محمد مزالي سراح عبد الفتاح مورو امين عام الحركة الذي حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات سنة ١٩٨١ وبقية الموقوفين في قضية ١٩٨١[٢]،اذ اعلن مزالي عن اطلاق سراح ٢٤ شخصاً حكم عليهم بالسجن لمدة تراوحت بين ست سنوات الى عشر، واتى العفو بمناسبة ذكرى عيد ميلاد بورقيبة في اب ١٩٨٤ ، بناءً على طلب مزالي بإصدار عفوٍ للموقوفين، فأطلق سراح راشد الغنوشي[٣].

هذا الموقف من الوزير الاول تجاه الاسلاميين راجع الى الرهان الديمقراطي الذي آمن به محمد مزالي وتمسك بإنجازه تدريجياً، وعبر مزالي عن امكانية الاعتراف بحركة الاتجاه الاسلامي، وعّد ذلك ممكناً اذا لم يدعون احتكار الدين الاسلامي ، واذا تخلوا عن بعض مطالبهم واضاف ايضاً **"عندما استقبلتهم وجدتهم اناساً لهم قيمتهم وليس هناك ما يدعوا لإقصائهم"** [٤]، فلم ير مزالي فيهم خصماً عنيداً فسمح لهم بالوجود في المؤسسات كلها ،وفسح لهم المجال للنشاط ومكنهم من نشر عدة نشريات لترويج افكارهم[٥] .

عندما غادرت القيادات الاسلامية السجن في صيف ١٩٨٤ ،بدأت حركة الاتجاه الاسلامي بمراجعة نقدية للخيار السياسي بعدّها حركة تحمل مشروعاً اسلامياً مقابل (الافلاس) الذي انتهى اليه المشروع البورقيبي التغريبي[٦] ،وفي سياق هذه المراجعة برزت داخل الحركة تيارات مختلفة متناقضة فيما بينها، فالتيار الاول دعا الى التفاعل مع الاطراف المتعاطفة مع الحركة داخل الحكم ، وفتح جسور الاتصال معها والمقصود هنا الوزير الاول محمد مزالي ،وتبنى عبد الفتاح مورو هذا التيار اذ التقى مزالي اكثر من مرة وسلمه في احدى المرات رسالة الى بورقيبة طلب فيها أتخاذ قرار بالعفو ، مع تقديم الضمانات بعدم اثارة المشكلات، اما التيار الثاني مثله راشد الغنوشي الذي راى ابدال شعار الديمقراطية بشعار(الشورى المشروطة) ورأوا ضرورة الدمج بين الزعامة الدينية والسياسية في تعبير واحد ، مع التأكيد على ان دور السياسي هو مجرد دور عرضي مقارنة بالدور الديني [٧].

---

[١]-سالم الحداد، المصدر السابق، ص٣٠٩ .

[٢]-توفيق المديني، المصدر السابق، ص٢٨٤ ؛عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص٣٠٧.

[٣]-صحيفة الوطن، (الكويت)، العدد٣٣٩٣، ٢ اب، ١٩٨٤ .

[٤] -سالم الحداد، المصدر السابق، ص٣١٠ .

[٥]-عبد الحكيم ابو اللوز، المصدر السابق،ص١٤٥ .

[٦]-سؤدد مهدي كاظم، المصدر السابق، ص٣٠٠ .

[٧] -توفيق المديني، المصدر السابق، ص٢٩١.

اما التيار الثالث مثلته الاوساط الطلابية التي رفضت قوانين العمل السياسي والحصول على الترخيص بالعمل ،لان ذلك في نظرهم تحالف مع السلطة الرجعية واعتراف بشرعيتها الدستورية، لذلك شكل التيار الثاني والثالث الاكثرية داخل الحركة، ووقفا موقف الرفض بدرجات متفاوتة من اراء عبد الفتاح مورو وطروحاته ، وفي المؤتمر السري الذي عقدته الحركة في كانون الاول ١٩٨٤ سيطر الفكر الاخواني على الحركة بشكل عام ، واكدت الاكثرية في المؤتمر رفضها لمضمون الرسالة التي وجهها عبد الفتاح مورو الى بورقيبة عن طريق محمد مزالي[١].

استمرت التناقضات والاختلافات داخل الحركة الى كانون الاول ١٩٨٤ عندما عقدت الحركة مؤتمر في مدينة سلمان ، الذي اعاد التنظيم الى قبضة راشد الغنوشي، ومنذ تلك المدة اختارت الحركة اعادة بناء خلاياها واسهمت القيادة الجديدة في اقامة علاقات مع احزاب المعارضة الاخرى ومع الصحافة حتى مع الحكم [٢] .

وعلى صعيد العمل السياسي والفكري كثفت الحركة نشاطها ، وسعت الى انتداب عناصر جديدة، لا سيما في الكليات والمعاهد واتخذت من المساجد مجدداً منطلقاً لنشر الدعوة ، ووصلت الحركة حداً من الاعتداد بنفسها سول لها المطالبة في اب ١٩٨٥ بتنظيم استشارة شعبية حول ما جاءت به مجلة الاحوال الشخصية من اجراءات تهم المراة وعلى راسها منع تعدد الزوجات ، وكان هذا الاقتراح قد مثل ضربة وتحدياً كبيراً لبورقيبة الذي عدّ تحرير المراة انجازه العظيم الثاني بعد الاستقلال ، ويعود توسع حركة الاسلاميين في البلاد الى وجود عناصر قيادية احترفت العمل السياسي، واحتدام الازمة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد ، وتحول الحزب الحاكم الى حزب غير قادر بنسبة كبيرة على التجدد والعطاء ، وتقويض الاتحاد العام التونسي للشغل بسبب رفضه لسياسة الحكومة تجاه العمال[٣] ، فضلاً عن تذبذب مواقف السلطة السياسية من الاسلاميين ومراوحتها بين سياسة التشدد مرة (محاكمة قيادة الحركة الاسلامية في تشرين الاول ١٩٨١) ، وبين اللين معهم مرة اخرى ،وتمثلت هذه السياسة في استقبال رئيس الحكومة التونسية محمد مزالي سنة ١٩٨٥ بعد الغارة الاسرائيلية على ضاحية حمام الشط في تشرين الاول ١٩٨٥ ، لوفد من حركة الاتجاه الاسلامي تألف من راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو، واذيع الخبر في كل وسائل الاعلام الرسمية، وهي المرة الاولى التي التقى فيها مسؤول كبير في الحكومة قياديين من الاتجاه الاسلامي بشكل رسمي وعلني[٤].

---

[١]- مجلة الطليعة العربية، (باريس)، عدد٦٦،١٣اب١٩٨٤، ص٢٢ ؛توفيق المديني، المصدر السابق، ص٢٩١.

[٢]- الطليعة العربية ، (باريس) ، العدد ٦٦، ١٣ اب١٩٨٤، ص٢٢.

[٣]-الهادي التيمومي، المصدر السابق، ص١٧٤ .

[٤] -توفيق المديني، المصدر السابق، ص٢٩٥ .

واذا رأى مزالي في انه ليس هناك ما يدعو الى اقصاء الاسلاميين ، فإن بورقيبة لم ير في الاسلاميين الا خطراً داهماً يتهدده نظاماً ومشروعاً ، فقد استطاع التيار الاسلامي احتلال مواقع في كل هياكل الدولة ومؤسساتها وشكل قوة جماهيرية، واقنع المقربون من بورقيبة بأن المسؤول على تفشي ظاهرة الاسلاميين هو رئيس الحكومة محمد مزالي ، وان هذا التفاهم بين محمد مزالي والاتجاه الاسلامي لا يمكن ان يطمئن اليه بورقيبة، ولعل ذلك من اهم الاسباب التي دفعت بورقيبة الى حسم امر وزيره الاول وأقالته، وبعد اقالة مزالي في ٨ تموز ١٩٨٦ توترت علاقات الاسلاميين من جديد بالنظام واحيل عدد كبير منهم الى المحاكمة،بسبب التفجيرات التي قاموا بها في احدى فنادق مدينة المنستير سنة ١٩٨٧، ولم ينقذهم من حبل المنشقة غير تحول ٧ تشرين الثاني ١٩٨٧[١].

خامساً-العلاقة بين حكومة مزالي والاتحاد العام التونسي للشغل.

يعد الاتحاد العام التونسي للشغل الجهة الوحيدة التي لايمكن اسقاطها من القرارات المصيرية في البلاد ، فهو من بين جميع المؤسسات والمنظمات الاكثر فعالية ، وحضورا في الحياة السياسية في تونس[٢]، فالاتحاد هو القوة الشعبية الوحيدة المنظمة في البلاد ، لانه ضم نقابات مثلت مختلف القطاعات المهنية والحرفية والعمالية والزراعية والطلابية وزاد عدد اعضائه على نصف مليون منتسب، ومن المعروف ان الطبقة العاملة التونسية كانت وراء العديد من انشطة النضال الوطني التي شهدتها تونس قبل الاستقلال وبعده ، بالرغم من وجوده ضمن الاطار التنظيمي في الحزب الاشتراكي الدستوري الحاكم ، من خلال وجود رئيسه في قيادة الحزب ، غير ان التناقضات بين الاتحاد وقيادة الحزب ظهرت في كثير من الاحيان ، بسبب اصرار القاعدة العمالية على انتهاج سياسة استقلالية ، جعلتها مسؤولة عن مصالح الطبقة العاملة ومختلف فئات الشعب، بدلا من انقيادها لمصالح الطبقة الحاكمة التي عبر عنها النهج البورقيبي[٣]، فأدى الاتحاد دورا رئيسا في كل الحركات الاجتماعية التي شهدتها تونس قبل حوادث كانون الثاني ١٩٧٨، اذ دخل في مواجهة مع الحكومة ادت الى سجن قياداته وابعاد كوادره عن المسؤولية[٤] .

---

[١] - سالم الحداد ، المصدر السابق، ص٣١١ .

[٢] - شوقي بن حسن ، سلطة النقابة في تونس (الاتحاد بين تناقضات المرحلة والتباس المصالح)،٩ تموز ٢٠١٤. www.ifriqiyah.com

[٣] - مجلة الدستور،(لندن) ، العدد ٤٦٤ ، ١ايار ١٩٨٠ .

[٤]- وهم الحبيب عاشور الامين العام للاتحاد وعبدالرزاق غربال الكاتب العام للاتحاد بصفاقس، الذين حكم عليهم ١٠ سنوات اشغال شاقة، غير انه وقع التراجع عن تطبيق العقوبة لأسباب غير معروفة، وحوكم عدد اخر من اعضاء الهيئة

بعد هذه الاجراءات الحكومية عمل الدستوريون على تشكيل هيأة ادارية جديدة للاتحاد موالية للحزب الاشتراكي الدستوري ، واعدت هذه الهيأة للمؤتمر الاستثنائي الذي عقد في ١٥ شباط ١٩٧٨ ،وشكل على اثره مكتب تنفيذي للاتحاد ترأسه التيجاني عبيد فيما اصبح إسماعيل الاميري مساعدا له[١]، غير ان الكثير من العناصر النقابية رفضت التضامن مع القيادة الجديدة او الاعتراف بهم، في الوقت نفسه عبرت الكوادر النقابية عن تاييدها للقيادة السابقة التي ترأسها الحبيب عاشور[٢]، عادّة اياها القيادة الشرعية الوحيدة في الاتحاد، لذا عجزت القيادة الجديدة في تسيير النشاط النقابي والامساك بزمام الامور[٣].

ما ان تسلم محمد مزالي مقاليد السلطة حتى ساد البلاد نوع من الشعور بالارتياح لدى كل شرائح المجتمع تقريبا ، ذلك انه رجل فكر ومن انصار التعريب، وظل في الازمات كلها التي مر بها الحزب الحاكم بعيدا عن الصراعات، وبعيدا عن الكتل التي ظهرت من حين الى آخر، علاوة على ذلك لم يكن له دور لا من قريب ولا من بعيد في احداث كانون الثاني ١٩٧٨، وعلى الرغم من انه لم يقدم استقالته مثل الكثير من الوزراء قبل انفجار احداث كانون الثاني ١٩٧٨، فانه لم يساند مساندة مطلقة الشق الذي رأى العنف الوسيلة الوحيدة لحفظ الامن وإعادة العمال الى عملهم[٤]، فهو بالرغم من مشاركته في الحكم ومصوتاً على القرارات المتخذة ، فانه لم يقحم نفسه في حرب المحاور الدائرة بين اطراف الحكومة وفضل البقاء بعيداً، واستفاد مزالي من تجارب اعضاء الديوان السياسي في التعامل مع الاحداث ، فضلا عن ان احداث كانون الثاني ١٩٧٨ اعطته خبرة أن العنف لايولد الا العنف [٥]، فاعلن عند توليه منصب الوزير الاول عن توجهه الديمقراطي وكان لهذا التوجه صداه في الاوساط السياسية والشرائح الشعبية والمتوسطة،

الادارية مثل حسن حمودية والصادق بسباس،وخير الدين الصالحي ب ٨سنوات ،وعلى كل من الحسين بن قدور والطيب البكوش ومصطفى الغربي ب٦ سنوات . ينظر الحبيب بن مرعي ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

(١)- طه حميد حسن العنبكي ، النظام السياسي التونسي ١٩٥٦- ١٩٨٩،ص١٤٠.

(٢) - الحبيب عاشور: من مؤسسي الاتحاد العام للشغل ،ولد الحبيب عاشور بالعباسية سنة ١٩١٣، زاول تعليمه الابتدائي بمدرسة الكلابين وتعليمه الثانوي بمعهد اميل لوبي بالعاصمة، دخل العمل سنة ١٩٣٤ كعامل في بلدية صفاقس، انخرط سنة ١٩٣٥في الحزب الدستوري الجديد ، وفي نفس المدة دخل العمل النقابي ، شارك مع فرحات حشاد في بعث النقابات المستقلة بالجنوب وفي تأسيس الاتحاد للشغل ١٩٤٦،اذ انتخب منذ المؤتمر التأسيسي عضو مكتبه التنفيذي ، وبقي حتى ١٩٨٥احد عناصره القيادية الرئيسية بأستثناء مدة وجوده في السجن، في سنة ١٩٥٥ انتخب عضوا في مكتب فدرالية الحزب الدستوري في صفاقس ،وفي ١٩٥٧انفصل عن الاتحاد العام التونسي للشغل لاختلافه مع الامين العام للاتحاد احمد بن صالح ولمعارضته للتوجه الاشتراكي ،وبعد ازاحة احمد بن صالح عاد الى الاتحاد ، وفي سنة١٩٧٠ اصبح كاتب عام لاتحاد العام التونسي للشغل ، وبعد احداث كانون الثاني ١٩٧٨ التي ادت الى تدهور العلاقات مابين الحكومة واتحاد الشغل ، اعتقل وحكم عليه بعشر سنوات اشغال شاقة ، وبقي في السجن الى سنة ١٩٨١ بعد ان عفى عنه الرئيس التونسي بورقيبة، وفي سنة ١٩٨٥ دخل السجن من جديد لمعارضته السياسة الاجتماعية للحكومة ولم يطلق سراحه الا بعد تحول ٧تشرين الثاني ١٩٨٧.ينظر الى عميرة علية الصغير، المصدر السابق،ص١٣٠.

(٣)- مجلة النهار العربي والدولي ، (باريس) ، العدد ١٦٠ ،٢٦ ايار ١٩٨٠ .

(٤)- مجلة الدستور ، (لندن) ، العدد٦٠٠، ٨ اذار ١٩٨٢.

(٥)-مجلة الكفاح العربي (بيروت) ، العدد ١١٤-٧٩٧ ، ١٨ اب ١٩٨٠.

اذ رأى محمد مزالي ان الطريق الى الديمقراطية يمر عبر المصالحة مع مختلف التيارات ، وان مفتاح العبور الى المصالحة لا يمكن ان يكون الا عن طريق الاستجابة لمطالب القوة العاملة ومنظمتهم الاتحاد العام التونسي للشغل[١] . جاءت الخطوة الاولى من خلال فتح حوار مع القيادة النقابية وإعادة الطمأنينة الى هذه الطبقة ، من خلال اتخاذ عدة اجراءات اعلن عنها محمد مزالي في الخطاب الذي القاه بمناسبة عيد العمال في الاول من ايار ١٩٨٠ ، وتمثلت هذه الاجراءات في رفع الاجور بنسبة لا بأس بها، وفي اعادة الاعتبار الى العمال عن طريق الدعوة الى عدم معاملتهم باعتبارهم ارقاقا ونكرات ، بل بوصفهم اناسا [٢] .

فتح محمد مزالي حواراته مع القيادات القديمة في النقابات العمالية، كتعبير عن فتح صفحة جديدة وعهد جديد، وعمل على إعادة الكوادر النقابية في مواقعها بوصفها القيادة الشرعية التي إذا ما استمالها سيتمكن من ضمان جانبها ، وبالتالي توطيد سلطاته وهو في بداية إمساكه بمقاليد الحكم، لاسيما أن تقدم بورقيبة في السن جعل قياديي الحزب والدولة طامعين في خلافته متى تهيأت الظروف لذلك، فأمر بإطلاق سراح ما يقارب ٢٠٠سجين من طلبة ونقابيين، ومن بين هؤلاء اعضاء المكتب التنفيذي السابق في المنظمة العمالية في تونس[٣].

كانت الحكومة قد اتصلت بالحبيب عاشور مسؤول الاتحاد العام التونسي للشغل السابق، وطلبت منه ادانة العدوان على مدينة قفصة في كانون الثاني ١٩٨٠، ليكون ذلك سبيلا لإرضاء بورقيبة، ليأمر بعدها برفع الحضر عن القيادة النقابية الشرعية ، غير انه رفض العرض معتذرا بأنه لايعرف اي شيء عن هذا الهجوم من غير وسائل الاعلام فلا يمكن له ادانته ، ووضع شروطه لحل الازمة مع الحكومة عدّتها الاخيرة تعجيزية ،وهي اطلاق سراح المعتقلين النقابيين ،واعادة الشرعية للاتحاد[٤]، لذلك اتجهت الحكومة الى اعضاء المكتب التنفيذي في الاتحاد وأخذت تتفاوض معهم عن طريق المنجي الكعلي (مدير الحزب الاشتراكي الدستوري) ، فاتصل المنجي الكعلي في تموز ١٩٨٠ بأعضاء المكتب التنفيذي للاتحاد العام التونسي للشغل، فعقد المكتب اجتماع ضم الهيأة الادارية في الاتحاد ليعلم اعضاؤه بالاتصالات الجارية مع الحكومة ، وحضر الاجتماع جماعة الحبيب عاشور الذين لم يوافقوا على اجراء اي اتفاق الا مع

---

(١)-سالم الحداد ، المصدر السابق، ص ٢٢٣ .

(٢)- صحيفة القبس ، الكويت، العدد ٢٩٣٧ ،١٨ تموز ١٩٨٠.
(٣)-صحيفة السفير ، (بيروت) ، عدد ٢٢٦١ ، ٨ اب ١٩٨٠.
(٤)-سالم حداد ، المصدر السابق، ص٢٢٣ .

الحبيب عاشور، واشترطوا رفع الاستثناء والاتصال به والتفاهم معه[١]، من جانبه وافق بورقيبة على فتح المفاوضات مع القيادة الشرعية لاتحاد الشغل بشرط عدم اشراك الحبيب بن عاشور في المسؤولية لانه (عنيد مزدوج) بحسب رايه[٢] .

اما محمد مزالي رغب من جانبه في التخلص من الحبيب عاشور، اذ انه برأيه كثير التطاول على الحكومة وسبق له ان تحدى حكومة الهادي نويرة بقوة ، لذلك رأى في استبعاده ضرورة مهمة تجنباً لإثارة المشاكل مع الاتحاد مستقبلا [٣] .

تواجدت داخل الاتحاد العام التونسي للشغل تشكيلتان نقابيتان ، التشكيلة الاولى نصبت بعد احداث كانون الثاني ١٩٧٨ برئاسة التيجاني عبيد،وهذه التشكيلة لم تعارض مقترح الحكومة ، اما التشكيلة الثانية وهي (الشرعية) القديمة المنقسمة على نفسها فيها تياران الاول تزعمه الحبيب عاشور الذي طالب باستقلالية المنظمة النقابية، اما التيار الثاني لم ير مانعا من التفاوض مع حكومة محمد مزالي لحل المشكلات العالقة بينهم ومثل هذا التيار الطيب البكوش[٤] .

بعد ان صفيت الخلافات داخل التشكيلة الثانية وافقت اغلبية الهيأة التنفيذية على الحوار مع الحكومة وأصبحت الاتصالات رسمية وعلنية، فبدا الحوار في اواخر تموز ١٩٨٠ [٥] ، فأتفق على تشكيل لجنة ثلاثية مكونة من ثلاثة من قدماء المسؤولين في الاتحاد، وثلاثة أشخاص من القادة الشرعيين في الاتحاد وثلاثة اشخاص من جماعة التيجاني عبيد ، للاشراف على حل المشكلة النقابية مع الحكومة ،واشترطت

---

(١)- المنجي العكلي، المصدر السابق ، ص١٣٦ .

(٢)- الصافي سعيد، المصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

(٣)- سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

(٤)-الطيب البكوش: ولد الطيب البكوش في سنة ١٩٣٨ بمدينة جمال بالقيروان، بدأ مسيرته في الجامعة التونسية في مجال اللغة ، بعد أن حصل في سنة ١٩٦٥ على الإجازة في اللغة العربية وآدابها من الجامعة التونسية، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا في اللسانيات في ١٩٦٦ من جامعة السوربون، ولأن الأروقة كانت مفتوحة دائما بين الجامعة والسياسة، وبين الجامعة والنقابة، فقد انضم الطيب البكوش -منذ بداية السبعينات- بموجب عمله كأستاذ جامعي إلى نقابة التعليم العالي والبحث العلمي التي تقلد منصب كاتبها العام (من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧)، ودخل بذلك المكتب التنفيذي للاتحاد العام التونسي للشغل، زُجّ به في السجن مع مئات النقابيين على خلفية أحداث كانون الثاني ١٩٧٨، حصل الطيب البكوش على دكتوراه دولة في اللسانيات من السوربون في سنة ١٩٨٠. وتحمل السيد الطيب البكوش عدة مسؤوليات قيادية في ميادين متنوعة منها الكتابة العامة لجامعة التعليم العالي في سنة ١٩٧٤،تسلم الأمانة العامة للاتحاد العام التونسي للشغل من سنة ١٩٨١ إلى غاية ١٩٨٤.ينظر مجلة العرب، (لندن) ، العدد ٩٧٢٦ ، ٢تشرين الثاني٢٠١٤، ص٨؛سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

(٥)- المجلة التاريخية المغاربية سمنار مع المنجي العكلي ، ص ٢١٥.

الحكومة على تشكيلها هو عدم مشاركة الحبيب عاشور في هذه المفاوضات ، فرفض الحبيب عاشور مقترح ابعاده وقدم مقترح تشكيل لجنة مشتركة هو والتيجاني عبيد للمشاركة في الانتخابات [١].

امام اصرار الحبيب عاشور على المشاركة في الانتخابات ومساندة الهيأة الادارية له ، اصدر بورقيبة قراراً اعلنه محمد الناصر وزير الشؤون الاجتماعية جاء فيه" **لايحق للمحكوم عليهم، الترشح والمشاركة في المؤتمر القادم للاتحاد العام التونسي للشغل** " [٢] ، وبذلك قطع هذا القرار الطريق على الحبيب عاشور لترشيح نفسه في انتخابات الاتحاد العام التونسي للشغل، فشددت الرقابة على الحبيب عاشور ومنعت عنه الزيارات جميعها ، من جانبه بادر التيجاني عبيد بارسال برقية ولاء وتاييد لبورقيبة على اثر القرار الاخير ، مغتنما الفرصة ليبين ان الاتحاد لايقبل في صفوفه المحكوم عليهم في قضايا عدلية على وفق القانون [٣] .

ادى هذا القرار الى تكوين هيأة ادارية في ٢١ ايلول ١٩٨٠ لمواصلة التفاوض مع الحكومة وخرجت بمجموعة من القرارات والشروط منها [٤]:

١-اعلان عفو تشريعي عام عن النقابيين.

٢- رفع الاستثناء عن الحبيب عاشور.

٣- رفع المضايقات عن العمل النقابي.

٤-اطلاق سراح بقية المعتقلين وعودة المطرودين منذ ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٨الى وظائفهم السابقة.

٥-انعقاد مؤتمر نقابي ديمقراطي ينتخب قيادة معترف بها.

شكلت لجنة بعد الاتفاق على الشروط برئاسة نور الدين حشاد(ابن الزعيم النقابي فرحات حشاد الذي اغتالته السلطات الفرنسية سنة ١٩٥٢)، فواصل الحوار وعقد اجتماع للهيأة الادارية للاتحاد بشان اجراء المفاوضات مع الحكومة، بعد موافقة الجميع بما فيهم الحبيب عاشور، فشكلت لجنة لتسيير امور الاتحاد والتحضير للمؤتمر في ايلول ١٩٨٠ ، وبدأت اللجنة اعمالها بتجديد هياكل الاتحاد الاساسية ، وأشرفت على انتخاب هذه الهياكل لجان مكونة من الطرفين (القيادة الشرعية والقيادة المنصبة من الحكومة بعد احداث كانون الثاني ١٩٧٨) [٥].

---

[١]- رضا الذوادي، المصدر السابق ،ص١٤٤ .

[٢]- مجلة الدستور، لندن ، العدد ٤٨٣ ، ١٥ايلول ١٩٨٠.

[٣]- المصدر نفسه.

[٤]- رضا الذوادي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

[٥]- المنجي العكلي، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

عقد المؤتمر في ٢٩ نيسان ١٩٨١ في مدينة قفصة ، واتفق على اقامة الاحتفال بعقد المؤتمر في الاول من ايار ١٩٨١في المدينة نفسها من خلال تنظيم اجتماع شعبي كبير بحضور الوزير الاول محمد مزالي[١]، في اثناء عقد المؤتمر جاءت جماعة الحبيب عاشور واعترضوا على عقد المؤتمر قبل رفع الاستثناء عن الحبيب عاشور ، غير ان اغلبية المؤتمرين لم تشاركهم الراي فانسحبوا وواصل المؤتمر اعماله في جو ديمقراطي[٢]، وانتخب في ختام اعمال المؤتمر (المكتب التنفيذي للاتحاد العام التونسي للشغل)، الذي تكون من ١٣ عضوا انضم اليهم الكتاب العامون للاتحادات الجهوية وعددهم ٢١، فاصبح المكتب يضم ٣٤ عضوا وانتخب الطيب البكوش لمسؤولية الامانة العامة في الاتحاد[٣] .

كان السبب الرئيس لإقصاء الحبيب عاشور من الامانة العامة للاتحاد هو غضب بورقيبة عليه منذ يوم الخميس الاسود ٢٦ كانون الثاني١٩٧٨ ، غير ان هذا الغضب الذي دام سنوات سرعان ما تبدد عندما تدخلت وسيلة بنت عمار ،ووزير الداخلية ادريس قيقة لإقناع بورقيبة بان امور الاتحاد العام التونسي للشغل لا يمكن ان تسير بصورة صحيحة الا بمشاركة الحبيب عاشور، اذ ان وسيلة وادريس قيقة تضايقا من تعيين الطبيب بكوش على راس المنظمة النقابية، وعدت وسيلة ذلك مناورة من محمد مزالي لتعزيز نفوذه وشعبيته ، وأرادا افشال هدف مزالي في كسب الاتحاد الى جانبه عن طريق الطبيب بكوش[٤]، فاصدر بورقيبه وبعد مقابلة قصيرة مع الحبيب عاشور عفواً عنه مع رفع الاستثناء ،وسمح له بالالتحاق بالمجلس الوطني الذي كان منعقدا في اليوم نفسه في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨١، فاصبح الحبيب عاشور رئيس الاتحاد مع احتفاظ الطيب بكوش بالامانه العامة في الاتحاد [٥] .

بدأت الصراعات داخل القيادة العمالية تظهر وتزداد حدة ،لاسيما انه تواجدت قيادتان على رأس المنظمة النقابية المتمثلة بالحبيب عاشور المعروف بالجرأة والنزعة الصدامية ، والطيب البكوش الذي كان اكثر ميلا للاحتكام الى القانون ، خصوصاً الخلاف حول المشاركة في انتخابات تشرين الثاني ١٩٨١، اذ ان المشاركة في هذه الانتخابات عمقت الخلاف داخل الاتحاد وقسمت الهيأة بين شق موالي

---

[١]- المصدر نفسه .

[٢]-المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار مع المنجي العكلي ، ص٢١٦ .

[٣]-الحركة النقابية والديمقراطية في تونس١٩٧١-١٩٨٩، حوار مع الطيب بكوش ،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس ،٢٠٠٣،ص٢٦ .

[٤] – سالم الحداد ، المصدر السابق، ص٢٣٥ .

[٥]- المجلة التاريخية المغاربية ، ملفات الذاكرة الوطنية حول النقابي الحبيب عاشور، السنة ٣٤، العدد١٢٦، اذار ، ٢٠٠٧ ، ص١٨٧ .

للحزب الحاكم يريد الدخول معه في الانتخابات[١]، وشق مدافع عن استقلالية الاتحاد ودعا الى ضرورة لزوم الحياد في هذه الانتخابات وعدم الانحياز الى اي طرف سياسي فيها ، فضلا عن ان قيام جبهة وطنية بين الحزب الاشتراكي الدستوري وقيادة الاتحاد لخوض الانتخابات التشريعية ، سوف يؤثر على الاتحاد وتفقده استقلاليته ، وجرى التصويت بعدها فكانت النتيجة لمصلحة المشاركة في الانتخابات البرلمانية لسنة ١٩٨١ ، فدخل الاتحاد ضمن ما سمي بالجبهة الوطنية الى جانب الحزب الاشتراكي الدستوري[٢].

وصل الصراع قمته عند تجديد التنظيمات النقابية استعداداً للمؤتمر القادم للاتحاد، لاسيما عند تجديد انتخاب المكتب التنفيذي في الاتحاد بمدينة سوسة ، اذ اراد كل فريق تغيير موازين القوى لمصلحته، وجاءت اغلبها موالية للحبيب عاشور، فنجح الفريق الموالي للاخير بقيادة عبد المجيد الصحراوي الفوز في الانتخابات ، ماساعد على تهميش الذين عارضوا الحبيب عاشور وعزلتهم، ولم تستطع الحكومة التي سهلت مهمة وصولهم الى رئاسة المكتب التنفيذي ان تسعفهم بحضوره ، ولم يبق امامهم الا سلاح واحد ،وهو ان يشكلوا الاغلبية في المكتب التنفيذي وهم ٨ من اصل ١٣، هنا ادرك الحبيب عاشور الى انه يملك سلاحاً اقوى وهو ان اغلبية الهياكل في الاتحاد رافضة سياسة المناورات والتهدئة [٣]، فسرعان ماحول الاغلبية في المكتب التنفيذي الى اقلية في الهيأة الادارية عندما عقدت في ٢٨تشرين الثاني ١٩٨٣ اجتماعا الذي صادق بأغلبية ٥٦عضو من اصل ٧٣ على طرد سبعة اعضاء من المكتب التنفيذي وهم في الوقت نفسه اعضاء في مجلس النواب، وعلى راس هؤلاء المبعدين عبد العزيز بوراوي[٤] ، لانهم نشروا بيانا نددوا فيه بتصرفات الحبيب عاشور ، وكان هذا الابعاد بدعم من السلطات الدستورية التي رأت في العملية اضعافا للحبيب عاشور والاتحاد في آن واحد ، بهدف خلق انشقاق نقابي وتهيئة الظروف الملائمة لالغاء دعم صندوق التعويض(تفاصيل الموضوع في الفصل الخامس)، اما اتباع الطيب البكوش فقد اتهموه بانه خذلهم بعد ان حرضهم على مجابهة الحبيب عاشور فلم يدافع عنهم امام

---

[١]-الحركة النقابية والديمقراطية في تونس١٩٧١ -١٩٨٩ ، المصدر السابق،ص٤٥.

[٢]- المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار حول اليسار والحركة النقابية، ص٢٢٧ .

[٣] – سالم الحداد ، المصدر السابق، ص٢٣٦ .

[٤] – عبد العزيز بوراوي :من مؤسسي الاتحاد العام التونسي للشغل ، ولد بصفاقس سنة ١٩٢٠،انخرط في نقابة الصحة التابعة للاتحاد الاقليمي بالكنفدرالية الفرنسية، وانتخب في المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام التونسي للشغل وعضو مكتبه التنفيذي ، فضلا عن نشاطه النقابي كان ناشطاً في الحزب الدستوري الجديد ، كان ضمن مجموعة الحبيب عاشور التي انشقت في تشرين الاول ١٩٥٦لتكون الاتحاد التونسي للشغل وفي سنة ١٩٨٣ كان على رأس الاتحاد الوطني للعمال التونسيين في اطار الازمة بين الاتحاد العام التونسي للشغل والحكومة.ينظر عميرة علية الصغير، المصدر السابق،ص١٥؛ سالم الحداد ، المصدر السابق، ص٢٣٦ .

الهيأة الادارية، ورد الطيب البكوش على ان طرد نصف المكتب التنفيذي هو خطأ استراتيجي حتى ولو تخلوا عن حضور الاجتماعات وأكد ان طردهم كان خطأ وعارضه شخصيا[١].

بعد عملية الطرد وجد السبعة انفسهم امام خيارين اما الاستسلام واما التصدي ، فاختاروا الثاني ، فأسس السبعة المبعدون من الاتحاد العام التونسي للشغل في ١٤ كانون الاول ١٩٨٣ منظمة عمالية جديدة اسمها (الاتحاد الوطني للشغل) برئاسة عبد العزيز بوراوي امينا عاما وهو نقابي قديم غير انه اصبح خصما للحبيب عاشور، الذي اتهم بدوره المنظمة الجديدة بالاضرار بوحدة الطبقة العاملة التونسية، في الوقت الذي ذكر فيه مؤسسو المنظمة العمالية الجديدة ، ان تأسيس هذه المنظمة جاء نتيجة تصرفات الحبيب عاشور الذي اراد ان يكون رئيسا بالقوة وفرض اراءه على الجميع[٢] ، اما الطيب بكوش فقد ذكر ان بعث الاتحاد الوطني كان بتشجيع من الحكومة [٣] ، اماعبد العزيز بوراوي ومن معه سوَّغوا حركتهم بانها جاءت نتيجة السلبيات والممارسات التي تذمروا منها في صلب المكتب التنفيذي[٤].

وفي خضم احداث قضية رفع الدعم عن الحبوب ومشتقاته، لم يعمل الاتحاد على التصدي لسياسة الترفيع في الاسعار ، من منطلق كونه ممثل شرعياً للطبقة العمالية، بل خلافا لذلك فقد وافقت الادارة المركزية النقابية على مبدا الزيادة في اسعار الخبز ، مقابل الزيادة في اجور بعض فئات الدخل المحدود مثل عمال الحضائر والمسنين متجاهلة بقية الفئات[٥] ، حتى ان حبيب عاشور قد صرح قبل الزيادة في اسعار الخبز في تشرين الاول ١٩٨٣ قائلا: **" انه من غير الطبيعي ان يكون سعر كيلو الخبز في تونس اقل من سعر كيلو القش"**[٦]، فموقف نقابة العمال من هذه الاحداث ظل علامة استفهام ، فذُكر ان هناك اتفاق غير معلن بين محمد مزالي ورئيس اتحاد النقابات الحبيب عاشور، على تزكية الزيادات في الاسعار مقابل امتناع الوزير الاول عن دعم المنشقين السبعة عن قيادة الاتحاد ، لذلك فلم يتخذ الاخير موقفاً تجاه الاحداث، واكتفى بالمطالبة باعطاء تعويضات للعمال مقابل الزيادات في اسعار الخبز، فمن الطبيعي ان يكون موقفه هذه المرة مدعاة للشك والريبة مقارنة بالاحداث المشابهة التي شهدتها تونس سابقا ،ودعا في بيان اصدره الى التصدي بكل حزم لاعمال النهب والتخريب للحرمات

---

[١]-الحركة النقابية والديمقراطية١٩٧١-١٩٨٩،المصدر السابق، ص٤٥.

[٢]- المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار حول اليسار والحركة النقابية، ص٢٢٨ .

[٣]-الحركة النقابية والديمقراطية في تونس١٩٧١-١٩٨٩، المصدر السابق،ص٤٥.

[٤]-توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس، الزاوية للطباعة والنشر، دمشق،١٩٨٩،ص٨٦؛المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار حول اليسار والحركة النقابية،ص٢٢٧ .

[٥]- رمزي التاج ، المصدر السابق ، ص١٧.

[٦]- صحيفة الوطن، (الكويت)، العدد ٣١٨٩، ٨كانون الثاني ١٩٨٤.

والممتلكات ، واعرب عن اسفه لارتفاع اسعار المواد الغذائية ،التي عدت القوت اليومي للشعب ، وأكد رفضه لكل اعمال العنف والفوضى وكل اشكال التخريب مهما كان مصدرها[١]، واذا كان موقف الاتحاد في كانون الثاني ١٩٧٨ من زيادة الاسعار هو الاضراب العام، فان هذه المرة اكتفى بموقف المراقب وهذا مافسر بان المتظاهرين لم يكونوا من العمال والموظفين بل من فئات العاطلين والمهمشين الذين سكنوا المناطق الفقيرة والمحيطة بالعاصمة [٢].

بعد احداث انتفاضة الخبز في كانون الثاني سنة ١٩٨٤ سارت الامور على غير وتيرتها السابقة خلال الاشهر اللاحقة، اذ اعلنت عدة اضرابات على سياسة مزالي الاقتصادية، منها اضراب مدرسي الابتدائية يومي ١٤و١٥ شباط ، بعدها اضراب عمال البريد ، فضلا عن اضراب عمال النقل ما دفع الجيش الى التدخل لتامين سير العمل في بعض القطاعات الضرورية ، وعملت الحكومة على توقيف المضربين وتوسعت حملات طرد العمال ، ونتيجة ذلك اعلنت عدة اضرابات في قطاعات التعليم والسكة الحديد والمعادن وغيرها [٣] .

امام هذا التصعيد ادركت الحكومة انه ليس من مصلحتها توتر الاوضاع الاجتماعية من جديد، لذلك بادرت بالدعوة لإمضاء اتفاق ١٣ نيسان ١٩٨٤ والاتحاد العام التونسي للشغل، لوضع حد للإضرابات ، وتوصل الى هذا الاتفاق بعد اجتماعين بين رئيس الوزراء محمد مزالي ورئيس الاتحاد العام الحبيب عاشور لانهاء حالة التوترات العديدة التي شهدتها البلاد بعد انتفاضة الخبز، وعبر مزالي خلالهما عن استعداد حكومته لدراسة الملفات العمالية والدخول في حوار يفضي الى حلول مرضية للطرفين[٤] .

الغيت بموجب هذا الاتفاق القرارات التي اتخذتها النقابات بشان عدد من الاضرابات الواسعة، ومن اهمها الاضراب الذي كان مقررا ان يشل كل قطاعات التعليم يومي ١٧و١٨ نيسان، واتفق الجانبان على العودة الى اسلوب الحوار والتفاوض لمعالجة الصراعات الاجتماعية ، كما وضعت الحكومة برنامجا زمنيا لتحقيق المطالب التي رفعتها النقابات نهايته في اواخر كانون الاول ١٩٨٤، وتعهدت النقابات من ناحيتها باتخاذ تدابير لتنقية المناخ الاجتماعي والحيلولة دون اندلاع الاضطرابات، وتعهدت الحكومة من جانبها بإشراك النقابات في دراسة الخيارات الاقتصادية والاجتماعية [٥].

---

[١]-توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس،ص٨٧.
[٢]- مجلة التضامن ،(باريس) ، العدد ٤٠، ١٤ كانون الثاني ١٩٨٤.
[٣]- صحيفة الانباء، (الكويت)، العدد ٢٩٣٠، ٢١شباط ١٩٨٤.
[٤]- وكالة الانباء العراقية، قسم المعلومات ،تونس، ع١٠٤، الرقم ٠٤٢ ،بتاريخ ١٤نيسان ١٩٨٤.
[٥]- مجلة التضامن ،(باريس) ، العدد ٥٥، ٢٨ كانون نيسان ١٩٨٤.

امام عجز حكومة مزالي عن الوفاء بتعهداتها للاتحاد بسبب الاوضاع الاقتصادية الصعبة التي مرت بها البلاد ، تجددت الاحتجاجات داخل الاتحاد ضد سياسة مزالي الاقتصادية، ويمكن حصر هذا التوتر والاحتجاج في نظر الاتحاد في سياسة المماطلة ، التي توختها الحكومة لمعالجة الاوضاع الاجتماعية في اثناء المفاوضات، والتي تمحورت حول عدد من القضايا منها الاجور وتطبيق الاتفاقيات المرقمة والموقعة من طرف رؤوساء مؤسسات الاتحاد العام، والطرد التعسفي وغلق المؤسسات ومحاكمة النقابيين [١].

تازمت الامور بشكل كبير بين حكومة مزالي واتحاد الشغل بعد اصدار هيأة الاتحاد الادارية بيانا في ٢٥ شباط ١٩٨٥ ، اعُلن فيه ان الحكومة ماطلت في الاستجابة لمطالب العمال واكدت ضرورة رفع اجور العمال[٢] ، وفي ايار ١٩٨٥ اصدر مزالي قراراً ربط بموجبه الزيادة في الاجور بالزيادة في الانتاج،حرصا منه على العزوف عن تجميد الاجور ، ورغبة منه في السماح بتحسين مقدرة الشغالين الشرائية [٣]، بينما وصفها الحبيب عاشور **"بدعة لا يوجد لها مثيل في اي بلد اخر"**[٤] لان هذا الشرط شكل تناقضاً مع الاتفاقات الموقعة مع النقابات ،التي ربطت الزيادة في الاجور بالزيادة بالاسعار واقرار التعديل التناسبي للاجور كلما ارتفعت الاسعار بنسبة ٥% لمدة ستة اشهر ، وهكذا تجاهلت الحكومة حقوق ومطالب العمال ، واصبح اغلبية الشعب مصاباً بالعوز وبحالة من الفقر نتيجة الازمة الاقتصادية،فقادهذا الوضع الى التصعيد المتبادل بين الحكومة والاتحاد الى الانفجار في الاوضاع الاجتماعية والسياسية في البلاد ،فأندلعت الاضرابات العمالية في قطاعات انتاجية شكلت الاعمدة الاساسية في الحياة الاقتصادية كأضراب قطاع النقل، وقطاع البريد ،وقطاع الكهرباء والغاز ، وتصدر الاتحاد العام التونسي للشغل كل هذه الاضرابات وقام بعملية تعبئة كبيرة وتجنيد لكل العمال المضربين ، واستخدم اسلوب الاضرابات المفاجئة[٥] ، نتيجة ذلك قامت سلطات الامن التونسية باعتقال عدد من اعضاء الاتحاد ، كانوا معتصمين داخل مقرات الاتحاد بينهم ثلاثة من قياديين كبار من اعضاء المكتب التنفيذي [٦]، واخضعت الحكومة الحبيب عاشور للاقامة الجبرية في منزله بموجب قرار حكومي صدر في ٧ ايار ١٩٨٥ حظر عليه استقبال اي زائر واستعمال الاتصالات الهاتفية مع اي مكان [٧] ،

---

[١]- سالم الحداد ، المصدر السابق ،ص ٢٤٠.
[٢] - طه حميد حسن العنبكي ، النظام السياسي التونسي ١٩٥٦- ١٩٨٩،ص ١٧٨.
[٣] – محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة،ص٥١٧.
[٤] – توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس، ،ص١١٨.
[٥] – توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس، ،ص١١٨.
[٦]- مجلة المجالس ،(الكويت)،العدد ٧٤٧، ٩كانون الاول ١٩٨٥.
[٧]- وكالة الانباء العراقية، قسم المعلومات ،تونس، ع١٠٤، الرقم ٠٤٢، بتاريخ ٧ايار ١٩٨٥.

واستمرت الاوضاع بالتأزم وبدأ للجميع انه لامناص من المواجهة بين الحبيب عاشور ومحمد مزالي،لاسيما وان الاتحاد نفذ قراره بشن اضرابات في قطاع النقل البري والسكك الحديدية وفي السياحة في اب ١٩٨٥، رداً على سياسة الحكومة اتجاه الاتحاد [١] ، واتهم محمد مزالي الحبيب عاشور في خطاب القاه امام مجلس النواب التونسي في كانون الاول ١٩٨٥، بالسعي الى المواجهة مع الحكومة واللجوء الى الاستفزازات لإثارة الحكومة وأضاف قائلا **" لدي الامل في ان لاتصل هذه الاستفزازات الى حد يفرض تدخل قوات الامن الوطني"**[٢].

وصلت الازمة مع الاتحاد حدتها في اعقاب تصريحات نسبت الى الحبيب عاشور وجه فيها اتهامات خطيرة لحكومة محمد مزالي مؤكدا انه سيعمل على اسقاطها ، كما اسقط حكومة الهادي نويرة من قبل، بعدما قطعت الحكومة الموارد المالية على الاتحاد ، من خلال ابطال العمل بقاعدة خصم ١% من رواتب العمال لفائدة الاتحاد والبالغة٣ ملايين دولار سنوياً[٣].

دفع هذا الامر بمحمد مزالي الى الاعلان انه لم يعد في امكانه مواصلة الحوار مع الاتحاد، مادام الحبيب عاشور المسؤول الاول عليه [٤]، واشترطت حكومة مزالي لتسوية الازمة النقابية بينهما، وبين الاتحاد ابعاد الحبيب عاشور من قيادة الحركة العماليه في تونس [٥] وذكر محمد مزالي عن علاقته بالحبيب عاشور قائلاً: **" ان الازمة لم تكن في يوم من الايام بيني وبين عاشور ، بل بينه وبين بورقيبة منذ سنة ١٩٥٦ ، وقد فسر الحبيب عاشور هذه العداوة بأن بورقيبة يراه منافساً وطامحاً في خلافته ، اما الازمة التي عاشها الاتحاد فهي ازمة وطنية خطيرة الابعاد كان الهادي نويرة الوزير الاول السابق هدفاً لها ، وعند تعييني اتسمت علاقتي بالحبيب عاشور في البداية بالثقة والمودة ، غير انه دخل مع الحكومة في مفاوضات قصد الزيادة في الاجور، ورأيت حينها ان هذه المطالبة تعجيزية لحكومتي ،فدخلنا في صراع معه ومع الاتحاد"**[٦]، واضاف مزالي ان الحبيب عاشور لم يكتف بالتصريح بان واجبه هو الاستمرار في المطالبة، بقطع النظر عن الصعوبات التي تعانيها البلاد ، بل عقد ندوة صحفية صرح فيها **" ان نظام اسرائيل ونظام افريقيا الجنوبية العنصري هما اخف وطأة من النظام التونسي مضيفاً انه اكل رأس نويرة وسيأكل رأس محمد مزالي"** [٧].

---

[١] – توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس، ،ص١١٨.
[٢]- مجلة المجالس ،(الكويت)،العدد ٧٤٧، ٩كانون الاول ١٩٨٥.
[٣] – توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس، ،ص١٢٠.
[٤] - صحيفة السياسة ،(الكويت)،العدد ٦٢٢٨، ٨ كانون الاول ١٩٨٥.
[٥]- صحيفة الوطن ،(الكويت)،العدد ٣٨٧٨، ٦كانون الاول ١٩٨٥.
[٦]- نقلا عن عبد الرحمن شريف ، الوجه الاخر لبورقيبة ، ج١ ، كونتراست للنشر، تونس ،١٩٨٩ ،ص٨٧.
[٧]- عبد الرحمن شريف،المصدر السابق،ص٨٧.

اختارت قيادة الاتحاد عدم الذهاب بعيدا في مواجهه مع السلطه ، وخضعت للشرط الذي وضعته الحكومه باعفاء الحبيب عاشور لجعل العلاقات طبيعية مع الاتحاد [١]، فتحركت القواعد العماليه مطالبة بتصحيح المسار النقابي في البلاد واستبعاد الحبيب عاشور، اذ اصدر المكتب التنفيذي في الاتحاد العام التونسي في ٥ كانون الاول ١٩٨٥ ، بلاغا اعلن فيه اعفاء الحبيب عاشور من مسؤولية الامانة العامة لاتحاد العام التونسي للشغل ، مع احتفاظه بعضوية المكتب التنفيذي ، وانتخاب الصادق علوش اميناً عاماً للاتحاد [٢]، وجاء في مقدمة الاعفاء **"ان مصلحة الاتحاد والبلاد تستوجب ايجاد حل سريع يخرج الوضع من المأزق ، على اساس الحوار المسؤول الذي يراعي مصالح جميع الاطراف ، بعيداً عن عقلية الانتصار والهزيمة ، وكذلك لاهمية دور الاتحاد في الدفاع عن حقوق الشغالين وفي استقرار البلاد ، وفي المحافظة على كيان الاتحاد باعتباره منظمة نقابية وطنية مستقلة وعريقة"** [٣]، كما جاء في البيان **" ان هذا الاجراء جاء بناءاً على الازمة الحالية التي يمر بها الاتحاد ، والبعد بالبلاد من الدخول في دوامة العنف المجهول للعواقب"** [٤] ، وجاء قرار اعفاء الحبيب عاشور بعد يوم واحد من اللقاء الذي جمع نور الدين حشاد وزير العمل التونسي، وأعضاء المكتب التنفيذي واعضاء الكتاب العموميين في الاتحادات الاقليمية، واتُفق على حل الازمة النقابيه في البلاد ، وعلى اطلاق سراح النقابيين المعتقلين والمفصولين منهم لاسباب نقابيه واعادتهم الى مراكز عملهم، ثم الدخول في مفاوضات لإيجاد حل للمشكلات الاجتماعية السائدة ، وتمثلت اول بادرة للاجتماع هو الغاء الاضراب الذي كان مقررا له في قطاع التعليم بمرحلتيه الابتدائية والثانوية[٥].

بعد ذلك عملت حكومه مزالي على الاستحواذ على مقرات الاتحاد العام التونسي للشغل ، عن طريق (الشرفاء) وهي تسميه اطلقها محمد مزالي على مجموعة من قدماء النقابيين المنتمين الى الحزب الاشتراكي الدستوري ، الذين اجبروا على مغادرة الاتحاد بسبب خلافاتهم مع الحبيب عاشور، واستنجد بهم مزالي لمواجهة الحبيب عاشور واتحاد الشغل عندما اشتد الخلاف بين الطرفين، كما شنت الحكومة حملة طرد واعتقالات ضد عدد من النقابيين ، وتحريض النقابيين على الانشقاق وتكوين نقابات موازية لاتحاد الشغل ، بهدف التخلص من الحبيب عاشور [٦].

---

[١] – خليفة الشاطر واخرون ، المصدر السابق، ص ٢٠٠.
[٢]- صحيفة الانباء ،(الكويت)،العدد ٣٥٧٥، ٦كانون الاول ١٩٨٥.
[٣]- نغم اكرم عبد الله الجميلي ، المصدر السابق،ص٨٧.
[٤]- صحيفة الوطن ،(الكويت)،العدد ٣٨٨٢، ١٠كانون الاول ١٩٨٥.
[٥] – صحيفة الجمهورية ،(القاهرة) ، العدد ١١١٦١، ١٦ كانون الاول ١٩٨٥.
[٦]- المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار حول النقابي الحبيب عاشور، ص١٨٥.

في شهر شباط ١٩٨٦ وجهت تهمة الخيانة (الموصوفة لمؤتمن وسوء تصرف في شركة التامين) التابعة للاتحاد ، استناداً الى الفصل ٨٦ من المجله التجارية ، وقضت المحكمه بسجن الحبيب عاشور ورفاقه لمدة سنتين ، بعدها عقد (الشرفاء) مؤتمرهم التصحيحي في يومي ٢٩ و ٣٠ نيسان ١٩٨٦، فكان هذا المؤتمر حزبيا دستوريا خالصا ، وله علاقه مباشرة بالحكومة ، فافرز المؤتمر مكتباً تنفيذيا مواليا بصفة مطلقة للحكومة ،وبديلا للقيادة السابقة التي فقدت شرعيتها بعد هذا المؤتمر، وبقيت الاوضاع على حالها ولم تستقر الا بعد التغيير الذي حصل في تشرين الثاني١٩٨٧ [١].

ان اصرار محمد مزالي على ابعاد الحبيب عاشور عن قيادة الاتحاد العام التونسي للشغل، الذي عرف بمواجهته للنظام ،لانه شكل عرقلة لمؤسسات النظام والسلطة التنفيذية، وهذا ما رفضه مزالي ،الذي اراد ان تكون حجم مؤسسات الدوله بمستوى يؤمن حرية الحركة على صعيد قيادة السلطه كاملة مستقبلا[٢]. غير انه بالرغم من ذلك يمكن ادخال هذا الخلاف ضمن اطار صراعات الخلافة الدائرة حينها بين مختلف الجهات السياسية لخلافة بورقيبة.

سادساً-الوجود الفلسطيني في تونس وموقف محمد مزالي منه:

مما لاشك فيه ان القضية الفلسطينية هي القضية الابرز التي شغلت العالم وماتزال تشغل العالم العربي والاسلامي والدولي، وفي اثناء السنوات العديدة ظهرت الكثير من المواقف والادوار لشخصيات كثيرة ومعروفة ، وصرحت تصريحات عبرت عن رؤى اصحابها.

كان لمحمد مزالي رأيه في هذه القضية عندما وصف المقاومة الفلسطينية قائلا **" ان المقاومة الفلسطينية المتنامية الشاملة المعبرة عن اردة الحياة ، هي الدليل على ان القدر سيستجيب ، وان المستقبل سيكون لفلسطين الحرة ، ولتمعن اسرائيل في عدوانها وتحديها للضمير العالمي ، فهيهات ان تغير اتجاه التاريخ ، وهيهات ان تنهزم الروح امام المادة "** [٣]، واوضح مزالي ان موقفه من القضية الفلسطينية هو موقف التأييد المطلق ، والدعم الكامل للشعب الفلسطيني المكافح ولقادته الشرعيين ، ودعا الى مشاركة الجانب الفلسطيني في كل المفاوضات الداعية الى حل القضية الفلسطينية ، لان عدم

---

[١]-المجلة التاريخية المغاربية ، سمنار حول النقابي الحبيب عاشور، ص١٨٦؛ سالم الحداد ، المصدر السابق، ص٢٩٦.
[٢] – طه حميد حسن العنبكي، النظام السياسي التونسي ١٩٥٦-١٩٨٩، ص١٧٩.
[٣] - محمد مزالي ، وجهات نظر ، ص ٢٥.

المشاركة يجعل التوصل الى أي حل حلا منقوصاً ، وغياب منظمة التحرير الفلسطينية الطرف الرئيس بالقضية هو دفع القضية الى طريق مسدود[١].

في النصف الثاني من شهر اب ١٩٨٢ جاء وفد من منظمة التحرير الفلسطينية لمقابلة بورقيبة، حول امكانية استقبال عدد من مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية بعد خروجهم من لبنان، وطلبت وسيلة بنت عمار[٢] من محمد مزالي اقناع بورقيبة بقبول طلب الوفد، ولم يكن مزالي بحاجة الى هذه التوصية ، بالرغم من تحفظ بعض اعضاء الحكومة بحجة صيانة السياحة، وما كاد بورقيبة يأخذ رأيه حتى وافق بحماس [٣].

ان قول مزالي بأن وسيلة قد طلبت منه اقناع بورقيبة امر بعيد عن الدقة ، ذلك ان وسيلة ليس بحاجة لاحد لاقناع بورقيبة ، فهي متمكنه بما فيها الكفاية للقيام بهذا الامر، فضلا عن ان علاقة مزالي بوسيلة قد ساءت بعد انتفاضة الخبز،لا سيما قيام مزالي بأبعاد انصارها، فمن غير الممكن ان تطلب من مزالي التدخل،علاوة على ذلك انها هي من اقنعت بورقيبة بتولي مزالي منصب الوزير الاول، لذا فهي ليس بحاجة الى وساطته ، ومن الواضح ان تونس قبلت بأستقبال الفلسطينيين نتيجة ضغوط امريكية ودولية.

في هذا الوقت كان الفلسطينيون قد وضعوا في الزاوية في اثناء الاجتياح الاسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢، اذ اقتضت الضرورة خروجهم من لبنان، فبعد مفاوضات تقرر خروجهم استجابة لشروط اسرائيل واستجابة الى الحركة الوطنية اللبنانية[٤] ، ما ادى الى خروج ١١الف فلسطيني ، توجهوا الى عدة دول

---

[١] - صحيفة الوطن ،الكويت، العدد ٢١٩٠، ١١كانون الاول ١٩٨١.

[٢] - سعت وسيلة في هذا الوقت الى مد علاقاتها الى المشرق، ومن خلال صداقات طويلة مع الفلسطنيين تمكنت من تكوين رؤية مشرقية،لذلك كان لوسيلة دور بارز في اقناع بورقيبة الذي كان لايحب (المشرق وخلافاته)،بأن تنتقل القيادة الفلسطينية الى بلاده، ولم يكن الامر بتلك البساطة فلولا موافقة كل من واشنطن وفرنسا ماكان لتونس ان تقبل بأستضافة المسلحين الفلسطينين حتى ولو كانوا منهوكي القوى ومنزوعي السلاح.للمزيد ينظر الصافي سعيد ،المصدر السابق،ص٣٦٥.

[٣] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، ص ٦٠٢.

[٤] – الحركة الوطنية اللبنانية :تحالف تكون من عدة أحزاب و حركات قومية و يسارية شكلت عام ١٩٦٩، برئاسة كمال جنبلاط ،ضم التحالف الحزب التقدمي الاشتراكي، والحزب الشيوعي اللبناني، ومنظمة العمل الشيوعي، والحزب السوري القومي الاجتماعي، وحركة الناصريين المستقلين، والاتحاد الاشتراكي العربي ، فضلا عن بعض الشخصيات المستقلة، تحالفت الحركة مع بداية الحرب مع منظمة التحرير الفلسطينية في مواجهة الجبهة اللبنانية اليمينية ذات الأغلبية المسيحية حققت الحركة نجاحات في بداية الحرب فسيطرت على حوالي ٨٠% من لبنان، غير انه سرعان ما دبت انقسامات بين أعضاءها على خلفية الخلاف مع سوريا، تلقت الحركة عدة ضربات موجعة مع التدخل العسكري السوري في حزيران ١٩٧٦ واغتيال جنبلاط في آذار ١٩٧٧. ركز وليد جنبلاط الذي خلف والده كرئيس للحركة، أكثر على دوره كزعيم حزبي و درزي، وسعى لتحسين العلاقة مع سوريا، ففقدت الحركة الكثير من دورها، و ما لبثت أن حلت فعليا مع الاجتياح الاسرائيلي عام ١٩٨٢. ينظر الى فواز طرابلس، تاريخ لبنان الحديث من الامارة الى اتفاق الطائف. ط٣، دار الريس ، بيروت ، ٢٠١١،ص٣٥٦.

عربية ، فانتقلت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الى تونس [١]، بعد ان تدخلت عدة أطراف دولية لإقناع الرئيس التونسي بورقيبة لاستقبال الفلسطينيين وقامت الولايات المتحدة الأمريكية بدورها بتقديم عدة ضمانات للدولة التونسية، من ناحيتها قدمت الحكومة التونسية شروطا معينة، وطلبت التزامات محددة من الفلسطينيين، فالحكومة التونسية حساسة جدا من وجود الفلسطينيين على أراضيها و خشيت من مظاهر ذلك التواجد لاسيما إذا كان مسلحا، وسوابق هذا التواجد في بعض الأقطار العربية حاضرة في ذهن القيادة السياسية التونسية الشديدة الحساسية من التدخل الخارجي في شؤونها الداخلية، لذلك أكدت ضرورة استقرار القوات الفلسطينية المسلحة(تسليحا شخصيا وخفيفا) في منطقة بعيدة نسبيا عن العاصمة ، وعن العمران بشكل عام (منطقة وادي الليل،شمال غرب العاصمة) ، في حين تستقر القيادات السياسية في منطقة حمام الشط(تبعد عن العاصمة بنحو ٢٢كلم) ،على أن تتولى الدولة التونسية حماية الفلسطينيين الذين التزموا بدورهم بان لايكون لهم أي نشاط عدا النشاطات السياسية والاجتماعية والإنسانية[٢].

في ٢٨ اب ١٩٨٢ ذهب مزالي برفقة بورقيبة ووسيلة زوجته الى ميناء بنزرت لاستقبال ياسر عرفات مع حوالي الف من رجاله[٣]. وعندما وجه سؤال الى محمد مزالي عن الاسباب التي دفعت تونس لاستقبال لاستقبال قيادة منظمة التحرير الفلسطينية اجاب قائلا: **" ابدينا دائما اعترافنا واحترامنا لمنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلا شرعياً للشعب الفلسطيني تنفيذا لقرارات قمة الرباط ١٩٧٤، وقبل هذا لنا علاقات ودية مع ياسر عرفات ،ففي كل مرة يطلب منا مد اليد لمساعدة مادية ، او ديبلوماسية او سياسية، فعلنا ذلك "**[٤] .

تمكنت تونس من استيعاب هؤلاء المقاتلين، وادرك الفلسطينيون من جانبهم ان تونس ليست بيروت الثانية ، فهي مختلفة اذ كانت بيد حكومة قادرة على ضبط الامور، وخالية من الاحزاب والطوائف ، لذلك اخذت منظمة التحرير الفلسطينية تعمل بصمت باتجاه الاراضي المحتلة من دون ان تسبب المشكلات لتونس، فاستمر الوجود الفلسطيني في تونس وسارت الامور بصورة طبيعية[٥]، حتى جاء الاول من تشرين الاول سنة ١٩٨٥، عندما تعرض مقر منظمة التحرير الفلسطينيـــة في مدينة حمام الشط الى

---

[١]- محسن محمد صالح ، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، بيروت ٢٠١٢، ص٩٣.

[٢]- عبد اللطيف الحناشي، ادارة الأزمات الخارجية في أواخر العهد البورقيبي:الغارة الإسرائيلية أنموذجا ، أعمال المؤتمر الخامس حول: نهاية حكم بورقيبة والقيادات السياسية العربية بين الصعود و الانحدار، مؤسسة التميمي للبحث العلمي المعلومات، تونس، اذار ٢٠٠٥، ص١٣٩.

[٣]- الصافي سعيد ، المصدر السابق، ص ٣٦٥.

[٤] - صحيفة الرأي العام ، (الكويت) ، العدد ٦٧٦٠، ١٠ ايلول ١٩٨٢.

[٥] - الصافي السعيد ، المصدر السابق، ص ٣٦٥.

غارة اسرائيلية في الساعة العاشرة صباحاً من اليوم نفسه[١]، ردا على عملية قام بها فدائيون فلسطينيون ذهب ضحيتها ثلاثة اسرائيليين[٢]، واسفرت الغارة عن مقتل العشرات من الفلسطينيون وجرحهم ، ومن المواطنين التونسيين ايضاً[٣] ، وفي هذا الوقت كانت حالة الرئيس التونسي بورقيبة الصحية والنفسية سيئة بسبب كبر سنه، والوزير الاول محمد مزالي في وضع لا يحسد عليه ، فالصراع على الخلافة على أشده ومصادر القرار متعددة وعلاقاته سيئة مع الاتحاد العام التونسي للشغل [٤]، هنا سقطت حكومة مزالي في أول اختبار وهو ميدان إلاعلام ، فمن المبادئ الأساسية لإدارة الأزمات إطلاع الرأي العام بدقة وشفافية على الحقائق ، وأبعاد الأزمة جميعها مهما كانت مرارتها أو قسوتها، فالأمر أثناء هذه الأزمة على عكس ذلك تماما، فكثير من الوزارء لم يعلم بما حدث الا بالصدفة، وحتى الذي علم اعتقد بأن الذي حدث من الليبيين، ولم يكن الإعلان الرسمي عن الغارة الا في نشرة أخبار الواحدة بعد الظهر، في حين أن الغارة وقعت في العاشرة صباحا، ولكن حتى الإعلان المتأخر لم يحدد الجهة التي قامت بالعدوان، واكتفت الجهات المسؤولة بالقول إن الذي قام بالغارة هي جهات مجهولة[٥].

مرت ساعات من الصمت الطويل ، وقرر محمد مزالي القاء خطاباً في التلفزة وتوجه اليها فعلا، غير انه حرص قبل الاقدام على هذه الخطوة استشارة بورقيبة في محتوى خطابه، الذي لم يتمكن من الاتصال به لان بورقيبة غادر الى مكان مجهول بعد سماعه بخبر الغارة على حمام الشط، فخشي ان تكون من فعل الطيران الليبي[٦] ،او بداية لمحاولة انقلابية وانه فضل الابتعاد عن القصر، لذلك فإن مزالي توجه الى مبنى الاذاعة والتلفزة وفي نيته القاء خطاب، غير انه غادر المبنى من دون ان يقول كلمة[٧].بقي الامر مجهولا، ولم يعلن عن هوية الطائرات المغيرة الا في الساعة السابعة مساءً من يوم الغارة، اذ أصدرت الحكومة والديوان السياسي بيانا مشتركا تضمن تحذيرا لكل البلدان الصديقة لإسرائيل من هذه

---

[١]- صحيفة الجمهورية، (العراق)،العدد ٥٨٧٠، ٢تشرين الاول ١٩٨٥،ص١.

[٢]- زئيف شيف، الاهداف الحقيقية لقصف مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، القضية الفلسطينية في شهر، السنة ١٨، العدد ١٩، تشرين الثاني ١٩٨٥،ص٦٢.

[٣]- صحيفة الوطن،(الكويت)، العدد ٣٨٢٩ ،١٨تشرين الاول ١٩٨٥ .

[٤]- الهادي التيمومي ، المصدر السابق، ص١٧٠.

[٥] - عبد اللطيف الحناشي، ادارة الأزمات الخارجية في أواخر العهد البورقيبي:الغارة الإسرائيلية أنموذجا ،ص١٤١.

[٦]- ذكر ان الطائرات الحربية الليبية اخترقت المجال التونسي اكثر من مرة، لاسيما عند تأزم العلاقة بين البلدين بعد طرد ليبيا للعمال التونسيين ، فقد ذكرت وكالة الانباء التونسية في ان عدد من الطائرات الليبية اخترقت في ٢٤ ايلول ١٩٨٥ المجال الجوي التونسي وحلقت فوق قاعدة رمادة الجوية العسكرية التونسية . ينظرصحيفة الراية، (قطر)،العدد ١٧٨٢، ٢٥ايلول ١٩٨٥، ص١١.

[٧]- صحيفة السفير، (بيروت)،العدد ٤٣٥٧، ١٦ايلول ١٩٨٦.

الأعمال غير المقبولة ، وحاول محمد مزالي تدارك الموقف وامتصاص غضب المعارضة والشارع التي خرجت منددة بالاعتداء، فقام بإطلاق سراح الذين اعتقلوا جميعهم في أثناء مظاهرات الاحتجاج، وقام باستقبال بعض قادة المعارضة المعترف بها رسميا ، وذلك بعد ٣ سنوات من الجفاء بين الطرفين، كما استقبل رئيس حركة الاتجاه الإسلامي غير المعترف بها رسميا وذلك لأول مرة [١]، وتكثفت التصريحات واللقاءات مع الصحافة والإعلام الذي أكد ضرورة حماية الوطن، وأن ذلك لن يكون إلا بوساطة الشعب التونسي ، مؤكدا مواصلة استمرار الحزب والشعب التضامن مع الفلسطينيين واحتضانهم ،ودعم مسيرتهم فقد صرح مزالي في حديث صحفي **"ان ثورة الشعب الفلسطيني ثورة تخصنا، وان الشعب التونسي يؤيد المنظمة والقضية الفلسطينية ويرحب بها على اراضيه،وان امر نقل منظمة التحرير الفلسطينية الى عاصمة عربية اخرى امر لم يخطر ببالنا قط"**[٢].

ان غياب بورقيبة وانقطاع الاتصال به لساعات وفي هذا الوقت الحرج تطلب من محمد مزالي وهو رئيس حكومة اتخاذ موقف سريع من دون انتظار موافقة بورقيبة، ففي الكثير من الازمات الداخلية التي عرفتها تونس نجد محمد مزالي وقع في تناقض كبير بين مايمليه عليه الواجب من تحمل مسؤولياته كرجل دولة ازاء قضايا الشعب، حتى وان كان هذا يتعارض مع بورقيبة، وبين الانصياع والولاء المغالى به لدرجة الاستسلام، فكشفت هذه الازمة ان محمد مزالي اختار الصمت والتحفظ ازاءها ،لانه غير قادر على الخروج من هذا الانصياع، فكان يجب على مزالي بوصفه الرجل الثاني في الدولة تحمل المسؤولية كاملة والتصرف على وفق قناعاته لا قناعات بورقيبة ، واجتياز هذا الاختبار بنجاح ،لاسيما بأنه بحاجة الى اثبات دوره ،والعمل بشجاعة اكبر بعد ماتعرض له من انتكاسة جراء انتفاضة الخبز .

---

[١]- عبد اللطيف الحناشي، ادارة الأزمات الخارجية في أواخر العهد البورقيبي:الغارة الإسرائيلية أنموذجا ، ص١٤٤.

[٢]- صحيفة الانباء ، (الكويت)، العدد ٣٥٦١، ٢٢تشرين الثاني ١٩٨٥،ص١.

الفصل الخامس

التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ودور محمد مزالي فيها ١٩٨٠ـ ١٩٨٦

اولا: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

أـ نفقات صندوق التعويض١٩٨٣.

ب- انتفاضة الخبز ونتائجها ١٩٨٤.

ثانياً: نشاطات محمد مزالي الثقافية في تونس ١٩٨٠ـ١٩٨٦.

ثالثاً: صراعات الخلافة وعوامل اقالة محمد مزالي.

اولا: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

شكلت الازمات الاقتصادية والاجتماعية في تونس في اوائل الثمانينيات نقطة انطلاق نحو تدهور تدريجي للوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، فهذه الازمات هي من ابرز التطورات التي سجلت في الثمانينيات من القرن المنصرم، وادت الى انتفاضة شعبية انطلقت من أقصى الجنوب يوم ٢٨كانون الأول ١٩٨٣ ليمتد لهيبها الى أقصى الشمال يوم ٣كانون الثاني ١٩٨٤ في تونس العاصمة ، وكادت الأزمة أن تقضي على النظام البورقيبي لولا تراجع بورقيبة عن قرار رفع سعر رغيف الخبز.

وقبل التطرق الى تفاصيل الازمة وتداعياتها لابد من التعرف على الخلفية الاقتصادية والاجتماعية التي كمنت ورائها .

كان تردي الاوضاع العامة للعديد من شرائح المجتمع التونسي السبب المباشر للانتفاضة، اذ شعرت الجماهير الكبيرة من العاطلين والعمال والطلاب والمهمشين من سكان القرى والارياف والاحياء القصديرية (السكن العشوائي) في المدن الكبرى، انها مهددة في لقمة عيشها بعد قرار الحكومة بمضاعفة سعر الخبز ، ولم تكن هذه الزيادة مجرد اجراء روتيني اتخذته الحكومة بل اضطرت الى تطبيقه، نتيجة عدة عوامل منها تدهور الميزانية العامة ، وخضوعها لإرادة الجهات الخارجية ، فضلا عن سوء الاداء السياسي[١].

مرت تونس في هذه المرحلة بأزمة صعبة وحالة من حالات التوتر السياسي لم تعرفها من قبل، فواجه محمد مزالي مشكلات تراكمت وتثاقلت وأصبح من الصعب حلها ، فالمشكلات التي واجهها مزالي بعضها تعود الى زمن التجربة الاشتراكية(١٩٦٢-١٩٦٩) التي تزعمها (أحمد بن صالح) والتي كانت سببا من أسباب افقار صغار الفلاحين، وافراغ الأرياف وإهمال الزراعة ما دفع بالكثير الى الهجرة نحو المدن ، فأمتلأت المدن الصغيرة والكبيرة بالعاطلين عن العمل والسكن العشوائي حول المدن[٢].

[١] - سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص٢٠٣.
[٢] - مجموعة الحقيقة التونسية ، المصدر السابق ، ص٢٥.

أما المشكلات الأخرى فتعود الى التجربة الليبرالية التي تبناها الوزير الأول هادي نويره (١٩٧٠-١٩٨٠) [١] التي تسببت في تعميق الفروق بين الطبقات الاجتماعية، وأوجدت طبقة من الأثرياء ، فزادت التناقضات السياسية والاجتماعية، فشهدت تونس في اثناءها عدة أزمات منها أزمة الطلبة في ١٩٧٣ وأزمة العمال في ١٩٧٨ [٢].

عندما تسلم محمد مزالي الحكومة اتبع السياسة الاقتصادية المتبعة نفسها ، منذ بداية السبعينيات، غير أنه اختلف عنها بإعطاء موضوع تدخل الدولة في القطاعات الاقتصادية الحيوية مزيداً من الاهمية[٣] ، وعلى الرغم من اتخاذه هذا الاتجاه فأنه لم يكن لمزالي برنامج اقتصادي معين ، كتبني اشتراكية الستينيات، او ليبرالية السبعينيات [٤] .

باشر مزالي وضع الخطط الخاصة بمعالجة الصعوبات وايجاد حلول لها ،عند قيامه بوضع المخطط السادس للسنوات ١٩٨٢-١٩٨٦الذي من المفترض بدأ تطبيقه سنة ١٩٨٢، فبدأ باتخاذ سلسلة من التدابير، وافق عليها الرئيس التونسي بورقيبة ، واهم ماركز عليه المخطط هو مكافحة التهرب الضريبي الذي ادى الى خسارة ٤٠% سنوياً من الضرائب المفروضة التي فشلت الدوائر المختصة في جبايتها،

---

[١] - اعتمدت حكومة الهادي نويرة (١٩٧٠ – ١٩٨٠) سياسة اقتصادية ليبرالية فاتخذت إجراءات متعددة لتصفية آثار تطبيق الاشتراكية في الستينيات ، اذ أقرت الحكومة تعايش القطاع الخاص والقطاع الحكومي والقطاع التعاضدي الذي اقتصر على أراض دولية، ومن هذه الإجراءات إعادة هيكلة الأراضي الفلاحية مع حل بعض التعاضديات وإعادة الملكيات لأصحابها، فاحتلت الملكية الخاصة المكانة الأولى بأكثر من ٥٣ % من الأراضي الفلاحية على حساب أراضي الدولة والأراضي التعاضدية، مادى الى تراجع نسبة الاستثمارات المخصصة للقطاع الفلاحي لفائدة القطاع الصناعي، كما شجعت الدولة الاستثمارات في الصناعات المعملية بدعم المبادرة الخاصة المحلية والأجنبية ، مع سن قانون نيسان ١٩٧٢ الهادف إلى استقطاب الاستثمارات الأجنبية و منحها امتيازات كمركية و جبائية، ودعمت الدولة أيضا النشاط السياحي ورفضت بعض القيود عن النشاط المصرفي و انفتاحه التدريجي على السوق العالمية مع فتح الباب أمام البنوك الأجنبية لتركيز فروع لها في تونس.أدت تجربة الانفتاح الاقتصادي إلى ارتفاع نسق النمو و معدل إحداث مواطن الشغل و تحقيق انتعاشة اقتصادية لاسيما في النصف الأول من السبعينات مع تعاقب السنوات الممطرة وارتفاع أسعار النفط.بدأت سلبيات الانفتاح الاقتصادي تظهر منذ أواسط السبعينات لاسيما مع محافظة القطاع العام على وزنه في الحياة الاقتصادية ما شكل عبئا على ميزانية الدولة لضعف مردوديته و ارتفاع كلفته، كما ساهمت مجموعة أخرى من العوامل مثل تراجع أسعار الفسفاط و النفط في السوق العالمية، والإجراءات الحمائية التي اتخذتها السوق الأوروبية المشتركة . ينظر عدنان منصر ، الدر ومعدنه (الخلافات بين الحزب الدستوري والحركة النقابية في تونس ١٩٢٤-١٩٧٨)، المغاربية للطباعة والنشر، تونس ٢٠١٠،ص١٠٦؛ خليفة الشاطر واخرون ، المصدر السابق،ص١٩٢.

[٢] - مجلة الدستور ، (لندن) ،العدد٦٠٠ ، ٨ آذار ١٩٨٢.

[٣] – مجلة النهار العربي الدولي ، (باريس) ، العدد١٦٢ ، ٩حزيران ١٩٨٠.

[٤]- عامر قريعه ، مراحل الحكم في تونس منذ ١٩٥٦الى ما بعد ثورة ١٤جانفي٢٠١١، مطبعة فن الطباعة، تونس،٢٠١٣، ص٨٣.

فضلا عن اهتمامه الكبير بالزراعة من خلال إنماء الزراعة ورفع مستوى المعيشة، كما عد مزالي ان مكافحة البطالة ، وإيجاد فرص عمل أمام التونسيين هما من الاسس التي سيعتمد عليها في بناء مجتمع افضل[١] .

سعى مزالي الى تطبيق ما اعدته حكومته في المخطط السادس، آخذاً بنظر الاعتبار احوال العمال والعاطلين عن العمل[٢]، فأعطى للعمال منحاً وزيادات في الاجور ،مستحضراً في ذهنه احداث كانون الثاني ١٩٧٨[٣]، وفعلا أصدرت الحكومة في سنة ١٩٨٢ مرسوما بزيادة الأجور، على الرغم من ان الإنتاجية كانت في حالة تراجع في ذلك الوقت، وبلغ التضخم ١٤٪ خلال العام نفسه [٤]، ولموازنة هذا العجز قرر مزالي زيادة الضرائب في الاسعار الكمالية [٥]، وعلى الرغم من ذلك قررت الحكومة ايضاً في سنة ١٩٨٣ زيادة جديدة بنسبة كبيرة غير متوقعة بلغت ٢٩% من حجم الأجور، و ٢٣,٥% في متوسط الأجر السنوي، ويبدو أن هذه الزيادة في الأجور كانت إجراء غير مدروس أتخذه الوزير الأول للحصول على شعبية بأي ثمن [٦]، ما تسبب في تضخم مالي في البلاد[٧].

في اثناء السنوات الثلاثة الاولى من المخطط السادس ازداد الاستهلاك بمعدل ٤,٥% في السنة في حين أن الناتج الضريبي الخام لم يزد بأكثر من ٢,٥%سنويا [٨]، واوضح تقرير البنك المركزي التونسي الذي نشر في اب١٩٨٣ ان النمو الاقتصادي في البلاد في سنة ١٩٨٢ فشل في تحقيق المعدل الذي حدده المخطط السادس ١٩٨٢-١٩٨٦ وعزا البنك المركزي هذا التراجع في معدل النمو الاقتصادي الى عوامل محددة منها[٩]:

١- الارتفاع الكبير في نسبة التضخم المالي في البلاد ، اذ بلغت سنة ١٩٨٣ ١٤%.
٢- تراجع انتاج النفط وانخفاض اسعاره .

---

[١] - مجلة الأسبوع العربي ، (باريس) ، العدد١١١٠، ١٩ كانون الثاني ١٩٨١.
[٢]- سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص٢٠٤.
[٣]- عمر الشاذلي ، المصدر السابق ، ص٢٩٤.
[4]- Mohamed Z. Bechri and Sonia Naccach, The Political Economy of Development Policy in Tunisia, The University of Tunisia, 2003,p29.
[٥]- عمر الشاذلي ، المصدر السابق ، ص٢٩٤.
[٦]- الهادي التيمومي، المصدر السابق، ص ١٦٨.
[٧]- عبد الرحمن شريف ، المصدر السابق،ص١٠٢.
[٨] – سالم الحداد ، المصدر السابق ،ص٢٠٤.
[٩] – مجلة المستقبل ، (باريس) ، العدد ٣٥٣، ٢٦تشرين الثاني ١٩٨٣؛ الهادي التيمومي ، المصدر السابق، ص١٦٨.

٣- تأخر الانتاج الزراعي

٤- تباطؤ القطاعات الصناعية .

٥- انخفاض الانتاج السياحي ، اذ انخفض عدد السياح بنسبة ٣٧% بين ١٩٨١و١٩٨٣ نتيجة الانحدار المفاجئ في عدد السياح الاوربيين، فشهد القطاع السياحي الذي كان يعد العماد الرئيس في الاقتصاد التونسي تراجعاً بنسبة ٩% في سنة ١٩٨٢، مقارنة بالزيادة المخطط لها بنسبة ٥,٩%، بسبب الركود الاقتصادي في اوربا وارتفاع الاسعار [١].

فضلا عن هذه العوامل كانت هناك عوامل اخرى تمثلت بانضمام اسبانيا والبرتغال الى السوق الاوربية المشتركة ، وما مثله ذلك من منافسة للزيوت والقوارص والصادرات النسيجية التونسية الى البلدان الاوربية[٢] ، ولابد من التنويه بان تونس واجهت في اثناء تلك المدة موسماً زراعياً سيئاً سببه الجفاف وقلة الامطار، اذ اكد المسؤولون انه كان بالامكان بلوغ نسبة الـ ٦% المحددة في المخطط لولا استمرار الجفاف وانعكاساته على الزراعة ، التي استقرت على حالها بعد ان سجلت انخفاضا بنسبة ٨,٧% في سنة ١٩٨٢ ، غير انه على الرغم من ذلك لايمكن تحميل الجفاف الذي اصاب المواسم الزراعية سنة ١٩٨٢ المسؤولية كلها في انخفاض الانتاج الزراعي في البلاد ، وذلك لان هذا القطاع عانى الاهمال منذ سنة ١٩٦٩ بعد توقف العمل بالتعاضدية الاشتراكية[٣].

على الرغم من تأزم الاوضاع الاقتصادية اظهر محمد مزالي ميلا واضحاً لتأمين السلم الاجتماعي في البلاد ، وان كان ذلك على حساب تردي الاوضاع الاقتصادية ، غير انه شعر انه من الصعوبة ارجاء المباشرة بتطبيق الاجراءات التقشفية التي بإمكانها اعادة الانتعاش الى الاقتصاد التونسي، فشعرت الحكومة التونسية بالحاجة الى اختصار الوقت لتطبيق تدابير تقشفية[٤].

---

[١] – صحيفة القبس ، (الكويت) ، العدد ٤٢٩١، ٢٤نيسان١٩٨٤.

[٢] – تعد تونس واحدة من الدول الرائدة في انتاج زيت الزيتون ، ويقدر صادراتها السنوية منه بحوالي ٧٠ مليون دولار اميركي يصدر معظمها الى فرنسا وايطاليا، وان انضمام كل من اسبانيا والبرتغال الى السوق الاوربية وهي المنافس الرئيسي لتونس في انتاج زيت الزيتون سوف يؤدي الى خسارة تونس لاسواقها ، مما قد يؤدي الى اضافة حوالي مليون تونسي الى قائمة الفقر.ينظر الى صحيفة القبس، (الكويت)، العدد ٤٤٣٩، ٢٢ايلول ١٩٨٠.

[٣] – صحيفة القبس ، (الكويت) ، العدد ٤١٩٣، ١٦كانون الثاني١٩٨٤.

[٤] – مجلة المستقبل ، (باريس) ، العدد ٣٥٣، ٢٦تشرين الثاني ١٩٨٣.

أ-نفقات صندوق التعويض١٩٨٣

كانت السياسات الاقتصادية التي وضعها الوزير الاول السابق الهادي نويرة مبنية على فكرة صندوق التعويض[١](هو صندوق الدعم الحكومي للمواد الغذائية الاساسية)، ففي بداية السبعينيات كانت ميزانية صندوق التعويض محددة لان الاستهلاك لم يكن مرتفعا،غير انه مع النمو السكاني وتزايد نسق الاستهلاك ارتفعت الميزانية كثيرا [٢]، وتضاعفت نفقات صندوق التعويض العام بشكل كبير ،اذ ازدادت من ١٢٩ مليون دينار سنة ١٩٨١الى ٢٤٦مليون دينار سنة ١٩٨٣، والجدير بالذكر ان مخصصات الدعم الحكومي للاغذية الاساسية تزايدت بنسبة ٢٦% سنوياً منذ سنة ١٩٧٦[٣]، وتنامت الواردات في السنوات الثلاث الاولى من المخطط السادس بنسبة ١٠% بالنسبة للاسعار المعمول بها ، افردت تونس عملياً ٥٠% مما تستورده من الحبوب، بسبب انخفاض الانتاج الزراعي وتصاعد الاستهلاك نظراً لزيادة الاجور، في حين ان الصادرات لم تتطور في اثناء المدة نفسها الا بنسبة ٦%، وادت هذه النفقات الى احداث عجز في الميزانية ارتفع الى٩,٢% من الناتج الضريبي الخام، بدل ٥,٧% وهي النسبة المتوقعة في المخطط، فتضاعفت نفقات الدعم لصندوق التعويض عن المواد الاساسية ، وتزايدت الواردات التي غالبا ما سددت اثمانها بالعملة الصعبة[٤].

اضطرت الحكومة من باب التخفيف من الأزمة الاقتصادية الى اتخاذ جملة من الإجراءات ، لاسيما ان ضغط صندوق النقد الدولي اخذ يتزايد منذ سنة ١٩٨٢، لأنه كان قلقاً من احتمال إعلان تونس عن عجزها عن تسديد ديونها ، وتمثلت هذه الإجرءات في تجميد الأجور، والتخلي عن مجانية العلاج بالنسبة الى الشرائح الشعبية ، وقلصت الكثير من الواردات ، لاسيما الكمالية منها ، كما لجأت الدولة الى الزيادة في اثمان بعض السلع الاستهلاكية والخدمات كالماء والكهرباء والادوية والنقل واجور التسجيل في

---

(١) – أستحدث الصندوق العام للتعويض بمقتضى أمر مؤرخ في ٢٨ حزيران ١٩٤٥، وأنشئ هذا الصندوق في ظل السيطرة الفرنسية بهدف المساهمة في دعم مجهود الحرب العالمية الثانية، وبعد نهاية الحرب تحول إلى أداة لدعم الإنتاج الفرنسي الداخل إلى تونس، ومع نهاية الاحتلال تحول الصندوق بإرادة من الدولة الوطنية إلى صندوق لدعم القدرة الشرائية للمواطن خصوصا وفقا للإستراتيجية التوجيهية التنموية المتبعة، في مرحلة ثانية ،تم العمل بالقانون العدد ٦٦ لسنة ١٩٧٠ المؤرخ في ١٩٧٠/١٢/٣١ المتعلق بقانون المالية لسنة ١٩٧١ بهدف مجابهة تقلب أسعار المواد الأساسية، وتتولى الوزارة المكلفة بالتجارة صرف مبالغ الدعم للشركات والدواوين المعنية بدراسة الملفات الخاصة بالمواد المدعومة.ينظرنور الدين المباركي، هل ستتخلى الدولة عن الصندوق العام للتعويض، نشر في الوسط التونسية يوم ٩ تشرين الاول٢٠٠٩.
www.turess.com/alwasat/11152

(٢)- محمد الصياح ، المصدر السابق ،ص٢٣٠.

(٣) – مجلة الوطن العربي ، (باريس) ، العدد ٣٥٣، ١٨ تشرين الثاني ١٩٨٣.

(٤) – سالم الحداد، المصدر السابق، ص٢٠٥.

الجامعة والمعاهد الثانوية ،وتخلت عن إنجاز بعض المشاريع الباهضه التكاليف[١]، وفي ضوء ذلك احتدم النقاش في اثناء اجتماع مجلس الوزراء في تموز ١٩٨٣ عند ثبوت خطورة النفقات على الميزانية ،لاسيما عندما قدم وزير التجهيز (محمد الصياح) مشاريع جديدة غير مقررة في الميزانية، وابلغهم منصور معلى وزير التخطيط والمالية أن بورقيبة قرر تأجيل بعض المشاريع المهمة، فرد مزالي **"بأن مشاريع رئيس الدولة مقدسة ، وأنه سيجد لها شخصيا التمويل اللازم"**[٢]، فرد الطاهر بلخوجة بحزم على ضرورة الامتثال الى أوامر بورقيبة والخضوع للتقشف [٣].

فضلا عن ذلك اتخذت الحكومة اجراءات اخرى منها، تحويل جزء من أراضي الدولة الى القطاع الخاص ، وامتنعت الحكومة في البداية عن الزيادة في أثمان المنتجات الفلاحية الأساسية عند مستوى الاستهلاك ، وذلك للإبقاء على ثمن إعادة إنتاج قوة العمل في مستوى متدن نسبياً ، وهو امر انعكس سلبا على صندوق التعويض الذي اخذت اعباؤه ترتفع بسرعة كبيرة، إذ قفزت من ٧٧مليون دينار سنة ١٩٨٠ الى ١٨٣ مليون دينار ١٩٨٣، اذ فشلت الدولة في السيطرة على السلوك الجبائي عند رجال الأعمال والميسورين بصفة عامة ، ورفضهم تطبيق الإجراءات الجبائية التي نص عليها قانون المالية لعام ١٩٨٣، تزامن هذا كله وعدد من العوامل الخارجية التي تمثلت بارتفاع سعر الدولار الأمريكي ، وتأثير ذلك في حجم سداد الديون [٤].

الى جانب هذا اشترطت المؤسسات المالية الدولية تقديم المساعدات من القروض بمدى التزام هذه الدول بتعليماتها ،من أهمها إلغاء صناديق دعم المواد الاستهلاكية ، والرجوع الى حقيقة الأسعار، وتجميد الأجور، وخصخصة القطاع العام [٥].

إزاء هذا التدهور في الميزانية ، وضع وزير المالية والتخطيط منصور معلى نظاماً اقتصادياً تقشفياً هدف الى تخفيض العجز في ميزان التجارة الخارجية ، وتخفيض التضخم من ثم الحد من الاستهلاك والحد من الاستيراد ، وزيادة التصدير وضغط النفقات الاجتماعية ، وضرورة تعبئة الموارد الداخلية بسلوك سياسة جبائية تساعد على الاستثمار وتحد من التداين وتقاوم التبذير والاستهلاك، وعليه طالب بإلغاء

---

[١] - الهادي التيمومي ، المصدر السابق ، ص١٦٨.
[٢] - الطاهر بلخوجة ، المصدر السابق ،ص٣١٤.
[٣] - المصدر نفسة .
[٤] - الهادي التيمومي ، المصدر السابق ،ص١٦٨ .
[٥] – محمد الصياح، المصدر السابق ، ص٢٣٠.

صندوق الدعم الحكومي، بناءً على رغبة صندوق النقد الدولي ، واقترح منصور معلى رفع الدعم تدريجياً وخلال اربع سنوات ، يؤيده في ذلك عبد العزيز الاصرم وزير الاقتصاد، غير ان محمد مزالي رفض خطة منصور معلى وقال**"اريد ان اؤكد بأن سعر الخبز لن يرتفع ابداً"** واضاف "**ان رفع الدعم لابد وان يرتبط بمضامين اجتماعية"**[١]، وعدّها زيادة تثقل كاهل المواطن وان الشعب لا يتحمل أكثر مماتحمله، وفضلا عن ذلك رأى مزالي ان النقابات العمالية ستجدها فرصة لإثارة المشكلات مجددا في وجه الحكومة[٢] .

راى بعض متابعي الشأن الاقتصادي إن الزيادة التدريجية هو إجراء تحتمه السياسة الاقتصادية المحلية والدولية ، فعلى المستوى الداخلي بدات مدخرات الدولة من العملة الصعبة تنفذ، وعلى المستوى الدولي فإن المؤسسات العالمية بدأت تضيق الخناق على الدول الفقيرة ، وتملي عليها شروطها لاسيما الرجوع الى حقيقة الأسعار[٣].

بدأ منصور معلى (وزير المالية والتخطيط) شرح مسألة الزيادة في أسعار الخبز في إطار حوار تلفزيوني ضم الطيب بكوش ممثل اتحاد الشغل ، والحبيب بلخوجة ممثل اتحاد الصناعات والتجارة، في هذا الصدد ذكر مزالي وكذلك إدريس قيقة وزير الداخلية في حكومة مزالي ، انه عندما بدأ منصور معلى شرح مقترحه امام الناشطين والصحفيين والمواطنين ، الذين بدأوا يسألون عن محتوى الاجراءات الجديدة ، قال منصور معلى ان الحكومة اقترحت الزيادة في أسعار الخبز، هنا اتصل مزالي عبر الهاتف في اثناء البرنامج وطلب التعليق على كلام منصور معلى قائلا **"كل شيء يمكن أن تشمله الزيادة إلا الخبز"**[٤]، غير ان منصور معلى اصر على موقفه وقال "**ان العجز كبير وانه لا يستطيع ان يستمر في مثل هذا الطريق"** [٥].

---

[١] - سيد عبد الحميد ، اضطرابات الخبز في تونس وديمقراطية النخبة ، مجلة السياسة الدولية العدد٧٦،نيسان ١٩٨٤،ص١٣٧.

[٢] – الصافي سعيد ، المصدر السابق ،ص ٣٦٦.

[٣] - سالم الحداد ، المصدر السابق ،ص٣٠٥ .

[٤] - قناة العربية الفضائية ، برنامج وثائقي (زمن بورقيبة) بثته القناة في أذار ٢٠٠٧ .
www.alarabiya.cc/programs/2011/01/23/134708.html

[٥] – الصافي سعيد ، المصدر السابق ،ص ٣٦٦.

عند ذلك ابلغ مزالي الحبيب بورقيبة أنه لا يستطيع ان يحكم مع وزير **"قاس الى هذه الدرجة"**[١]، فضلا عن قوله ان منصور معلى طرح أمام المواطنين مسائل اقتصادية واجتماعية مهمة لا يجوز الاطلاع عليها ، فما كان من بورقيبة إلا أن اصدر قراراً ابعد بموجبه منصور معلى ، وعوضه بصالح مباركة ، وان كان بورقيبة ميالا لوجهة نظر منصور معلى [٢] ،وابعد كذلك وزير الاعلام الطاهر بلخوجة وعوضه بعبد الرزاق الكافي في ١٨ حزيران ١٩٨٣ ، لأنه فضل جريدة المعارضة على جريدة الحزب وتكلم عن الوضع في البلاد من تلقاء نفسه [٣]، في هذا الوقت كانت وسيلة زوجة بورقيبة خارج البلاد عندما عزل الطاهر بلخوجة الذي عدّ من اشد انصارها اخلاصاً، لذلك عندما سمعت بأقالته لم توافق على إبعاده بمثل هذه الطريقة وعدت مزالي مسؤولا عن اقالته[٤].

لذا ففي الوقت الذي شعر فيه مزالي بالقوة من خلال دعم بورقيبة له ، فإن وسيلة بورقيبة انضمت الى أعدائه، لأنه برأيها لم يتوقف عن مطاردة رجالها ، ولم يفهم شروط التحالف بينه وبينها وانه (تجاسر) بنظرها في إبعاد الطاهر بلخوجة [٥] ،غير أنها ادركت أن بورقيبة لن يمكنه التخلي عن وزيره الأول لذلك اقتضى الأمر أن تجد طريقة جديدة لإدخال الارتباك على سير عمل الحكومة،فاستغلت الخلاف بين مزالي ومنصور معلى حول موضوع الزيادة في أسعار الخبز، فشرعت في حملة ضد تبذير الخبز، وكان سعره منخفضاً يدعمه صندوق التعويض ، وأخبرت بورقيبة أن الخبز استعمل علفاً للحيوانات في الأرياف وواصلت التلفزة والجرائد نقل مشاهد أكداس الخبز مهملة على الأرصفة ، أو متساقطة من حاويات القمامة ، ودعا بورقيبة رئيس بلدية تونس زكريا بن مصطفى لتقصي الأمر فأكد هذا الإسراف [٦] .

عندها أصبح بورقيبة مقتنعا بضرورة رفع سعر الخبز ومشتقات الحبوب الأخرى ، ولم يفرق بورقيبة بين من يرمي الخبز مع الفضلات وبين الذي يعتمد عليه في قوته اليومي [٧]، وفي اعقاب بث التلفزة

---

(١) ــ الصافي سعيد ، المصدر السابق،ص ٣٦٦.
(٢) - عمر الشاذلي ، المصدر السابق ، ص ٢٩٤.
(٣) - الطاهر بلخوجه ،المصدر السابق ،ص٣١٥.
(٤)- عمر الشاذلي ، المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .

(٥)- الصافي سعيد،المصدر السابق ،ص٢٩٤

(٦) - قناة الجزيرة ، برنامج شاهد على العصر ، لقاء مع محمد مزالي ج٧؛ عمر الشاذلي، المصدر السابق،ص٢٩٥.
(٧) - عامر قريعة ، المصدر السابق ،ص٨٥

التونسية تحقيقاً سلط الضوء فيه على تبذير الخبز وانخفاض ثمنه، طلب بورقيبة من الوزير الاول النظر في امر مضاعفة سعر الخبز برفع ثمن الرغيف من ٨٠مليماً الى ١٦٠ مليماً[١] .

حاول محمد مزالي ادراكاً منه لمخاطر مثل هذا القرار كسب الوقت بطلب تأجيل الاعلان عنه في عدة مناسبات[٢] ، غير انه امام الحاح بورقيبة كان عليه النظر بجدية في زيادة ثمن الخبز التي صادق عليها اعضاء الحكومة جميعهم ،غير ان الجميع لم يكونوا مع مضاعفة الثمن دفعة واحدة ، وانما الاغلبية ارادت زيادة تدريجية ، بهدف اصلاح نظام صندوق التعويض الذي عاني عجزاً مستمراً[٣].

ذكر مزالي أن بورقيبة أجرى معه مكالمة هاتفية في أيلول ١٩٨٣ قبيل سفره الى المانيا للاستراحة ، وقال له أنه شاهد برنامجا في التلفزيون فيه تبذير كبير للخبز ، وللحد من هذا التبذير يجب مضاعفة سعر الخبز ١٠٠% ، في الوقت نفسه اخبر الحبيب بن عاشور أن الميزانية تعاني عجزاً ، وأن الخبز أصبح علفا للحيوانات لذا رأى من الضرورة زيادة أسعار الخبز ١٠٠%[٤].

بعد اجراء مشاورات واسعة النطاق على مستوى الحكومة ، والحصول على مساندة الاتحاد العام التونسي للشغل في تزكية الزيادات في الاسعار مقابل تعويض عادل لاصحاب الاجور الضعيفة ، قرر الوزير الاول محمد مزالي اتخاذ الخطوة الحاسمة بزيادة اسعار رغيف الخبز ١٠٠%[٥].

عقدت بعدها اجتماعات عامة في كل الولايات اشرف عليها اعضاء من الديوان السياسي او من الحكومة ، اعلم فيها الحاضرون بالزيادة التي تنوي الحكومة القيام بها في سعر الخبز، وساد هذه الاجتماعات الحوار الصريح والاراء حول الموضوع، وكانت اكثر الاراء ضد الزيادة في سعر الخبز ، لاسيما الزيادة المضاعفة، فضلا عن ان اغلب الوزراء وأعضاء الديوان السياسي لم يوافقوا على هذه الزيادة ، وعلى الرغم من ذلك فإن الوزير الأول لم يستمع الى الآراء كلها، وبقي مصرا على الزيادة في

---

[١]- الباجي قائد السبسي ، المصدر السابق ،ص٣١٣.
[٢]- عبد المجيد الزمزمي ، المصدر السابق ،ص٥٢.
[٣]- الباجي قائد السبسي ، المصدر السابق ،ص٣١٣.
[٤]- قناة العربية الفضائية ، زمن بورقيبة.
[5]-Mohamed Z. Bechri and Sonia Naccach, Op.Cit ,p30.

سعر الخبز ومشتقات الحبوب ،معللا رايه بأنه سيقع التعويض عن هذه الزيادة لضعفاء الحال والعمال تلبية لأمر بورقيبة [١].

بعد ذلك عقد مجلس الوزراء يوم ٩ تشرين الأول ١٩٨٣ جلسة من أجل مضاعفة سعر الخبز دفعة واحدة ، والزيادة في بقية مشتقات الحبوب رغم تحذير العديد من الخبراء الاقتصاديين من ردود فعل الشارع التونسي ، وأعاد عبد العزيز الاصرم وزير الاقتصاد مقترح منصور معلى نفسه[٢]،فاعترض على الزيادة دفعه واحدة محذرا من نتائجها الوخيمة ، غير أن الوزير الأول محمد مزالي تجاهل هذا الاقتراح بدعوى أنها قضية سياسية ومن صلاحية الوزير الأول لا الوزراء [٣]، وأنه لا يستطيع الاعتراض على قرار رئيس الدولة ، ولا سبيل للتراجع عن قرار الحكومة حفاظا على مصداقيتها، فالقضية في نظره مبدئية وتتعلق بهيبة الدولة[٤]، فما كان من وزير الاقتصاد الا ان قدم استقالته من الوزارة في ١٣ تشرين الاول ١٩٨٣ وترك لبورقيبة تقدير الموقف [٥] .

نتيجة لما سبق من الأحداث دفعت الصعوبات الاقتصادية الحكومة الى سن قانون جديد للمالية لسنة ١٩٨٤ على أساس التخفيض بالنفقات العامة وزيادة أسعار الخبز، وعدّ محمد مزالي تصديق مجلس النواب التونسي على القانون الذي يلغي دعم الدولة للحبوب بمثابة تقدم كبير ، إذ ذكر مزالي في كلمة له في مجلس النواب في كانون الأول ١٩٨٣ **قائلا:" إن هذا اليوم تاريخي في حياة الاقتصاد التونسي ، لان اليوم اجتمعت فيه السلطة التنفيذية وعزيمة السلطة التشريعية على القضاء الحاسم على نزيف صندوق التعويض "** [٦].

إذا كان مزالي في المرة الأولى قد رفض الزيادة التدريجية حفاظا على المواطن حسب قوله، فأنه عاد ليطبق خطة منصور معلى نفسها بناء على طلب صندوق النقد الدولي مع الفارق ان مزالي طبق قرار رفع الدعم عن الحبوب ومشتقاته دفعة واحدة [٧]، واوضح ان قرار رفع الاسعار هو تدبيراً داخلياً ، وانه لم

---

[١] - المجلة التاريخية المغاربية ،سمنار مع المنجي الكعلي ، السنة ٣٨،العدد١٤٣-١٤٤، تشرين الاول –تشرين الثاني ٢٠١١ ،ص٢٣٦.
[٢] - سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص٢٠٦.
[٣] - المجلة التاريخية المغاربية ،سمنار مع مصطفى الزغنوني ، السنة ٣٤ ، العدد١٢٧، شباط ٢٠٠٧ ، ص١٣٩.
[٤] - سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص٢٠٦.
[٥] - الصافي سعيد ، المصدر السابق ، ص٣٦٨

[٦] - قناة العربية ، برنامج زمن بورقيبة .
[٧]- سيد عبد المجيد ، المصدر السابق ، ١٣٨.

يأت نتيجة ضغط صندوق النقد الدولي ، واوضح كذلك انه لابد للمواطنين ان يتحملوا جزءاً من الغلاء لان صندوق التعويض بات يعاني عجزاً كبيراً [١].

كان هناك تناقض واضح في مواقف مزالي من موضوع الزيادة ،ففي البداية اكد مزالي أن سعر الخبز لن يرتفع أبدا، وأضاف أن رفع الدعم لابد من أن يرتبط بمضامين اجتماعية ، غير أنه عاد بعد مدة وأراد تطبيق رفع الدعم عن الحبوب ومشتقاته دفعة واحدة التي شكلت (٧٢%) من ميزانية صندوق الدعم الحكومي[٢]،فضلا عن أن مزالي التزم بزيادة سعر الخبز وضرورة تطبيقه حتى عند حدوث الانتفاضة ، اذ صرح **"أن الموضوع يستوجب أسبوعا فقط ، ويجب مواجهة المشكلات وصد الضربات"**[٣]، وأعلن عن عدم التراجع مهما كانت الصعوبات [٤]، وبعد إلغاء الزيادة في سعر الخبز قال مزالي **"حاولنا أن نقضي على مصيبة صندوق التعويض الذي لايخدم إلا الأغنياء في الغرب ، وكان هدفنا تحسين أوضاع الجماهير وأحياء المناطق المحرومة ، لذلك اضطررنا الى التراجع والنتيجة أن بلادنا ستبقى لسنوات تعاني من أعباء صندوق التعويض وأن مشاريع كثيرة ستتوقف ، كل ذلك نتيجة عبثية غربية ، وأكرر هنا أن تنفيذ هذا الأجراء كان كفيلا بتأمين مصالح الفلاح التونسي وتخليص البلاد من النفوذ الغربي"**[٥].

فما الذي حدث من شهر تموز الى شهر تشرين الاول ١٩٨٣ وجعل محمد مزالي يغير رأيه في مسألة حيوية بالنسبة له وحساسة في الشارع التونسي، وقد اجملت مجلة الحوادث ذلك الى عدة اسباب منها[٦]:

١- ان بورقيبة وان كان وافق على ابعاد منصور معلى ، غير انه كان ميالاً لوجهة نظره.
٢- ان ضغوط صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ازدادت في هذا الاتجاه، على الرغم من نفي مزالي لهذا الشيء.
٣- ان مزالي وجد صعوبة كبيرة في تغطية ميزانية ١٩٨٤.
٤- ان وزيري المال والاقتصاد الجديدين هما من التقنيين ، قدما تقريراً عزز وجهة نظر منصور معلى.

---

[١]- مجلة الطليعة العربية ، (باريس) ، العدد ٤٨، ٩ نيسان ١٩٨٤.
[٢] – سيد عبد المجيد، المصدر السابق ،ص ١٣٧.
[٣]- الطاهر بلخوجة ، المصدر السابق ،ص ٣٢٠.
[٤]- المصدر نفسه.
[٥]- سيد عبد المجيد، المصدر السابق ،ص ١٣٨.
[٦] – مجلة الحوادث ، (لندن) ، العدد ١٤١٩، ١٣ كانون الثاني ١٩٨٤.

٥- ان مزالي ومن خلال تمسكه بمواقعه ، خشي ان يتهم بالتردد وعدم الحسم ، وانه ليس رجل دولة قوياً، وهذه نقطة حساسة بالنسبة له.

ويمكن اضافة سبب اخر وهو رغبة محمد مزالي في تنفيذ اوامر بورقيبة ، وعدم مخالفته مهما كانت النتائج. واظهار ولائه له في كل مناسبة حفاظاً على منصبه، وخوفاً من ضياع الخلافة، لذلك فلم يكن امامه الا الانصياع الى اوامره.

أعلنت وزارة الاقتصاد بيانا جاء فيه أن أسعار الخبز والمواد الغذائية سوف ترتفع ابتداء من الأول من كانون الثاني لسنة ١٩٨٤[١] ، واعلن عن عزم الحكومة على اتخاذ اجراءات تعويضية لفائدة ضعاف الحال ، غير ان الاعلان لم يوضح ماهية هذه الاجراءات، ولم يعلن عن هوية الفئات التي من المقرر ان تتمتع بها ،وعلى الرغم من اقرار مبدأ حذف الدعم غير ان نسبة الزيادة لم يعلن عنها ، واعتقدت الحكومة انها فعلت كل مايلزم ، وان هذه الزيادات سوف تمر لامساكها بزمام الامور ، ولأن الشعب جُهز لذلك نفسياً عن طريق الدعاية ، وعدّت ان التوصل الى اتفاق حول الموضوع مع الاتحاد العام التونسي للشغل من شأنه التخفيف من حدة المعارضة، فبدأت في اواخر شهر كانون الاول سنة ١٩٨٣ تتسرب نسبة الزيادات الى اسماع المواطنين، وكثرت الاقاويل حول الموضوع ، لاسيما عندما اقرت الميزانية لسنة ١٩٨٤ الجديدة في فصلها ٨٧ حذف التعويض[٢]، وعندما قدم مزالي الميزانية الجديدة قال" **ان وقف الدعم المخصص للحبوب ومشتقات الدقيق سيؤدي الى وقف النزيف الذي كان ينخر صندوق التعويض ، وان توفير هذا البند بجانب خفض الانفاق الحكومي والذي وصل الى ١١% بعدما كانت ١٧% في سنة ١٩٨٣، كل ذلك قد يؤدي الى تحسين الموارد وتدبير ابواب جديدة في ايرادات الميزانية تسمح بزيادة المشروعات الانتاجية لان ذلك هو الحل الصحيح للمشكلة الاقتصادية التونسية**" [٣]،وبعد الاعلان عن موعد تنفيذ الزيادة في اسعار الحبوب ،ومشتقاتها حيز التنفيذ قبل اواخر السنة، ففي ٢٨ كانون الاول ١٩٨٣ بوشر برفع اسعار الخبز ، فكان ذلك سبباً لأنطلاق المظاهرات الاحتجاجية[٤].

---

[١]- صحيفة الثورة ، (العراق) ، العدد ٤٩٧٧، ٢كانون الثاني ١٩٨٤، ص١١.

[٢] - فايز ساره ، المصدر السابق ، ٣٠٤.

[٣]- صحيفة المصور ، (القاهرة) ، العدد ٣٠٩٢، ١٣كانون الثاني ١٩٨٤؛ عمر عز الرجال يوسف ، ابعاد زيارة الحبيب بورقيبة الى الولايات المتحدة الامريكية، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٨٢، تشرين الاول ١٩٨٥، ص١٤٩.

[٤] - فايز ساره ، المصدر السابق ،ص ٣٠٤.

ب-انتفاضة الخبز ونتائجها ١٩٨٤.

انطلقت الشرارة الاولى لانتفاضة الخبز في مدينة دوز بولاية قبلي في جنوبي تونس في٢٨كانون الأول ١٩٨٣ ، اذ تجمع المتظاهرون اثر علمهم بزيادة اسعار الحبوب ومشتقاته، وهي مواد معيشية اولية في تلك المنطقة، وندد المتظاهرون بقرار الترفيع ونادوا بضرورة الرجوع عنه، وتجمعوا حول معتمدية المدينة وقدم المتظاهرون عريضة الى المعتمد تضمنت مطاليبهم، بعد ذلك جرت مشادة كلامية بين المتظاهرين وقوات الامن، كان نتيجتها ان الحق المتظاهرون الاضرار بالمعتمدية، فألقت قوات الامن على المتظاهرين القنابل المسيلة للدموع ثم اطلقت الرصاص فجرح عدد من المتظاهرين[١]، امتدت بعدها الى الجنوب كله متخذة طابعا أكثر عنفا، ومع تطبيق قرار الزيادة في الأسعار في الأول من كانون الثاني ١٩٨٤ عمت الحركة الاحتجاجية مناطق الشمال والوسط الغربي في مدينة الكاف والقصرين وبقية مناطق الجنوب في قفصه وقابس ومدنين[٢]، ما استدعى تدخل الجيش للسيطرة على الوضع ، بعدما تبين عجز الأجهزة الأمنية في التصدي للمظاهرات والحد من هيجان الشعب، ومع الإعلان الصادر عن وزارة الداخلية في تاريخ ٢كانون الثاني ١٩٨٤المتضمن لقائمة القتلى والجرحى في مناطق قبلي والحامة والقصرين وقفصه[٣] ، دخلت المنطقة الصناعية بقابس في إضراب عام ومظاهرات عارمة شارك فيها العمال والطلبة ، وامتد صدى الحركة الاحتجاجية ليشمل طلبة الجامعات والمدارس الثانوية في كل من تونس العاصمة وصفاقس ، وفي اليوم الثالث بلغت الانتفاضة أوجها وباتت المواجهات مفتوحة بين المتظاهرين من جهة والاجهزة الأمنية والجيش من ناحية أخرى[٤] ، نتيجة ذلك اتسعت المظاهرات واشتد العنف ، وتعرضت المحلات والمؤسسات لحوادث نهب وتخريب في العاصمة ، ومساس بالأموال العامة والخاصة، فكان رد فعل الحكومة على المظاهرات عنيفا ، وفتح رجال الأمن النار على الحشود المحتجة في عدد من المدن بما فيها العاصمة تونس ، فقتل في الأقل ٦٠ شخصا والعديد من الجرحى على وفق بعض التقارير، وأعلنت حالة الطوارئ وحضر التجوال في ٣ كانون الثاني ١٩٨٤ ، ومنع أثناءها التجمعات العامة لأكثر من ثلاثة أشخاص[٥]، فضلا عن فرض منع التجول من الساعة الخامسة مساء

---

[١]-فايز ساره ، المصدر نفسه ، ص٣٠٤؛ سيد عبد المجيد ، المصدر السابق ، ١٣٨ص.

[٢]- مجلة الصياد ، (بيروت) ، العدد ٢٠٤٥ ،٣كانون الثاني ١٩٨٤.

[٣] - رمزي تاج ، انتفاضة الخبز (جانفي ١٩٨٤) ، دار محمد علي للنشر ، تونس ٢٠١١،ص١٣.

[٤] - سيد عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص١٣٩؛رمزي تاج ، المصدر السابق ، ص١٣ .

[1] - David Seddon ,Riot and Rebellion: Political Responses to Economic Crisis in North Africa, Tunisia, Morocco and Sudan, UEA Norwich, School of Development Studies,UnivesityofEastAnglia,October1986,p6.

الى السادسة صباحا ، وعلى الرغم من قيام الوزير الأول محمد مزالي بأمر من بورقيبة بالتأكيد على ان تلك الإجراءات نهائية وغير قابلة للتراجع والمراجعة، فإن المظاهرات تواصلت في اليوم الثاني ٤ كانون الثاني ١٩٨٤في كثير من مناطق البلاد ، لاسيما العاصمة تونس وضواحيها، واصدرت الحكومة قراراً بتعطيل الدوام في الجامعات ، ومختلف المؤسسات التربوية للأيام من ٤الى٧كانون الثاني ١٩٨٤،وعلى الرغم من اتخاذ تلك الاجراءات فلم يؤد ذلك الى توقف الحركة الاحتجاجية [١] .

استمرت المظاهرات الى اليوم التالي ٥ كانون الثاني ١٩٨٤، وأطلق الجيش والشرطة النار على (مثيري الشغب) بحسب ما اسمتهم الحكومة ، وانتقلت المظاهرات لتشمل المدن التونسية كافة، ولم يعد الهدوء الى الشارع التونسي ، إلا عندما ظهر بورقيبة صباح يوم ٦كانون الثاني ١٩٨٤ على شاشات التلفزيون وأعلن بياناً بإلغاء الزيادة في أسعار الخبز ، ووعد باستعادة دعم المواد الغذائية[٢]، وذكر بورقيبة في البيان" **الآن وقد استتب الامن مجدداً بفضل جهود الشعب والجيش وقوات الشرطة قررت امام الاضطرابات التي شهدتها البلاد، الغاء كل الزيادات على اسعار الخبز والمواد الغذائية الاساسية والعودة الى الوضع الذي كان قائماً قبل هذه الزيادات**"[٣]،واضاف انه اعطى توجيهاته الى الحكومة لتعد في مهلة ثلاثة اشهر مشروعاً جديداً للموازنة في ضوء الغاء الزيادات[٤]، فخرجت الجماهير التونسية فور انتهاء بورقيبة من خطابه في مظاهرات تأييد له ، والتعبير عن الرضا بالقرار الذي أعاد أسعار الخبز وغيره من مشتقات الحبوب الى ماكانت عليه[٥].

أما عن الإجراءات التي اتخذها مزالي عند حدوث الانتفاضة ، فأعلنت حالة الطوارئ في البلاد وعبأت قواتها من الشرطة والحرس الوطني [٦] ، وامر بإنزال الجيش الوطني الى الشوارع للسيطرة على الوضع، وسوغ هذا الإجراء حينها قائلا **" لقد اضطررنا اللجوء الى الجيش، لأن قوات الأمن على قدرتها لم تقم بواجبها، وكان يجب أن تقوم بواجبها لأنها لو فعلت لحالت دون حدوث قيام هذه الاضطرابات أو على الأقل لحالت دون استشرائها"**[٧].

---

[١]- سالم لبيض ، الأزمات الاجتماعية والسياسية وادارتها ، مثال تونس (١٩٥٧-١٩٨٧)، ص٣٦.

[3] - David seddon , Qp.cit,p7

[٣] – مجلة الاسبوع العربي ، (باريس)، العدد ١٢٦٦، ١٦كانون الثاني ١٩٨٤،ص٢٢.

[٤] – المصدر نفسه.

[٥] - صحيفة الجمهورية ، (العراق)، العدد ٤٩٨٢، ٧كانون الثاني ١٩٨٤،ص١.

[٦] - صحيفة القبس (الكويت) ، العدد ٤١٩٣ ، ١٦كانون الثاني ١٩٨٤.

[٧] – سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص٢١٠.

سوّغت الحكومة انتشار الجيش في المراكز الحساسة من مدينة تونس العاصمة ، انه لحماية المواطنين وممتلكاتهم والمنشآة العامة من العناصر الطائشة [١]،إذ أصدر مزالي بيانا في أثناء الانتفاضة دعا فيه المواطنين الى مساعدة قوات الأمن للقيام بواجبها، كما طالب منهم الالتزام بالهدوء ، وأصدر بيانا آخر في ٣كانون الثاني ١٩٨٤ وجهه الى الشعب التونسي من إذاعة وتلفزيون تونس قال فيه **"أن عددا كبيرا من الشباب التونسي شاركوا في تظاهرات عفوية وقف ورائها مدبرون ومخططون بهدف خلق حالة فزع وعدم استقرار، وأن الحكومة أصدرت توجيهات لإعطاء أصحاب الدخل المحدود والفقراء منح، لمساعدتهم على مواجهة الزيادات في أسعار الخبز، وسوف تقدم تعويضات لهم ، وسيتم تعويض كل من الأجراء والموظفين"**[٢].

عدّ قرار الحكومة التونسية برفع الدعم عن الخبز ومشتقاتها ،والغاء صندوق التعويض واثر ذلك على المستوى الغذائي للشرائح الاجتماعية ، السبب المباشر لأحداث العنف ، فالحكومة أدركت فيما يبدو آثار هذه الإجراءات على مستوى المعيشة ، لذا فإنها عكفت في اثناء الأشهر السابقة لقرار الزيادة على تهيئة التونسيين لرفع الدعم ، غير أن حسابات الحكومة لم تكن دقيقة ولم توفق في إيجاد حل للأزمة الاقتصادية التي تعانيها البلاد [٣]، فوضعية البلاد الاقتصادية صعبة وتطلبت اتخاذ إجراءات تقشفية، غير أنه يجب الأخذ بنظر الاعتبار الأبعاد الاجتماعية في هذه الإجراءات ، واللافت للنظر انه حتى صندوق النقد الدولي نفسه انتقد طريقة الحكومة التونسية الأجرائيه ، اذ ذكرت صحيفة الفايشنال التي تصدر في لندن **"إن الطريقة التي استخدمتها السلطات التونسية بهدف تقليص ميزانية الدعم مثلت درسا بليغا حول مالا يجب عمله، حتى عندما يكون صوابا "**[٤] ذلك إن الخطأ في نظر الصندوق لا يتمثل في إزالة الدعم، وإنما بالطريقة المفاجئة في مقدار الزيادة ، وفي عدم الأخذ بنظر الاعتبار مضاعفات السياسية والاجتماعية لهذا القرار ، اذ اعتقدت الحكومة التونسية ان بإمكانها احتواء المعارضة، وارضاء النقابات من خلال تعويض الزيادة لضعاف الحال بما يضمن لها تمرير هذه السياسة التقشفية بأمان وسلام[٥].

---

[١] – صحيفة العراق ، (العراق)، العدد ٢٤٠٨ ، ٤ كانون الثاني ١٩٨٤؛ مجلة التضامن ، (باريس) ، العدد ٣٩، ٧ كانون الثاني ١٩٨٤.

[٢] - صحيفة العراق ، (العراق)، العدد ٢٤٠٨، ٤ كانون الثاني ١٩٨٤.

[٣] - سيد عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص١٣٨ .

[٤] - صحيفةFinancialTimes() 9-11-1984،نقلا عن محمد عبد الباقي الهرماسي، المغرب العربي المعاصر : الخصائص المؤسسية والايديولوجية للأنباء السياسي ، مجلة المستقبل العربي ، السنة ٨ ، العدد ٨، شباط ، ١٩٨٦،ص١٦.

[٥]- مصطفى الفيلالي و محمد عابد الجابري واخرون ، تطور الوعي القومي في المغرب ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص٢٠١ ؛ Mohamed Z. Bechri and Sonia Naccach, Op.Cit ,p 32 .

يظهر مما تقدم ان السبب الرئيسي الذي ادى الى حدوث أنتفاضة الخبز ،هو قرار الزيادة في اسعار الخبز، ويمكن عدّه السبب المباشر ،فضلا عن ذلك فقد كانت هناك اسباب غير مباشرة وتراكمية ادت الى حدوث الانتفاضة،وهي اسباب سياسية واقتصادية واجتماعية،فقد عرفت تونس نظاماً قائم على مبدأ الحزب الواحد ،ورفض اي تعدد فكري وسياسي من ١٩٦٢-١٩٨١،فضلا عن السياسة الاقتصادية الفاشلة التي مرت فيها تونس،التجربة الاقتصادية في الستينيات ،والتجربة الليبرالية في السبعينيات،اذ ادت هذه السياسة الاقتصادية الخاطئة الى افقار وتهميش العديد من الشرائح الاجتماعية ،بسبب سياسة عدم التوازن في الاستثمارات.ما ادى الى انفجار الوضع في تونس.

وما يؤكد ذلك قول هادي التيمومي الذي ذكر قائلا: **" إن أحداث جانفي (كانون الثاني)١٩٨٤ العفوية ،تبدو للناظر وكأنها انتفاضه من أجل الخبز لكنها في الواقع لم تكن انتفاضه جياع ، لأنه لا يوجد جياع في تونس ، وإنما كانت تعبيرا عن شعور بالمرارة والإحباط والغضب لدى أولئك الذين أصبحوا يشعرون بالإقصاء وباستبداد الأفاق وموت الأمل لديهم في تحسين أوضاعهم الاجتماعية"**[١].

كان محمد مزالي متشبثا بنظرية المؤامرة ، مؤامرة وسيلة بورقيبة ودورها بالتعاون مع وزير الداخلية إدريس قيقة ، اذعلق مزالي على انتفاضة الخبز ،بعد خروجه من الحكم قائلا: **"أقول مؤامرة لا أقول ثوره، نعم كانت مؤامرة في كل شيء في تخطيطها وفي تنفيذها وفي الأمل من جني ثمارها ، صممتها ونسقت أطوارها وسيلة بالتعاون مع وزير الداخلية إدريس قيقة ، وعدد من أصدقائها في الدولة والحزب الحاكم ، وكان الغرض من هذه المكيدة النيل من مكانة الوزير الأول بإثارة الغضب الشعبي ضده وإقناع بورقيبة بأن مزالي لا يتمتع بثقة الجماهير"** [٢]. فوسيلة هي التي أثارت حماس بورقيبة بأن سعر الخبز الزهيد قد أدى الى تبذير كبير في الخبز ، وبالتالي القاءه في القمامة واستخدم ايضاًعلفا للحيوانات[٣]، وهذا ما اكده الهادي البكوش (مدير الحزب الذي عين بدلا من المنجي الكعلي) الذي عَد انطلاق المظاهرات نهاية سنة ١٩٨٣ احتجاجا على زيادة أسعار الخبز وسقط فيها عشرات القتلى والجرحى، كانت خطة سياسية لإبعاد مزالي عن الحكم، اذ إن وسيلة التي تعاونت مع مزالي في المدة الأولى غير انها قررت إزاحته في ما بعد، من خلال استغلالها الغضب الشعبي والمظاهرات لإقناع بورقيبة بأن مزالي ليس مؤهلا للبقاء في منصب الوزير الأول[٤].

---

(١) – الهادي التيمومي ، المصدر السابق، ص ١٦٩.
(٢) –محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة،ص٤٦٥.
(٣) – الباجي قائد السبسي، المصدر السابق، ص٢١١.
(٤)- قناة الجزيرة ، برنامج شاهد على العصر،لقاء مع الهادي البكوش ج١٠، ٣اب ٢٠١٤. www.aljzeera.net

أما عن إدريس قيقة فذكر محمد مزالي في لقاء صحفي معه سنة ١٩٨٤، أن هناك من حاول توجيه زخم أحداث الخبز ضده ليزيحه عن السلطة ، من ثم ليزعزع ثقة بورقيبة والرأي العام التونسي به ، وفي مقدمة هؤلاء ادريس قيقه (وزير الداخلية)، وأكد أنه حصل تلاعب بالأزمة وتحريك لها ، فرجال الأمن في مدينة تونس الذين كان يبلغ عددهم ٣٥٠٠ عنصر جردوا من سلاحهم قبل اندلاع الانتفاضة ، لذلك اضطر لإعادة الأمن بإعطاء التعليمات اللازمة بإنزال الجيش تداركا لما هو أسوء [١] ،لان ادريس قيقة عمد شل عمل قوات الأمن بالامتناع عن إصدار التعليمات الضرورية ، وعدم تعبئتهم وقيامه بنزع سلاح عدد كبير منهم ، وترك الأمور تستفحل ، وعدم اتخاذ الإجراءات الأمنية اللازمة حتى اظهار الوزير الاول بمظهر العاجز عن تسيير أمور الدولة [٢].

وما أكد كلام مزالي التقرير الذي أعدته اللجنة المكلفة بتحديد الأسباب الكامنة وراء أحداث الخبز ، إذ كشف التقرير أن بعض المشاركين في تظاهرات تأييد قرار بورقيبة بإلغاء الزيادة المفروضة على أسعار الخبز ومشتقاته في ٦ كانون الثاني ١٩٨٤، نادوا باستقالة الوزير الأول مقابل وزارة الداخلية ، وادريس قيقه يحييهم من خلف إحدى نوافذ مكتبه وهو يلوح بإشارة النصر[٣]، وأكد التقرير ان وزير الداخلية اصدر قرارا بسحب عدد كبير من شرطة العاصمة ، وترك جهاز حماية العاصمة في وضع ضعيف ، إذ كانت شبه مجردة من السلاح [٤] أما رد ادريس قيقة على هذه التهم هو أن بورقيبة اتصل به وقال **"أليس عندك دبابات، فقال له ادريس قيقه لن اخرج دبابات الحرس الوطني ، ولن اخرج الجيش إلا بعد نزع السلاح الثقيل منه أي الرشاشات"**[٥]، واضاف ايضاً انه بعد ذلك ذهب الى مكتبه اجتمع بالمسؤولون الأمنييون، وطلب منهم وضع السلاح الثقيل التابع للجيش تحت الحماية وتحت حراسة مشدده ، وسوّغ ذلك بتخوفه من اصدار تعليمات لآمر الحرس وقائد الجيش من سلطة أعلى من سلطته ويأمرهم بالنزول الى الشارع وضرب المواطنين[٦].

طرحت انتفاضة الخبز كما يبدو عمق الازمة داخل مربع الحكم الذي تعيش في داخله فئة سياسية متناقضة التفكير ، ولها طموحات سياسية جعلت كل واحد يجري خلف الآخر للوشاية به واسقاطه ،وكان

---

[١]- لقاء صحفي اجرته مجلة كل العرب مع محمد مزالي،العدد ٧٤ ، ٢٥ كانون الثاني ١٩٨٤ ، ص٢٩.
[٢]- مجلة كل العرب،(باريس) ،العدد ٧٨ ، ٢٢شباط ١٩٨٤.
[٣] - صحيفة الجمهورية ، (العراق)، العدد ٥٣٤١، ١٨نيسان ١٩٨٤؛ عمر الشاذلي ، المصدر السابق، ص٣٠٢.
[٤] - مجلة كل العرب،(باريس) ،العدد ٧٨ ، ٢٢شباط ١٩٨٤.
[٥]- قناة العربية الفضائية، برنامج زمن بورقيبة .
[٦]- المصدر نفسه.

محمد مزالي الوزير الأول هدفا لمعركة الخبز في كانون الثاني ١٩٨٤، إذ أصبح منصب الوزير الأول مركزاً يطمح إليه بعض الشخصيات البارزة ، وأصبحت زوجة بورقيبة وسيلة تفتش عن وسائل لأضعاف مواقف الوزير الأول محمد مزالي او تبحث عنها للتأثير في بورقيبة لتعيين وزير آخر، وكان اقرب الناس إليها هو وزير الداخلية ادريس قيقة الذي أعطى تعليمات بنزع سلاح رجال الأمن يوم ٣كانون الثاني ١٩٨٤ [١] ، وذكرت بعض المصادر ان ادريس قيقة كلف عامر غديره (آمر الحرس الوطني وكاتب الدولة بوزارة الداخلية) في ظهر يوم الجمعة ٦كانون الثاني ١٩٨٤ بعد صدور بيان بورقيبة بإلغاء الزيادة ليدعو مزالي الى استخلاص العبرة من هذا الفشل السياسي واقناعه بالاستقالة لـ **" حفظ ماء الوجه"**[٢]، وبهذا الخصوص ذكر مزالي أن عامر غديره قال له إن وزير الداخلية ادريس قيقة يبلغك أنه من **"الأفضل أن تستقيل بشرف من أن تطرد بالاهانة "**[٣] .

جعل قرار الرئيس التونسي بورقيبة بإلغاء الزيادة ظهوره بصورة المنقذ الحريص على مصالح الشعب وعلى احترام ارادته ، وهذا الوضع جعل عملياً قرار الزيادات مرتبطاً باسم محمد مزالي،علماً ان بورقيبة وافق على الزيادات وامر محمد مزالي في تطبيقها[٤] ،اذ اكد مزالي ذلك قائلا:**"كرر بورقيبة لابد من مضاعفة سعر الخبز ، وكان يهتف لي من المانيا مكرر أن قراره واضح وهو حريص على أن يرى هذا الأجراء مطبقا بسرعة بينما كنت أعتبره إجراء ينقصه التريث "** [٥]. فبدأ الحديث في البيوت والمقاهي والاندية السياسية، وانتشرت إشاعات احتمال استقالة مزالي، ولما بلغ بورقيبة صباح يوم السبت ٧كانون الثاني ١٩٨٤ ، أن الوزير الأول تعرض للأهانة في أثناء الانتفاضات الشعبية [٦] ، من دون أن تتولى أجهزة الشرطة القيام بواجبها لتفادي حدوث هذه الاهانة، صرح مصدر رسمي بنفي شائعة استقالة محمد مزالي وقال **" ان رئيس الوزراء هو ممن تتلمذوا على يد بورقيبة ومن المخلصين له ، وان الرئيس دعم جهوده وسيدعمها دائماً "**[٧] ، علاوة على ذلك ونظراً لتقصير وزير الداخلية بالتصدي لعمليات النهب والسلب والحرق والتدمير التي رافقت حوادث الخبز، اصدر بورقيبة تعديلا وزاريا أقصى بموجبه

---

[١] – عامر قريعة ، المصدر السابق، ص٨٦.
[٢]-عمر الشاذلي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٢؛ محمد الصياح ، المصدر السابق، ص٢٣٣.
[٣] - قناة العربية الفضائية، برنامج زمن بورقيبة .
[٤] – مجلة الاسبوع العربي ، (باريس)، العدد ١٢٦٦، ١٦كانون الثاني ١٩٨٤؛ عمر الشاذلي ، المصدر السابق ، ص٣٠٣.
[٥] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، ص٤٦٦.
[٦] – مجلة الاسبوع العربي ، (باريس)، العدد ١٢٦٦، ١٦كانون الثاني ١٩٨٤؛ عمر الشاذلي ، المصدر السابق ، ص٣٠٣.
[٧] - مجلة الاسبوع العربي ، (باريس)، العدد ١٢٦٦، ١٦كانون الثاني ١٩٨٤.

وزير الداخلية ادريس قيقة من منصبه ،وكلف محمد مزالي الوزير الأول القيام بمهام وزارة الداخلية [١] ، كما عين بموجب التعديل الوزاري عامر غديرة (آمر الحرس الوطني) نائباً لوزير الداخلية لمساعدة مزالي على القيام بمسؤولية وزارة الداخلية ، وأعيد تنظيم هياكل الأمن فأصدر بورقيبة قرارا عين بموجبه زين العابدين بن علي[٢] مديرا للأمن يوم ٣ شباط ١٩٨٤[٣] . وصرح بورقيبة ايضاً بتبرئة مزالي من قرار زيادة أسعار الخبز قائلاً **" إن الوزير الأول مزالي ليس مسؤولا عن هذا الوضع ، فأنا الذي طلبت منه مضاعفة سعر الخبز ، وأنا من يتحمل المسؤولية في هذه القضية ، ومحمد مزالي غير معني بذلك"**[٤].وهذا يعني ان بورقيبة كان واثقاً من مزالي ،وان (مؤامرة)وسيلة ووزير الداخلية ادريس قيقة لم تنجح،بل ان موقف بورقيبة هذا قدم كل الدعم لوزيره الاول ،وعدم تحميله مسؤولية قرار الزيادة في اسعار الخبز.

شكلت فيما بعد محكمة عليا برئاسة عبد السلام المحجوب وحامد العابد مستشار الحكومة القانوني، فضلا عن أربعة نواب انتخبهم مجلس النواب التونسي ، تولت محاكمة ادريس قيقة الذي كان وقتها في الولايات المتحدة الأمريكية [٥]، ووجهت المحكمة تهمة الخيانة العظمى (لوزير الداخلية) ادريس قيقة بسبب موقفه من أحداث الشغب التي شهدتها تونس بداية كانون الثاني ١٩٨٤[٦] ، وأصدرت المحكمة ضده حكما بالسجن لمدة عشر سنوات ، بعد ذلك حوكم عدد من المتهمين بجرائم الحق العام ، ولم يكن منهم أي شخصية سياسية ، وصدرت ضدهم أحكام تتراوح بين السجن والإعدام [٧] ، وذكر مزالي ان العديد من الأطراف تدخلت لإنقاذ المتهمين من المشنقة وكاد بورقيبة ان يمضي على إعدامهم ،غير انه

---

[١] - صحيفة السياسة، (الكويت)، العدد ٥٣٤١، ٨ كانون الثاني١٩٨٤ ،ص١؛صحيفة الثورة ، (العراق)، العدد ٤٩٨٣، ٨ كانون الثاني١٩٨٤ ،ص١١؛ صحيفة العراق، (العراق)، العدد ٢٤١٢، ٨ كانون الثاني١٩٨٤ ،ص١.

[٢]-زين العابدين بن علي: ثاني رئيس لتونس بعد الاستقلال ولد سنة ١٩٣٦م في حمام سوسة على الساحل التونسي، بعد ان انهى دراسته الثانوية، تابع دروسه في الالكترونيات وحصل على شهادة دبلوم المدرسة المختصة بالهندسة الالكترونية ، وحصل على شهادة تخصص في مختلف الاسلحة من كلية سان سير في فرنسا،ثم دخل السلك العسكري وأصبح مديراً للمخابرات العسكرية منذ سنة ١٩٥٨م ، عمل ملحقاً عسكرياً سنة١٩٧٤م في الرباط، وعمل مديراً للأمن الوطني للسنوات ١٩٧٧-١٩٨٠، بعدها عين سفيراً للبلاد في وارشو ١٩٨٠ ،ثم عين سنة ١٩٨٤م مديراً عام للأمن الوطني ،بعد ذلك رقي الى منصب كاتب دولة للأمن الوطني ثم وزيراً للأمن الوطني سنة ١٩٨٥ الى ان عين وزيراً للداخلية في سنة ١٩٨٦م حتى اختاره الرئيس بورقيبة ليشغل منصب وزير أول (رئيس وزراء) في تشرين الاول سنة ١٩٨٧م الى أن أصبح رئيساً للجمهورية بعد إطاحته بالحبيب بورقيبة في السنة نفسها. ينظر صحيفة القبس ، (الكويت)،العدد ٥٥٦٣، ٨كانون الاول ١٩٨٧،ص٢٥؛نغم اكرم عبدالله الجميلي، المصدر السابق،ص١٠٤.

[٣] - الهادي التيمومي، المصدر السابق، ص ١٦٩.

[٤] - الباجي قائد السبسي، المصدر السابق، ص ٢١٨.

[٥] - صحيفة الثورة ، (العراق)، العدد ٥٠٦٣، ٢٨ اذار١٩٨٤ ،ص١.

[٦] - مجلة الطليعة العربية،(باريس)، العدد٤٨ ،٩نيسان ١٩٨٤،ص٣٧.

[٧]- سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص٢١٨.

أقنعه أن مسؤولية التخريب لا تعود إليهم وحدهم فأجهزة الأمن تخلت عن حماية الممتلكات العامة والخاصة فساعدتهم على ارتكاب الجرائم فقال **" ان المسؤولية مشتركة "**، حينئذ تحول حكم الإعدام الى مؤبد [١].

كانت أقالة ادريس قيقة من منصبه وإدانته بالخيانة العظمى بمثابة قطع طريق أمام وسيلة بورقيبة، التي عدّت ادريس قيقة بديلاً حضي بمواصفات الزعامة والخلافة والاستقامة والثقافة كلها، وقد فقدت نفوذها في الحكومة وحذرها بورقيبة بعدم التدخل في شؤون البلاد ، فضلا عن أن مزالي أقصى كل رجالها ولم يعد بورقيبة يصغي الى نصائحها كما اعتاد[٢].

أعطى بورقيبة ثقة كبيره لوزيره الأول غير انه في الوقت نفسه أضعف اقتصاد بلاده،فكانت البلاد تمر بمآزق اقتصادية لم تعرفها من قبل ، اذ نضب الاحتياطي النقدي ، فحاول مزالي اتخاذ عدة إجراءات من أجل التخلص من هذا الانحدار الاقتصادي [٣] ، فاجتمع مزالي ورؤساء المديرين العامين للبنوك الموجودة في تونس جميعها ، وتناول الاجتماع تقييم الاوضاع الاقتصادية والمالية في البلاد ، واستنباط الوسائل والحلول اللازمة التي تقدم الى الحكومة لتساعدها على وضع الاختيارات الاساسية للميزانية الجديدة التي ستقدم الى بورقيبة ، من جانبهم تعهد المسؤولون عن القطاع البنكي بتقديم اقتراحات عملية الى الحكومة لحل الازمة ، وتقديم المساعدة للحكومة في وضع ميزانية جديدة بعد الاستمرار في دعم سعر الخبز [٤]، إذ إن الاستمرار في دعم أسعار الخبز ومشتقاتها أدى الى حدوث عجز في الميزانية يتراوح مابين ١٠٠ و١٤٠ مليون دينار[٥].واتخذت الحكومة بعد ذلك عدة إجراءات بهدف سد العجز في الميزانية من دون المساس بوضع الطبقات الاجتماعية الفقيرة في البلاد. فاتخذت عدة قرارات شملت زيادة رمزية على أسعار منتجات الحبوب وزيادة الضرائب المفروضة على المشروبات الكحولية والسكائر والكماليات والبنزين ومشتقات النفط الأخرى ، باستثناء المشتقات المستعملة للطبخ والتدفئة، وأكدت ان

---

[١] - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ص٤٩٧.

[٢]- مجلة الدستور ، (لندن)، العدد ٨١٧، ٣ اب ١٩٨٤؛عمر الشاذلي ، المصدر السابق ، ص٣٠٤؛ الصافي سعيد، المصدر السابق ، ص٣٦٨؛سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص ٢١٨.

[٣] - الصافي سعيد ، المصدر السابق ، ص٣٦٨.

[٤] – حضر الاجتماع الحبيب بورقيبة (الابن) رئيس الجمعية المهنية للبنوك والمدير العام لبنك التنمية الاقتصادية في تونس ، و رشيد صفر وزير الاقتصاد ، والمازري شقير الوزير المعتمد لدى الوزير الاول المكلف بالوظيفة العمومية والاصلاح الاداري ، واسماعيل خليل وزير التخطيط ، وصالح مباركة وزير المالية ، والمنصف بلخوجة محافظ البنك المركزي التونسي . للمزيد ينظر الجمهورية التونسية ، وزارة الاعلام (مركز التوثيق القومي)،مزالي يجتمع بمديري البنوك ، ٢٤كانون الثاني ١٩٨٤، رقم p-17-o.

[٥] - صحيفة الجمهورية، (العراق)، العدد ٥٢٥٧، ٢٥ كانون الثاني١٩٨٤ ،ص١.

الزيادة ستكون رمزية بالنسبة للخبز ومشتقات الحبوب، واكد أن الحكومة ستعمل على دعم سياسة التحكم في الاسعار للحد من وطأة التضخم المالي [١] .وفي إطار الإجراءات التي اتخذتها الحكومة ايضا اعلنت عن زيادة في أسعار السكائر المحلية والمستوردة بنسب تراوحت بين ١٠ و٢٠ %، وفي ٢٢ شباط ١٩٨٤ أعلنت رفع أسعار الوقود ومشتقات النفط باستثناء المستخدمة في الطبخ والتدفئة ، وأعلن في بيان لوزارة الاقتصاد أن القطاع الزراعي والصيد البحري لا يشملهما رفع الأسعار واستمرارها التمتع بإعفاء إضافي من اجل تشجيع الإنتاج في هذين القطاعيين [٢] ، ومن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة ايضاً من اجل إيجاد حلول للأزمة الاقتصادية طلب الوزير الأول محمد مزالي في أثناء زيارته الى اليابان في (١٢ تشرين الأول ١٩٨٤) قرضا قدرة ١٧,٥مليار (ين ياباني) ، حوالي (٧٠ مليون دولار أمريكي) وقدم الطلب الى رئيس الوزراء الياباني، ووافق رئيس الوزراء الياباني على إرسال خبراء يابانيين الى تونس لمساعدتها في تجاوز الازمة ، وكذلك مساعدتها في خطتها لبناء مركز لأبحاث الكومبيوتر، وعلى زيادة الطلبة التونسيين المتلقين للمنح الدراسية والفنيين الذين سوف يتلقون تدريبا في اليابان[٣].

مما تتقدم يتضح ان احداث الخبز التي حدثت كانون الثاني ١٩٨٤ ،هي رد فعل شعبي شرعي، وهي دلالة على ان هناك ازمة سياسية واقتصادية واجتماعية، تطلبت اجراء تعديل حقيقي في بنية النظام السياسي في تونس ،واظهرت ان المراهنة على السياسة الديمقراطية والانفتاح وحده لايكفي ، وتبقى الديمقراطية بحاجة الى تنمية اقتصادية حقيقية لدعمها حتى تكون هناك تنمية متكاملة.

---

[١]-الجمهورية التونسية ، وزارة الاعلام (مركز التوثيق القومي)،الزيادة المتوقعة للاسعار،١٤شباط١٩٨٤، رقم p-17-o.

[٢]-صحيفة العراق ، (العراق)، العدد ٢٤٤٨، ١٩ شباط ١٩٨٤؛صحيفة الجمهورية، (العراق)، العدد ٥٢٨٦، ٢٣ شباط ١٩٨٤ ،ص١١.

[٣]- مجلة الاسبوع العربي،(باريس) ،العدد ١٣٠٨ ، ٢٢ تشرين الاول ١٩٨٤.

ثانياً: نشاطات محمد مزالي الثقافية في تونس ١٩٨٠-١٩٨٦

احتلت الثقافة في فكر محمد مزالي من خلال كتاباته ومحاضراته الكثيرة المتنوعة مكانة متميزة ، ومحورا اساسيا يدور حولها تفكيره باحثا عن معنى لحياته ووجوده ، ولها دورها في البناء الحضاري ،فالثقافة كما وصفها في حفل ذكرى إنشاء مجلة الفكر الخامسة والعشرين، هي **"ركن من اركان السياسة ، وان شعبا لا يعتني بالثقافة ولا يولي الفكر اهتماما هو شعب منقوص ، مستهلك لأنتاج العبر ، شعب ضائع ، فبالثقافة والفكر والادب تتوضح المعالم ويتفتق الخيال ، ويثار السبيل ، ويتذوق البشر حياتهم ويعرفون لماذا يعيشون ، وماهو معنى حياتهم"**[١]، لذلك ولما الت اليه مسؤوليات الوزارة الأولى ١٩٨٠ دافع محمد مزالي عن الثقافة للشعب بمستواها الرفيع وعن حق المشاركة الواسعة والحرة للجماهير في اتخاذ القرار الثقافي [٢].

كان محمد مزالي مقتنعاً بأن البعد الثقافي هو الذي يحل المشكل السياسي اذ يجب ان يكون المرء مستقلا ثقافياً ليصبح مستقلاً سياسياً [٣] .

كما عبر مزالي في بيان التنصيب الذي القاه امام مجلس النواب يوم ٣٠ ايار ١٩٨٠ **" ان الثقافة ليست عملية خلق جمالي فقط ، انها انتاج ايضا وبهذا الاعتبار تخضع الثقافة الى مقاييس القطاع الاقتصادي ومتطلباته ، ففي ميدان الثقافة يجوز لنا ان نتحدث عن الاستثمار، واحداث مواطن الشغل ، وتنظيم الهياكل والتسويق ، لذلك لا يمكن بحال من الاحوال ان يبقى الانتاج الثقافي ونشاطه هامشيا او ثانويا"**[٤].

بهذا الخصوص ذكر بشير بن سلامة قائلا : **" محمد مزالي كان مؤمن بدور الثقافة والمعارف بدقائقها، اذ انه كان نصيرا للثقافة فعلا لا قولا مثل الكثيرين ، فهو لا يعدها مثل بعض المسؤولين السياسيين، اما ترفا او مجالا لتوظيفها او آلة لتدجين المثقفين ، فهو كان يدعم المشروع الثقافي بألاشراف والتوجيه وتذليل الصعاب "**[٥] .

---

[١]- احمد خالد ، مفهوم الثقافة ودورها في البناء الحضاري في فكر محمد مزالي (مدخل الى السياسة الثقافية الجديدة بتونس)، (د.م) ، تونس ١٩٨٥، ص٦.

[٢]- المصدر نفسه ، ص٢٥.

[٣] -محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص ٣٠٩.

[٤]- احمد خالد، المصدر السابق ، ص٧٥.

[٥] - البشير بن سلامة ، التحولات الثقافية في تونس ١٩٨١-١٩٨٦، ٤ تشرين الاول ٢٠١٠. www.bechir ben slama.com.

نادى مزالي على الدوام باحلال الثقافة المكانة اللائقة بها لتمكين رجالاتها من الاسهام في تحقيق التنمية ، واكد بأن الابداع الثقافي لايقل اهمية عن خلق مواطن الشغل وبناء الجسور ومد الطرقات، والانتاج الثقافي لاينفصل عن حركية الانتاج بل هناك علاقة جدلية بين مختلف قطاعات الانتاج حتى لو استعصى تقييم المردود الثقافي بالارقام والاحصاء ، ورأى مزالي انه من الضروري تقديم مزيد من المساعدات المادية لخلق المناخ الملائم للابداع ، وهذا ماعملت حكومة مزالي على تحقيقه ، لذلك قامت بتشجيع الكتاب والفنانين بما يتناسب مع امكانيات الدولة[١].

اخذ مزالي تنفيذ ارائه وافكاره حول الثقافة ونقلها الى حيز التطبيق ،اذ خصص للثقافة باباً كاملاً في مخطط الدولة السادس ١٩٨٢-١٩٨٦، ولاول مرة في تاريخ تونس وادخلت الثقافة في الدورة الاقتصادية للبلاد كشأن كل الميادين الحيوية في تنمية البلاد، وأصبح عند ذلك الحديث عن اقتصاد الثقافة والتخطيط والصناعات الثقافية ، واستثمار الخواص في الميدان الثقافي بسن قوانين مشجعة لذلك، وبهذه الصورة اصبح الشأن الثقافي لا يهم فقط الوزارة المختصة بذلك ،بل كل الوزارات ومؤسسات الدولة والمؤسسات الخاصة التي فتح لها باب الاستثمار في الثقافة عن طريق الصناعات الثقافية وتشجيع الخلق والإبداع [٢]، ومن المشاريع التي نفذت ولها الاثر في الميدان الثقافي احداث صندوق تشجيع الانتاج السينمائي سنة ١٩٨٢ الذي تأتي موارده من قيمة تذاكر الدخول الى قاعات السينما، وكان دخله يصرف لمنتجي الافلام[٣] .

ومن اجل تشجيع الاستثمار الثقافي انشئت هياكل النشاط الثقافي الضرورية وتكوين الكوادر اللازمة ليتناسب مع هذا النشاط وذلك بجعل المؤسسة الثقافية الى جانب المؤسسات العمومية ذات الطابع المالي او الصناعي او التجاري، لهذا انشئت المعاهد العليا الخصوصية ، مثل المعهد العالي في الفن المسرحي ، والمعهد العالي في تخريج المنشطين الثقافيين ، والمعهد العالي للموسيقى ، والمسرح الوطني[٤] ، وقبل في المعاهد المذكورة سابقاً خريجي البكالوريا ومدة الدراسة فيها اربع سنوات وتخصص الدراسة فيها في التنشيط الثقافي او المسرح او الموسيقى ، وبذلك اسهمت هذه المعاهد في تزويد البلاد بمجموعة من الكوادر لها اسهام في زيادة الانشطة الثقافية في تونس ودافع للاهتمام بالشأن الثقافي ، وان كان عدد المتخرجين فيها من البداية قليلا، غير انه يمكن عد هذه المعاهد خطوة كفيلة لجذب

---

[١]- صحيفة العمل ،(تونس)،العدد ٨٦١٥ ، ٨حزيران ١٩٨٠.

[٢] - محمد مزالي ، في ابعاد الثقافة المسؤولة ، مجلة الفكر ، السنة ٢٨، العدد ٦، اذار ١٩٨٣، ص٥.

[٣]- محمد مزالي ،نصيبي من الحقيقة، ص ٣٥٣؛ احمد خالد، المصدر السابق ، ص٧٩.

[٤] -احمد خالد ، المصدر السابق ، ص٨٠.

الطاقات الاخرى والى اتقان الاساليب والطرق المعتمدة عليها في هذا الميدان وتدريجياً الى ان تصبح الثقافة حاجة ملحة في حياة الناس[١].

في اثناء وزارة مزالي الاولى نظم ولاول مرة معرض تونس السنوي للكتاب العربي الذي نظم تنظيما محكما ليكون معرضا سنويا شاملا للكتاب العربي والاجنبي[٢] ، وارست اسس تشجيع قطاع النشر لزيادة الاهتمام بالصناعات الثقافية ودعمها بوصفها ميادين انتاج اقتصادي وانشئت بدعم من صندوق التعويض ، واعفيت المواد الداخلة في طبع الكتب من الضرائب الكمركية لتشجيع الكتابة والتعريف بالكتاب التونسي في العالم فنتج من ذلك ان تعددت المطابع واصبح العمل فيها ليلا ونهارا استجابة لحركة النشر هذه ،فزاد عدد المطابع في تونس من ٦مطابع سنة ١٩٥٦ الى ١٠٢مطبعة سنة ١٩٨٦[٣].

اسست في اثناء تولي محمد مزالي للوزارة الاولى (بيت الحكمة) في كانون الاول ١٩٨٢ وسميت باسم(المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات)، واشرف مزالي على دورتها الاولى في ٦كانون الاول ١٩٨٣، واستقبل الحبيب بورقيبة في السابع من الشهر نفسه اعضائها كلهم، والقى مزالي خطابا بالمناسبة ،وشهد الحفل حضور ابرز العلماء والمنسبين الى اكثر الاقطار العربية وبلدان العالم ومنهم الشخصيات التي حازت على جائزة نوبل ، ومنهم المشهورين في الادب والعلوم والقانون وكانت مناسبة لمد الجسور بين الثقافات بين الشعوب [٤] ،تكونت هذه المؤسسة من مجلس علمي ضم علماء الوطن العربي والعالم ، ورؤساء مجامع عربية واسلامية ، الى جانب العلماء التونسيين، وتعد مؤسسة بيت الحكمة مجالا لحوار الثقافات والبحث والابتكار على مستوى عال[٥].

صدر في تموز ١٩٨٢ قانون خاص بالهياكل الثقافية فرض تخصيص مساحات ضرورية للمباني الثقافية المعدة للعموم على وفق مقتضيات المجلة العمرانية واحصاء المباني الموجودة للغرض نفسه وحمايتها [٦]،واحتوى هذا القانون على ثلاثة ابواب ،الباب الاول شمل تهيئة المساحات اللازمة للهياكل الاساسية الثقافية، مع وضع المؤسسات الاقتصادية على ذمة مستخدميها تجهيزات ثقافية لتسييرها ، اما

---

[١]- البشير بن سلامة ، التحولات الثقافية ١٩٨٠-١٩٨٦.

[٢]- محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، ص٣٥٤.

[٣] - احمد خالد ، المصدر السابق ،ص ٨٠.

[٤]- صحيفة الانباء ،(الكويت)،العدد ٣٣٧٢ ، ١٤ ايار ١٩٨٥ ؛ البشير بن سلامة ، احلى واسوء ذكرياتي، مجلة الشرق الاوسط ، العدد ٤٤٧، ١٩٩٥.

[٥]- محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ،ص ٣٥٤.

[٦]- احمد خالد ، المصدر السابق ،ص ٨٢.

الباب الثاني فنص على انه يمكن للجماعات المحلية والمؤسسات الاقتصادية والجمعيات المصدق عليها الحصول على مساعدة الدولة لانجاز تجهيزاتها الثقافية المعدة لتعاطي الانشطة الثقافية واعادة تهيئتها، اما الباب الثالث من القانون احتوى على ضرورة احصاء التجهيزات الثقافية والمحافظة عليها وصيانتها واستحالة استعمالها في غير غرضها الاصلي الثقافي وارجاعها الى وضعها السابق في حالة ازالتها او انجاز اشغال فيها من شأنها ان تغير وجه استعمالها [١].

ومن اجل التشجيع على العمل النقابي وتقديم التسهيلات اللازمة ادرج في قانون المالية لسنة ١٩٨٢ الفصل القاضي بإعفاء اصحاب الصناعات المسهمين في تمويل العمل الثقافي تنشيطا وتجهيزا من الاداء الضريبي على الارباح،ومن ضمن نشاطاته الثقافية ايضا اصدر في كانون الاول ١٩٨٢، قانون يتعلق بأستحداث المؤسسة الوطنية للترجمة ،والتحقيق والدراسات [٢].

وأحدثت اللجان الاستشارية في مختلف القطاعات الثقافية ، وأسس المجلس الاعلى للثقافة في كانون الثاني ١٩٨٣وجدد تنظيم الوزارة الهيكلي، ولم تكن اعمال المجلس الاعلى للثقافة مبنية على مجرد اراء مختلفة تجمع بينها روح الحوار ،بل استندت الى دراسة علمية احتوت على سياسة ثقافية وخطة مضبوطة قابلة للتنفيذ[٣].

في سنة ١٩٨٤ انشئ صندوق التنمية الثقافية تلبية لحاجة ابرزتها الحاجة العلمية الاقتصادية، اذ تبين ان المجهود الذي تقوم به وزارة الثقافة يصرف اغلبه من حيث الميزانية الى التصريف والتسيير والتكوين ولا يعطي للخلق والابداع الا نسبة ضئيلة لا تتجاوز ٩% لذا قررت الحكومة على هذا الاساس تخصيص ميزانية اضافية من اجل تشجيع المبدعين على مزيد من الانتاج الادبي والفكري والفني ،وخصص جانب من هذا الصندوق لشراء الكتب والافلام الثقافية والعروض المسرحية والموسيقية وبرامج المهرجانات وكل انتاج يتعلق بثقافة الاطفال ،وبذلك تمكنت المؤسسة من تحقيق غايتين كبيرتين هما تشجيع الابداع بشراء اجوده واحسنه وتنشيط الحياة الثقافية وبهذا تمكنت وزارة الثقافة من اعمار المكتبات العمومية بالكتب ودور الثقافة والشعب والمسارح بالافلام الثقافية والعروض المسرحية والموسيقية [٤]، ورصدت وزارة الشؤون الثقافية بالامر عدد ٩٤٤لسنة ١٩٨٤ جوائز قومية في الاداب والفنون ،فضلا عن الجوائز التقليدية الاخرى لتشجيع الانتاج الادبي والعلمي[٥].

---

[١] - البشير بن سلامة ،التحولات الثقافية في تونس ١٩٨١-١٩٨٦.

[٢]- احمد خالد ، المصدر السابق ،ص ٨٥.

[٣] –البشير بن سلامة ،في السياسة الثقافية بتونس، مجلة الفكر ،السنة ٢٨، العدد ٦، اذار ١٩٨٣،ص ١.

[٤]- البشير بن سلامة ،التحولات الثقافية في تونس ١٩٨١-١٩٨٦.

[٥]- احمد خالد ، المصدر السابق ،ص ٨٤.

بدأت وزارة الشؤون الثقافية في اثناء هذة الحقبة بالتعاون مع وزارة الشؤون الخارجية باصدار ملحقين ثقافيين على غرار الملحق العسكري بعّد الثقافة درع البلاد مثل الشأن العسكري ، نتيجة هذه الاعمال بادرت وزارة الشؤون الثقافية الى أنشاء مركز الدراسات والتوثيق حول التنمية الثقافية، القصد منه تقويم المخزون الوثائقي الذي تملكه ،ثم معالجته وترويجه وخزنه عن طريق وحدات شبكة للاعلام والتوثيق الثقافيين ،وابتداء من ٢٨ ايار ١٩٨٤ وقع اتفاق بين وزارة الشؤون الثقافية والمركز القومي للإعلام يقضي بضبط مراحل تطبيق مشروع الاعلامية بالنسبة الى المعطيات الثقافية [١].

استقبل محمد مزالي في اثناء توليه الوزارة الاولى لويس بيرليه (Lewis Burleih) رئيس رابطة الصداقة الفرنسية التونسية في ٢٠ ايلول ١٩٨٤، وتم بحث التعاون الثقافي بين البلدين واعلن رئيس الربطة عن دعم بلاده للتبادل الثقافي بين البلدين وتعميقه[٢] .

كذلك استقبل محمد مزالي وزير الثقافة والسياحة التركي موكيرم تاسكيو جلو، ووقعت كل من تونس وتركيا في تشرين الاول ١٩٨٤ على برنامج للتعاون الثقافي بين البلدين، واشتمل البرنامج الثقافي الموقع على تنمية التبادل الثقافي والفني ،والتعاون في مجال تأهيل المتخصصين ، والتعاون في مجال الاعلام والتأهيل المهني والاستثمار الثقافي، فضلا عن تبادل زيارات الشباب بين البلدين [٣].

على الصعيد العربي كان انتقال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ALECSO) الى تونس سنة١٩٧٠ فرصة لتمتين العلاقات الثقافية بين البلدان العربية ، ولقيام تونس بدورها القومي في المجالات جميعها ،لاسيما في ميدان التنمية الثقافية ، وبعثت الالكسو الى جانب التعاون العادي صندوق تنمية الثقافة العربية الذي اتجه اولا الى رفع الامية في الوطن العربي والى التعريف بالثقافة في العالم ، وفي اثناء ذلك اعدت في تلك المدة الخطة الشاملة للثقافة العربية برعاية الالكسو ، وعبر محمد مزالي عن هذا التعاون العربي ثقافياً بقوله" **صحيح ان الحواجز ماتزال قائمة بين ابناء الضاد وتتمثل في التفاوت الحاصل بين تطور هذا البلد او ذاك ،وهو امر راجع الى اسباب تاريخية متصلة بعصور الانحطاط وعهود ألاستعمار ،الا ان اختلاف الانظمة السياسية العربية قد عمق هذه الحواجز ، فبقيت صعبة التذليل وللخروج من هذا المأزق يجب الاتفاق على خطة ثقافية ترتكز اولا على توحيد المناهج**

---

[١]- البشير بن سلامة ،التحولات الثقافية في تونس ١٩٨١-١٩٨٦ .

[٢] - صحيفة الثورة ،(العراق) ،العدد ٥٢١٤، ٢١ايلول١٩٨٤.

[٣]- صحيفة الجمهورية ،(العراق) ،العدد ٥٥٩٥، ٣تشرين الاول ١٩٨٤.

التربويـة ، وتوازيهـا سياسـة ثقافيـة موحـدة، طالمـا لايمكـن اصـلاح المجتمعـات العربيـة إلا بمحطـة ثقافية" [١] .

والجدير بالذكر انه في تموز ١٩٨٦ بعد اقالة محمد مزالي ،سارع رشيد صفر[٢] الوزير الاول الجديد ، ولم يمض اسبوعان على تقلده الوزارة الاولى الى ايقاف العمل بملحق قانون المالية (صندوق التنمية الثقافية وصندوق تشجيع الانتاج السينمائي) فكان الغاؤهما ضربة قاسية للانتاج والابداع الثقافيين في تونس[٣].

ان كل هذه النشاطات والانجازات الثقافية التي تمت لا يمكن لها ان تتم من دون وجود مناخ ثقافي وسياسي يحظى بتشجيع من الدولة ، وكان لوجود محمد مزالي على رأس السلطة اثراً كبيراً في توفير الاجواء وتهيئتها لانجاح المشهد الثقافي الجديد في ان ياخذ طريقه في تونس بسرعة وعمق ، فقد استثمر محمد مزالي وجوده على راس الحكومة بإتخاذ عدد من الاجرات للنهوض بالواقع الثقافي وتهيأة ظروف لنجاحه.

---

[١] - محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة،ص ٣٥٥.

[٢]-رشيد صفر: سياسي ورجل اقتصاد تولّى الوزارة الأولى بعد اقالة محمد مزالي من ٨ تموز ١٩٨٦ إلى ٢ تشرين الأول ١٩٨٧. ولد بالمهدية في ١١ ايلول ١٩٣٣ وهو ابن الزعيم السياسي المحامي الطاهر صفر مؤسس الحزب الحر الدستوري الجديد مع الحبيب بورقيبة ومحمود الماطري. تابع رشيد صفر تعليمه العالي في الأداب والحقوق والعلوم الاقتصادية بتونس بمعهد الدراسات العليا من تشرين الأول ١٩٥٣ إلى تموز١٩٥٧ ، ثم بباريس بالمدرسة الوطنية للأداءات التابعة لوزارة المالية والاقتصاد بباريس، وفي كلية السوربون بباريس من تشرين الأول ١٩٥٨ إلى تموز ١٩٥٩شغل العديد من المهام الإدارية لاسيما في وزارة المالية وعينه بورقيبة على التوالي وزيرا للصناعة (١٩٧٧-١٩٧٩) ثم للدفاع (١٩٧٩-١٩٨٠) ثم للصحة (١٩٨٠-١٩٨٣) ثم الاقتصاد (١٩٨٦) قبل أن يكلفه بالوزارة الأولى بعد ازمة مالية واقتصادية حادة وذلك لإصلاح الأوضاع وتدارك الأخطاء وكانت مدخرات تونس من العملة الصعبة قد نزلت حتى الصفر يوم تسلمه المسؤولية في وضع جد صعب وتمكن في بضعة أشهر من ابرام اتفاق مع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي لتمكين تونس من حد أدنى من المدخرات المالية بالعملة الصعبة وقدم إلى مجلس النواب في شهر اب ١٩٨٦ قانون مالية جديداً وبرنامج إصلاح اقتصادي هيكلي حتى خرجت تونس من مأزقها المالي، تولى بين ١٩٨٧ و١٩٨٨ رئاسة مجلس النواب خلفا لمحمود المسعدي.مثل رشيد =صفر تونس سفيراً لدى المجموعة الأوروبية في مدينة بروكسل من ١٩٨٨ إلى ١٩٩٢ ثم عين رئيسا للهيأة العليا للرقابة الإدارية والمالية بتونس من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٦. ينظر الى صحيفة التونسية الالكترونية،٩ايلول ٢٠١٣ . www.attounissia.com

[٣]-المصدر نفسه،ص ٣٥٥.

ثالثاً:صراعات الخلافة وعوامل اقالة محمد مزالي .

يعود الصراع حول خلافة بورقيبة الى نهاية الستينيات [١] ، فلم تبدأ هذه الصراعات مع محمد مزالي في الثمانينيات ،بل تعود جذورها الى الوقت الذي تعرض فيه بورقيبة الى اول ازمة قلبية في اذار ١٩٦٧، وتفاقمت هذه الصراعات بعد التعديل الدستوري في ٣١ كانون الاول ١٩٦٩، وكذلك تعديل ٨ نيسان ١٩٧٦ في الفصل ٥٧ الذي جعل (من الوزير الاول خليفة لرئيس الجمهورية بصفة آلية في حالة شغور الرئاسة واشغالها لبقية المدة النقابية)[٢]، فهاجس الخلافة الذي ارّق الجميع لم يحسم فيه قانونياً ،بل اوقف العمل فيه بأمر بورقيبة الذي لم يعجبه اقتراح احداث منصب نائب رئيس الجمهورية يكون مؤهلا للحلول محله ، فبقيت الخلافة "تقض مضجع المنشدين اليها" الذين آثروا العناية بها على العناية بالمسؤوليات الموكلين بها قانونياً[٣]، ما جعل منصب الوزير الاول مطمح كل الراغبين في الوصول الى السلطة داخل نظام الحكم وخارجه ، فخلق ذلك الكثير من الصراعات الداخلية التي ادت في بعض الاحيان الى عرقلة سير العمل الحكومي ، وتعطيل سياسة الدولة ، ووصل الامر الى درجة اثارة الازمات للاستفادة منها فيما بعد [٤].

تعددت اطراف هذا الصراع وتنوعت اشكاله وكثرت ضحاياه ، ولم يقتصر الامر على الوزراء بل تعداه ليشمل اغلب مكونات المجتمع السياسي والمدني ، شارك فيه السياسيون والنقابيون والأقارب والأصدقاء ، واستعمل المتنافسون وسائل متنوعة للفوز بهذا المنصب ، وأولها محاولة التقرب من بورقيبة وكسب وده وثقته ، متخذة اشكالا عديدة ،اذ كانوا يتسابقون في التضخيم في صورته ، ووصل الامر الى ان كرسوا عبادة الشخصية ومثبتين للحكم الفردي الذي لم يرفضه بورقيبة ، بل سعى من جانبه الى تشجيعه عن طريق ايجاد سياسة التكتلات ، بحرصه الدائم على الابقاء في الحكومة والحزب على مجموعات متعارضة وعناصر متنافسه، لرغبته في تكريس حكمه الفردي المطلق[٥]،ادى هذا الامر في نهاية المطاف الى ارساء علاقات تقوم على الولاء والتبعية الشخصية لشخص بورقيبة من حيث المنافسات بين الفاعلين السياسيين ، لا بالاعتماد على الكفاءة والقدرة كمعايير موضوعية في المقام الاول، بل ان الاولوية للولاء والوفاء عبر النجاح في اقامة شبكة علاقات تبعية شخصية محورها شخص

---

[١] - مجلة الصياد ، بيروت ، العدد ٢٠٥٥، ٢٣اذار ١٩٨٤.
[٢]-خليفة الشاطر واخرون، المصدر السابق، ص٢٠٠.
[٣] –اعمال المؤتمر العالمي الثالث حول :السلطة وآليات الحكم في عصر بورقيبة بتونس والبلاد العربية، ص١١٣.
[٤]- الهادي التيمومي ، المصدر السابق، ص١٦٩.
[٥] - عبد الجليل بوقرة، النظام البورقيبي الصعود والانحدار،ص٩١.

الرئيس، فهم لايتنافسون حول برامج ومشاريع حكومية بقدر مايتنافسون حول الفوز برضا بورقيبة الذي كان الوزير في اشد الحاجة لمساندته ليحافظ على منصبه [١] .

قال احد الباحثين ان **"صراعات الخلافة في الثمانينات تدور مرة بهدوء بعيداً عن اعين الفضوليين ، ومرة اخرى تدور علانية وبصخب على مرأى ومسمع من الجميع ،الى درجة تصل كل الصراعات بكل تفاصيلها الى الشارع التونسي"** [٢].

كان صراع الخلافة جولة مفتوحة ومتشابكة تداخلت فيها اطراف عديدة والامثلة عديدة ، غير انه يبقى مثال محمد مزالي الاوضح لهذا الصراع، واختلافه مع عدة اطراف وفي مقدمتها وسيلة بنت عمار وانصارها ، اذ فرض اسم وسيلة نفسه على الشارع السياسي [٣]، من خلال تصريحها سنة ١٩٨٢المجلة (جون افريك) بضرورة تعديل المادة المتعلقة بخلافة بورقيبة في الدستور ، داعية الى اجراء انتخابات رئاسية حرة بعد اربعين يوماً من شغور منصب رئيس الجمهورية [٤] ، وبفتح الطريق لتطور ديمقراطي في تونس، حتى تجنب نفسها مخاطر تهددها بعد موت بورقيبة[٥]، وأضافت قائلة **" ان اي استمرار في الحكم بمقتضى الدستور الحالي لا يكون الا مصطنعاً، ولا يستبعد ان يرفض من قبل الرأي العام ، ذلك ان الشعب التونسي يحترم بورقيبة غير ان التواصل الحقيقي سيكون مضمونا حين يستمر عمل بورقيبة بصورة ديمقراطية من قبل رئيس منتخب"**[٦].

اثار هذا الحديث ردود فعل متناقضة لدى اغلب الاطراف بين مؤيد متحمس لها داخل الحكومة وداخل اتحاد العام التونسي للشغل وحتى داخل الحركات السياسية والمعارضة ، وبين مستنكر لدى بعض رجال القصر والحكومة وعلى رأسهم محمد مزالي ، الذي فسر دعوة وسيلة الى تعديل الدستور اوالاصلاح ماهي الا محاولة لزعزعة مواقعه [٧] ، لاسيما ان الحديث نشر وهو خارج البلاد، وعند عودته ذهب مباشرة الى مجلس النواب والقى خطابا ضاربا بكفه على الطاولة مؤكداً ان الحزب الاشتراكي مازال حياً وان

---

(١) –اعمال المؤتمر العالمي الثالث حول :السلطة وآليات الحكم في عصر بورقيبة بتونس والبلاد العربية، ص١١٤.
(٢) - عبد الجليل بوقرة، النظام البورقيبي الصعود والانحدار،ص٩١.
(٣) –اعمال المؤتمر العالمي الثالث حول :السلطة وآليات الحكم في عصر بورقيبة بتونس والبلاد العربية، ص١١٣.
(٤)- مجلة الحوادث ،(لندن)،العدد ١٣٤٩، ١٠ايلول ١٩٨٢.
(٥) - توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس، ص١٥٢.
(٦) - الطاهر بلخوجة ، المصدر السابق،ص٣٥٤.
(٧)- مجلة الصياد ، (بيروت)، العدد٢٠٢٥ ، ٢٦اب ١٩٨٣.

صيغته ستبقى قائمة [١]، فضلا عن ردة فعله في مجالسه الخاصة التي كانت مباشرة واكثر عنفاً، ما وتر العلاقات بينه وبين وسيلة بنت عمار [٢] .

بعد احداث ثورة الخبز في كانون الثاني ١٩٨٤،عادت وسيلة الى تصريحها بضرورة تعديل المادة المتعلقة بمسألة خلافة بورقيبة وانتقال الحكم آليا للوزير الاول، اذ قالت في حديث صحفي **"انها تؤيد مبدأ مراجعة الدستور في شأن خلافة رئيس الدولة"**[٣] ، واثار هذا الحديث للمرة الثانية ضجة في الاوساط السياسية التونسية ودخلت في صراع مع الوزير الاول محمد مزالي ، وشكل هذا التصريح فضلا عن اسباب اخرى نقطة النهاية لوسيلة ،اذ اقدم بورقيبة على طلاقها وسحب لقب الماجدة منها ،بحجة تجاوزها لحدودها وعدم التزام الحياد السياسي ، لأدلائها بتصريحات واتخاذها مواقف مخلة بالدستور بدون اعلام رئيس الجمهورية [٤].

وهذا يعني ان بورقيبة قد ضاق ذرعاً بتصرفات وسيلة،وتدخلها في امور الدولة ،واذا كان في البداية ، متغافلا عن المناورات السياسية لزوجته وسيلة ،متحاشياً الصراعات داخل اسرته ،فأن هذه المرة لم يستطيع التغافل عن تصرفاتها،وبالتالي اقدم على طلاقها.

صرح الحبيب عاشور ايضاً في سنة ١٩٨٢ تصريحاً عبر فيه عن رأيه في مسألة الخلافة بقوله **"اني احبذ تعديل الدستور بصورة تسمح لجميع المترشحين الراغبين في الحصول على منصب رئيس الجمهورية بالتقدم بكل حرية"**[٥]، وقد استاء محمد مزالي كثيراً من هذا التصريح ، لاسيما انه لم يحسب حسابا لفتح جبهة اخرى ضده[٦]، وعندما اشتد الخلاف بين محمد مزالي وبين الاتحاد العام التونسي للشغل ، وما سبب ذلك من خلق اجواء من التوتر والقلاقل الاجتماعية بسبب الركود الاقتصادي ، وبعد ان زاد التوتر بينهم صرح مزالي قائلاً **"يعتقد الحبيب عاشور انه يستطيع التهامي ، بعدما فطر على الهادي نويرة ، انه لم يعرفني كفاية ، هذه المرة سأفطر عليه، وسألتهم كل من يقف بعده في طريقي"**[٧].

---

[١]- مجلة الحوادث ، (لندن)، العدد ١٣٤٩، ١٠ايلول ١٩٨٢.
[٢]- المصدر نفسه.
[٣] - مجلة الصياد ، (بيروت)، العدد٢٠٢٥، ٢٦اب ١٩٨٣.
[٤]-اعمال المؤتمر العالمي الثالث حول :السلطة وآليات الحكم في عصر بورقيبة بتونس والبلاد العربية، ص١١٣؛خليفة الشاطر واخرون ، المصدر السابق، ص٢٠٢.
[٥]- الطاهر بلخوجة ، المصدر السابق، ص٣٤٥.
[٦]- المصدر نفسه.
[٧]- مجلة المستقبل العربي (بيروت)، العدد ٤٥٦ ، ١٦تشرين الاول ١٩٨٥.

وفعلا فقد رأينا كيف ان مزالي استطاع عند اشتداد الازمة مع اتحاد العام التونسي للشغل جراء الازمة الاقتصادية،خوض حربا على النقابات ، وعمل على ابعاد الحبيب عاشور من طريقه بأدخاله السجن سنة ١٩٨٥، وقبله استطاع ابعاد ادريس قيقة الذي حكم عليه بالسجن بتهمة الخيانة العظمى ايضاً، غير ان اللافت للنظر من تصريح مزالي هو انه عند تسلمه منصب الوزير الاول اتخذ اسلوب الحوار والتفتح شعاراً لحكمه ، وجاء تصريحه هذا مناقضاً لما نادى به وما كان يعلن عنه ، فإن تشدده في الصراع على خلافة بورقيبة جاء مخالفاً لسياسة التفتح والديمقراطية التي انتهجتها حكومته سنة ١٩٨١.

راى محمد مزالي في الباجي قائد السبسي وزير الشؤون الخارجية على انه اقوى المنافسين له لخلافة بورقيبة، وقوته مستمدة من عدة امور ،منها انه حظي بثقة وسيلة بنت عمار ، وتمتعه بعلاقات متينة مع الدول العربية ،وما تمتع به من قبول لدى المعارضة[١]، علاوة على هذا كله انه من الرجال الذين ثق بهم بورقيبة ، فقد احتل السبسي موقعاً متقدماً ومميزاً في الحكم الى درجة انه حضر لقاءات بورقيبة جميعها حتى لو تعلق الامر بقضايا داخلية ليس لها علاقة بالشؤون الخارجية ، فشكل حضور الباجي قائد السبسي في اجتماعات بورقيبة مصدر ضيق لمزالي وبدأ منزعجاً منه ،وقد فهم مزالي ان ذلك يعني ايجاد خلافة بديلة في حالة عزله، فقرر ان يسلك اسلوب التشدد [٢]، وما زاد شكوك مزالي حول السبسي هو انتشار الاقاويل التي جعلت من الباجي قائد السبسي خليفة لمزالي، غير ان مزالي كان على يقين بقوة منافسه ، ولا يمكن له مجابهته مباشرة بسبب علاقته الوثيقة ببورقيبة ، والثقة الكبيرة التي تمتع بها لدى بورقيبة ، فعمل مزالي على ضرب السبسي من بعيد لإضعافه من خلال اقالة عدد من المقربين له ، ويمكن ان يكون اقالة الطاهر بلخوجة وزير الاعلام ومنصور معلى تصب في هذا الموضوع، لعلاقاتهم الوثيقة به[٣].

لاحظ الباجي قائد السبسي انزعاج الوزير الاول من حضور اجتماعات بورقيبة، فأخذ على عدم حضورها، وعندما استدعاه بورقيبة الى حضور الاجتماع اخبره أن حضوره يسبب ضيقاً لوزيره الاول، فكان عليه عدم الحضور، فطلب منه بورقيبة الانتظار في مكتبه حتى انتهاء الاجتماع ، غير ان السبسي غادر القصر، ولم يستدعه بورقيبة ثانية ، فذكر الباجي قائد السبسي **" يبدو ان بورقيبة فضل الاستجابة**

[١]- مجلة الصياد ، (بيروت)، العدد٢٠٣٠ ،٣٠ ايلول ١٩٨٣.
[٢]- مجلة الطليعة العربية (بار يس) ، العدد٤٦ ، ٢٦اذار ١٩٨٣.
[٣] - مجلة الصياد ، (بيروت)، العدد٢٠٣٠، ٣٠ ايلول ١٩٨٣.

لرغبة وزيره الاول ، والذي حرص بورقيبة على اشعاره بألامان ، لاسيما بعد احداث الخبز في كانون الثاني ١٩٨٤، واثرها السلبي على ثقة مزالي بنفسه ، اذ بدأ انها نالت الى حد كبير من حيويته وخطه السياسي" [١].

تعرض بورقيبة في ٥ تشرين الثاني ١٩٨٤ لازمة قلبية ادخل على اثرها الى قسم الامراض القلبية بمستشفى الرابطة في العاصمة تونس لمدة ١٥ يوماً ، ما ساعد ذلك على تأجيج الصراع على خلافته ، فنتج من ذلك حدوث حالة شبه شلل اصابت مؤسسات الدولة ، وترددت الاخبار والإشاعات عن حالة عدم الاستقرار والانسجام داخل حكومة مزالي[٢]، اما محمد مزالي فقد بدأ يظهر كثيرا في التلفزة بمناسبة وغير مناسبة، واخذت صوره تتصدر واجهات الصحف والمجلات الى جانب بورقيبة ، ويتصرف كما لو ان الحبيب بورقيبة لن يخرج سالماً من هذه الوعكة، فترك هذا التصرف اثراً سيئاً في نفس بورقيبة ، لاسيما وانه لا يتسامح ابدا مع من ينافسه في شعبيته[٣]، الذي قال في اثناءها **" اريد ان اعيش حتى اصفي حسابات محمد مزالي"**[٤].

في اثناء انعقاد مؤتمر اللجنة المركزية في الحزب الاشتراكي الدستوري الحاكم في تونس يوم ٩اذار ١٩٨٥ ، حسم بورقيبة امام اعضاء اللجنة المركزية قضية الخلافة في تونس بعد ان كثرت حولها الاقاويل والشائعات[٥]، واعلن الرئيس التونسي ان الوزير الاول محمد مزالي سيخلفه في رئاسة الجمهورية بعد وفاته[٦]، وهذه ليست المرة الاولى التي اعلن فيها بورقيبة عن خليفته، ففي سنة ١٩٨٢ ذكر بورقيبة في اثناء حديث له لبعض الصحفيين والضيوف ان محمد مزالي خليفته ، غير انه اضاف انه عّينه وانه يمكن ان يغيره اذا مارأى ذلك ضرورياً ومناسباً[٧].

كذلك اعلن بورقيبة في تشرين الاول ١٩٨٣ في اجتماع المجلس الاعلى للقضاء الذي رأسه بورقيبة ان محمد مزالي هو خليفته طبقاً للدستور [٨] .

---

[١]- الباجي قائد السبسي ، المصدر السابق، ص ٢٢٠.
[٢] - مجلة كل العرب ، (باريس)، العدد١٠٦، ٤تشرين الثاني ١٩٨٤؛ مجلة الطليعة العربية، (باريس)، العدد٩٧، ١٨ اذار ١٩٨٥.
[٣] - مجلة السفير ، (بيروت)، العدد٤٣٥٧، ١٦ايلول ١٩٨٦.
[٤]- توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس، ص١٦٤.
[٥] - مجلة المصور ، (القاهرة)، العدد٣١٥٦، ٥ نيسان ١٩٨٥.
[٦]- مجلة الطليعة العربية ، (باريس)، العدد٩٧، ١٨ اذار ١٩٨٥..
[٧]- مجلة الحوادث ، (لندن)، العدد١٣٣٩، ٢تموز ١٩٨٢.
[٨] - مجلة المصور ، (القاهرة)، العدد٣١٥٦، ٥ نيسان ١٩٨٥.

غير انه هذه المرة الاولى التي تكلم على الخلافة بنوع من الصراحة واكثر وضوحاً، فقد اوضح بورقيبة ان محمد مزالي اكتسب خبرة في ادارة البلاد منذ تسلمه مسؤولية الوزارة الاولى سنة ١٩٨٠، وختم حديثه **"انه طالما عاش بورقيبة وطالما عاش مزالي فالنصر سيكون حليف تونس مهما كانت الظروف"** [١]، واشاد بأسلوب محمد مزالي في ادارة الحكومة لاسيما في مفاوضاته مع الاتحاد التونسي للشغل عندما ربط زيادة الاجور بزيادة الإنتاج [٢].

بدأت امور البلاد بالتردي لاسيما الاقتصادية منها والاجتماعية ، اذ شهد الاقتصاد التونسي ازمة حادة لم يتمكن المخطط السادس للتنمية (١٩٨٢-١٩٨٦) من تحقيق الاهداف التي رسمها لتحسين الناتج الداخلي في مستوى ٣٧% من الناتج الوطني الخام بما من شأنه حفظ قدرة الاقتصاد الوطني على تحمل الاقتراض، اذ عرف الاقتصاد التونسي تقلبات في اسعار الصرف وتقلصاً في الطلب الخارجي ، وانخفاضاً في اسعار المنتجات الرئيسة المعدة للتصدير ، وعدم استقرار الظروف المناخية ،واستفحلت الازمة اكثر نتيجة تدهور الانتاج الزراعي وركود النشاط السياحي، وتباطؤ نمو الصناعات المعملية، وتقلص الموارد الخارجية بسبب تراجع عائدات العمال التونسيين بليبيا نتيجة توتر العلاقات بين الحكومتين التونسية والليبية ، وارتفعت نسبة الديون من ٣٨% من الناتج الوطني الاجمالي سنة ١٩٨١الى ٦٠%سنة ١٩٨٦[٣].

حملت اطرافا عديدة محمد مزالي مسؤولية تردي الاوضاع ، فبدأت هذه الاطراف بتسريب الاخبار فيها الصحيح وفيها غير الصحيح الى بورقيبة، الذي بدأ يشعر بأن الوزير الاول اصبح يعمل من اجل الخلافة اكثر من عنايته بشؤون البلاد العامة ، لاسيما الاقتصادية والاجتماعية وهي نقطة الضعف التي لا يتسامح بورقيبة في حقها، لانه عرف ان رغيف الخبز هو السلاح الخطير الذي يمكن ان يقلب الاوضاع في البلاد ، وهذا ماحصل فعلاً في اثناء انتفاضة الخبز سنة ١٩٨٤، اما السياسة فكانت دائماً بيد بورقيبة وهو الماسك بها منذ الاستقلال ولايمكن لغيره ان يتصرف فيها من دون اذنه[٤]، لذلك حاول المقربون لبورقيبة افهامه ان مزالي لا يصلح ان يكون خليفة له، فهو لم يستطع اخراج البلاد من ازماتها الاقتصادية ، وله نهم مفرط في السلطة لاعباً برصيده السياسي كمثقف ديمقراطي [٥].

---

[١]- مجلة الحوادث ، (لندن)، العدد١٤٨١، ٢٢اذار ١٩٨٥.

[٢]- المصدر نفسه.

[٣]- محمد لطفي الشابيي ، منظمة اصحاب الاعمال التونسية : ستة عقود في خدمة المؤسسة والاقتصاد الوطني : ١٩٤٧-٢٠٠١، الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية ، تونس، ٢٠٠٦،ص٩٩ ؛ خليفة الشاطر واخرون ،تونس عبر التاريخ، المصدر السابق،ص ١٩٨.

[٤]- عامر قريعة ، المصدر السابق ، ص٩٤.

[٥]- سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص٣٠٧.

احتد الصراع بين مراكز القوى حول خلافة بورقيبة ، وأصبح بورقيبة تحت تأثير المقربين منه ، واخذ بورقيبة يفضل تقريب اهل الثقة على اهل الخبرة لنيل المناصب البارزة في الدولة ، فأخذت التعديلات الوزارية تصدر بصورة متلاحقة ، ما نتج عن عدم استقرار الوزراء في مناصبهم مدة كافية ، صعوبة رسم استراتيجيات اقتصادية اواجتماعية او ثقافية طويلة او متوسطة المدى ،كما ان المتصارعين حول الخلافة كانوا يسخرون الكثير من طاقاتهم لا لخدمة شؤون البلاد ، وانما لاكتساب اكثر ما يمكن من المواقع التي تمكنهم من ان يكونوا في احسن حال يوم يصبح منصب رئيس الجمهورية شاغراً [١].

ساعدت امراض الشيخوخة التي المت ببورقيبة في توفر الفرصة لازدياد حدة المنافسة السياسية بين اعضاء النخبة الحاكمة ، الى درجة اصابت الحزب الحاكم بانعدام الفاعلية وعمقت من حالة عدم الاستقرار السياسي في البلاد[٢]، وبدأت سلسلة التعديلات الوزارية مع مستهل كل اسبوع، او ما سمي في تونس (بمسلسل يوم الاثنين)،لانه يعلن عنها صباح الاثنين فالشعب التونسي صار على موعد مع مسلسل المفاجآت ، فلا احد يعرف من هو الوزير او المسؤول الذي سيطاح به ، ومن الذي سيعتلي سدة الحكم، دون مسوغ غير الدسائس التي تحاك داخل القصر، فشملت التغييرات اغلب الوزارات واجهزة الدولة المحسوب رجالها على الوزير الاول محمد مزالي[٣] ، اذ ان مزالي عهد بوزاراته الكبرى الى رجاله الاوفياء ممن يقايضونه الحفاظ على المنصب بالولاء والتبعية الشخصية[٤].

اتخذ بورقيبة قرار مفاجئ تمثل بإبعاد الرجل القوي في حكومة مزالي وساعد محمد مزالي الايمن، المازري شقير(وزير التوظيف العام والاصلاح الاداري) وتعويضه بمدير الديوان الرئاسي منصور السخيري[٥] ، و شمل التعديل كذلك وزير الشباب والرياضة هادي بوريشة وتعويضه بحامد القروي ، ترك هذه التعديل وقعا سيئاً لدى مزالي الذي حاول كثيراً الدفاع عن ساعده الايمن المازري شقير الى درجة انه اعتكف في بيته ثلاثة ايام ، بعد ذلك استدعاه بورقيبة واطلعه على قراره النهائي بإقالة المازري شقير،

---

[١] - الهادي التيمومي ، المصدر السابق ، ص١٧٥.

[٢]- مجلة المنار، تجربة جديدة للديمقراطية،السنة ٤،العدد٤٥، ايلول ١٩٨٨.

[٣]- مجلة الوطن العربي ، (باريس) ،العدد٤٨٤، ٢٣ ايار ١٩٨٦ ، ص٢٤؛المجلة التاريخية المغاربية،سمنار مع الطاهر بوسمة حول محاكمة الوزير الاول محمد مزالي، السنة ٣٨،الاعداد ١٤٣-١٤٤، تشرين الاول ٢٠١١، ص١٣١.

[٤]-اعمال المؤتمر العالمي الثالث حول :السلطة وآليات الحكم في عصر بورقيبة بتونس والبلاد العربية، ص١١٢.

[٥]- منصور السخيري : سياسي تونسي ولد في مدينة المنستير سنة ١٩٢٩ ،اكمل دراسته الابتدائية في مدينته، والثانوية في المدرسة الصادقية، بعدها اكمل دراسته الجامعية في الهندسة المدنية في فرنسا،شغل منصب ادرة الاعمال العامة ،ثم عين والياً على مدينة سوسة،وفي سنة ١٩٧٧ ،والياً في مدينة المنستير ،بقي في منصبه حتى تعيينه ١٩٨٥ مديراً للديوان الرئاسي ،وفي نيسان ١٩٨٦ اضيفت اليه حقيبة الوظيفة العمومية والاصلاح الاداري.ينظر توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس، ص١٥٤.

فكان هذا التعديل بمثابة هزة عنيفة تعرض لها مزالي [١]، فالمازري شقير مثّل الدعامة الاساسية والعضد الايمن لمحمد مزالي ، والرجل الثاني في الحكومة بعد مزالي ، وذلك لعدة اعتبارات منها انه اقرب مساعدي محمد مزالي من قبل توليه منصب الوزير الاول، عمل معه في وزارة الصحة ١٩٧٣-١٩٧٦ ، وفي وزارة التربية القومية ١٩٧٦-١٩٨٠، وبعد توليه رئاسة الحكومة اختاره مديراً لديوانه ، ويعد شقير رجل المهمات الصعبة في حكومة مزالي،اذ مثل الطرف الحكومي في مختلف المفاوضات الاجتماعية مع النقابات العمالية ، ووصف بمهندس العلاقات بين الحكومة وبين الاتحاد العام التونسي للشغل ، الى جانب تكليفه بمسؤولية الاصلاح الاداري ، وعند دخوله الى الحكومة انتخب عضواً في الديوان السياسي في الحزب الاشتركي الدستوري ، ولمميزاته رأى الكثير انه من المرشحين لتولي رئاسة الحكومة في المرحلة القادمة ويكون خليفة لمحمد مزالي[٢] .

اتبع هذه التغيرات عدة تعديلات منها، قرار بورقيبة يوم ٢٨نيسان ١٩٨٦القاضي بسحب وزارة الداخلية من محمد مزالي واسنادها الى زين العابدين بن علي، وأقيل عامر غديرة من مهامه في وزارة الداخلية وهو كاتب الدولة لدى محمد مزالي ومن اقارب مزالي (ابن خاله) ومن المقربين له، واقالة زوجته فتحية مزالي من وزارة العائلة والنهوض بالمرأة ، والغيت الوزارة التي تشرف عليها في حزيران ١٩٨٦، وألحقها بإقالة فرج الشاذلي من وزارة التربية القومية وهو من المقربين من محمد مزالي أيضا واسنادها الى محمد الصياح، فضلا عن عزل وزير التعليم العالي عبد العزيز بن ضياء وتعيين عمر الشاذلي وتعيين رشيد صفر وزيرا للاقتصاد[٣] .

بعد حملة التعديلات في هيكل الحكم صرح بورقيبة لوزيره الاول محمد مزالي قائلاً **"اريد ان انتزع كل الاشواك من طريقك حتى اسهل عليك المهمة في يوم اخر"**[٤].

حملت التعديلات الاخيرة اكثر من دلالة ، فزين العابدين بن علي معروف بأنه رجل حازم وتكليفه بهذه المهمة يوحي بوجود خطة امنية جديدة لم يكن مزالي قادراً على الاضطلاع بها، واسناد وزارة التربية الى محمد الصياح لا يخلو من رد الفعل على ماعرف به مزالي من توجهه نحو التعريب ، ومن تساهل

---

[١]-صحيفة الوطن ،(الكويت) ، العدد ٤٠٠٩، ١٧ نيسان ١٩٨٦، ص٥.

[٢]- صحيفة الانباء ،(الكويت) ، العدد ٣٧٦٠، ١١حزيران ١٩٨٦،ص٢٢؛ توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس، ص١٥٥.

[٣]-صحيفة الانباء،(الكويت) ، العدد ٣٧٦٠، ١١حزيران ١٩٨٦،ص٢٢.

[٤]- مجلة الوطن العربي ، (باريس) ،العدد٤٨٣، ١٦ايار ١٩٨٦ ، ص٢٦.

مع التيار الاسلامي ، اما تعيين رشيد صفر فإنه اوحى بوجود توجه اقتصادي جديد هدف الى معالجة الاوضاع الاقتصادية المتردية[١].

بعد ذلك كلف بورقيبة محمد الصياح بإعداد التحضيرات لمؤتمر الحزب الاشتراكي الدستوري الذي سيعقد في ٢١-٢٢-٢٣حزيران ١٩٨٦، وبصعود منصور السخيري ومحمد الصياح،تعرضت حكومة مزالي لمحاصرة شديدة ، لان المنافسين احتلوا ثلاثة مواقع حساسة وهي قصر الجمهورية ورئاسة الوزراء وجهاز الحزب[٢].

عقد المؤتمر الثاني عشر للحزب الاشتراكي الدستوري الحاكم في ٢١حزيران ١٩٨٦، وجدد فيه بورقيبة اعلانه أن محمد مزالي خليفته ودعم موقفه بقوله **" ان محمد مزالي عضدي الاول في الحزب والدولة"**[٣]، وقام بورقيبة في اثناء عقد المؤتمر بأختيار اعضاء اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الدستوري، البالغ عددهم خمسة عشر عضواً بنفسه، بعد ما كان اختيارهم يتم بالانتخاب ، ما اوضح تراجعا في مبدأ الديمقراطية[٤]، وذكرت الصحف حينها ان بورقيبة بإعلانه عن تثبيت مزالي خليفة له ماهو الا اجراء مؤقت اتخذه بورقيبة الى حين موعد اجراء الانتخابات التي ستجري في تشرين الثاني ١٩٨٦، لكي يكون ابعاده مطلباً شعبياً في حال فشله في الانتخابات ، بدلا من ان يكون ضحية في (حرب الخلافة) [٥].

وهناك رأي اخر اضافه محمد الصياح ، اذ ذكر ان بورقيبة له تقليد سياسي دأب على اتباعه في تعامله مع كل المسؤولين في حكوماته ، وتمثل هذا التقليد في اعطاء الوزير الاول ،كل الصلاحيات التي يطلبها وكل مايلزمه للقيام بعمله ، فيسانده ويثبته ويقف الى جانبه الوقت الكافي الذي يسمح له بتقييم نتائج عمله ومن ثم محاسبته بشدة على عمله [٦].

في اثناء انعقاد المؤتمر اعلنت نتائج الثانوية العامة (الباكالوريا)، والتي ظهر فيها تدنياً كبيراً في نسب النجاح، فتم ايهام الرأي العام أن ذلك نتيجة سياسة التعريب المفرط التي قام بها مزالي، مع اتهام فريق من الموالين لمزالي بتسهيل طبع منشورات ذات الاتجاه الاصولي وجلبها من الخارج، ما اثارت استياء واسع النطاق ضد حكومة محمد مزالي[٧] .

---

[١]- سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص٣٠٨.
[٢] - صحيفة الوطن ،(الكويت) ، العدد ٤٠٠٩، ١٧ نيسان ١٩٨٦، ص٥.
[٣]- صحيفة الوطن ،(الكويت) ، العدد ٤٠٨٠، ٢٨حزيران ١٩٨٦، ص١٩.
[٤]- المصدر نفسه
[٥] - مجلة المستقبل ،(باريس) ، العدد ٤٩٠، ١٢تموز ١٩٨٦، ص١٩.
[٦]- محمد الصياح ،المصدر السابق،ص٢٣٤.
[٧] -مجلة التقرير،(قبرص)، مجلد ٢، العدد ١٢، ١ اب ١٩٨٦،ص٤؛ عمر الشاذلي ، المصدر السابق ،ص٣٥٣.

عندها اعلن بورقيبة في اثناء المؤتمر أن نتائج الثانوية العامة مؤسفة ، وانه لابد من اجراء تعديل جذري على النظام التعليمي برمته، وقام بتعيين لجنة خاصة لتحضير مشروع جديد للتعليم مؤلفة من منصور السخيري الى جانب وزراء التربية والتعليم العالي والداخلية والمالية، واستبعد منها محمد مزالي الوزير الاول، ما اثار ذلك أن تعديلا وزارياً كبيراً وشيكاً سوف يعلن في القريب[١].

شعر بورقيبة في صباح الثامن من تموز ١٩٨٦ ان صحته تمكنه من أن يرأس اجتماعاً مع اهم معاونيه للبحث في حالة اقتصاد البلاد التي بعثت على القلق، بعد ان اطلعه وزير اقتصاده رشيد صفر على الخزينة العامة من العملات الصعبة[٢] ، التي تراجعت بشكل كبير ، فقد جاء في تقرير رشيد صفر عرض قاتم لحالة الاقتصاد في البلاد، اذ سجل اختلالاً في التوازنات جميعها[٣] ، ففي العام ١٩٨٦ تراجعت مدخولات الصادرات وترافقت وزيادة حجم الدين الخارجي ، وهو امر ادى الى زيادة الحصة المخصصة لتسديد خدمة الدين من ١٤% من الناتج الوطني الخام الى ٢٨% في العام نفسه ، كما تفاقم العجز في الموازنة العامة من ٣% سنة ١٩٨١ الى ٨% من الدخل الوطني الخام في المدة الممتدة مابين ١٩٨٢-١٩٨٦، وكان اقرار خطة الاقتصاد الاصلاحية للخروج من الازمة الخانقة التي حدثت بسبب التدهور الخطير في الاوضاع التجارية والتراجع الكبير في احتياطي النفط في الوقت الذي بقي فيه الطلب الداخلي قوياً، وبلغ العجز التجاري بنسبة ٩ ,١٠ في سنة ١٩٨٦ الامر الذي قاد حكومة مزالي الى الاقتراض من السوق الدولية بفائدة عالية [٤].

تألف الاجتماع الذي دعا اليه بورقيبة من رشيد صفر وزير الاقتصاد ، واسماعيل خليل وزير التخطيط ، ومنصور السخيري مدير الديوان الرئاسي ، ومحمد السخيري مدير البنك المركزي ، وزين العابدين بن علي وزير الداخلية ، بدأ الاجتماع الذي طغت عليه الانتقادات الموجهة الى الوزير الاول محمد مزالي ، بمناقشة امكانية اعادة جدولة ديون البلاد المقدرة انذاك بنحو ٥ مليارات دولار ، فضلا عن الفوائد المترتبة عليها ، استمر الاجتماع عدة ساعات ، واستمع بورقيبة الى كل الاراء والحلول التي طرحها المجتمعون من دون ان ينطق بكلمة، ثم امرهم بالانصراف، وفعلا توصلت الجماعة الى اقناع بورقيبة بأن السبب الذي اوصل البلاد الى تلك الحالة هو محمد مزالي[٥]، وعند الساعة السادسة مساء من

---

[١]- صحيفة الوطن ،(الكويت) ، العدد ٤٠٨٠، ٢٨حزيران ١٩٨٦، ص١٩.

[٢] - الصافي سعيد ، المصدر السابق ، ص٣٧٠.

[٣] - محمد لطفي الشايبي ، منظمة اصحاب الاعمال التونسية : ستة عقود في خدمة المؤسسة والاقتصاد الوطني : ١٩٤٧-٢٠٠١ ، ص٩٨.

[٤]- توفيق المديني ، المجتمع والدولة السياسية في الوطن العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٧، ص٣٣.

[٥]-المجلة التاريخية المغاربية،سمنار مع الطاهر بوسمة حول محاكمة الوزير الاول محمد مزالي، ص١٣٣.

الثامن من تموز ١٩٨٦ اصدر بورقيبة بياناً مقتضباً تكون من عبارات مختصرة جداً وهي **" اقال الرئيس محمد مزالي من مهامه كوزير اول وكأمين عام للحزب"** [١]، بعد دقائق نزلت البرقية على مكاتب الوكالة المحلية والخارجية جميعها، وعلم مزالي بقرار اقالته من الاذاعة وقبل الانتخابات التشريعية المقررة في شهر تشرين الثاني ١٩٨٦، وتعيين رشيد صفر عوضاً عنه ،مع احتفاضه بمقعده في اللجنة المركزية في الحزب وفي مجلس النواب[٢].

في خضم الاحداث والتطورات السياسية التي عرفتها تونس بادر الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بأقالة مزالي ، وهو اول رئيس وزراء تمت اقالته بقرار رئاسي منذ ان وجد القانون الدستوري ، الذي نص على ان الوزير الاول هو الذي يخلف الرئيس في حالة وفاته، فرئيسا الحكومة السابقين (الباهي الادغم والهادي نويرة)،غادرا السلطة بصورة مغايرة تماماً الاول اتخذ قراره بنفسه بسبب المرض ،والثاني تخلى عن منصبه بسبب اصابته بالشلل، غير ان اقالة مزالي جاءت هنا لتحميل مزالي تبعات الازمات التي تعرضت لها تونس في المدة الاخيرة [٣]، وعدّ قرار اقالة محمد مزالي وتعيين رشيد صفر عوضا عنه ، شهادة على قدرة بورقيبة على اتخاذ القرارات حتى في سن متقدمة، اذ كان يمارس سلطاناً لايقاوم على جموع رجال الساسة التونسيين ، وان حتى رجال الاشد سطوة روعتهم واذلتهم (ابهة الدولة البورقيبية) [٤].

بعد اقالة محمد مزالي منع من السفر الى خارج البلاد ، ماضطره إلى الفرار إلى الخارج خوفا على حياته في ٣ ايلول ١٩٨٦، وبهذا الخصوص ذكر مزالي في حديث صحفي ان الحاشية أقنعوا بورقيبة ان مزالي دبر مع بعض الأطباء مكيدة لإقصاءه عن الحكم وقلب النظام. ومن جهته فإن بورقيبة نادى وكيل الجمهورية آنذاك وأمره بالقبض عليه، والحكم عليه بالإعدام شنقا، وأضاف بورقيبة بأنه حتى لو تدخلت بعض الدول فلا بد من شنق محمد مزالي، فقال مزالي في نفسه إذا أمكن الإفلات من حبل المشنقة، فذلك سيكون أفضل، ومن غير أن يعلم أحد قرر الهروب الى الجزائر [٥] .

---

[١]- سالم الحداد ، المصدر السابق ، ص٣١٠.

[٢]- الصافي سعيد ، المصدر السابق ، ص٣٧٠.

[٣]- توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس، ص١٦٤.

[2]-Mohamed Z. Bechri and Sonia Naccach, Op.Cit ,p30.

[٥]- مجلة الحقائق، العدد ٥٤، ٣كانون الثاني ٢٠٠٩، ص٢١؛ مجلة الشرق الاوسط(لندن)،العدد ٩١٧٩، ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٤.

سار مزالي على قدميه ليلة كاملة لقطع شعاب جبلية على حدود البلدين تونس والجزائر ، ومن الجزائر توجه إلى أوروبا[١] . في ٨ ايلول اعلن رشيد صفر الوزير الاول التونسي طرد محمد مزالي من حزب الاشتراكي الدستوري واتخذت الاجراءات برفع الحصانة البرلمانية عنه تمهيداً لملاحقته قضائياً بتهمة الفساد ومحاولة الإطاحة بحكم الرئيس بورقيبة[٢].

نخلص الى القول بأن محمد مزالي عُرف قبل تولي منصب الوزير الاول، بأنه رجل فكر فهو من اسس مجلة الفكر، وهو من اشد المناصرين للتعريب ، واثبت جدارته في اكثر من ميدان ، والاهم من ذلك انه لم تكن له مشاركة في احداث الخميس الاسود في كانون الثاني ١٩٧٨، هذه الصورة هي التي كان يراها الشعب التونسي في بداية الثمانينيات عن مزالي ، فالسياسيون عدّوه الاقدر على تفهم مطالبهم في التعددية والديمقراطية، والنقابيون اعجبوا بخطابه وبتعامله معهم وبالزيادات التي منحها اياهم ، فضلا عن ان المثقفين رأوا فيه خير نصير واعجبوا بأنفتاحه الفكري، غير ان كل هذا تهاوى امام اصرار بورقيبة على الانفراد بالسلطة، وانشغال مزالي شخصياً بالصراع على الخلافة على حساب المبادئ التي نادى بها. لذلك تجمعت عدة عوامل للاطاحة بمحمد مزالي خارج المنافسة السياسية ، ويبدو ان بورقيبة اتخذ قراره بعد تحليل دقيق للاوضاع السائدة ، واول هذه العوامل انه اكتشف من خلال الازمات المتعددة، ان وزيره الاول ليس من هدف امامه سوى الحلول محله ووراثته، فأنشغل بالمنافسة على الخلافة اكثر من انشغاله بأمور الدولة، والعامل الاخر هو تدهور الاوضاع الاقتصادية التي اخذت تنذر بالخطر، ولم يستطع مزالي في اثناءها اخراج البلاد من ازمتها الاقتصادية، والعامل الثالث هو تصاعد نشاط الاسلاميين الذي عدّهم بورقيبة اكبر تهديد له ، واتهم مزالي بأنه المسؤول عن ذلك، فضلا عن المنافسة السياسية بين رجال الحكومة والدسائس التي تحاك للفوز بخلافة بورقيبة التي ذهب ضحيتها محمد مزالي.

---

[١]- محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة، ص٤٧.

[٢]- وفي ٢٦ نيسان١٩٨٧ صدر ضد محمد مزالي حكم غيابي يقضي بسجنه خمسة عشر عاما ومصادرة أملاكه لاسيما مسكنه بسكرة الذي أصبح ناديا للقضاة، وغرامات تجاوزت ٦٠٠ الف دينار، أما مسكن إبنه (الحبيب) فأصبح ناديا للمحامين وتم إيقاف إبنه الأكبر المختار الذي كان مديرا عاما لشركة «ستيل» وصدر ضده حكم بعشر سنوات أشغالا شاقة قبل أن يتم الإفراج عنه في ٣١ كانون الثاني ١٩٨٧ دون أن يثبت عليه شيء مما إتهم به من سوء تصرّف، وكان رد فعل محمد مزالي على الحكم شديداً من خلال توجيه رسائل شديدة اللهجة الى الوزير الاول رشيد صفر ونشر في شهر حزيران كتيباً تحت عنوان رسالة مفتوحة الى الحبيب بورقيبة ،كان لها وقع مدوي كشف فيها من الاسرار ماضايق فيها حكومة بورقيبة انذاك. عاش مزالي في منفاه بين سويسرا وباريس، وعاد إلى تونس سنة ٢٠٠٢ بعد إزاحة بورقيبة، وإثر إبطال محكمة التعقيب للحكم القضائي الغيابي، وتبرئة ساحته، وذلك بتفهم من الرئيس زين العابدين بن علي ،وبقي من ذلك التاريخ لا ينفك يقوم بنشاط ثقافي وفكري ورياضي في اللجنة الأولمبية الدولية وفي المجامع العلمية العالمية شرقا وغربا إلى أن وافاه أجله المحتوم سنة ٢٠١٠.للمزيد ينظر صحيفة القبس، (الكويت)، العدد ٥١٤٦ ، ٩ايلول ١٩٨٦، ص١٦؛المجلة التاريخية المغاربية،سمنار مع الطاهر بوسمة حول محاكمة الوزير الاول محمد مزالي، ص١٤٦؛ رسالة من السيد البشير بن سلامة بتاريخ ١١اذار ٢٠١٤.

الخاتمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

١- كان للتربية في المجتمع التونسي ودور الاسرة والبيئة الاجتماعية دوراً كبيراً في اطلاق مواهب وقدرات محمد مزالي وابرازهما، على نحو سمح له ببناء شخصية مميزة ، لها دور كبير في المجتمع الذي عاش فيه ، وشق الطريق وصولا الى تبوء اعلى المناصب ، فالتربية التي تلقاها مزالي والبيئة التي عاش فيها ، والكفاءة التي تمتع فيها علاوة على نشاطه السياسي والثقافي ، هي جميعاً حددت الادوار التي اداها سواء في المناصب الادارية التي تولاها ، ام في ادارة الشأن السياسي في كونه وزيراً في اكثر من وزارة الى ان اصبح وزيراً أول.

٢- بدأ محمد مزالي حياته في مرحلة صعبة عاشت فيها البلاد التونسية ،اذ مرت بأحداث وصعوبات جمة، بسبب سياسة فرنسا الاستعمارية ، وعلى الرغم من ذلك بدأ حياته في ظل هذه الصعوبات وواصل تعلمه وتثقف ثقافة عالية ، فكان لهذه الثقافة اثرها في الانعكاس على شخصيته منذ بواكير حياته ، فمارس مزالي نشاطه السياسي والثقافي في وقت مبكر واستثمر مواهبه الثقافية في مقاومة السيطرة الفرنسية ، منذ انضمامه الى الحزب الحر الدستوري الجديد سنة ١٩٤٧ ،واستمر نشاطه حتى بعد حصول بلاده على الاستقلال سنة ١٩٥٦.

٣- أظهر محمد مزالي منذ نعومة أظفاره ميلاً شديداً إلى الدراسة، إذ أطلق عنان قلمه لما تجاوز الثامنة عشرة من عمره، اذ كتب في ميادين الصحافة والأدب والتاريخ وغيرها من ضروب المعرفة،نشر أول مقالة له سنة ١٩٤٩ ، وانشأ مجلة الفكر سنة ١٩٥٥، وكشفت لنا مقالاته عن مواقفه القومية والوطنية وأسهمت كتاباته في بث الوعي الثقافي وحرية الفكر.

٤- لم يكن لمحمد مزالي في بداية نشاطه السياسي ومشاركته في الاحداث الجارية في بلاده سوى ثقافته، اذ لم يكن يمتلك مؤهلات مادية اخرى لمقاومة السلطات الفرنسية ، فيمكن القول ان مزالي كان ناشطا سياسيا عصاميا اعتمد على قدراته ومؤهلاته الذاتية من دون

الاعتماد على تمويل او دعم حزبه او اي جهة سياسية أخرى ، فأسهم بدور مهم في تلك المرحلة التي مرت بها تونس.

٥- كانت اكبر تجربة للتعريب عرفت في عهد مزالي بشهادة الكثيرين ويمكن عّدها الاساس المتين في كثير من التجارب اللاحقة ، اذ استطاع مزالي ان يخطو خطوات جادة في هذا المجال وكاد ان يحقق نتائج اكبر فيما اذا توفرت له الظروف الملائمة والمشجعة.

٦- استطاعت حكومة مزالي التي استمرت ست سنوات ١٩٨٠-١٩٨٦ تحقيق انجازات متميزة وأحدثت انفراجاً على الصعيد الحزبي والسياسي ، فكان تنظيم انتخابات تشريعية تعددية في تشرين الاول ١٩٨١ على الرغم من عدم نزاهتها ، انطلاقة مهمة في تاريخ تونس ، فالسماح بالتعددية الحزبية مثل رفع الحضر عن الحزب الشيوعي التونسي ، ومنح التأشيرة القانونية لحركة الديمقراطيين الاشتراكيين وحزب الوحدة الشعبية ١٩٨٣ مثّل نجاحاً لمزالي على صعيد الانفتاح الديمقراطي ، فضلا عن ذلك حقق مزالي انجازات ثقافية كبيرة ، بإقامة مؤسسات عديدة ابرزها بيت الحكمة والصندوق القومي للتنمية الثقافية ومؤسسة المسرح الوطني ، غير انه فشل في معالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية وإخراج بلاده من عمق الازمة التي بلغت ذروتها مع انتفاضة الخبز في كانون الثاني ١٩٨٤.

٧- دفع محمد مزالي ثمناً باهضاً نتيجة تحولات مرحلة سياسية مهمة ، تميزت بالصراع على خلافة بورقيبة ، ففي ثمانينيات القرن المنصرم كان التنافس على الحكم في اشده في ظل ظهور بوادر العجز على بورقيبة ، وتكالب الطامعين على الحكم والصراع على خلافته ، اذ اراد مزالي ان يكون رجل المرحلة القوي من خلال سيطرته على سياسة الدولة والحزب ، فدخل في صراعات مع عدة اطراف سياسية ، وعمل على تصفية بعض الوجوه التي نافسته من خلال اقناع بورقيبة بإبعادهم ، فجلبت له هذه السياسة المزيد من العداء والخصوم السياسيين جراء سياسة غير موزونة ، فلم يستطع التفرد بالسلطة ، ولا ان يصبح رجل المرحلة القوي جراء كثرة منافسيه وخصومه السياسيين.

٨- حاول محمد مزالي فتح الباب لحياة ديمقراطية تعددية وربط خيوط التواصل مع الإسلاميين والتفاوض معهم ، ولكنه فشل في النهاية حتى في تأمين سلامته الشخصية ، فقد إنتهت حكومته بهروبه خلسة إلى الجزائر يوم ٣ ايلول ١٩٨٦.

٩- بسقوط مزالي توقفت اول تجربة لحكم المثقفين داخل الحزب الاشتراكي الدستوري الحاكم ، ولعل سبب سقوطه يعود الى عدم تمتعه بالاستقلالية ، ومرجعه الاول والأخير الى بورقيبة ، وبإقالة مزالي طويت صفحة اخرى من تاريخ تونس المعاصر بإزاحة ثالث رؤساء الحكومة في تونس بعد الاستقلال.

١٠- لا احد يستطيع انكار ان محمد مزالي كان شخصية سياسية وثقافية ، لها باع طويل في المجال السياسي والثقافي من خلال توليه العديد من المهام الادارية والوزارية في الدولة التونسية ، والذي اثبت جدارة واضحة فيها، غير انه عندما تولى مزالي منصب الوزير الاول ، كانت تونس تمر بفترة مضطربة وحرجة ، والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مرحلة الانهيار، ويبدو ان هذه الاوضاع كانت اكبر من قدرة مزالي على حلها وتجاوزها ، فهو وان كان سياسي ، لكنه ليس بالسياسي المحنك الذي يجيد السياسة ، والقادر على تجاوز الازمات، علاوة على ذلك انه لم يكن يمتلك الاستقلالية باتخاذ القرارات ، والقدرة على مواجهة بورقيبة ، فضلا عن ذلك ان مزالي تصرف في اثناء هذه المرحلة بثقة زائدة ، وقدر كبير من رضا عن النفس ، واخذ يتصرف من كونه خليفة بورقيبة لا محال ، وعلى حد قول احدى الصحف ان مزالي ضرب رقم قياسي في عدد اللقاءات الصحفية التي اجراها كمسؤول في الدولة ، وأخذت صوره تتصدر الصحف الى جانب بورقيبة ، وظهوره في النشرات الاخبارية ، فكان لهذه التصرفات اثر كبير في نفس بورقيبة الذي رفض كل منافسة سياسية له، ويبدو ان هذا العامل هو السبب الاقوى لإقالته.

١١- غير انه رغم ما تقدم كانت لمحمد مزالي مآثر كثيرة ، فهو شخصية وطنية خدمت تونس بكل اخلاص اكثر من ثلاثين سنة ، منذ ان تقلد مهام مدير ديوان اول وزير للتربية الامين الشابي مرورا بعديد من المهام والوزارات ، اثبت جدارة في كافة المجالات التي مارسها ، فهو صاحب الدعوة الى التونسة والتعريب، فضلا عن انه كان رجل فكر بامتياز ، وهو الذي اعطى لتونس احدى ارقى المجلات العربية وهي مجلة الفكر التي اسسها ١٩٥٥ وفتحها للكل ، كما انه يعد مؤسس التلفزة التونسية التي ولدت على يديه عندما كان مديرا عاما للاذاعة والتلفزة ، فضلا عن ابداعه في ادراة الشباب واالرياضة ، والذي بقي فيها خمس سنوات وانجز فيها الكثير من المشاريع ، لذلك فبعد موت بورقيبة وخلع زين العابدين بن علي اطلق اسمه على احد الملاعب الرياضية في تونس اكراماً له .

ملحق رقم (١)

محمد مزالي

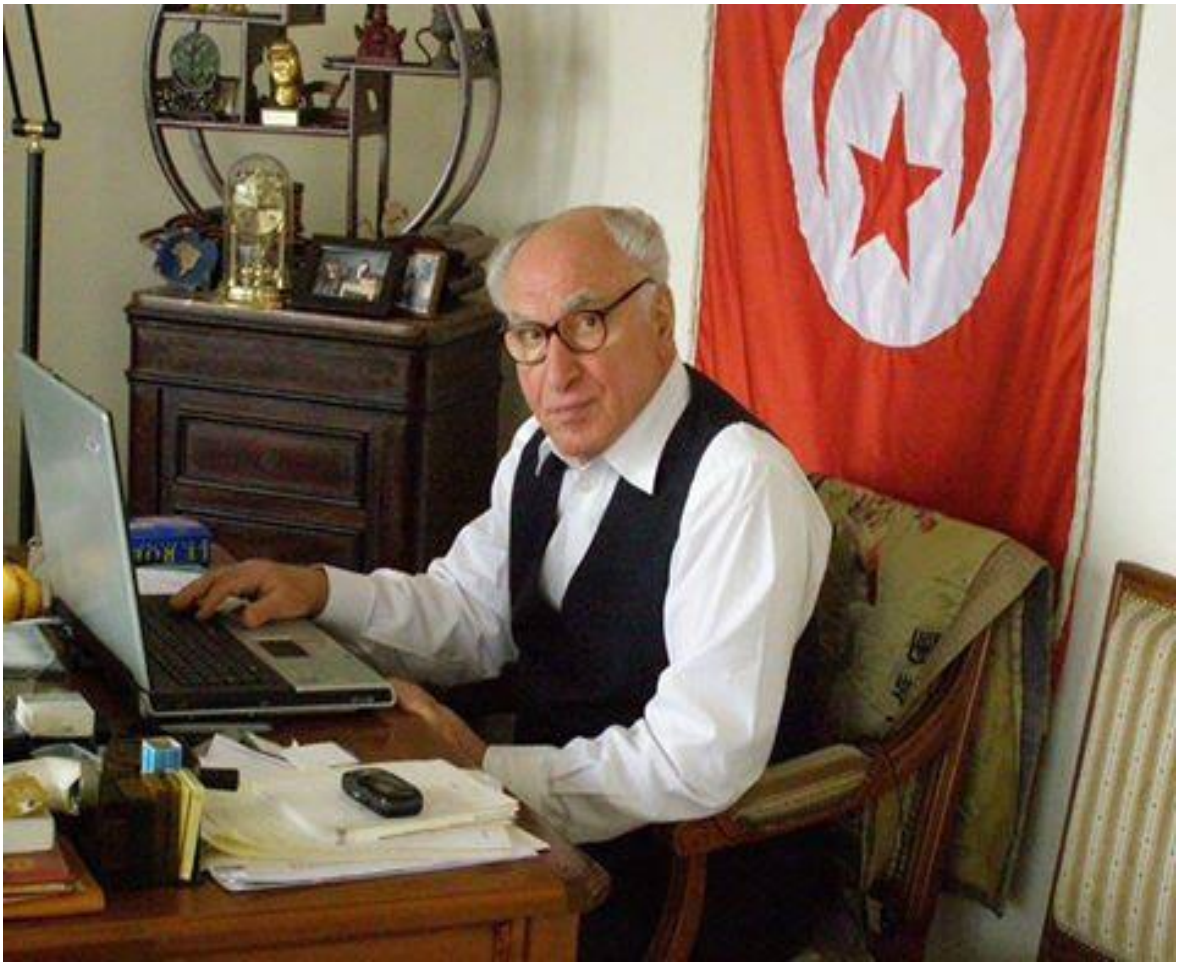

الملحق رقم(٢)

شجرة عائلة مزالي

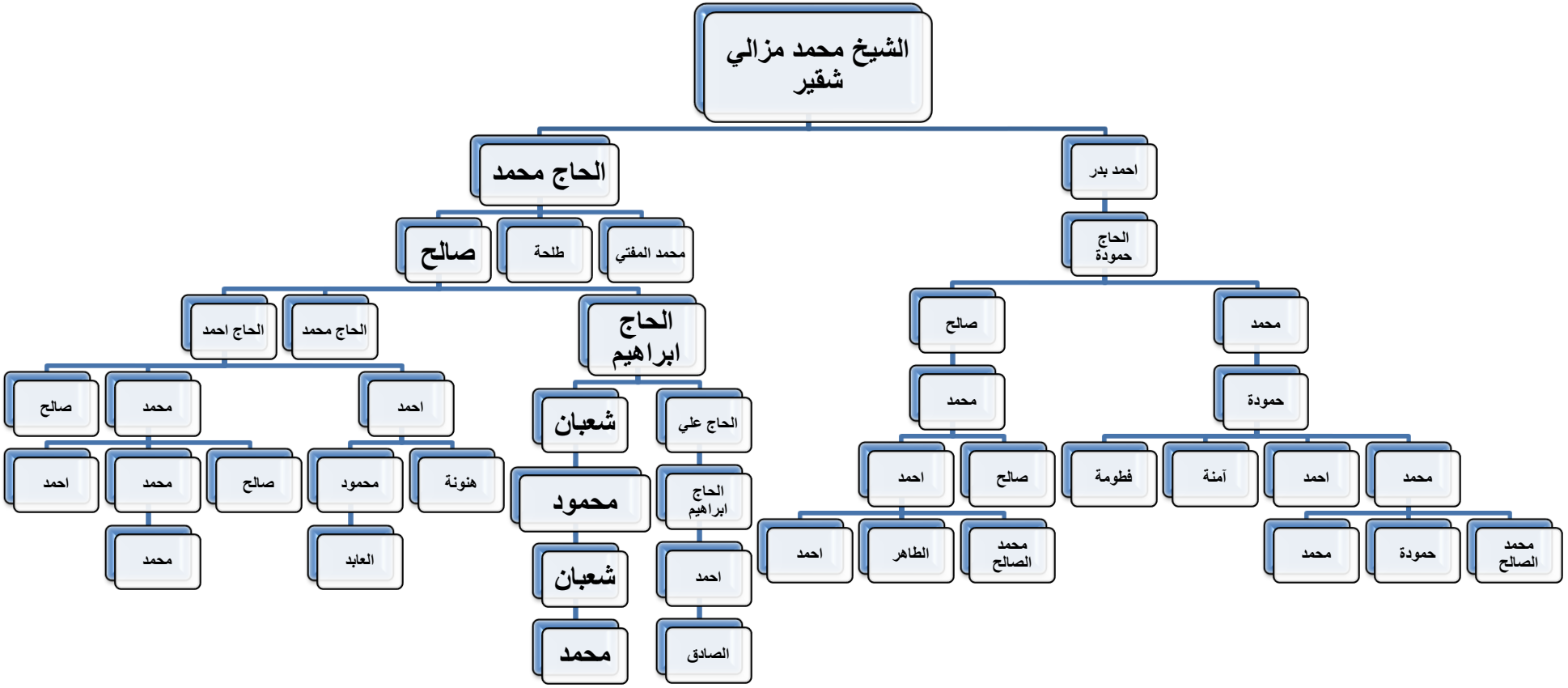

الحبيب نويرة ، المصدر السابق، ص١٩.

الملحق رقم(٣)

عينة عمرية من الطلبة التونسيين في الجامعات الفرنسية في اربعينيات القرن المنصرم

(استنادا الى ٢٠ حالة)

ت	الاسم واللقب	الولادة	اول تسجيل في الجامعة	العمر عند التسجيل	القسم	سنة التخرج	مدة الدراسة بالسنة	العمر عند التخرج بالسنة	الملاحضات
١-	عبد المحيد رزق الله	١٩٢٣/١/٢٨	١٩٤٤	٢١	طب	١٩٥٠	٦	٢٧	-
٢-	فرج الجباس	١٩٢٢/١٢/٢٥	١٩٤٥	٢٣	علوم	١٩٥١	٦	٢٩	-
٣-	عبد الحميد الفقيه	١٩٢٥/٩/٢٢	١٩٤٦	٢١	هندسة	١٩٥١	٥	٢٦	-
٤-	احمد بن صالح	١٩٢٥/١/١٣	١٩٤٥	٢٠	آداب	١٩٤٨	٣	٢٣	-
٥-	عبد الملك البرقاري	١٩١٩/٩/٣	١٩٤٥	٢٥	حقوق	١٩٤٨	٣	٢٩	تعطل بسبب الحرب
٦-	ناصر الشليوي	١٩٢٣/٢/١٥	١٩٤٧	٢٤	آداب	١٩٥١	٤	٢٨	عمل معلم ١٩٤٣-الى١٩٤٦
٧-	محمد سليم بن غازي	١٩٢٠/١/١٨	١٩٤٦	٢٦	آداب	١٩٥٠	٤	٣٠	انقطع عن الثانوي خلال الحرب
٨-	حسيبة غيلب	١٩١٦	١٩٤٤	٢٠	طب	١٩٥٢	٨	٣٢	اختصاص في طب الاطفال
٩-	ادريس قيقة	١٩٢٤/٨/١٤	١٩٤٤	٢٤	حقوق	١٩٥٠	٦	٢٦	تعطل بسبب الحرب
١٠-	الطيب السحباني	١٩٢٥/٣/٩	١٩٤٧	٢٢		١٩٥٤	٧	٣٢	
١١-	البشير بوعلي	١٩٢٢/٥/١٨	١٩٤٦	٢٤	تاريخ	١٩٥٠	٤	٢٨	عمل معلم ١٩٤٤الى ١٩٤٦
١٢-	الحبيب زغنده	١٩٢٣/٤/٢١	١٩٤٦	٢١	علوم	١٩٥٠	٤	٢٧	عمل معلم ١٩٤٤الى ١٩٤٦
١٣-	علي عبوز	١٩٢٤/٢/١٥	١٩٤٥	٢١	علوم	١٩٤٩	٤	٢٥	
١٤-	الطيب المهيري	١٩٢٤/٧/٢٤	١٩٤٦	٢٢	آداب	١٩٥٠	٤	٢٦	
١٥-	البشير حمزة	١٩٢٠/١٠/٢٨	١٩٤٢	٢٢	طب	١٩٥١	٩	٣١	اختصاص طب الاطفال
١٦-	**محمد مزالي**	**١٩٢٥/١٢/٢٣**	**١٩٤٧**	**٢٢**	**فلسفة**	**١٩٥٠**	**٣**	**٢٥**	
١٧-	**فتحية مختار**	**١٩٢٧/٤/٦**	**١٩٤٧**	**٢٠**	**فلسفة**	**١٩٥٠**	**٣**	**٢٣**	
١٨-	عمر الدالي	١٩٢٠/١٢/١٥	١٩٤١	٢١	طب	١٩٤٩	٨	٢٩	
١٩-	حمدة العواني	١٩١٩	١٩٤١	٢٢	طب	١٩٤٩	٨	٣٠	اختصاص في الجراحة
٢٠-	عبد الحميد بوقديدة	١٩٢٠/١/٣١	١٩٤٢	٢٢	طب	١٩٥٠	٨	٣٠	خسارة سنة في الجزائر
المعدل		-	-	٢٢١	-	-	٥٣	٢٨,٩	-

عادل يوسف،المصدر السابق،ص١٧٢.

الملحق رقم(٤)

رسالة من السيد البشير بن سلامة الى الباحثة بتاريخ ٢٣ايلول ٢٠١٤

من: Bechir Ben Slama
التاريخ:٢٠١٤/٠٩/٢٣ م ٢:٣٠ (GMT+03:00)
إلى: rag emam
الموضوع: Re:

سيّدتي المحترمة

للإجابة عن سؤالك الأوّل أنقل إليك ماكتبته عن هذا الموضوع في الجزء الثّاني من سيرتي الذّاتية الّذي أنا بصدد مراجعته. ولعلّه يفيدك. أمّا سؤالك الآخر فإنّي لم أفهم الاسم. فإذا أمكن لك ان تدلّني على الصّفحة لأتثبّت من الأمر أكون مستعدّا لإفادتك.. وهذا نصّ ما كتبته :

ومن حسن حظّي أنّني اكتشفت في تلك السّنة الفلسفة الإسلاميّة. لقائل أن يقول كيف تدرّس الفلسفة الإسلاميّة في معهد فرنسيّ في ذلك الوقت ؟ وتلامذة الفصل أغلبهم أجانب، ولم نكن من التّونسيّين إلاّ أربعة أو خمسة. وهذا لا بدّ أن يكون من سعي الوطنيّين الّذين كانوا يناضلون في سبيل إثبات الهويّة ويفرضون عن طريق الاتّحاد العامّ التّونسيّ للشّغل الموادّ الرّاجعة إلى الحضارة الإسلاميّة. وبالطّبع كنّا مخيّرين لأنّ المادّة غير مدرجة في برنامج الباكالوريا وحصّتها لا تزيد عن ساعتين في الأسبوع. وجدت نفسي في الحصّة المقرَّرة لذلك مع رشيد باي أمّا سائر التّونسّيّين فإنّهم فضّلوا، بمحض إرادتهم ولسبب من الأسباب تخصّهم، دراسةَ موادَّ اختياريّة أخرى.

سيّدتي

ومن المصادفة أن كان محمّد مزالي هو أستاذنا في هذه المادّة. هو في الأصل أستاذ فلسفة متخرّج من " الصّربون ". لكنّ النّظام الاستعماري منع عليه وعلى سائر التّونسيّين المجازين في الفلسفة تدريسها أمثال الشّاذلي القليبي وفتحيّة مزالي ومحجوب بن ميلاد، بحيث لا يمكن لهم إلاّ تدريس الفلسفة الإسلاميّة أو اللّغة العربيّة إن كانوا حاصلين على ديبلوم الصّادقيّة أو مجازين في اللّغة والآداب العربيّة من كليّات فرنسا. ذلك أنّ الإدارة الاستعماريّة، لقصر نظرها، رأت أنّ مادّة الفلسفة إذا درّسها أساتذة تونسيّون ستمكّنهم من طَرْق مواضيع خطيرة على النّظام الاستعماريّ.

لأنّه ذهب في ظنّ أساطين الإدارة الاستعماريّة في تونس العاملين على إدامة نظام الحماية أنّ الأساتذة التّونسيّين لا يمكن لهم عند تدريس تاريخ الفلسفة ألاّ يتطرّقوا إلى فضل الفلاسفة المسلمين على الفكر الغربيّ الّذي لم يعرف الفلسفة اليونانيّة إلاّ عن طريق ترجمة ما أنتجه الفكر العربيّ الإسلامي إلى اللاتينيّة من قبل من

اطّلع من كتّاب الغرب على هذا الإسهام الأساسي في تطوّر المعرفة الإنسانيّة، وهو ما يؤكّد أنّ الحركة التّنويريّة الغربيّة كانت ركيزتها هذا الدّفق المعرفي العربيّ الإسلاميّ. وهذا كلّه من شأنه أن يجعل الطّلبة يعتزّون بتراثهم ويتمسّكون بانتمائهم إلى حضارتهم ولا ينساقون إلى التّيّارات الفكريّة والمعرفيّة الّتي تنكر على الشّعوب المستعمَرة توقهم إلى الحرّيّة والتّمسّك بهويّتهم مع النّهل من الحضارات الأخرى. لذا كان الأساتذة الفرنسيّون يكلّفون وحدهم بتدريس الفلسفة، حتّى لا يتطرّقوا ولو بالتّلميح إلى مآتي الحضارة اعربيّة الإسلاميّة. ولكن تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفن، إذ العديد من أساتذة الفلسفة الفرنسيّين لا يستنكفون من الصّدع بالحقيقة، فيتحدّثون بإعجاب عن الفلاسفة المسلمين من باب النّزاهة الفكريّة.

وكنت أعرف أنّ محمّد مزالي يدرّس في تلك الفترة بالمعهد الصّادقيّ. ولكنّه أعلمني أنّه طرد منه لأنّه وقف، بتكليف من الدّيوان السّياسيّ، إلى جانب التّلامذة المضربين أثناء الثّورة والمطرودين من مبيت المدرسة ليجد لهم حلاّ حتّى لا يبقوا في الشّارع عرضة لإطلاق النّار. وهكذا أمضينا أنا ورشيد باي أمتع السّاعات نغوص في بحور الفلسفة الإسلاميّة. أعجبني في رشيد باي اختياره مثلي دراسة هذه المادّة. كان أشقر، جميلا، فارع الطّول. لم أر مثله في البايات رقّة ولين عريكة. لا تبرحه الابتسامة، ولا يعلي من صوته أبدا. هو من أحفاد المنصف باي الملك المناضل الوطني الّذي تضامن معه الشّعب التّونسيّ عند عزله من الملك. وتشوّف إليه وهو في منفاه، وبكاه حين تُوفّي. لقد كانت جنازته حدثا عظيما لم يُر مثلها في تاريخ تونس الحديث. وكنت عرفت في الفرع الصّادقي والمعهد الثّانويّ بايات كثيرين فيهم المتواضع وفيهم من داخله الكبر. ناهيك أنّ كلّ واحد منهم مرشّح أن يكون ملك البلاد في يوم من الأيّام إن ساعده الحظّ وأعانه هادم اللّذّات على حصد كلّ من يكبره سنّا. أمّا رشيد باي فقد كان مغايرا تماما لهؤلاء. كان وطنيّا كجدّه، ذكيّا، مقبلا على الدّرس، كأنّه متيقّن أنّ انتماءه لعائلة البايات لن يفيده في شيء.

أصبحت مادّة الفلسفة الإسلاميّة مغرية لنا نحن الاثنين. فأستاذنا كان لنا بمثابة صديق نتقبّل منه الدّرس وكأنّه من قبيل الدّروس الخاصّة. لا نمرّ من مسألة إلى أخرى حتّى نتبيّن على الأقلّ مواطن الصّعوبة فيها ومدى ما يتطلّب معرفتها من عناء وجهد. عرفنا ما يمثّل الفارابي وابن رشد وكتابه "تهافت التّهافت" من مكانة في الفلسفة بصورة عامّة وبالضّرورة الغزالي و"تهافته". وحلّقنا بدون تعمّق فوق خصائص عالم الفلسفة الإسلاميّة المتشعّب. ودرّبنا أستاذنا على ترجمة النّصوص الفلسفيّة تعريبا ونقلا. وعلى كلّ فلم تكن هذه المادّة مطلوبة في الباكالوريا الفرنسيّة.

وعلى الرّغم من أنّ أستاذنا لم ينفكّ يؤكّد أنّ الفلسفة الإسلاميّة هي فلسفة بلا زيادة ولا نقصان خلافا لما يوهمنا به المستشرقون، ويروّجونه من أباطيل، مؤكّدا بالحجّة والدّليل أنّ الغرب عرف الفلسفة اليونانيّة عن

طريق الفلاسفة المسلمين فإنّني لم أكن مقتنعا تماما. كنت في تلك الفترة مغرما بالخطاب الحداثي وبفلاسفة الغرب الّذين فتحوا عالم التّقدّم على مصراعيه بـ "سبينوزا" و"كانت" و"نيتشة" و"انغلز" و"هيغل" و"ماركس" والجدليّة والمادّيّة التّاريخيّتين. وكذلك اكتشافي لفرويد هذا الّذي أقبلتُ على كتبه أقرؤها بنهم، وأفهم منها ما أمكن لي فهمه، واطّلعت على كتابه "موسى والتّوحيد" الّذي حيّرني كثيرا وخاصّة تلميحه إلى الإسلام في غموض مريبٍ. ولكن مع هذا النّهل من الفكر الغربيّ بدأت ألطّف من غروري، وأنظر إلى هذا الموضوع بصورة فيها الكثير من العقلانيّة والموضوعيّة، وأنساق إلى الاطّلاع على كلّ ما يكتبه المفكّرون الغربيّون في خصوص الفكر العربيّ الإسلاميّ حتّى أعرف الحقيقة.

الملحق رقم(٥)

العدد الاول من مجلة الفكر الصادر في تشرين الاول ١٩٥٥

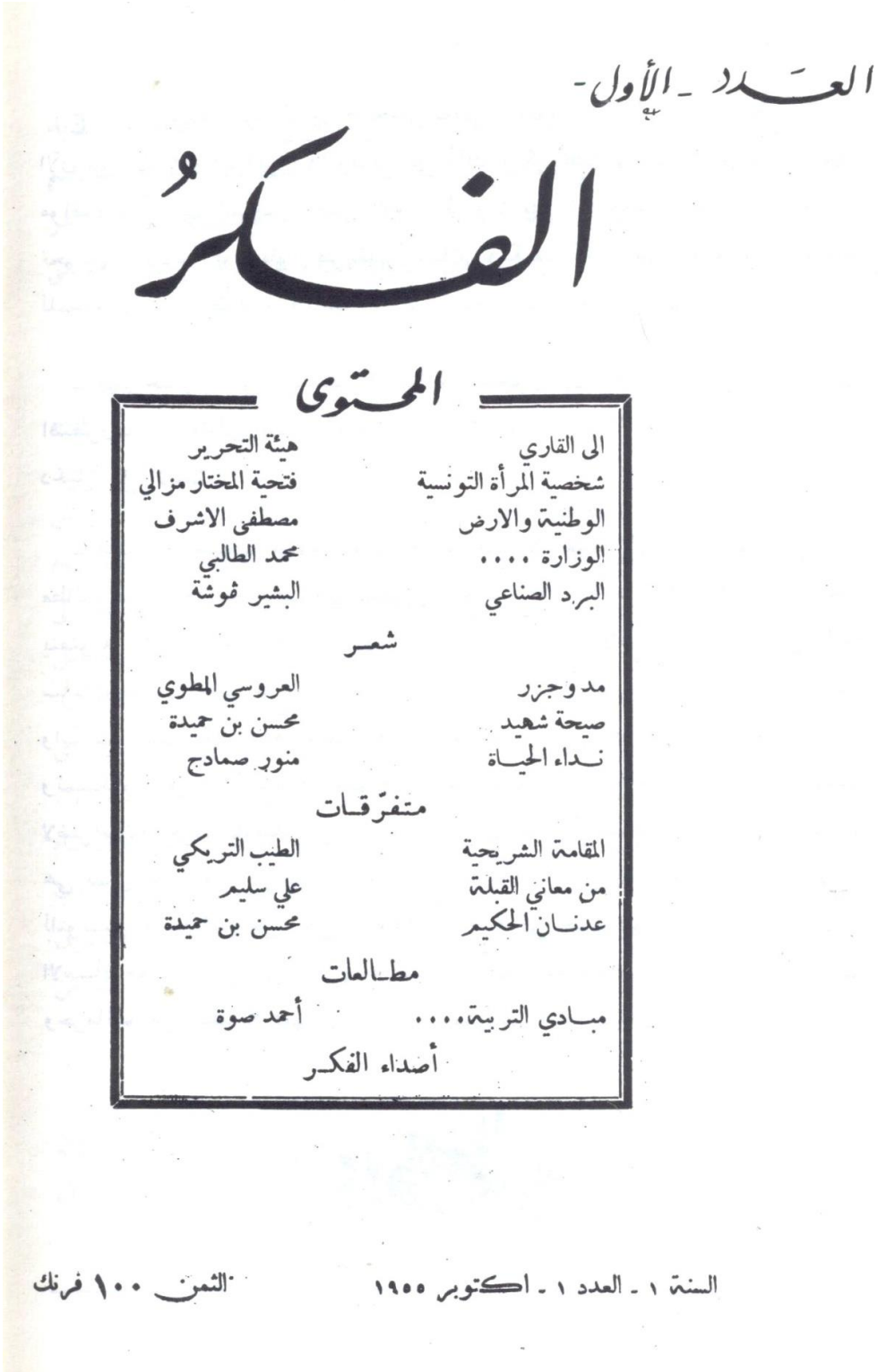

العدد - الأول -

الفكر

المحتوى

الى القاري	هيئة التحرير
شخصية المرأة التونسية	فتحية المختار مزالي
الوطنية والارض	مصطفى الاشرف
الوزارة	محمد الطالبي
البرد الصناعي	البشير ثوشة

شعر

مد وجزر	العروسي المطوي
صيحة شهيد	محسن بن حميدة
نداء الحياة	منور صمادح

متفرقات

المقامة الشريحية	الطيب التريكي
من معاني القبلة	علي سليم
عدنان الحكيم	محسن بن حميدة

مطالعات

مبادي التربية....	أحمد صوة

أصداء الفكر

السنة ١ - العدد ١ - اكتوبر ١٩٥٥ الثمن ١٠٠ فرنك

الملحق رقم(٦)

كلمة محمد مزالي بمناسبة اسبوع التوعية يوم ٢٦اب ١٩٦٧

C-3-21

كلمة السيد محمد مزالي مدير الاذاعة والتلفزة الوطنية بمناسبة افتتاح اسبوع التوعية بعين دراهم يوم 26 // 8 // 67

ايها السادة :

يشرفني ان افتتح اسبوع التوعية الذى ينعقد بعين دراهم من ولاية جندوبة ، وقبل كل شيء اود ان اتوجه بعبارات التقدير والشكر والامتنان لديوان تعليم الكهول على هذه البادرة البعيدة المعاني العظيمة الجدوى اذ انه لم يقتصر فقط على القيام بمجرد التعليم ورفع الامية بل توسع في مفهوم رسالته واخذ على عاتقه المساهمة في التوعية المتواصلة التي قام بها منذ اكثر من ثلاثين سنة الحزب بقيادة المجاهد الاكبر، وبذلك يندرج هذا العمل في جملة تقاليد شعبية تعودت بها الجماهير التونسية طيلة ربع قرن، واتت اكلها واثمرت ، وبكنت الشعب التونسي من الخروج من ظلمات العبودية والاستعمار الى نور الحرية ونعمة الاستقلال ثم تواصلت التوعية في جميع الميادين وكل المستويات سواء في اوساط الرجال واوساط النساء الكبار والصغار حتى نستغل هذا الاستقلال السياسي ونطلق منه الى الازدهار الحق والى الكرامة بكل معانيها .

مبادرة طيبة :

واحب ان ابارك هاته المبادرة لان التوعية السياسية . والتوعية الاجتماعية والتوعية الاقتصادية ، والتوعية الصحية ، والتوعية الثقافية هي في الحقيقة مجهود كامل ، مجهود متماسك لا يمكن فصل اجزائه ، بل هو عمل موحد ، عمل لا يمكن تقسيمه .

وديوان تربية او تعليم الكهول في الحقيقة ، مساهم ، مؤزرا بطرق بيداغوجية جديدة وبوسائل فنية في مجهود التعليم مستمدا خاصة على اطاراتنا القومية ، وعلى رجال ديوان التعليم في هذا المجهود الجماعي الذى نرمي منه الى رفع مستوى الشعب التونسي واحب كذلك ان استخلص العبرة من اقامة هذا الاسبوع بمعتمدية عين دراهم بالذات . ذلك ان هذه الجهة قاست كثيرا من الماضي ، وحيث كثيرا وارهقها الاستعمار ، وابقى اهلها في الجهل وفي الخصاصة وفي المرض واصبح في وقت من الاوقات مواطنو هذه الجهة مفصولين عن الحياة القومية وعن الحضارة ، وعن النور ، مقطوعين او كادوا ان يكونوا مقطوعين عن بقية الشعب التونسي ولذلك خص منذ الاستقلال المجاهد الاكبر هذه الجهة بعناية خاصة حتى تتدارك مافاتها وحتى

تطوى المراحل في طريق الالتحاق بقافلة الشعب التونسي ، حتى يزول كابوس الجهل ، والامية ، كذلك التخلف الفاحش في الميدان الاجتماعي والاقتصادي .

تفاوت سيزول :

ولكن رغم هاته المجهودات ورغم انتشار التعليم ورغم التوعية الصحية وجميع المجهودات فان هناك ، تفاوتا لا يزال قائما ومازلنا مصرين ومقدرين العزم على ابادته في اقرب وقت وبايسر السبل .

ولعل اقامة هذا الاسبوع ، اسبوع التربية الاجتماعية في هذه المعتمدية انما هو يرمز الى عزيمة تطوير هاته الجهة وعزيمة النهوض بها لا النهوض بالارض . ولا النهوض بالهياكل وتطويرها فقط ، بل ومع ذلك وربما وقبل ذلك النهوض بالانسان ، النهوض بالبشر حيثما كان واني شخصيا ومنذ سنوات عديدة ، لاتكاد تمر سنة الا وازور هاته الجهة والاحظ التقدم الكبير العظيم الذي حصل في جميع الميادين . واعتقد ان هذا الاسبوع الذي سيتناول مسائل هامة وفي مقدمتها الاجتماعية سيكون عاملا جديدا قويا في الاسراع بالوثبة المنتظرة والقضاء نهائيا وبدون رجعة على التخلف والبؤس والشقاء .

اصالة الاتجاه الاشتراكي :

وبهاته المناسبة يلذ لي ان انوه بالعمل الذي مازال السلط الحزبية والحكومية بهاته الجهة تقوم به والمجهود الذي يذل ويبذل لبلوغ هذه الغاية .

كل هذا اخواني اخواتي يدل من ناحية اخرى على صدق واصالة الاتجاه الاشتراكي للنظام الجمهوري التونسي ، ذلك ان الاشتراكية الدستورية ، التونسية لا تقتصر على القيام بتجارب محدودة او على تحضير مقالات مظبوطة او على اجراء بعض التحوير او تنظيم بعض الهياكل وابقاء الجماهير على ماهي عليه بل الاشتراكية التونسية التي يقل كلامها تعني بالخصوص الى النهوض بالبشر والى التعليم والتثقيف وفتح بصائر المواطنين وتوسيع افاقهم والى جعل البشر يكون من جديد انسانا متحررا يتخلص من عبودية المادة ومن عبودية الطقس ومن عبودية اوضاع قديمة ويصبح يملك مصيره ويمسك زمام امره ويكون حرا قولا وفعلا وتلك حقيقة صفة من صفات الاشتراكية التونسية عندما تنادي بالحرية والكرامة فهي لا تقتصر على الحرية والكرامة في الافراد بل تعتقد ان الحرية انما هي تمكين البشر من المسؤولية من حرية الاختيار من تبني الامر من اختيار الاصلح من النهج من المستوى الذهني والانسان الرفيع .

اشتراكيـــة الاخرين :

وهو امر نختلف فيه ايضا مع بعض الاشتراكيات في بعض البلدان الشقيقة والصديقة التي يكثر الحديث فيها عن الاشتراكية وتكثر التصريحات في شانها ولكن لا تكاد نجد لها اثرا في القاعدة وفي مستوى البشر في الارياف وفي اوساط النساء وفي الاماكن المتخلفة بينما في تونس نلاحظ كل يوم ان الجماهير ترتفع مستواها سواء في القدرة على الشراء وفي ارتفاع المستوى الثقافي اوفي انتشار التعليم اوفي تطور العلاقات البشرية وهكذا تتغير الهياكل كلها واذا بنا نصل شيئا فشيئا الى المستوى الحضاري والى المدنية التي نصبو اليها .

هذا هو العمل :

هذا هو العمل الصادق وهذا هو الاخلاص للشعب ، فالمسؤولون في الحزب وعلى راسهم الحبيب بورقيبة المعلم الاول والمربي الاول رائد التربية الاجتماعية وهو صادق في عمله لا نتملق شعور الشعب لا نكذب على الشعب نقول الحقيقة كما هي نبين له نقط الضعف في المرحلة الحقيقيـــة التي بلغها الشعب ولكن في نفس الوقت نبين الطرق الموصلة الى الحرية الحقيقية الى القضاء على التخلف والقضاء على نقط الضعف التي شخصها و بينها والغلط الذي قد يقع فيه المسؤول ، وقع فيه الكثيرون في الماضي وفي الحاضر هو ان تدغدغ عواطف الشعب وان يقع الاقتصار على التملق للشعب والكذب على الشعب ويستعمل كزبائن وكوسيلة للوصول الى الحكم واستغلال المواقف والقيام بادوار يمكن ان يقال فيها كل شيء ماعدا انها صادقة مخلصة هذا ما استطيع تاكيده في هذه المناسبة وفي اسبوع التوعية واقيم عليه الدليل ان كنا في حاجة الى دليل وبعبارة اخرى فهو مظهر من مظاهر الديمقراطية التونسية ، ومظهر من مظاهر تمكين الشعب من ان يسوس نفسه بنفسه ويسير الامور بنفسه .

الديمقراطية الحقيقية :

والشعب الجاهل الذي يعيش في الظلام لايستطيع ان ينتخب وينتخب او يميز الامـــور ولايستطيع ان يعرف مصلحته من ضرره واين هو وعندما نقوم بتثقيف الشعب وعندما نذكر التعليم والثقافة ورفع المستوى الاجتماعي فنحن في الحقيقة نسير حثيثا وبخطى ثابتة نحو الديمقراطيـــة الحقيقية الاصيلة وقد قال حرة المجاهد الاكبر في احدى خطبه انه يخير ويفضل ان يحكم ويسوس شعبا كل مواطنيه متفقون على ان يحكم شعبا كالعبيد او كالغنم مع مافي حكم الشعب الواعي الناهض

الجمهورية التونسية ، وزارة الاعلام (مركز التوثيق القومي)، رقم c.3.31.

الملحق رقم(٧)

صورة لمحمد مزالي وعلى يساره بورقيبة وعلى يمينه زين العابدين بن علي سنة ١٩٨٥

الملحق رقم(٨)

العدد الاخير من مجلة الفكر الصادر في ٣١تموز١٩٨٦

الفكر

حول عقد حضاري بين الشمال والجنوب

بقلم: محمد مزالي

المحتوى

في الصيف ..... البشير بن سلامه
علال الفاسي في ذكراه الثانية عشرة ..... أحمد الحمناوي
قراءة اجتماعية لقصة «النفرة مسدودة» ..... عبد المجيد النفزي
قراءة في «نظرية التعليم الايقاعي» ..... الحبيب الدهماني
كفاح الحداد السياسي والنقابي ..... محمد أبو يوسفيه
كلمات منثورة ..... البشير الجدوب
الوعي الآخر ..... البشير التلمودي
كتاب الصحافة بصفاقس ..... محمود الحرشاني

الشعر

احذروا غضبة القصيدة ..... أحمد الغماني
سكتنا .. فهل غرد العنكبوت ؟ ..... الصادق شرف
صوفية ..... رياض المرزوقي
انعل الماء ..... الحبيب الهمامي
تضاريس الجسد المتعب ..... أحمد الحباشه
وعود المهرجان بلا وجه ..... سمير الخياري

القصة والمسرحية

نصفك الثاني ..... الصادق الوكيل
الارض والشيطان ـ 4 ـ ..... د. نور الدين بنقاسم
عند مفترق الطرق ـ 2 ـ ..... حياة بن الشيخ

مطالعات ـ قراءات ـ اصداء ـ الفهرست السنوي

العدد : 10 ـ السنة : 31 ـ جويلية 1986 الثمن : 0،620 د. ت

المصادر والمراجع

أولاً – الوثائق المنشورة :

١. الجمهورية التونسية ،كتابة الدولة للاخبار والارشاد ، 13-11-1964 La`etiondu، رقم c.3.31.

٢. الجمهورية التونسية ، وزارة الاعلام (مركز التوثيق القومي)، كلمة محمد مزالي بمناسبة افتتاح اسبوع التوعية، ٢٦اب١٩٦٧، رقم 31-3-c.

٣. الجمهورية التونسية،كتابة الدولة للاعلام ،مركز الوثائق القومية ، هيئة جديدة لاتحاد الكتاب التونسيين، ٢٢نيسان ١٩٧٠، رقمB.3.7 .

٤. سجل العالم العربي(وثائق-احداث-اراء سياسية)، تموز-اب-ايلول١٩٧١،دار الابحاث ، بيروت.

٥. الجمهورية التونسية،كتابة الدولة لاعلام ، مركز الوثائق القومية ، المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب،١٨كانون الثاني ١٩٧٢، رقم B.5.9.

٦. وكالة الانباء العراقية،قسم المعلومات والبحوث، المغرب العربي، الرقم ١٢٢/٥،بتاريخ ١٤ايار ١٩٧٣.

٧. الجمهورية التونسية،كتابة الدولة للاعلام ، مركز الوثائق القومية ، مزالي يفتتح مؤتمر المغرب العربي الطبي الثالث، ١٥ايار ١٩٧٣، رقم B.5.9.

٨. الجمهورية التونسية،كتابة الدولة للاعلام ، مركز الوثائق القومية ، مزالي يقترح برنامج لتحديد النسل، ١١ايلول ١٩٧٣، رقم B.5.9.

٩. الجمهورية التونسية،كتابة الدولة للاعلام ، مركز الوثائق القومية ، النظر في موضوع التنظيم العائلي ، ٢٥ايلول ١٩٧٣، رقم B.5.9.

١٠. الجمهورية التونسية،كتابة الدولة للاعلام ، مركز الوثائق القومية ، مزالي يسافر الى جنيف، ٤ايار ١٩٧٦، رقم B.5.9.

المصادر والمراجع

١١. الجمهورية التونسية وزارة الاعلام ،مركز التوثيق القومي ،مزالي ينتخب رئيساً للجنة الاولمبية الدولية،١٦تموز١٩٧٦،رقم 11-u-1 .

١٢. الجمهورية التونسية وزارة الاعلام ،مركز التوثيق القومي ، مزالي يفتتح ملتقى حول الادب التونسي،١٣تشرين الاول ١٩٧٦، رقم 7-3-B.

١٣. الجمهورية التونسية وزارة الاعلام ،مركز التوثيق القومي ، رجال الفكر والثقافة يناقشون منزلة الادب التونسي في التربية والثقافة،١٦ تشرين الاول ١٩٧٦، رقم B-3-7.

١٤. الجمهورية التونسية وزارة الاعلام ،مركز التوثيق القومي ،حول ملتقى الادباء والمثقفين (من القضايا الحساسة) ،٢٢تشرين الاول ١٩٧٦، رقم 7-3-B.

١٥. الجمهورية التونسية- مركز التوثيق القومي، تعيين محمد مزالي وزيراً اول، ٤ايار ١٩٨٠، رقم9-5-B.

١٦. الجمهورية التونسية وزارة الاعلام ،مركز التوثيق القومي، ١٣ حزيران١٩٨٠ ، اسناد لقب الرئيس المؤسس للاتحاد لمزالي،رقم 99- 3 -Q.

١٧. الرائد الرسمي للجمهورية التونسية، (امر عدد ١١٣٩ في ١٤ايلول ١٩٨٠)، السنة ١٢٣، العدد ٥١، ١٦ايلول ١٩٨٠.

١٨. الجمهورية التونسية ، وزارة الاعلام (مركز التوثيق القومي)،مزالي يجتمع بمديري البنوك ، ٢٤كانون الثاني ١٩٨٤، رقم o-17-p.

١٩. الجمهورية التونسية ، وزارة الاعلام (مركز التوثيق القومي)،الزيادة المتوقعة للاسعار، ١٤شباط١٩٨٤، رقم o-17-p.

٢٠. وكالة الانباء العراقية، (قسم المعلومات) ،تونس، ع١٠٤، الرقم ٠٤٢،بتاريخ ١٤نيسان ١٩٨٤.

٢١. وكالة الانباء العراقية، (قسم المعلومات) ،تونس، ع١٠٤، الرقم ٠٤٢، بتاريخ ٧ايار ١٩٨٥.

٢٢. وكالة الانباء العراقية (قسم المعلومات)،طرد العمال التونسيين،ع ١٠٤، ١٢اب١٩٨٥.

٢٣. وكالة الانباء العراقية،(قسم المعلومات)، العراق يقف الى جانب اشقائه في تونس،ع١٠٤،رقم ٠٤٢،بتاريخ ١٣ايلول ١٩٨٥.

٢٤. وكالة الانباء العراقية (قسم المعلومات)،المغرب العربي، ع١٠٤، الرقم ٠٤٢، ٢٨ايلول ١٩٨٥.

ثانياً- اتصالات والرسائل الالكترونية:

١. اتصال هاتفي اجرته الباحثة مع السيد البشير بن سلامة في اذار ٢٠١٤ بعدها تمت الاسئلة والأجوبة عبر البريد الالكتروني.

رسالة بتاريخ في ١١ اذار ٢٠١٤.
رسالة بتاريخ ٣ اب ٢٠١٤
رسالة بتاريخ ٢٨تموز ٢٠١٤ .
رسالة بتاريخ ٢١كانون الثاني ٢٠١٥.

ثالثاً - الكتب والمذكرات الشخصية :

أ-مذكرات باللغة العربية غير منشورة

١. البشير بن سلامة ، عابرة هي الايام (سيرة ذاتية)، ج ٢، كتاب بصدد النشر .

ب-مذكرات باللغة العربية منشورة

١. احمد المستيري، شهادة للتاريخ (ذكريات وتأملات ١٩٤٠-١٩٩٩)، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠١١.

٢. حامد الزغل، جيل االثورة، دار سراس للنشر، تونس ، ١٩٩٩.

٣. الحبيب نويرة، ذكريات عصفت بي، دار سراس للنشر ، تونس ، ١٩٩٢.

٤. العربي بن احمد العكرمي ، من ذاكرة مجاهد، ط١، دار نقوش عربية، تونس، ٢٠١٢.

٥. عمار العربي الزمزمي، ذاكرة تأبى المصادرة ، مطبعة سوجيك ، تونس، ٢٠١١،

٦. عمر الشاذلي، بورقيبة كما عرفته، تعريب علي حمرون واخرون، ط١، دار سمباكتِ(simpact) للطباعة ، تونس، ٢٠١٣.

٧. محمد الصياح ، الفاعل والشاهد ، حاوره المولدي الاحمر، دار سراس للنشر ، تونس،٢٠١٢.

٨. محمد الطالبي ،عيال الله، انجاز شكري مبخوت، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩٢.

٩. محمد الهاشمي عباس، بورقيبة ونويرة(ذكريات ومذكرات) ، ج٢-٤، ط٥، ميديا كوم للنشر، تونس، ٢٠١٠.

١٠. محمد مزالي ، حديث الفعل ، الدار التونسية للتوزيع، تونس،١٩٨٥.

١١. محمد مزالي ، نصيبي من الحقيقة ، ط١ ، دار الشروق، القاهرة،٢٠٠٧ .

١٢. المنجي الكعلي ، في خدمة الجمهورية بقيادة بورقيبة، دار سراس للنشر ، تونس ٢٠١٣.

ج-المذكرات باللغة الفرنسية :

1- Mohamed Mzali , Un premier minister de Bourguiba te`moigne , sud Editions , tunis ,2010.

رابعاً- الرسائل والأطاريح الجامعية :

١. انتصار جاسم سعد يوسف ،السياسة الأمريكية تجاه تونس١٩٥٦- ١٩٦٧، اطروحة الدكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ،كلية التربية- أبن رشد، ٢٠١٠.

٢. انمار لطيف جاسم، تونس في عهد الباي محمد الصادق (١٨٥٩- ١٨٨٢) رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات ، بغداد ، ٢٠١٣.

٣. جمال بالحاج سالم، الرأي العام بتونس إزاء أحداث ٩ أفريل ١٩٣٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تونس الأولى ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس،١٩٩٢.

٤. حازم صباح أحميد الدوري،صراع الهوية الوطنية في تونس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد -كلية العلوم السياسية ،٢٠٠٤ .

٥. حسن بن التومي الشطبوري ، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تونس ، ١٩٥٦ – ١٩٧٢ ، رسالة ماجستير غيرمنشورة ، جامعة بغداد-كلية التربية ابن رشد، ٢٠٠٣.

٦. حسن زعير حزيم، الحبيب بورقيبة ودوره السياسي(١٩٣٣- ١٩٨٧) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة بغداد الى كلية الاداب،٢٠٠٣.

٧. حمادي سلمان حمادي،الموقف المصري من الحركة الوطنية التونسية ١٩٤٥-١٩٥٦،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ،جامعة الانبار ،٢٠١٣.

٨. خلود محمد نعيم ،اثر العوامل الاقتصادية على الصراعات السياسية(دول المغرب العربي)،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة اليرموك،كلية الاداب -قسم العلوم السياسية،٢٠٠٥.

٩. سعد توفيق عزيز عبدالله، الحركة العمالية في تونس(١٩٤٦-١٩٥٦)نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الموصل -كلية الاداب، ٢٠٠٥م.

١٠. طه حميد حسن العنبكي ، النظام السياسي التونسي ١٩٥٧-١٩٨٩، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد_ كلية العلوم السياسية ، تموز ١٩٩٢.

المصادر والمراجع

١١. طـه حميـد حسـن العنبكـي، تطـور الحركـة الدسـتورية والديمقراطيـة فـي تـونس للمـدة ١٩٨٧-٢٠٠٢، اطروحـة دكتـوراه غيـر منشـورة ، المعهـد العـالي للدراسـات السياسـية والدوليـة بالجامعـة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٤.

١٢. عـادل الثـابتي، الاتحـاد العـام التونسـي للطلبـة خلفيـات التاسـيس وحـالات المسـار، رسـالة ماجستير غير منشورة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، تونس ،٢٠٠٨.

١٣. عثمـان غـي، المعرفـة العلميـة عنـد غاسـتون باشـلار، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة،جامعة فتوري قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٧.

١٤. عـز الـدين معـزة، فرحـات عبـاس ودوره فـي الحركـة الوطنيـة ومرحلـة الاسـتقلال ١٨٨٩-١٩٨٥ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة منشورى قسنطينة ، الجزائر،٢٠٠٥.

١٥. قاسـم زغيـر كـاظم، الحـزب الحـر الدسـتوري التونسـي الجديـد (١٩٣٤-١٩٥٦)، رسـالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة _كلية الآداب،١٩٨٤.

١٦.محمـد يوسـف نحلـة ، تطـور الحركـة الوطنيـة فـي تـونس ١٨٨١-١٩٥٦، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة مقدمـة الـى المعهـد العـالي للدراسـات القوميـة والاشـتراكية ،الجامعـة المستنصـرية، بغداد ١٩٨١.

١٧.النـان ولـد المـامي، اتحـاد المغـرب العربـي وافاقـه المسـتقبلية، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة ، جامعة بغداد –كلية العلوم السياسية ، ١٩٩٦.

١٨.نغـم اكـرم عبـدالله الجميلـي، تجـارب التعدديـة الحزبيـة فـي الـوطن العربـي نمـوذج تـونس، رسالة مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية في الجامعة المستنصرية بغداد،٢٠٠١.

١٩.نغـم محمـد صـالح ، الحركـة الاسـلامية فـي المغـرب العربـي، تـونس ، الجزائـر، دراسـة لـدورها السياسـي فـي ظـل التحـولات الديمقراطيـة، اطروحـة دكتـوراة غيـر منشـورة، جامعـة بغـداد-كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٦.

خامساً - الدوريات :

أ-الصحف

المصادر والمراجع

ت	اسم الصحيفة	العدد	التاريخ
١-	صحيفة السفير (بيروت)	٢٠٧٣	٢٩ كانون الثاني ١٩٨٠
		٢٠٧٥	٣١ كانون الثاني١٩٨٠
		٢٠٨٥	١٠ شباط١٩٨٠
		٢١٦٠	٢٦ نيسان١٩٨٠
		٢٢٢٩	٥ تموز ١٩٨٠
		٢٢٦١	٨اب ١٩٨٠
		٢٤٩٥	٦نيسان ١٩٨١
		٤٣٥٧	١٦ ايلول ١٩٨٦
٢-	صحيفة الانوار(بيروت)	٦٨٦٨	٢ شباط ١٩٨٠
		٦٩٥٠	٢١ نيسان، ١٩٨٠
		٦٩٥٣	٢٤ نيسان، ١٩٨٠
٣-	صحيفة النهار(بيروت)	١٤١٤٧	٢٩كانون الثاني ١٩٨٠
		١٤٢٢٧	١٩ نيسان ١٩٨٠
٤-	صحيفة الاهرام (مصر)	٣٥٦١٧	١٨حزيران ١٩٨٤
٥-	صحيفة الجمهورية (القاهرة)	١١١٦	١٦ كانون الاول ١٩٨٥
		٩٥١٥	٦ كانون الثاني ١٩٨٠
٦-	صحيفة الرأي (الاردن)	٤١٩٦	٢١ تشرين الثاني ١٩٨١

		٣٦٠٥	١٢ اذار ١٩٨٠
		٥٥٣٩	٢٢اب ١٩٨٥
٧-	صحيفة الراية(قطر)	١٧٨٢	٢٥ايلول ١٩٨٥
٨-	صحيفة العراق (العراق)	١١٩٣	٢٩كانون الثاني ١٩٨٠
		١١٩٥	٢ شباط ١٩٨٠
		٢٤٠٨	٤ كانون الثاني ١٩٨٤
		٢٤٤٨	١٩ شباط ١٩٨٤
		٢٤١٢	٨ كانون الثاني١٩٨٤
٩-	صحيفة الثورة (العراق)	٤٩٧٧	٢كانون الثاني ١٩٨٤
		٤٩٨٣	٨ كانون الثاني١٩٨٤
		٥٠٢٩	٢٣ شباط ١٩٨٤
		٥٠٥٧	٢٥ كانون الثاني١٩٨٤
		٥٠٦٣	٢٨ اذار١٩٨٤
		٥٢١٤	٢١ايلول١٩٨٤
١٠-	صحيفة القبس (الكويت)	٢٧٧٤	٦شباط ١٩٨٠
		٢٩٣٧	١٨تموز١٩٨٠
		٤٤٣٩	٢٢ايلول ١٩٨٠
		٤١٩٣	١٦كانون الثاني١٩٨٤
		٤٢٩١	٢٤نيسان١٩٨٤

		٥١٤٦	٩ايلول ١٩٨٦
		٥٥٦٣	كانون الاول ١٩٨٧
١١-	صحيفة الوطن (الكويت)	١٩٦٢	١٨ نيسان ١٩٨٠
		١٩٦٩	٢٦ نيسان ١٩٨٠
		١٩٨٨	١٨ايار١٩٨٠
		٢١٩٠	كانون الاول ١٩٨١
		٢٣٨٦	٣٠ اب ١٩٨١
		٣١٨٩	٨كانون الثاني ١٩٨٤
		٣٣٩٣	٢ اب ١٩٨٤
		٣٨٣٠	٢تشرين الاول ١٩٨٥
		٣٨٢٩	١٨تشرين الاول ١٩٨٥
		٣٨٧٨	٦كانون الاول ١٩٨٥
		٣٨٨٢	١٠كانون الاول ١٩٨٥
		٤٠٠٩	١٧نيسان ١٩٨٦
		٤٠٨٠	٢٨حزيران ١٩٨٦
١٢-	صحيفة الرأي العام (الكويت)	٦٧٦٠	١٠ ايلول ١٩٨٢
		٥٨٦٢	٢ اذار ١٩٨٠
		٥٨٦٤	٤اذار ١٩٨٠

١٣-	صحيفة السياسة (الكويت)	٦١٥٦	٢٧ايلول ١٩٨٥
		٦٢٢٨	٨ كانون الاول ١٩٨٥
		٥٣٤١	٨ كانون الثاني١٩٨٤
		٥٥٣٩	١٠كانون الثاني ١٩٨٤
١٤-	صحيفة الانباء (الكويت)	٥٨٦٢	٢اذار ١٩٨٠
		٢٩٣٠	٢١شباط ١٩٨٤
		٣٣٧٢	١٤ ايار ١٩٨٥
		٣٥٦١	٢٢تشرين الثاني ١٩٨٥
		٣٥٧٥	٦كانون الاول ١٩٨٥
		٣٦٣١	٣١كانون الثاني١٩٨٦
		٣٧٦٠	١١حزيران ١٩٨٦
١٥-	صحيفة المصور (القاهرة)	٣٠٩٢	١٣كانون الثاني ١٩٨٤
١٦-	صحيفة الوحدة (ابو ظبي)	٣٨	٢٦ نيسان ١٩٨٠
١٧-	صحيفة العمل (تونس)	٨٦٣٤	١٢تموز ١٩٨٠
		٨٦٤٤	٢٢ تموز ١٩٨٠
		٨٦١٥	٨ حزيران ١٩٨٠
١٨-	صحيفة العلم ، (المغرب)	١٠-٨٠٩	٢٦ شباط، ١٩٨٠

١٩-	**صحيفة لواء الحرية (تونس**	العدد٣٩	في٢٣كانون الأول١٩٥١
٢٠-	**صحيفة الجمهورية (العراق)**	٤٩٨٢	٧كانون الثاني ١٩٨٤
		٥٢٥٧	٢٥كانون الثاني١٩٨٤
		٥٢٨٦	٢٣شباط١٩٨٤
		٥٣٤١	١٨نيسان١٩٨٤
		٥٥٩٥	٣تشرين الاول ١٩٨٤
		٥٨٧٠	٢تشرين الاول ١٩٨٥
٢١-	صحيفة المساء(تونس)	٩٤	٢تشرين الاول ١٩٨٥

ب ــ المجلات :

ت	اسم المجلة	العدد	التاريخ
١-	**مجلة الأسبوع العربي (باريس)**	١١١٠	١٩ كانون الثاني١٩٨١
		١٢٦٦	١٦كانون الثاني ١٩٨٤
		١٣٠٨	٢٢ تشرين الاول ١٩٨٤
٢-	**مجلة التضامن(باريس)**	٢٣	٧ ايلول ١٩٨٣
		٢٩	٢٩ تشرين الاول ١٩٨٣
		٣٩	٧ كانون الثاني ١٩٨٤
		٤٠	١٤ كانون الثاني ١٩٨٤

		٥٥	٢٨ نيسان ١٩٨٤
		٧٣	١ ايلول ١٩٨٤
		٧٥	١٥ ايلول ١٩٨٤
		١٤٣	٥ كانون الثاني ١٩٨٦
٣-	مجلة الحوادث (لندن)	١٣٣٠	٣٠ نيسان ١٩٨٢
		١٣٣٩	٢تموز ١٩٨٢
		١٣٤٩	١٠ ايلول ١٩٨٢
		١٤١٩	١٣ كانون الثاني ١٩٨٤
		١٤٨١	٢٢ اذار ١٩٨٥
٤-	مجلة الدستور (لندن)	٤٥٢	١١ شباط ، ١٩٨٠
		٤٦٠-٤٦١	٧ نيسان ١٩٨٠
		٤٦٤	١ ايار ١٩٨٠
		٤٧٧	٤ اب ١٩٨٠
		٣٨٣	١٥ايلول ١٩٨٠
		٦٠٠	٨ اذار ١٩٨٢
		٧١٨	٣ اب ١٩٨٤
		٧٣٨	٣كانون الثاني ١٩٨٥
		٧٦٢	٢٤ حزيران ١٩٨٥

		٧٨٣	٢٨ كانون الاول ١٩٨٥
٥-	مجلة الشرق الاوسط (لندن)	٤٦٣	٧ كانون الثاني ١٩٨٠
		٥٨٨	٣١ ايار ١٩٨٠
		٧١٥	١ تشرين الاول ١٩٨٠
		٧٢٢	٢٩ تشرين الثاني ١٩٨٠
		١٩٩٧	٣ كانون الثاني ١٩٨٣
		٩١٧٩	١٥ كانون الثاني ٢٠٠٤
٦-	مجلة العرب (لندن)	العدد ٦٤٨	٦شباط ١٩٨٠
		٩٧٢٦	٢تشرين الثاني ٢٠١٤
٧-	مجلة الفكر(تونس)	السنة / العدد	
		١٠ / ٣	كانون الاول ١٩٦٥
		١١ / ٣	ايلول ١٩٦٦
		١٦ / ٤	كانون الثاني ١٩٧١
		١٦ / ٢	تشرين الثاني ١٩٧١
		١٨ / ٢	تشرين الثاني ١٩٧٣
		١٨ / ٧	نيسان ١٩٧٣
		١٨ / ٨	ايار١٩٧٣
٨-	مجلة الكفاح العربي (بيروت)	٨٦-٧١٩	٤شباط،١٩٨٠

		٧٧٣-٩٠	٣اذار ١٩٨٠
		٧٧٤-٩١	١٠اذار ١٩٨٠
		٧٧٥- ٩٢	١٧ اذار ١٩٨١
		٧٨٢-٩٩	٥ايار ١٩٨٠
		٧٩٧-١١٤	١٨ اب ١٩٨٠
٩-	مجلة المجالس (الكويت)	٧٤٤	١٩تشرين الاول ١٩٨٥
		٧٤٧	٩ كانون الاول ١٩٨٥
١٠-	مجلة المستقبل (باريس)	١٦٧	٣ ايار ١٩٨٠
		١٧٠	٢٤ايار ١٩٨٠
		٢٤٠	٢٦ايلول ١٩٨١
		٣٥٣	٢٦تشرين الثاني ١٩٨٣
		٤٩٠	١٢تموز ١٩٨٦
	مجلة المستقبل العربي (بيروت)	٤٥٦	١٦تشرين الاول ١٩٨٥
١١-	مجلة المصور (القاهرة)	٣١٥٦	٥ نيسان ١٩٨٥
١٢-	مجلة المنار	السنة ٤ / العدد ٤٥	ايلول ١٩٨٨
١٣-	مجلة النهار العربي الدولي(باريس)	١٤٤	٤شباط ١٩٨٠
		١٥١	١١شباط ١٩٨٠

		١٥٦		٢ ايار ١٩٨٠
		١٥٧		٥ ايار ١٩٨٠
		١٦٠		٢٦ ايار ١٩٨٠
		١٦٢		٩حزيران ١٩٨٠
		١٨٠		١٣تشرين الاول ١٩٨٠
		٢٣٦		٩ كانون الاول ١٩٨١
١٤-	مجلة الوطن العربي (باريس)	٢٧٦		٢٨ ايار ١٩٨٢
		٣٥٣		١٨ تشرين الثاني ١٩٨٣
		٣٥٦		٧ كانون الاول ١٩٨٣
		٣٦١		١٣كانون الثاني ١٩٨٤
		٤٨٣		١٦ايار ١٩٨٦
		٤٨٤		٢٣ايار ١٩٨٦
١٥-	مجلة رسالة الكويت (الكويت)	السنة ٧	العدد ١٢٧١	تموز٢٠٠٩
١٦-	مجلة كل العرب (باريس)	٦٧		٧ كانون الاول ١٩٨٣
		٧٤		٢٥ كانون الثاني ١٩٨٤
		٧٨		٢٢شباط ١٩٨٤
		١٠٦		٤تشرين الثاني ١٩٨٤
١٧-	مجلة التقرير (قبرص)	مجلد ٢	العدد ١٢	١اب١٩٨٦
١٨-	مجلة الحقائق	العدد ٥٤		٣كانون الثاني ٢٠٠٩
١٩-	مجلة الطلائع (تونس)	السنة ١	العدد ١	تموز١٩٧٢
٢٠-	مجلة الصياد(بيروت)	١٨٤٧		٢٨ اذار١٩٨٠
		٢٠٢٥		٢٦اب ١٩٨٣
		٢٠٣٠		٣٠ايلول ١٩٨٣

		٢٠٤٥		٣كانون الثاني ١٩٨٤
		٢٠٥٥		٢٣اذار ١٩٨٤
٢١-	مجلة الطليعة (القاهرة	السنة ٤	العدد ٥	١٩٦٨
٢٢-	مجلة الطليعة العربية (باريس).	٤٦		٢٦اذار ١٩٨٣
		٤٨		٩نيسان١٩٨٤
		٦٦		٣اب ١٩٨٤
		٩٧		١٨اذار١٩٨٥
٢٣-	مجلة افريقيا قارتنا	٣		اذار ٣٠١٣

ج-السمنارات والشهادات الشفوية :

١. المجلة التاريخية المغاربية ،الشهادة الشفوية لمحمد مزالي، السنة ٣٢، العدد ١١٧ ، كانون الثاني ٢٠٠٤.

٢. المجلة التاريخية المغاربية،سمنار مع الطاهر بوسمة حول محاكمة الوزير الاول محمد مزالي، السنة ٣٨،الاعداد ١٤٣-١٤٤، تشرين الاول ٢٠١١.

٣. المجلة التاريخية المغاربية ،سمنار مع محمد مزالي بتاريخ ١٩ شباط ٢٠٠٥،السنة ٣٣،العدد ١٢١،اذار٢٠٠٦.

٤. المجلة التاريخية المغاربية ،سمنار مع المنجي الكعلي، السنة ٣٨، الاعداد ١٤٣-١٤٤، تشرين الاول وتشرين الثاني، ٢٠١١ .

٥. المجلة التاريخية المغاربية ،ملفات الذاكرة الوطنية حول النقابي الحبيب عاشور، السنة ٣٤، العدد١٢٦، اذار ، ٢٠٠٧ .

٦. المجلة التاريخية المغاربية ،سمنار مع احمد الزمني ،السنة ٣٠،العدد١١٠، ٢٠٠٣ .
٧. المجلة التاريخية المغاربية ،سمنار مع مصطفى الزغنوني ، السنة ٣٤ ، العدد١٢٧، شباط ٢٠٠٧ .
٨. سمنارات الذاكرة الوطنية وتاريخ الزمن الحاضر، شخصيات في السلطة والمعارضة من خلال شهادتهم التاريخية، ج١٣،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، نيسان ٢٠١١.
٩. شهادات الذاكرة الثقافية حول الفنون واللغة والهوية ، ج ١٠،سمنار مع محمد مزالي حول ظروف وملابسات انشاء التلفزة التونسية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، ٢٠١٠.
١٠. شهادات جديدة عن بناة الدولة التونسية ، سيمنارات الذاكرة الوطنية ،ج١٢، منشورات مؤسسة التميمي ، ٢٠٠١.

سادساً- الكتب العربية والمعربة :

١. احسان حقي، تونس العربية ، دار الشمالي للطباعة، بيروت ، (د. ت) .
٢. احمد إسماعيل راشد ،تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر،ط١،دار النهضة العربية،بيروت،٢٠٠٤.
٣. احمد القصاب ،تاريخ تونس المعاصر ١٨٨١-١٩٥٦،تعريب حمادي الساحلي،الشركة التونسية للتوزيع،تونس، ١٩٨٦.
٤. احمد خالد ، مفهوم الثقافة ودورها في البناء الحضاري في فكر محمد مزالي (مدخل الى السياسة الثقافية الجديدة بتونس)، (د.م) ، تونس ١٩٨٥.
٥. احمد خالد، الزعيم الشيخ عبد العزّيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي، الدار العربية للكتاب، تونس ،٢٠٠١.
٦. احمد طلعت، حقيقة بورقيبة، د.م، القاهرة، ١٩٥٩.

المصادر والمراجع

٧. احمد عبد السلام ، المدرسة الصادقية والصادقيون، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون والاداب والفنون (بيت الحكمة)،١٩٩٤.

٨. أسعد عبد الرحمن:الإنماء السياسي في التجربتين الناصرية والبورقيبية ،دار المثلث للتصميم والطباعة والنشر، لبنان ، ١٩٨١.

٩. امحمد مالكي ، الدولة في المغرب (الارث التاريخي وانماط المشاركة السياسية)،المطبعة الوطنية ، مراكش، ٢٠٠١.

١٠. امحمد مالكي:الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي،ط١،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،١٩٩٣.

١١. الباجي قائد السبسي، الحبيب بورقيبة المهم وألاهم، ترجمة محمد معالي ، دار الجنوب للنشر، تونس ٢٠١١.

١٢. الحركة النقابية والديمقراطية في تونس١٩٧١-١٩٨٩، حوار مع الطيب بكوش،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس ،٢٠٠٣.

١٣. توفيق المديني ، المجتمع والدولة السياسية في الوطن العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٧.

١٤. توفيق المديني ، المعارضة التونسية نشأتها وتطورها ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ٢٠٠١.

١٥. توفيق المديني،ازمة البرجوازية وطريق الثورة في تونس، الزاوية للطباعة والنشر،دمشق ،١٩٨٩.

١٦. جليلة المليح الواكدي ،زعيم الشباب علي البلهوان (حياته واثاره)،مركز النشر الجامعي ،تونس،٢٠١٢.

١٧. جمعية الدراسات الدولية، المغرب العربي الكبير بين التجارب والتشييد،تونس، ١٩٨٤.

١٨. جون هاتش ، تاريخ افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ، ترجمة عبد العليم السيد منسي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٦٩.

المصادر والمراجع

١٩. الحبيب بورقيبة،تونس في افريقيا، مطبعة العمل ،تونس ،١٩٧٣.

٢٠. حبيب ثامر، هذه تونس ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٤٨.

٢١. حسن احمد توفيق ،الادارة العامة في جمهورية تونس ،مطبعة العاصمة ،القاهرة ١٩٧٢.

٢٢. خليفة الشاطر واخرون، تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية ودولة الاستقلال)، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، ٢٠٠٥.

٢٣. راشد الغنوشي ، من تجربة الحركة الاسلامية في تونس ، المركز المغاربي للبحوث والترجمة، تونس.(د-ت).

٢٤. رافع ابن عاشور ، المؤسسات والنظام السياسي بتونس(الاطار التاريخي- للنظام الحالي) مركز النشر العالمي، تونس،٢٠٠٢.

٢٥. رضا الذوادي،الصراع الطبقي في تونس ١٩٥٦-١٩٨٠، دار صامد انشر والتوزيع ، تونس،٢٠١٢.

٢٦. رمزي تاج ، انتفاضة الخبز (جانفي ١٩٨٤) ،دار محمد علي للنشر ، تونس ٢٠١١.

٢٧. سالم الحداد ، الحركة النقابية في تونس بين الاستقلالية والتبعية (الاتحاد العام التونسي للشغل ونظام بورقيبة بين الوئام والصدام ، ج٢، جريدة الشعب، تونس،٢٠١١.

٢٨. سالم لبيض ، تونس: الثورة في زمن الهيمنة، منشورات مؤسسة الحصاد، تونس، ٢٠١٣.

٢٩. سالم لبيض، ازمة الجامعة التونسية من التأسيس الى الثورة، المركز العربي للدراسات السياسية والاجتماعية، تونس ، ٢٠١٢.

٣٠. سعيد فرحات ، اتجاهات فكرية في الادب التونسي الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ١٩٨١.

٣١. الشاذلي القليبي ومجموعة مؤلفين ، ٧ نوفمبر الثورة الهادئة، مؤسسة عبد الكريم بن عبدالله، تونس١٩٩٢.

المصادر والمراجع

٣٢. شارل اندري جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي ،ترجمة محمد مزالي وبشير بن سلامة ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٨٥.

٣٣. الصادق الزمرلي، اعلام تونسيون ، ترجمة حمادي الساحلي ،دار المغرب الاسلامي، لبنان ، ١٩٨٦.

٣٤. الصافي سعيد،الحبيب بورقيبة ،سيرة شبه محرمة، رياض الريس، بيروت ، ٢٠٠٢.

٣٥. صبرة حمدان الكندي ، فاطمة عبد الله ، الادارة التربوية في كل من الجمهورية اليمنية والجمهورية التونسية ، جامعة السلطان قابوس ، عمان،٢٠١١.

٣٦. صلاح العقاد ، المغرب العربي ، ط٢، مكتبة الانكلومصرية ،١٩٦٦ ، القاهره.

٣٧. الطاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة(سيرة زعيم) ، الدار الثقافية للنشر، مصر، ١٩٩٩.

٣٨. الطيب الفقيه احمد ، المنستير وبطل التحرير، تونس والشركة القومية للنشر، تونس ،١٩٩٢.

٣٩. عادل يوسف،النخبة العصرية التونسية :طلبة الجامعات الفرنسية(١٨٨٠-١٩٥٦)، دار الميزان للنشر، تونس ٢٠٠٦.

٤٠. عامر قريعه ، مراحل الحكم في تونس منذ ١٩٥٦الى ما بعد ثورة ١٤جانفي٢٠١١، مطبعة فن الطباعة، تونس،٢٠١٣.

٤١. عبد الجليل بوقرة ، فصول من تاريخ اليسار التونسي :كيف واجه الشيوعيون وبرسبكتيف نظام الحزب الواحد (١٩٦٣-١٩٨١)، دار افاق:برسبكتيف للنشر، تونس،٢٠١٢.

٤٢. عبد الجليل بوقرة ،النظام البورقيبي الصعود والانحدار ١٩٥٦-١٩٨٧، الدار المغاربية للطباعة، تونس،٢٠١٢.

٤٣. عبد الرحمن شريف ، الوجه الأخر البورقييه ،ج١، كونتراست للنشر ، تونس ١٩٨٩.

٤٤. عبد العزيز الثعالبي،تونس الشهيدة ،ترجمة سامي الجندي،دار القدس ، بيروت،١٩٧٥.

المصادر والمراجع

٤٥. عبد الكريم عزيز ،نضال شعب ابيّ(تونس ١٨٨١-١٩٥٦) ، مركز النشر الجامعي، تونس ، ٢٠٠٥.

٤٦. عبد المجيد الزمزمي ،تونس في مواجهة التضليل،ط٢،دار الزهراء،تونس،٢٠١١.

٤٧. عبد المجيد المسلاتي،تاريخ المنظمات الشبابية التونسية،دار سراس للنشر، تونس،١٩٨٩.

٤٨. رشاد الخرباشي ، الكشافة التونسية في التربية التونسية ، مطبعة المركز الوطني البيداغوجي، تونس ، ٢٠١٣

٤٩. عدنان منصر ، الدر ومعدنه(الخلافات بين الحزب الدستوري والحركة النقابية في تونس ١٩٢٤-١٩٨٧)، المغاربية للطباعة والنشر، تونس ٢٠١٠.

٥٠. عصام شريف ، محاور السياسية العربية في الثمانيات ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق، ١٩٨٧.

٥١. علي البلهوان،تونس الثائرة،المطبعة العالمية،القاهرة، ١٩٥٤.

٥٢. علي محافظة فرنسا والوحدة العربية ١٩٤٥-٢٠٠٠ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،٢٠٠٨.

٥٣. غالي شكري ،الثقافة العربية في تونس ،الدار التونسية للنشر،تونس،١٩٨٦.

٥٤. فايز سارة ، الاحزاب والحركات السياسية في تونس ١٩٣٢-١٩٨٤،مكتب الخدمات الطباعية ، دمشق، ١٩٨٦.

٥٥. فواز طرابلس، تاريخ لبنان الحديث من الامارة الى اتفاق الطائف. ط٣، دار الريس، بيروت ، ٢٠١١.

٥٦. كتابة الدولة للاعلام ، تونس والمسيرة الشاملة ، دار سراس للنشر ،تونس ١٩٩٣.

٥٧. لؤي بحري ، تطور الحركة الوطنية التونسية منذ الحماية حتى الاستقلال ، مرجعة عبد المجيد العلوجي ، شركة دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٥ .

المصادر والمراجع

٥٨.مجموعة الحقيقة التونسية، النظام البورقيبي(الازمة السياسية والاقتصادية)،دار ابن خلدون ،تونس ،١٩٨٠.

٥٩.مجموعة مؤلفين ، مختارات من الادب القومي، الدار التونسية، تونس،١٩٨٦.

٦٠.محسن محمد صالح ، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات،ب.ت.

٦١.محمد الامين خلفة، محمد مزالي والنظرة التفاعلية،الدار التونسية للنشر،تونس،١٩٨٤.

٦٢.محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن السابع الهجري الى قيام القرن الثالث عشر ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس، ب .ت، نيسان، ١٩٧٤.

٦٣.محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تقديم حمادي الساحلي ،الميلاني بن الحاج ، دار المغرب الاسلامي ، بيروت، ١٩٨٦.

٦٤.محمد ضيف الله ،المدرج ،الكرسي بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والسبعينات،تقديم حسن رؤوف حمزة،مكتبة علاء الدين ،صفاقس،٢٠٠٣.

٦٥.محمد عبد المنعم خفاجي واخرون، الرؤيا الابداعية في ادب محمد مزالي، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، (القاهرة– لبنان) ،١٩٨٦.

٦٦.محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر(الاستمرارية والتغيير)، ط٢، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠١٣.

٦٧.محمد لطفي الشايبي ، منظمة اصحاب الاعمال التونسية : ستة عقود في خدمة المؤسسة والاقتصاد الوطني : ١٩٤٧–٢٠٠١، الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية ، تونس، ٢٠٠٦.

٦٨.محمد لطفي الشايبي ، الهادي نويرة، ١٩١١– ١٩٩٣ المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس، ٢٠٠٥ .

المصادر والمراجع

٦٩.محمد مزالي ، من وحي الفكر ط٢، مؤسسة عبد الكريم عبدالله للنشر، تونس ، ١٩٧٩.

٧٠.محمد مزالي ، مواقف، ط٢ ، الشركة التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤.

٧١.محمد مزالي، دراسات ثقافية ،الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٤.

٧٢.محمد مزالي، وجهات نظر، الدار التونسية للتوزيع ،تونس،١٩٧٥.

٧٣.محمود شاكر، التاريخ الاسلامي(التاريخ المعاصر –بلاد المغرب)،ج١٤، ط٢ ، المكتب الاسلامي ، بيروت، ١٩٩٦.

٧٤.مختار العياشي، تاريخ المدرسة التونسية (خلاصة ٣٢ قرنا من الكتابة والمعرفة والتعليم (١١٠١ ق٠م/ ٢٠٠٧م) ، المركز الوطني للتجديد البيداغوجي والبحوث التربوية، تونس، ٢٠١٢.

٧٥.مصطفى الفيلالي ومحمد عابد الجابري واخرون ، تطور الوعي القومي في المغرب ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ١٩٨٦ .

٧٦.منجي الشملي ، في الثقافة التونسية ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،١٩٨٥.

٧٧.مهدي جرادات،الاحزاب والحركات السياسية في الوطن العربي ،دار اسامة ، الاردن، ٢٠٠٦.

٧٨.ميسور صبيح ، المؤسسات الادارية في المغرب العربي (حكومات الجزائر والمغرب وتونس) ترجمة امين سعيد عبد العزيز مسعود، منشورات المنظمة العربية للعلوم الادارية، الاردن ، ١٩٨٥.

٧٩.نازلي معوض احمد ، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ١٩٨٦ .

٨٠.نجيب بن مرعي ، احداث ١٩٧٨، دار محمد علي للنشر ، تونس ،٢٠١١.

٨١.نقولا زيادة تونس في عهد الحماية من ١٨٨١ –١٩٣٤، دار الرائد للطباعة، القاهرة،١٩٦٣.

٨٢.نـور الـدين الـدقي واخـرون، تنظـيم الحكـم بتـونس فـي مـدة الحمايـة الفرنسـية ١٨٨١-١٩٥٧،المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس،١٩٩٨.

٨٣.الهادي التميومي ، تونس ١٩٥٦-١٩٨٧ ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، ٢٠٠٦.

سابعاً ـ الكتب الاجنبية :

أـ الكتب الفرنسية :

1-Ahmed Kassab,Ahmed Ounaies,Histoire Generale De leTuniseL'EpoqueContemporaine(1881-1956),TomeIV,SudEditionsTunis,2010

ب- الكتب الانكليزية :

1-Mohamed Z. Bechri and Sonia Naccach, The Political Economy of Development Policy in Tunisia, The University of Tunisia, 2003,p29.

2- David Seddon ,Riot and Rebellion: Political Responses to Economic Crisis in North Africa, Tunisia, Morocco and Sudan, UEA Norwich, School of Development Studies, Univesity of East Anglia, October1986,p6.

3-Harold D. Nelson, Tunisia: a country study, Library of Congress Cataloging in Publication Data, Research completed January 1986.

ثامناً – البحوث والمقالات:
أ-البحوث باللغة العربية:

١. ابـراهيم السـامرائي ، عـرض فـي التعلـيم التونسـي بـين القـديم والجديـد ، مجلـة المعلـم الجديـد ،ج٢، المجلد ٣١، بغداد ،١٩٦٩.

٢. ابـو حنيـة قـوي، الجمعيـات فـي المغـرب وتـونس قـراءة فـي الواقـع والتطلعـات ،ج٢،مركـز الجزيـرة للدراسات ،٢٠١٣.

٣. ايمـن سوسـة، مكانـة التلميـذ فـي النظـام التربـوي، المركـز الجهـوي للتكـوين المسـتمر، تـونس، ٢٠١٢.

٤. البشير بن سلامة ، احلى واسوء ذكرياتي، مجلة الشرق الاوسط ، العدد ٤٤٧، ١٩٩٥.

٥. البشير بن سلامة ،ازمة التربية القومية ، مجلة الفكر، السنة ١٦، العدد٥، شباط، ١٩٧١

٦. البشـير بـن سـلامة ،فـي السياسـة الثقافيـة بتـونس، مجلـة الفكـر ،السـنة ٢٨، العـدد ٦، اذار ١٩٨٣

٧. البشير بن سلامة، التحولات الثقافية في تونس ١٩٨١-١٩٨٦، ٤ تشرين الاول ٢٠١٠.
ben slama.com.www.bechir

٨. جهـاد عـودة، الازمـة السياسـية والنظـام التونسـي ، مجلـة السياسـة الدوليـة ، العـدد٥٢، نيسـان ١٩٧٨.

٩. جـواد محسـن الشـيباني ، مـن تجـارب الـدول الناجحـة فـي مجـال العمـل السـكاني (التجربـة التونسية انموذجاً)، صحيفة ١٤ اكتوبر ،العدد ١٤٢٨٣، ٥كانون الثاني ،٢٠٠٨ .

١٠. حامـد الزغـل، مسـاهمة اتحـاد الطلبـة فـي المعركـة الحاسـمة، مجلـة روافـد، العـدد (٧)، المعهـد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس ،٢٠٠٢ .

المصادر والمراجع

١١. الحبيب الاسود، (محمد مزالي ابعد تمهيداً لاقصاء بورقيبة)، مجلة دبي الثقافية ،(دبي) ،السنة ١١، العدد ١١٥، كانون الاول ٢٠١٤.

١٢. الحبيب الجنحاني، الحركة الفكرية القومية في مطلع القرن العشرين، مجلة الفكر،السنة ١٦، العدد ٤، كانون الثاني١٩٧١.

١٣. الحزب الدستوري التونسي من مؤتمره التأسيسي حتى المؤتمر العاشر، مجلة البعث،(سوريا)،العدد٥٠٩٦، ٢٤ ايلول ١٩٧٩.

١٤. حسن ابو طالب، تجربة التعددية السياسية في تونس ، مجلة المنار، السنة ٥، العدد ٥٣، نيسان ١٩٨٩.

١٥. حسني سيد لبيب ، تحديات العصر في فكر زكي نجيب محمود ومحمد مزالي، مجلة المعرفة (سوريا)، السنة٣١، العدد ٣٤٧،اب ١٩٩٢.

١٦. حسنين كروم ، العلاقات التونسية الجزائرية بعد اعلان جربة، مجلة الكاتب ، السنة ١٤، العدد ١٥٧، نيسان ١٩٧٤.

١٧. حسين رحال، الفكر السياسي الاسلامي في تونس، التحولات الفكرية واطارها الاجتماعي، مجلة الحياة الطيبة، السنة ٥ ، العدد١٦،بيروت ٢٠٠٤.

١٨. ديدي ولد السالك ،اتحاد المغرب العربي (اسباب التعثر ومداخل التفعيل)،مجلة المستقبل العربي،السنة٢٧،العدد٣١٢،شباط ٢٠٠٥

١٩. زئيف شيف، الاهداف الحقيقية لقصف مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، القضية الفلسطينية في شهر، السنة ١٨، العدد ١٩، تشرين الثاني ١٩٨٥.

٢٠. سالم لبيض ، الدولة واحزاب المعارضة القانونية ...اية علاقة؟حالة تونس،المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد ٢٧، ٢٠١٠.

٢١. سالم لبيض ،بورقيبة واشكالية الهوية في تونس، اعمال المؤتمر العالمي الثالث ، السلطة وآليات الحكم في عصر الحبيب بورقيبة في تونس والبلاد العربية ،مؤسسة التميمي للبحث العلمي ٢٠٠٣.

المصادر والمراجع

٢٢. سمير بكوش، التعليم ورهاناته من خلال قانون اصلاح التعليم لسنة ١٩٥٨،اعمال الندوة الدولية الثالثة عشر حول استقلال تونس ومسيرة التحرر من الاستعمار المنعقدة بتونس ايام ٤-٥-٦ ايار ٢٠٠٦،منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية ،تونس ،٢٠١٠.

٢٣. سؤدد كاظم مهدي ، الحركة الاسلامية في تونس (النشأة والتطور)، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية العدد ٣٩، ايلول ٢٠١٢.

٢٤. سوسة ابو الوليد، مختصر تاريخ الحركة الطلابية، صحيفة الوسط التونسية، ٨ شباط ٢٠٠٨ . www.tunisalwasat.com

٢٥. سيد عبد الحميد ، اضطرابات الخبز في تونس وديمقراطية النخبة ، مجلة السياسة الدولية العدد٧٦،نيسان ١٩٨٤.

٢٦. شفيق عبد الرزاق السامرائي، الاحزاب السياسية في العالم العربي ، مجلة المنار، السنة ٦، العدد ٦٧، تموز ١٩٩٠.

٢٧. - شوقي بن حسن ، سلطة النقابة في تونس (الاتحاد بين تناقضات المرحلة والتباس المصالح)،٩ تموز ٢٠١٤. www.ifriqiyah.com

٢٨. صلاح العقاد ، البورقيبة ومستقبل تونس، مجلة السياسة الدولية، العدد٢٧، كانون الثاني، ١٩٧٢.

٢٩. طارق بن الحاج محمد، جدلية التعليم والتحديث في تونس غداة الاستقلال، تنسيقية مديري التعليم الابتدائي،٢٠١٣.

٣٠. عبد الحكيم ابو اللوز ، علاقة الحركات الاسلامية مع الانظمة السياسية (الحالة التونسية ١٩٨١-١٩٩١) ، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢٢، بيروت، ٢٠٠٩ .

٣١. عبد العزيز التميمي، الحركة الطلابية التونسية(وعي السياسة وعي المعرفة)،مجلة اقلام، السنة الثانية ،العدد ٦ ،٢٠٠٢.

٣٢. عبد العزيز عاشوري، محاولة لتقويم تجربة التعريب في تونس ، مجلة المستقبل العربي، السنة ١٥، العدد٣٩، بيروت، ١٩٨٢.

المصادر والمراجع

٣٣. عبد القادر المهيري،حركة فيفري ١٩٧٢،مجلة اكاديميا،السنة الثانية،الاعداد ٢١,٢٠,١٩ تموز-آب-ايلول،٢٠١٣.

٣٤. عبد الكريم غلاب ، التعريب ودوره في حركات التحرر في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، السنة ٢، العدد٣٦، ١٩٨٢.

٣٥. عبد اللطيف الحناشي ، النخبة الوزارية في تونس ومسألة توحيد المغرب العربي ، بحث منشور ضمن كتاب نخب مغاربية (الخلفيات والمسارات)، مركز الدراسات والابحاث الانسانية (مدى)، تونس ، ٢٠١٠.

٣٦. عبد اللطيف الحناشي ، موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية ١٩٤٦ -١٩٦٥ ،مجلة الدراسات الفلسطينية المجلد ١٨، العدد ٦٩ ،٢٠٠٧.

٣٧. عبد اللطيف الحناشي، ادارة الأزمات الخارجية في أواخر العهد البورقيبي:الغارة الإسرائيلية أنموذجا ، أعمال المؤتمر الخامس حول: نهاية حكم بورقيبة والقيادات السياسية العربية بين الصعود و الانحدار، مؤسسة التميمي للبحث العلمي المعلومات، تونس، اذار ٢٠٠٥.

٣٨. عبد اللطيف الحناشي، العلاقات التونسية الليبية: مرتكزاتها، معطياتها، مساراتها المحتملة، مركز الجزيرة للدراسات،تموز ٢٠١٣. studies.aljazeera.net.

٣٩. علي لبيب ، الهجرة التونسية الى ليبيا ، مجلة المستقبل العربي،السنة ٥، العدد ٤٧، كانون الثاني ١٩٨٣.

٤٠. علي لطيف ، مؤتمر قرية ١٩٧١،مجلة اكاديميا ،السنة الثانية،الاعداد ٢١,٢٠,١٩ ، تموز،آب،ايلول،٢٠١٣.

٤١. عمر عز الرجال يوسف ، ابعاد زيارة الحبيب بورقيبة الى الولايات المتحدة الامريكية، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٨٢، تشرين الاول ١٩٨٥.

٤٢. محمد الحمار ، التعريب المشكلة والتعريب الحل،صحيفة المثقف، العدد١٩٢٧، تشرين الثاني ٢٠١١.

المصادر والمراجع

٤٣. محمد الصالح بن مصطفى،محمد شنيق رجل التحديات،المجلة التاريخية المغاربية،الاعداد ١٩٩-١٠٠، ٢٠٠٠

٤٤. محمد العربي المساري،شمال افريقيا، مجلة الشرق الاوسط، العدد ١١٢٦٤،ايلول ٢٠٠٩.

٤٥. محمد المدني ألمختار سياسات التعليم العالي والثانوي وأفاق التنمية في تونس، مجلة الجامعة المغاربية، السنة الرابعة ، العدد ٨، ٢٠٠٩.

٤٦. محمد الهادي العامري، قصة طريفة لمدرسة، مجلة الفكر، عدد٧، نيسان،١٩٧٢.

٤٧. محمد سويسي ، التجربة التونسية في التعريب ، مجلة اللسان العربي ، ج٣، المجلد١، الرباط، ١٩٧٧.

٤٨. محمد طلعت الغينمي ، التعاون الاقتصادي المشترك بين ليبيا وتونس، مجلة السياسة الدولية، العدد ٣٣، تموز ١٩٧٣.

٤٩. محمد عبد الباقي الهرماسي، المغرب العربي المعاصر : الخصائص المؤسسية والايديولوجية للأنباء السياسي ، مجلة المستقبل العربي ، السنة ٨ ، العدد ٨، شباط ، ١٩٨٦.

٥٠. محمد مزالي ، الشباب التونسي، مجلة الفكر، السنة ١٦،العدد٦،اذار،١٩٧١.

٥١. محمد مزالي ، في ابعاد الثقافة المسؤولة ، مجلة الفكر ، السنة ٢٨، العدد ٦، اذار ١٩٨٣.

٥٢. محمد مزالي ، منزلة الكاتب، مجلة الفكر ، السنة ١١، العدد الاول ، تشرين الاول ١٩٦٦ .

٥٣. محمد مزالي ، مغامرات الوحدة القذافية في تونس والمغرب العربي،مجلة الوسط التونسية ، ٨ شباط ٢٠٠٨. www.turess.com/alwasat/7806.

٥٤. محمود الحرشاني، حياتي مع الصحافة-من الهواية الى الاحتراف،مؤسسة بابل للثقافة والاعلام، ١٤ شباط ٢٠١٤ www.babylon-center.net.

المصادر والمراجع

٥٥. محيي الدين صابر ، الابعاد الحضارية للتعريب ، مجلة المستقبل العربي،السنة ٤، العدد٣٦، شباط ١٩٨٢.

٥٦. مصطفى التواتي، الحركة الاسلامية في تونس، مجلة الحداثة، السنة ١٤، الاعداد ١٠٧-١٠٨، بيروت،٢٠٠٧.

٥٧. معهد الربيع العربي، الجيش التونسي والسياسة من الحياد الاجباري الى الحياد الايجابي. www.arabsi.org

٥٨. المنصف وناس، الدين والدولة في تونس ١٩٥٦-١٩٨٧ ، مجلة المستقبل العربي، السنة ١٢، العدد ١٣١، ١٩٩٠.

٥٩. منير المثلوني، الحركة الطلابية التونسية والمهام الجديدة، مجلة دراسات عربية، السنة الثانية، العدد ١٢، تشرين الاول، ١٩٧٢.

٦٠. ناجية المالكي، دور الشباب في تونس، صحيفة الشروق، ١٨-٦- ٢٠٠٥ www.alchourouk.com

٦١. نبيل عبد الفتاح ، الاسلام السياسي والدولة في تونس ، مجلة السياسة الدولية، العدد٨٦، تشرين الاول ١٩٨٦.

٦٢. نور الدين المباركي، هل ستتخلى الدولة عن الصندوق العام للتعويض، نشر في الوسط التونسية يوم ٩ تشرين الاول٢٠٠٩.

٦٣. نور الدين سريب، ممارسات ثقافية وجمعنه سياسية (المثال التونسي)،مجلة انسانيات، عدد٨ ، اب ، ١٩٩٩، الجزائر.

٦٤. الهادي التيمومي، دور القضية الفلسطينية في تعميق الوعي القومي العربي في المغرب العربي،مجلة المستقبل العربي ،عدد٧٢،شباط،١٩٨٢.

٦٥. هيفاء محمد احمد، حياة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في كلمات، مجلة اوراق افريقية ، السنة الثانية، العدد٣٣، نيسان ٢٠٠٠.

٦٦. يحيى بوزكريا، الطريق الى الصحراء الغربية ، دار ناشري، ٢٠١٣.www.nashiri.net

٦٧. اليزابيث لونغنيس واخرون، الصحة العامة في الوطن العربي(مهنة الطب وبناء الدولة في الوطن العربي)،مجلة المستقبل العربي ،العدد ٤١٩، كانون الثاني ٢٠١٤.

٦٨. يسرى وناس ، تراجع النمو الديمغرافي بتونس بين متطلبات الحداثة ومخاوف التهرم السكاني . .Ar.habeler.com

ب-البحوث باللغة الفرنسية :

1-MohamedDaod,ArabizationinTunisi The Tug of War, Issues in Applied Linguistics Vol. 2 No. 1 1991

2- Pierre Vermeren,the north African educational challenge:from colonization to the current alledged islamist, Mediterranean Journal of Educational Studies, Vol. 14(2), 2009, pp. 49-64.

تاسعاً -الموسوعات العربية :

١. عبد الفتاح ابو عيشة ، موسوعة القادة السياسيين ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠٠٥.

٢. مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ج٧، ط٣، الشركة العالمية للموسوعات، لبنان، ٢٠٠٥.

٣. عبد الوهاب الكيالي ومظفر زهير ،الموسوعة السياسية، بيروت ، ١٩٧٧.

٤. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤.

٥. محمد بوذينة، موسوعة مشاهير التونسيين، مطبعة شركة فنون الرسم والنشر، تونس، ١٩٨٨.

عاشراً – التقارير والمؤتمرات:

١. التقرير الوطني لتقييم مستوى تنفيذ الجمهورية التونسية لبرنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية ايار، ٢٠١٣.

٢. اعمال المؤتمر الثاني حول بورقيبة والبورقيبّيون وبناء الدولة الوطنية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ،تونس ٢٠٠١.
٣. اعمال المؤتمر العالمي الثالث حول السلطة وآليات الحكم في عصر بورقيبة بتونس والبلاد العربية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ومؤسسة كونراد اديناور،٢٠٠٣.
٤. اعمال المؤتمر العالمي السابع للدراسات البورقيبية حول دولة القانون واتخاذ القرار في تونس وفي المغرب العربي ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ومؤسسة كونراد اديناور ،تونس ، ٢٠٠٩.

الحادي عشر- شبكة المعلومات (الأنترنت):

١. www.Turess.com
٢. سعيدة بو هلال، بدايات انشاء التلفزة التونسية ، صحيفة الصباح، ٣١ ايار ٢٠٠٩، تونس. www.turess.com
٣. ar.wikipedia.org.
٤. ar.wikipedia.org/wiki
٥. www.albayanlebanon.com
٦. www.fmsf.run.tn
٧. /www.almaany.com/ar/dict/ar-en/licorice
٨. www.Tunisiestars.wordpres.com
٩. صحيفة الشروق الالكترونية، شيخ الاندية بعد ٩٥ سنة، ١٧كانون الثاني ٢٠١٤. www.alchourouk.com
١٠. صلاح خلف، فلسطيني بلا هوية. www.fatehmedia.org
١١. قناة الجزيرة العربية ، لقاء مع الهادي البكوش،ج١،ج٩،ج١٠. www.aljazeera.net

١٢.قناة الجزيرة العربية ، برنامج شاهد على العصر، لقاء مع محمد مزالي،ج١،ج٣ ،ج٤،ج٧، ٢٠٠٠. www.aljazeera.net

١١.محمد بن الحسن زلماطي، قبيلة ايت مزال ،٢٥ تشرين الاول ٢٠٠٧. www.Ait.mzal-tribn.blogspot.com .

١٣.وكالة الانباء الكويتية (كونا)، لقاء مع الفداوي التونسي طارق الزرقاني في ٢٥ايار ٢٠٠٩.www.kuna.kw\article

١٤. برنامج وثائقي بعنوان: (زمن بورقيبة) بثته قناة العربية الفضائية في أذار ٢٠٠٧. www.alarabiya.cc/programs/2011/01/23/134708.html

Abstract

This study addresses the personality of Mohammed Mzali and his political and cultural impact in Tunisia 1925-1986, by which the study sheds the light on various aspects of the contemporary history of Tunisia. 1925 chronicles the year of Mohammed Mzali's birth, while 1986 chronicles his dismissal by the Tunisian President, Bourguiba, from all his duties in the country and his sentence to prison.

Mzali descends from a tribe of barbaric progeny inhabiting Sous from the side of Agadir, the stronghold of Ait Mzal. In Monastir, he was educated through his primary stage at the Quranic School, then he continued his secondary study in the Sadiki School (1940-1947). After, he received his higher education at the Faculty of Arts (La Sorbonne) at Paris, where he earned the Bachelor of Philosophy Degree in a matter of three year.

Mohammed Mzali engaged early in the Patriotic Movement because of the historical circumstances that gripped his time, as his early youth age witnessed the escalation of political struggle against the colonial power and the exacerbation of clashes. In addition, his birth and brought up in Monastir, the birthplace of the Tunisian leader, Al-Habib Bourguiba, as well as familial kinship contributed to Mzali's involvement in the political struggle. Mzali studied in the same school where Bourguiba studied in when the first moved to the capital. After gaining the Baccalaureate, he traveled to Paris to study Philosophy. Mzali continued political activism which did not stop in France at the core of the Tunisian and the Maghreb student activity. In 1955, he issued Al-Fikr magazine that was still being issued till 1986 despite the major tasks that he was in charge of. Mzali was well-known to defend Arabic language and culture. While being a lecturer in the Sadiki School and a leading figure in Al-Hur new constitutional party, the first responsibility given to Mzali after Independence was his assignment to establish a general administration for youth and sport, so he had the honor of establishing a national youth policy, structures, organizations, and institutions which he will be working on consolidating them to form what is known as Ministry. So he took over the management of the first Ministry.

He joined the structures of the modern national state since the beginning of independence and was appointed the head of the Ministry of Education Office 1956-1958. After that, he was appointed the

director of the Youth & Sport Management in 1958 and continued in this place till 1964. Then he was appointed at the head of General Directorate of Radio and Television in 1964 as he introduced the Tunisian Television firstly-broadcasted in 1966. At his time, the Radio was also developed in terms of programs and broadcasting space.

Since the beginning of 1968, he took over several ministerial positions; the first of which being the Minister of Defense on March 18, 1968, which is the first key ministry. Mzali took over the Ministry of National Education for 8 years starting from December 1969 till March 1980, punctuated by carrying out roles in the Ministry of Health during the period (1973-1976). The most important achievement he made in this ministry is Arabization. He succeeded Arabizing the early stages of primary school starting from the first to the fourth grade where teaching is conducted with Arabic language. Then after the fourth grade, French comes into use in addition to Arabic; to that time Tunisian student then had deeply-reflected the native language and had gotten in touch with it.

He took over the Ministry of Public Health (1973-1976) where he did a lot of work in the field of free health care, as well as its circulation and strengthening its components, given that the national state in Tunisia was founded on three basis: the reformation, circulation, and strengthening of modern public education.

In 1980, Mohammed Mzali took over the position of the prime minister as he gave a lot to Tunisia in various fields. Culture, Intellect, and Art had the opportunity to witness a remarkable development through the establishment of robust cultural institutions in addition to the existing ones, like the establishment of Translation & Investigation Institution (Bait Al-Hikma in Carthage), and the National Theatre, as well as developing the existing theatres and the advancement of national festivals. He continued working in his position till getting sacked by Bourguiba in July 1986.

<u>Among his works are:</u>

Democracy, From the Inspiration of Thought, Attitudes, Studies, The Tunisian House, Perspectives, In the Paths of Thought, Open Letter to Bourguiba, and others.

Abstract

The sresearch deals with the study and analysis of the multiparty system experience applied in Tunisia on October 1981 following the appointment of Mohammed Mzali as the Prime Minister at the head of the Tunisian government in April 1980, who made the democratic openness policy the slogan of his stage. The research then sheds the light on the conditions and factors of experience in addition to its results and the most important parties approved to participate in the elections, and their positions in some of the Tunisian political developments, especially the subject matter of legislative elections that took place in October 1981.